



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الشهيد الشيخ العربي التبسي-تبسة

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم علم الاجتماع

الهدية: بين الدلالات الرمزية والتمثلات الاجتماعية -مقاربة أنثروبولوجية-

أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه طور الثالث في علم الاجتماع تخصص أنثروبولوجيا

تحت إشراف:

من إعداد الطالبة:

د. بروقي وسيلة

ميلودي ابتسام

أعضاء لجنة المناقشة			
رئيسا	جامعة الشهيد الشيخ العربي التبسي-تبسة	أستاذ	براك خضرة
مقررا ومشرفا	جامعة الشهيد الشيخ العربي التبسي-تبسة	أستاذ محاضر أ	بروقي وسيلة
ممتحنا	جامعة الشهيد الشيخ العربي التبسي-تبسة	أستاذ محاضر أ	ربيع مطلاوي
ممتحنا	جامعة الشهيد الشيخ العربي التبسي-تبسة	أستاذ محاضر أ	شاوي رياض
ممتحنا	جامعة عنابة	أستاذ	عبد الحكيم بوهروم
ممتحنا	جامعة باتنة -1-	أستاذ	مصطفى عوفي

السنة الجامعية: 2024/2023

شكر وتقدير

الحمد لله رب العالمين الذي وفقني في انجاز هاته الأطروحة
واتمامها

فالشكر الموصول لكل من ساهم في مساعدتي على ذلك
وفي هذا الإطار قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "من صنع
إليكم معروفا فكافئوه، فان لم تجدوا ما تكافئونه به فادعوا له حتى
تروا

أنكم قد كافأتموه "

فالشكر إلى والديا ويكفيني دعاؤهما لي

والشكر الجزيل إلى أستاذتي على تكريمها بالإشراف على العمل

الفهرس

فهرس المحتويات

مقدمة..... Erreur ! Signet non défini.

الفصل الأول: المقاربة المنهجية والمفاهيمية

تمهيد..... 1

أولاً: تعريف بالموضوع:..... 2

ثانياً: أسباب اختيار موضوع الدراسة:..... 19

ثالثاً: الدراسات السابقة:..... 20

1. مارسيل موس* ونظام البوتلاتش..... 21

2. مالينوفسكي ونظام الكولا..... 27

3. بول بوهانان وقبائل التيف..... 34

4. سوسبري عن قبيلة السيانة..... 37

5. الهدية وما هو مضاد للاقتصاد في المجتمع العربي الإسلامي:..... 39

6. تبادل الهدايا والتضامن الاجتماعي في المجتمع المحلي المصري:..... 41

7. الهدية في المجتمع البحريني:..... 43

8. رمزية الهدية في العلاقات الاجتماعية في الجزائر..... 44

9. تبادل الهدايا في عملية التفاعل الاجتماعي..... 48

10. تبادل الهدايا وتعزيز الرابطة الاجتماعية..... 50

11. بحث في الهبة والعلوم الاجتماعية في البلاد العربية..... 51

رابعاً: الإشكالية والتساؤلات:..... 53

55	خامسا: مجتمع البحث:
63	سادسا: المجال الزمني والمكاني:
63	1. المجال المكاني(الجغرافي):
65	2. المجال الزمني:
67	سابعاً: أهداف الدراسة:
69	ثامناً: أهمية الدراسة:
69	تاسعاً: منهج الدراسة ووسائل جمع المعلومات:
70	مناهج الدراسة:
72	وسائل جمع المعلومات:
83	عاشراً: تحديد المفاهيم:
83	1. الهدية:
87	2. الدلالات الرمزية:
91	3. التمثلات الاجتماعية:
95	4. تبادل الهدايا:
97	خلاصة الفصل:

الفصل الثاني: الهدية بين تعدد الأطر النظرية وتعدد القراءات

120	تمهيد:
121	أولاً: الهدية: النشأة والتطور
129	ثانياً: دراسة الهدية لمارسيل موس
139	ثالثاً: النظرية التفاعلية الرمزية

145.....	رابعاً: نظرية الرأسمال الرمزي (الممارسة العملية)
149.....	خامساً: النظرية البنائية الوظيفية
158.....	سادساً: النظرية التبادلية الاجتماعية
168.....	سابعاً: النظرية التأويلية الرمزية
170	ثامناً: نظرة المجتمع للهدية
181.....	الخلاصة الفصل:

الفصل الثالث: الهدية ودلالاتها في المناسبات الاجتماعية

205.....	تمهيد.....
207.....	أولاً: الزواج.....
220.....	ثانياً: الازدياد (الولادة).....
225.....	ثالثاً: الختان.....
231.....	رابعاً: النجاح أو التخرج (التهنئة).....
233.....	خامساً: الحج أو العمرة.....
234.....	سادساً: المرض.....
235.....	سابعاً: الوفاة (الموت).....
239.....	ثامناً: السفر.....
240.....	تاسعاً: السكن (الانتقال للسكن في منزل جديد).....
242.....	خلاصة الفصل.....

الفصل الرابع: رمزية الهدية ودلالاتها في المناسبات الدينية

259.....	تمهيد
260.....	أولاً: عيد الفطر.....
265.....	ثانياً: عيد الأضحى.....
267.....	ثالثاً: شهر رمضان.....
269.....	رابعاً: المولد النبوي الشريف.....
273.....	خامساً: عاشوراء.....
274.....	سادساً: أول محرم.....
275.....	خلاصة الفصل.....

الفصل الخامس: رمزية الهدية ودلالاتها في المناسبات الثقافية

283.....	تمهيد
284.....	أولاً: رأس السنة الميلادية.....
286.....	ثانياً: رأس السنة الفلاحية (يناير).....
287.....	ثالثاً: عيد الميلاد.....
289.....	رابعاً: عيد الأم.....
293.....	خامساً: عيد المرأة.....
295.....	سادساً: عيد الحب.....
302.....	سابعاً: الضيافة والاستقبال.....
307.....	ثامناً: التوزيع.....
323.....	خلاصة الفصل.....

نتائج الدراسة Erreur ! Signet non défini.

خاتمة عامة Erreur ! Signet non défini.

قائمة المراجع Erreur ! Signet non défini.

أولاً: مراجع باللغة العربية 414.....

ثانياً: مراجع باللغة الأجنبية 430.....

الملاحق: Erreur ! Signet non défini.

أولاً: ملحق 01: مورفولوجيا منطقة الزيبان 441.....

1. تمهيد: Erreur ! Signet non défini.

2. التسمية وتحديد المصطلح 442

3. الإطار الجغرافي والبشري لمنطقة الزيبان 445

4. خصائص منطقة الزيبان: 452

5. تاريخ منطقة الزيبان: 453

6. بسكرة في عيون الرحالة العرب والأوروبيين: 457

7. النشاط الفلاحي في منطقة الزيبان: 459

8. النشاط الحرفي لمنطقة الزيبان: 462

9. من أعلام وعظماء بسكرة: 466

10. الموارد السياحية: 467

ثانياً: ملحق 02: صور لمنطقة الزيبان 474.....

ثالثاً: ملحق 03: صور لبعض الهدايا المتبادلة في حلقة الكولا 479.....

رابعاً: ملحق 04: صور لبعض الهدايا المتبادلة في المناسبات 485.....

خامسا: ملحق 05: دليل المقابلة.....508

سادسا: ملحق 06: معلومات حول الإخباريين.....512

سابعا: ملحق 07: التعابير والأمثال المستعملة من قبل المبحوثين.....514

فهرس الجداول

الرقم	الجدول	الصفحة
1	يوضح المواقع الأثرية والتاريخية والطبيعية المصنفة في ولاية بسكرة	329
2	يوضح المعالم الدينية لولاية بسكرة	331
3	يوضح فنادق ولاية بسكرة	331
4	يوضح جنس المبحوثين	80
5	يوضح سن المبحوثين	81
6	يوضح المستوى التعليمي للمبحوثين	82
7	يوضح مهنة المبحوثين	82
8	يوضح الحالة الاجتماعية للمبحوثين	83
9	يوضح دخل المبحوثين	84

فهرس الأشكال

الصفحة	الأشكال	الرقم
85	يوضح خريطة منطقة الزيبان	01
129	يوضح الأشكال المختلفة للهدية حسب دراسة مارسيل موس	02

قائمة المختصرات

قائمة المختصرات بالعربية والأجنبية

تح: تحقيق	د.ط: دون طبعة
تر: ترجمة	ع: عدد
ج: جزء	م: ميلادي
ص: صفحة	ه: هجري
د.س.ن: دون سنة نشر	مج: مجلد
ص-ص: الصفحات	تق: تقديم
د.ب.ن: دون بلد نشر	P :page
ط: طبعة	جم تن: جمع وتنسيق
Op-cit :operato citata	نفس المرجع والمؤلف: ibid

قائمة الملاحق

الصفحة	الملحق	الرقم
341-307	يوضح مورفولوجيا منطقة الزيبان	1
344-342	يوضح صور لمنطقة الزيبان	2
351-345	يوضح صور لبعض الهدايا المتبادلة في حلقة الكولا	3
370-354	يوضح صور لبعض الهدايا المتبادلة في المناسبات	4
375-373	يوضح دليل المقابلة	5
378-377	يوضح معلومات حول الإخباريين	6
381-378	يوضح التعابير والأمثال المستعملة من قبل المبحوثين	7

مقدمة

مقدمة

يرتبط وجود الإنسان بما يتميز به من خصوصية وجودية ينفرد بها، من خلال ما يمتلكه من قدرات خاصة أو بالأحرى قدرته على عقل الأشياء وإدراكها بالصورة المطلوبة، وتحرير الرموز وإنشاءها من خلال شبكة المعاني التي تمثلها، حيث أن العيش بالرموز وتوظيفها في حدثها ومكانها يمثل فعالية إنسانية بكل امتياز، وهذه الأخيرة يعيش بها الإنسان ويجهز لوجوده ويبني عالمه سواء من الناحية المادية أو المعنوية هذا من جهة، وأيضاً إرساء نظام الأشياء والعلاقات بينه وبين الآخرين ممن يتعامل معهم من الناس والأفراد.

فالمحيط الاجتماعي الذي نحن جزء منه، وأيضاً الثقافي والإنساني يتركب من علامات، ولتحديد كميتها لاستعمالها كنظام تبادلي اقتصادي واجتماعي.¹ فالأنظمة الاقتصادية والاجتماعية التي تقوم عليها مختلف أو معظم المجتمعات الإنسانية البدائية والمعاصرة متعددة نظراً لأهميته البارزة في الإطار الاجتماعي والاقتصادي للمجتمعات، باعتبار أن الاقتصاد هو جزء لا يتجزأ من الأنظمة الاجتماعية، والتي تقوم في أساسها على نظام التبادل.

ومنه فظاهرة التبادل معروفة في كافة ربوع العالم وبين مختلف شعوبه، وهذا باختلاف الثقافة التي تمثلهم أو ينتمون إليها هذا من جهة، ومن جهة أخرى موقعهم الجغرافي التابعين له، وذلك نظراً لأهمية التبادل ودوره البارز في الحياة الاجتماعية بصفة خاصة، والاقتصادية بصفة عامة للأفراد والمجتمعات.

ومن بين أنظمة وأشكال التبادل في المجتمعات القديمة والمعاصرة نجد ظاهرة تبادل الهدايا، حيث أن الهدية هي من المبادلات الاجتماعية التي عرفها الجنس البشري منذ زمن بعيد. وقد يكون من الدليل على ذلك تلك الإشارة التي تطلعتنا في القرآن الكريم من هدية ملكة سبأ إلى سليمان عليه السلام، فضلاً عما تتضمنه التوراة والإنجيل من إشارات إلى هذا اللون من العلائق الاجتماعية التي سادت في المجتمعات الإنسانية المتحضرة آنذاك.

¹ برنار توسان، ماهي السيميولوجيا، ترجمة، محمد نظيف، إفريقيا الشرق، ط2، المغرب، الدار البيضاء، 2002،

مقدمة

وقد شكل تبادل الهدايا على اختلافها مظهرا من المظاهر الحضارية لدى الأمم والشعوب القديمة كالهنود والصينيين والفرس واليونان والفرنجة والفرعنة وقبائل من هنود أستراليا وقبائل المحيط الهادي التروبرياندي وبولينيزيا حيث تعددت تسمياتها وعرفت بالبوتلاتش والكولا، فضلا عن العرب الذين تبادلوا الهدايا قبل منبثق الإسلام، وكان التبادل وفق قواعد وشعائر طقوسية وسياسية وأخلاقية وروحية.

فالهدية رسالة تحمل في طياتها الكثير من المعاني الاجتماعية والنفسية التي تعزز الروابط الاجتماعية وتعمقها بين الأقارب والأصدقاء، كما أنها ظاهرة لها رموزها ومضامينها الاجتماعية على مختلف المستويات ومختلف المجتمعات الشرقية أم الغربية، منذ قدم التاريخ وليومنا هذا، ومع وجود هذا الاختلاف في شكلها ونوعها وتاريخها إلا أنها تعد رمزا أو تعبيراً واحداً بوصفها إحدى وسائل التعبير عن المشاعر الصادقة التي نكنها لأشخاص يتمتعون بمكانة وقرب اجتماعي مثل: الأقباء والأصدقاء مع الأخذ بالحسبان أن المضمون المصلي والقرب الاجتماعي هو الآخر غاية في تقديم الهدية.

أي أن الهدية ظاهرة موجودة لدى الشعوب الإنسانية القديمة والمعاصرة، كما يعرفها المجتمع الجزائري من خلال ممارسة أفرادها لها، وتختص الدراسة الحالية هنا في محاولة لفهم حقيقة العلاقة الكامنة بين التبادل الاجتماعي والرابطة الاجتماعية، والكشف عن إطارها المرجعي الذي يوجه سلوكات وممارسات الأفراد نحوها، لمعرفة قواعد وأسس استمرارها، التي لها علاقة بالتنظيم الاجتماعي والثقافي للمجتمع.

1

فلكل مجتمع ثقافته التي تميزه عن بقية المجتمعات وتظهر فيها هويته ويسعى إلى نقلها وغرسها لدى أفرادها، من خلال التنشئة الاجتماعية والثقافية التي هي مجموعة من المفاهيم والمعارف الممثلة لهوية المجتمع، وتراثه بما يتضمنه من قيم وأعراف وتقاليد، فالثقافة نتاج تفاعل الإنسان مع بيئته وتعطيه سماته الخاصة وتكون اتجاهاته وسلوكه.²

¹¹ عباس الزهرة، تبادل الهدايا وتعزيز الرابطة الاجتماعية-المناسبات الدينية أنموذجاً، مجلة الفكر المتوسطي، العدد الثاني عشر، جامعة تلمسان، جانفي 2017، ص 257.

² علي أحمد مذكور، التربية وثقافة التكنولوجيا، دار الفكر العربي، القاهرة، 2003، ص 25

مقدمة

وتظهر هذه القيم والتقاليد الثقافية المكتسبة للفرد في ممارساته وسلوكياته في مناسبات أو غيرها، ولعل هذا يمكن استشفاه بالرجوع إلى العصور السابقة، أين شكلت الهدايا والقرابين التي كانت تقدم للآلهة طقوس وممارسات ألف الأفراد تبادلها في مناسبات معينة أو بدون مناسبة، وهذا ما طبع الثقافات الغربية قديماً، أما عند العرب فكانوا ولا يزالون يقومون بممارسة النظم التبادلية على أساس العرف والعادة دون أن يكونوا ملمين بالمبادئ التي تتحكم فيها، أو بمدى انتشار أو تطبيق هذه المبادئ في المجتمعات الأخرى.

ولقد أضفت ظاهرة تبادل الهدايا في المجتمع شرعية الثبات والاستمرار، حينما اقترنت بتقاليد وعادات اجتماعية في مناسبات أخذت معه طابع الإلزام والسلوك المعهود، وهذا ما جعل منها جزءاً من التنظيم الاجتماعي والثقافي للفرد.¹

حيث أن ظاهرة تبادل الهدايا بين أفراد المجتمع الواحد أو الجماعات المتعددة تندرج وتتجسد في إطار تمثلات وانعكاسات مجتمعية حسب طبيعة ونوع المناسبة المنطوية ضمنها، حيث تتعدد المناسبات هنا بين مناسبات اجتماعية ودينية وثقافية، تتطوي خلالها العديد من الدلالات الرمزية حسب طبيعة كل مناسبة والغاية أو الهدف التي ترمز إليه. حيث تطرقنا لإبراز هذا الجانب من الموضوع المرتبط بالدلالات الرمزية وتمثلاتها في المجتمع الجزائري بصفة عامة، والمجتمع الزابوي خاصة.

وجبت الإشارة هنا إلى أن الباحثة قد وضعت عنوان الأطروحة كالاتي: الهدية بين الدلالات الرمزية والتمثلات الاجتماعية-مقاربة أنثروبولوجية بمنطقة الزيبان. غير أن هذا العنوان رغم تعديله في كل مرة لم يظهر بهاته الصياغة على غلاف الرسالة أو الأطروحة لأسباب إدارية.

وفي هذا الصدد لقد تمت معالجة موضوع البحث الذي يتمحور حول "الهدية بين الدلالات الرمزية والتمثلات الاجتماعية-مقاربة أنثروبولوجية بمنطقة الزيبان". من خلال خمسة فصول والتي جاءت مقسمة على النحو التالي:

¹ عباس الزهرة ومحمد حمداوي، مرجع سابق ذكره.

مقدمة

- الفصل الأول والذي جاء بعنوان " المقاربة المنهجية والمفاهيمية"، والذي تم التطرق فيه إلى كل من تعريف بالموضوع، أسباب اختيار موضوع الدراسة، الدراسات السابقة، الإشكالية والتساؤلات، مجتمع البحث، المجال الزمني والمكاني، أهداف الدراسة، أهمية الدراسة، منهج الدراسة ووسائل جمع المعلومات، تحديد المفاهيم.
- الفصل الثاني بعنوان " الهدية بين تعدد الأطر النظرية وتعدد القراءات"، والذي جاء فيه الهدية: النشأة والتطور، دراسة الهبة لمارسيل موس، النظرية التفاعلية الرمزية، نظرية الرأسمال الرمزي (الممارسة العملية)، النظرية البنائية الوظيفية، النظرية التبادلية الاجتماعية، النظرية التأويلية الرمزية، نظرة المجتمع للهدية.
- الفصل الثالث تمحور حول " رمزية الهدية ودلالاتها في المناسبات الاجتماعية"، والذي تم التطرق فيه إلى الزواج، الازدياد (الولادة)، الختان، النجاح أو التخرج (التهنئة)، الحج أو العمرة، المرض، الوفاة (الموت)، السفر، السكن (الانتقال للسكن في منزل جديد).
- الفصل الرابع بعنوان " رمزية الهدية ودلالاتها في المناسبات الدينية"، من خلال تناول العناصر الآتية: عيد الفطر، وعيد الأضحى، المولد النبوي الشريف، شهر رمضان، عاشوراء، أول محرم.
- الفصل الخامس تحت عنوان " رمزية الهدية ودلالاتها في المناسبات الثقافية"، تم التطرق فيه إلى رأس السنة الميلادية، رأس السنة الفلاحية (يناير)، عيد الميلاد، عيد الأم، عيد المرأة، عيد الحب، الضيافة والاستقبال، التوزيع.
- وفي الأخير سنقوم بعرض النتائج العامة للدراسة التي توصلنا إليها من خلال جمع وتحليل المعلومات والمعطيات الميدانية لفهم الظاهرة المدروسة.

الفصل الأول

الفصل الأول: المقاربة المنهجية والمفاهيمية

- تمهيد.

أولاً: تعريف بالموضوع

ثانياً: أسباب اختيار موضوع الدراسة

ثالثاً: الدراسات السابقة

رابعاً: الإشكالية والتساؤلات

خامساً: مجتمع البحث

سادساً: المجال الزماني والمكاني

سابعاً: أهداف الدراسة

ثامناً: أهمية الدراسة

تاسعاً: منهج الدراسة ووسائل جمع المعلومات

عاشراً: تحديد المفاهيم

- خلاصة.

الفصل الأول: المقاربة المنهجية والمفاهيمية

- تمهيد:

تتعدد الأنظمة الاجتماعية الموجودة ضمن المجتمع، والتي بدورها تتعدد موضوعاتها حسب ثقافة كل مجتمع، والتي من أهمها نجد ظاهرة التهادي، حيث أن الهدية من بين المواضيع الشائعة اجتماعيا بين مختلف الأفراد والمجتمعات، ولكل موضوع أسس وقواعد ومميزات وخصائص يتميز بها، وهذا ما نلاحظه بالنسبة للهدية من خلال الوقوف على العناصر التعريفية بها للتعرف على ماهيتها من الناحية النظرية والتطبيقية، والوقوف على المقننات الرئيسية لمواضيع مشابهة ومكملة، باعتبار أن المعرفة لا تبدأ من الصفر.

فالمقاربة المفاهيمية والمنهجية للموضوع المدروس حول تمثلات الهدية ودلالاتها الرمزية في منطقة الزيبان، يقف من جهة أولى على تفكيك المفاهيم المدرجة في الموضوع والعناصر المنطوية وراء بلورة موضوع الهدية، ومن ناحية أخرى التطرق إلى الطرق والوسائل الميدانية التي تسهل وتنظم دراسة الموضوع.

حيث أن طبيعة البحث المتناول تفرض على الباحث الاعتماد على الإجراءات المنهجية التي تلائم الدراسة أو البحث المدروس، للوصول إلى النتائج بصفة صحيحة تتميز بالمصداقية في الدراسة والمعلومات لتحقيق الهدف المبتغى من هذا البحث، وعليه تم تركيز الباحثة من خلال ضبط الخطوات والإجراءات المنهجية المناسبة والمساعدة التي تتلاءم مع طبيعة البحث المدروس، الذي يتجسد محتواه في تطبيق الدراسة الميدانية المرتبطة بالمجتمع أو الفئة التي تنطوي عليها تحقيق لأهداف البحث المدروس وفق المعطيات العلمية التي تعكس ذلك، والذي يتمثل في ادراج النقاط الآتية:

الفصل الأول: المقاربة المنهجية والمفاهيمية

أولاً: تعريف بالموضوع:

تتعد أشكال التفاعل الاجتماعي والثقافي وتتنوع من مجتمع لآخر، حيث لهذا الأخير معان ورموز عديدة لها غايات وأهداف متنوعة، مما أدى الى تعدد مسمياتها التي تدخل في نطاق التهادي وتتمثل في التعاريف الإجرائية الآتية:

1. الهبية:

الهبية أن تعطي الغير مما تكسبه وما تشاء أن تهبه له، دون انتظار الرد أو التعويض جراء ما قدم له من هبة، غايتها التقرب لله تعالى، حيث تأخذ صفة الصدقة بالنسبة للمحتاج إليها، وهدية بالنسبة لمن هو كاف نفسه.

2. الرزق:

الرزق ينطوي حول مفهوم العطاء، وبالتالي فالرزق هو عطاء من عند الله تعالى، يتجسد في حياة الإنسان سواء بصورة مادية ملموسة أو معنوية محسوسة.

3. المكافأة:

المكافأة هي جزاء مقابل عمل يظهر من خلال تكريم الإنسان على ما بادر به من عمل يستحق الهدية باعتبارها مكافأة، وبالتالي فهاته الأخيرة هي تحصيل حاصل.

4. العطية:

العطية هي ما يعطى للإنسان استحساناً دون حاجة للرد أو أخذ مقابل عنها، فهي للتودد واللفظ الناجم عن الطيبة وحسن الخلق، ويستحسن قبولها وعدم رفضها، وهي عملية لازمة بين الأفراد وعفوية على الغالب.

الفصل الأول: المقاربة المنهجية والمفاهيمية

5. التبرعات:

يطلق في اللغة أصل التبرع من برع وتطلق على المعاني التالية:

- التطوع يقال فعل الفعل متبرعا به أي متطوعا بغير عوض.
- الامتياز والنبوغ وتفوق على الأقران يقال برع الطالب أي فاق أقرانه.

أما في الاصطلاح فهو إعطاء المكلف مالا أو ما يقدر بمال قرية لله بغير عوض.¹

فهي هدايا تعطى لحاجة الإنسان إليها، وهي بمثابة صدقة تقدم لمن يحتاجها، غايتها تفريج كرب المحتاج إليها، ولا تستدعي الرد، وإنما نيل الثواب والأجر من الله تعالى والاكتفاء بالدعاء له.

6. الصدقة:

الصدقة هي عطاء وتبرع في شكل هدية إلى المحتاج إليها، تعطى للفقير والمحتاج، وهي هدية غايتها التقرب من الله ونيل الأجر والثواب.

7. الرشوة:

الرشوة هي هدية تقدم مقابل قضاء حاجة أو مصلحة، وهي نوع من الهدايا التي لا يعمل بها الغالبية وإنما تقتصر على البعض من يأخذونها بهاته الفكرة.

ومع كون الهدية لا تختلف في مضمونها وأدائها كواجب اجتماعي وديني وحضاري حديث، إلا أن التعبير عنها والتأكيد عليها جاء مختلفا باختلاف المجتمعات في الأداء وبحسب الموارد المتاحة، وكون مجتمع الدراسة فيه اختلاف من الناحية الثقافية والمستويات الاقتصادية والأنماط الاجتماعية والريفية والحضرية. إلا أننا لا بد من التعرف على هذه الظاهرة في الدين الإسلامي، لأن مجتمع البحث أغلبيته المطلقة ذو ثقافة عربية إسلامية.

¹اسطنبولي محي الدين، مقال "حول أحكام الرجوع في الهبة في الفقه الإسلامي"، مجلة آفاق العلوم، جامعة الجلفة، العدد السادس 2017، ص3.

الفصل الأول: المقاربة المنهجية والمفاهيمية

فالدین الإسلامي حث على الهدية من خلال ما ذكره القرآن الكريم حول قصة سيدنا سليمان عليه السلام في رد هدية ملكة سبأ المسماة بلقيس التي أرسلتها له، وقال "إنكم بهديتكم تفرحون".

كما أن الشريعة الإسلامية أمرت بها وبينت الحكمة منها فقد عد الإسلام الهدية من وسائل التكافل الاجتماعي التي تحقق للمجتمع روابط الألفة فقال عليه الصلاة والسلام "تهادوا تحابوا". وهي الحل الأمثل للقضاء على البغضاء التي تحملها القلوب على بعضها البعض، وبذلك فالهدية تعمل على تقوية البناء الاجتماعي وتجعله قويا متراصا لا تعمل فيه عوامل الهدم ولا تتال منه معاول التخريب.¹

روي عن النبي (ص) عدة أحاديث يحث فيها المسلمين على التهادي ولو بأبسط الأشياء، ونهى من جانب آخر عن رد الهدية، حيث قال (ص): "أجيبوا الداعي ولا تردوا الهدية ولا تضربوا المسلمين"، وليس للمهدى إليه أن يسأل أو يفتش عن مصدر الهدية ولو جاءت من مشرك أو كافر أو رجل اختلط كسبه بين الحلال والحرام، اللهم إذا تيقن بشكل قطعي بأن ما اهدي له كان كله من الحرام، بل إن الرسول (ص) يعتبر كل ما يعطى للمسلم من دون مسألة ولا إشراف فهو رزق ساقه الله إليه، فله أن يأكله ويتموله.

فلقد تلقى الرسول (ص) هدايا من مشركين وقبلها وتصرف فيها، مثل الهدية التي تلقاها من المقوقس عظيم القبط في مصر، كما أهدى أكيدر دومة وكان مسيحيا هدية إلى النبي فقبلها منه. ويعود ذلك لما للهدية من آثار ايجابية على المجتمع بصفة عامة، منها انتشار المحبة بين أفرادها، وفي هذا السياق جاء قوله: "تهادوا فان الهدية تذهب وعر الصدر".

ومن الأمور التي دعا إليها الشرع استحباب المكافأة على الهدية، وفي هذا السياق يقول الرسول (ص): "من سألكم بالله فأعطوه، ومن دعاكم فأجيبوه، ومن أهدى لكم فكافئوه، فان لم تجدوا ما تكافئوه فادعوا له".

واقثناء بالنبي (ص) فان عددا من الصحابة والتابعين كانوا يقبلون هدايا الحكام ويشجعون على ذلك، فقد كان زيد بن ثابت يقبل هدايا الخليفة الأموي معاوية بن أبي سفيان وابنه يزيد.

¹أميرة وحيد خطاب، المضامين الاجتماعية للهدية-دراسة ميدانية في مدينة الموصل، مجلة آداب الرافدين، العدد 50، 1429هـ - 2008م، ص9.

الفصل الأول: المقاربة المنهجية والمفاهيمية

ومن خلال ما سبق ذكره يتضح أن الإسلام يحث أتباعه على التهادي كوسيلة من وسائل التعاضد وزيادة اللحمة بين أفراد المجتمع الإسلامي، حتى وإن جاءت الهدية من كافر أو مشرك، ورغم ذلك توجد مجموعة من الشروط والضوابط تمنع المسلم من قبول الهدية، تتمثل في:

- أن لا تكون الهدية من مال كله حرام مع علم المهدى إليه بذلك.
- أن لا تتشكل الهدية من مواد محرمة شرعا.
- أن لا تكون الهدية بمثابة رشوة ينتظر المهدى من وراءها خدمة يؤديها له المهدى إليه.
- أن لا ينجر عن الهدية ضرر بالمهدي أو المهدى إليه أو بأي طرف من أطراف المجتمع الإسلامي.

فالهديّة في الإسلام شرعت لما لها من تأثير إيجابي على العلاقات بين أفراد المجتمع، بحيث أنها تقضي على الحسد والضغينة والفرقة، لذلك كان الرسول (ص) يقبلها ويثيب عليها.¹

تتطوي فكرة الهدية من المنظور الإسلامي من خلال الحث على إعطاء وقبول الهدية لما لها من تأثير إيجابي على نفس الإنسان، وكيف أنها تسهم في تقوية العلاقات بين الأفراد والجماعات، حيث يتم النظر إلى الهدية من الناحية الإسلامية من جانبها المعنوي أكثر من جانبها المادي. لذا لا بد من المحافظة والحث عليها.

ومن ذلك ما ثبت في القرآن والسنة حول الهدية وقبولها:

- قال الله تعالى: "وتعاونوا على البر والتقوى".
- وذكر أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله قال: "لو دعيت إلى ذراع أو كراع لأجبت، ولو أهدي إلى ذراع أو كراع لقبلت".

¹محي الدين صف الدين، تبادل الهدايا بين علماء الغرب الإسلامي وبقية عناصر مجتمعاتهم خلال العصر الوسيط، جامعة مصطفى اسطنبولي معسكر، مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ، مجلد 17، عدد 01، جويلية 2021، ص-ص (652-681).

الفصل الأول: المقاربة المنهجية والمفاهيمية

- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أتى بطعام سال عنه أهديه أم صدقة؟ فان قيل صدقة قال لأصحابه: كلوا. ولم يأكل، فان قيل هدية ضرب بيده صلى الله عليه وسلم فأكل معهم".
- كما قال: "تهادوا تحابوا".¹
- وأيضا: "تهادوا فان الهدية تذهب وحر الصدور، ولا تحقرن جارة لجارتها ولو شق فرس شاة".²
- قال الله تعالى: "يا أيها الذين امنوا لا تحلوا شعائر الله ولا الشهر الحرام ولا الهدي ولا القلائد ولا أمين البيت الحرام يبتغون فضلا من ربهم ورضوانا".³
- ومما يدل على المكافأة على الهدية قول الرسول (ص): "من صنع إليكم معروفا فكافئوه، فان لم تجدوا ما تكافئونه فادعوا له حتى تروا أنكم قد كافأتموه".

ومن خلال ما تم التطرق إليه حول الهدية من المنظور الإسلامي، والتركيز على ذكر هذا العنصر راجع إلى طبيعة مجتمع الدراسة والمصدر المنطوي عليه موضوع الدراسة الحالي، والذي يحث على إعطاء الهدية وقبولها، لما تتميز به تأثير ايجابي من الناحية النفسية للإنسان بالدرجة الأولى، ومن الجهة الأخرى المادية. فمشروعية الهدية راجع لمدى تأثيرها على الأفراد وتوطيد العلاقات فيما بينهم.

ويتمثل أثر الهدية في أنها:

- تقضي على الأحقاد والضغائن بين الأفراد والمجتمعات.
- تصفية للعلاقات بين الناس رغم صغر حجمها.

¹ عبد الرحيم بن إبراهيم بن عبد الرحمن السيد هاشم، الهدايا للموظفين أحكامها وكيفية التصرف فيها، دار ابن الجوزي، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ص12.

² وفاء بنت عبد العزيز السويلم، الإهداء للشفعاء والموظفين وقبوله منهم "دراسة فقهية مقارنة"، قسم الفقه، كلية الشريعة، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، مجلة العلوم الشرعية، العدد الثالث والعشرون، ربيع الآخر 1422هـ، ص271.

³ الآية الثانية من سورة المائدة.

الفصل الأول: المقاربة المنهجية والمفاهيمية

- الهدايا تعبر عن المشاعر وتقوي أواصر المحبة والترابط بين الناس حتى وإن كانت تلك العلاقات قائمة على المصلحة والمنفعة، فحتى وإن اختلف الهدف من ورائها تبقى مرغوبة عند نفوس الناس لما تدخله من البهجة والفرحة.

وللهدية خصائص ومميزات تتمثل في:

1. **الخاصية الإنسانية:** العطاء فعل وخلق إنساني محض وحتى لو أعطى الحيوان فبدافع الغريزة لا أكثر، إلا أن الإنسان هو المخلوق الوحيد الذي يختص بهذه الصفة وهذا ما حلله بالتفصيل آدم سميث.
2. **خاصية التطور:** تتطور الهدايا عبر الزمن لأسباب تخص ظروف الزمن المعاش من فقر وغمى، والتجديد الذي يلحق المناسبات وأشياء التهادي، فكل زمن وهداياه.
3. **خاصية الرمزية:** لا شك أن الهدايا تحمل ولازالت رموزا معينة، يتجلى ذلك في اختيارها قيمتها المالية، طريقة توظيفها، وطريقة إعطائها، وتوقيتها، كل ذلك يصنع من الهدية رسالة ما للمهدي له، دون أن يضطر للبوح عن ذلك بالكلام، فالفعل أصدق وأبلغ.
4. **العفوية:** إن الفعل الأول للهدية في علاقة ما، عفوي إلى درجة كبيرة، حيث لا ينتظر الهادي ردا من الشخص المقابل في العلاقة ولم يهديه ذلك إلا لمحبهته الخالصة له، كما نقصد بالعفوية في حرية الاختيار، فثمة هدايا نختارها ونختار أن نعطيها بصدق وعفوية ودون ضغط لأننا نحب فعل التهادي والعطاء.
5. **الإلزامية:** إن قبول الهدية في علاقة ما يجعل المهدي له يشعر بالإلزام لرد الهدية بمثلها أو بأحسن منها، وإن لم يرد فهو يشعر دائما في هذه العلاقة بأنه مدين للهادي، ينتظر مناسبة أو حدثا لرد الهدية والتخلص من ذلك الشعور ليبدأ في الجهة المقابلة ولو بعد حين.
6. **النسبية:** إن قيمة الهدية غير محددة بل هي نسبة لظروف الهادي وقناعاته، فليست كالمقايضة في السوق والتعاملات الاقتصادية عموما، بل هي تعتمد على مدخول الهادي وتقييمه للعلاقة ومعتقداته الخاصة ومهما كان إلزام المجتمع فالهادي له حرية الإهداء

الفصل الأول: المقاربة المنهجية والمفاهيمية

كما يشاء، ولا أحد يفرض عليه قيمة الهدية، رغم أن عواقب فعله اجتماعيا تبدو بعيدة المدى وغير مقدرة ماديا.¹

ومن خلال ما تم عرضه نلاحظ أن الهدية أو الهدايا بصفة عامة مثلها مثل أي ظاهرة تتميز بمجموعة من الخصائص والمميزات التي تجعل منها ظاهرة تحظى بقيمة كبيرة في نفوس الأفراد فيما بينهم في إطار المجتمع، حيث تجمع بين الإنسانية كون الإنسان هو الذي يتعامل بها، وتتميز أيضا بالتطور أي أنها مواكبة للزمن ومستجدات الواقع المعاش لتكون أكثر فاعلية في نفوس متلقيها، ومن بين أهم خصائصها الرمزية باعتبارها تنطوي على العديد من الرموز بين الأفراد لتعبر عما يريد الأفراد إيصاله بين بعضهم البعض، كما أنها تبقى نسبية وفق ما يتوفر لدى المعطي ووفق إمكاناته بحيث أن الهدية تختلف من شخص لشخص وقيمتها المادية أيضا تختلف بحكم محدودية التعامل بها وفق المتوفر.

أما فيما يخص أنواع الهدايا فهناك:

1. الهدايا المادية:

الهدايا المادية فهي هدايا نقدية في شكل مبالغ مالية بقيمة كبيرة أو قليلة، أو في شكل أشياء ملموسة كالملابس والأثاث والعطور والأجهزة الالكترونية والكهرومنزلية.. الخ. وعليه نقول ولي زمن الهدية المعنوية، فهي اليوم توزن بقيمتها وأسعارها الرائجة.

تقول إحداهن: "زيارة المريض والتهنئة بمناسبة الزواج وغيرها جميعها واجبات اجتماعية تلزمننا تقديم هدية ولو بسيطة في قيمتها وغنية في معناها، المعنى الحقيقي من الهدايا لا تكمن في أسعارها، لذلك لا أهتم بالقيـل والقال وأقدم بجميع المناسبات هدية بسيطة تتناسب مع ميزانيتي".

وتقول أخرى: "إن الهدية ذات تأثير فعال وقوي جدا في العلاقة الزوجية، لأن فيها تأكيد على قوة الحب وعمقه بين الزوجين".

¹ أبو زيد أحمد، البناء الاجتماعي، المكتب الجامعي الحديث، الجزء 2، 1967، ص 227.

الفصل الأول: المقاربة المنهجية والمفاهيمية

2. الهدايا المعنوية:

ان لفظة المعنوي تظهر طبيعتها الغير محسوسة التي ترتبط باللغة بصفة خاصة، حيث أن الأفراد كما يتبادلون الأشياء والنساء، فإنهم يتبادلون الخطاب وما يمثله من كلام، حسب رأي ليفي ستروس سواء بهدف مادي أو غير مادي. وتتمثل في عبارات المباركة والتهنئة التي تختلف حسب المناسبة: دينية أو اجتماعية أو مناسبة وافدة من ثقافة مغايرة.

وتتمثل الهدايا المعنوية فيما يلي:

- **الكلمات (الكلام):** والتي تعكس قيمة قولها قد تكون قيمتها عند مستقبلها لما لها من التأثير فيه، والتي تتجسد في مناسبة عيد الميلاد "كل عام وأنت بخير"، وفي الأعياد كعيد الأضحى وعيد الفطر، وفي مناسبة الزواج "متباركين" وغيرها. ومن أمثلة الكلام المتبادل: "صح رمضانك"، "عيدك مبارك" أو "صح عيدك" و"ربي يتقبل"، و"بالبركة عليك ويتربى في عزكم"، وهي عبارات تقال بمناسبة الصيام أو الاحتفال بالعيد أو بمناسبة إنجاب مولود جديد، ويقال لأهل العريس من النساء في مناسبة الزواج "بالبركة عليكم وربي يطيب العشرة بيناتكم". أما في عيد المرأة وعيد الأم وعيد العمال فتكون التهاني بعبارة "bonne fête"، وفي عيد الميلاد بعبارة "joyeux anniversaire"، أما في رأس السنة الميلادية الجديدة فتكون التهنئة بعبارة "bonne année". وهناك مناسبات يحتفل بها الأفراد ولكنهم لا يتبادلون أثناء إحيائها التهاني مثل: عاشوراء ومحرم وشعبان. كما أن هناك مناسبات أخرى يمكن لبعض أفراد المجتمع فقط تبادل التهاني أثناءها، لارتباطها باعتقادات تخصصهم، مثل مناسبة "يناير" وهو عيد رأس السنة الزراعية العربية والامازيغية أو رأس السنة الأمازيغية، كما يفضل البعض تسميته. وكما تتم التهنئة باللغتين العربية والفرنسية فإنها تكون باللهجة المحلية الأمازيغية أيضا في عبارة: "أسقاس أمقاس" وتعني عاما سعيدا.

- **الابتسامة:** للابتسامة تأثير ايجابي على الآخرين كما يقال الابتسامة هي جواز السفر إلى القلوب. وهناك تصرفات أخرى كالابتسامة التي تبعث على الراحة وتدخل إلى قلب متلقيها فرحا

الفصل الأول: المقاربة المنهجية والمفاهيمية

وبهجة، والتي يمكن اعتبارها هدية معنوية بالقياس، لأن "ابتسامة في وجه أخيك صدقة"، كما جاء ذلك في الحديث النبوي الشريف. وفي اللغة العربية يتقارب مفهوم الهدية بمفهوم الصدقة، لأن كلاهما يشترك في فعل المنح بدون مقابل، وعليه فإنه يمكن اعتبار الابتسامة هدية كما اعتبرت صدقة.

ومن الممارسات اليومية للأفراد دعوة بعضهم البعض لشرب فنجان قهوة أو أكل المرطبات أو تناول وجبة غداء أو عشاء في البيت أو في المطعم أو المرافقة من أجل التسوق أو التنزه.

- **الدعاء:** يمكن أن تكون الهدية المعنوية في صورة دعاء، كأن يقال للمريض "ربي يجيب لك الشفاء" وللمحتاج "ربي يرزقك"، وللذي فقد أحداً من أهله أو أقاربه "عظم الله أجرك وربي يبذل محبته بالصبر". ويقال للمقبل على امتحان أو مسابقة "ربي يوفقك". ولكل من هذه التهاني المتبادلة رد يقابلها بين الأفراد.

فالهدايا المعنوية وسيلة لتقوي العلاقات الاجتماعية وتمتينها أكثر هذا من جهة، وزيادة الترابط والتماكك الاجتماعي بين أفراد المجتمع.¹

وبالتالي تندرج كلاهما ضمن تقديم خدمات، حيث أن الخدمة تختلف وتتنوع بين المعنوية، وتلك التي تحتاج إلى جهد عضلي. فأما المعنوية تتمثل في قضاء مصلحة ما أو التوسط لقضائها، وأما الثانية فتتجلى في ظاهرة "التويذة" التي يعتمدها الأفراد في المجتمع الجزائري خصوصا في الأوساط التقليدية أو شبه التقليدية، أو بعض الأوساط الحضرية المحافظة للمساعدة في النشاطات التي تحتاج إلى بذل جهد عضلي، كأعمال البناء وجني المحاصيل الزراعية لتقليل التكلفة وتقاسم أعباء العمل. وتتمارس "التويذة" في أوساط النساء لغسل الأفرشة الثقيلة والكثيرة، وغسل الصوف والنسيج، ولتحضير كمية كبيرة من الحلويات أو الكسكس وهو ما يسمى بعملية "الفتيل" أو لطهيه في المناسبات.²

¹ خديجة المولاني، "الهدية: الإطار المرجعي والممارسة قرية الدية بالبحرين أنموذجاً"، الثقافة الشعبية، السنة الثالثة، العدد الثامن، شتاء 2010، أرشيف الثقافة الشعبية للدراسات والبحوث والنشر، مملكة البحرين.

² نورية سوامية، الرابطة الاجتماعية الحضري: دراسة سوسيو انثروبولوجية للعلاقات الاجتماعية بين الجيران في حي الهضاب بأرزيو (وهران، رسالة دكتوراه في الأنثروبولوجيا، جامعة وهران)، 2015، ص184.

الفصل الأول: المقاربة المنهجية والمفاهيمية

وهناك من يصنف الهدايا إلى:

- الهدية التي يتبرع بها مدى الحياة، والمتمثلة في مال أو غيره يقدم للمهدي مدى الحياة ولا ترد، ولا يرتبط بزمن محدد.
- الهدية التي تهدي لإنسان آخر شيئاً معين مدى حياته، شرط أن ترد بعد وفاته.
- الهدية التي وهي أن يقول أحد الأشخاص لصاحبه أرقبتك داري وجعلتها لك في حياتك فان مت قبلي رجعت إلى وان مت قبلك فهي لك.¹

وهناك من يصنفها إلى:

- هدايا الصلح: وهو مبادرة إسلامية تتحقق من خلالها الأمن وتجنب الضرر وإحلال السلم وتسوية الخلافات القائمة.
- هدايا المكافأة: والتي تكون من جنس العمل، من خلال تقديم هدية كجزء وحق للمعني بها.
- هدايا التعزية: العزاء هو الحز على الصبر عند البلاء.
- هدايا التهئة: ارتبطت التهئة بالمناسبات لتأكيد المودة.
- هدايا الصداقة وتوثيق العلاقات: الصداقة علاقة اجتماعية خاصة تقوم على نوع من التجانس الأخلاقي والشعوري بين الأصدقاء، ومن فضائل الصداقة "الحلم، الجود، الصبر، الوفاء، المشاركة، العفة".
- هدايا الاعتذار: تعتبر الهدية مبدأ للإنصاف وتحقيق المنطق في تنظيم العلاقات، والغرض منها السعي لاسترجاع العلاقات بين الأطراف.²

تختلف الهدية وتتنوع باختلاف قيمتها المادية، لكن في ثنايا كل منها نجد قيم معنوية لا ترتبط بالقيمة المادية للهدية بالقدر الذي ترتبط فيه بمشاعر ونفوس الأفراد في إطار المجتمع، بحيث يبرز ذلك من

¹ هبة علي هادي وآخرون، الأبعاد الاجتماعية للهدية، قسم علم الاجتماع، كلية الآداب، جامعة القادسية، 2018.

² تواتية بودالية، " الهدايا الدبلوماسية وأغراضها بين المغرب الأوسط والعالم الإسلامي"، مجلة عصور، المجلد 17، العدد الأول، سبتمبر 2018، صص(118-12).

الفصل الأول: المقاربة المنهجية والمفاهيمية

خلال تأثيرها وأثرها المتوقع أو غير المتوقع في نفوس المتلقي للهدية أيا كان شكلها أو مظهرها، فالفائدة تكمن في التفكير في الشخص وإعارته الاهتمام من خلال ظاهرة الهدية، فهاته الأخيرة تحمل في ثناياها شقين هما المادي والمعنوي، بحيث الثانية تحصيل حاصل للأولى.

وبالتالي فالهدايا المتبادلة بين الأفراد تأخذ أشكالا عدة، وهذه الأخيرة تصب كلها في نطاق هدايا مادية ملموسة، وهدايا معنوية، وهدايا في شكل خدمات، ويختلف تقديمها حسب المناسبة، ونوع العلاقة التي تربط بين المهدي والمهدى إليه، وكذا حسب المستوى الثقافي والاقتصادي للفرد.

وتقديم الهدايا والتهادي بين الأفراد له آداب تتمثل في:

1. عند أخذ هدية يجب أن يقدم الشخص الشكر والامتنان لصاحب الهدية، وعليه أن يتقبلها منه بشكل جميل وان كانت بسيطة ويشعره بفرحه وهو يأخذ الهدية، وهذا الشعور تعبير عن الفرحة والمودة، لا فرحة بقيمة الهدية المادية.
2. إن كان هناك مانع لرفض الهدية فعلى الشخص أن يقدم السبب في رد الهدية جبرا لخطره وتوضيحا للسبب بدل من ترك الأمر مبهم مما قد يسيء الفهم وبالتالي ينعكس ذلك سلبا على العلاقة الشخصية.
3. لا يجوز للشخص أن يهدي الهدية ثم يرجع ويطلب بأخذ الهدية.
4. أن لا يهدي الشخص الهدية ثم يمن بها على الشخص الذي أهديت له الهدية.
5. قبول الهدية المقدمة من قبل غير المسلمين والإهداء لهم.
6. هناك هدايا لا ترد فيها الطيب.¹

ومنه فإن الهدية هي في حد ذاتها ثقافة، حيث تبرز من خلال إعطاء ورد الهدية وقبولها وفق أطر ومعايير معينة تجتمع عليها أعضاء أو أفراد المجتمع، والتي من خلالها أصبحت بمثابة القالب الذي تتطوي عليه الظاهرة وتتجسد بين أفراد المجتمع سواء بصفة فردية أو جماعية.

¹عزيز إسماعيل محمد ومحمد عبد النافع، "اقتصاد المجاملة وثقافة الإنفاق في المناسبات"، كلية الإدارة والاقتصاد، الجامعة العراقية، مجلة الدنانير، العدد الحادي عشر، 2017، ص-ص (109-114).

الفصل الأول: المقاربة المنهجية والمفاهيمية

أما بالنسبة للهدايا وتبادلها فلها وظائف تتمثل في:

1. أغراض لها علاقة بالسمعة والشرف.
2. توطيد العلاقات الاجتماعية، وعليه يقول مارشيل سالينز: "إذا كان الأصدقاء يتبادلون الهدايا، فإن الهدايا هي التي تصنع الأصدقاء".
3. أغراض اقتصادية.
4. أغراض ترتبط بالمركز الاجتماعي.¹
5. الوظيفة الاجتماعية: غالباً ما تكون الهدية سبباً في زرع الود والمحبة والتقارب بين الأفراد فتبادلها يستوجب الزيارة من أجل تسليمها، ولذلك فهي تدفع بطريقة غير مباشرة إلى التواصل بين ذوي الأرحام وتقوية العلاقات القرابية والاجتماعية خصوصاً في المناسبات الدينية.
- فالعيدية بصفتها هدية خاصة بعيدي الفطر والأضحى مثلاً تدفع الأطفال إلى زيارة الأهل والأحباب من أجل الحصول عليها، وبالتالي فإنها تزرع فيهم حب صلة الرحم وزيارة الأقارب، وتعودهم على ذلك. وهذا السلوك الإيجابي الذي يكتسبه الأفراد منذ صغرهم هو آلية فعالة لاستمراره وبالتالي تقوية الروابط الاجتماعية مستقبلاً.
- بالإضافة إلى أن الهدية تمثل أسمى صور التكافل والتضامن الاجتماعي في المناسبات الاجتماعية مثل الزيادة والزواج والوفاة، التي يلجأ ويهب الأفراد فيها إلى تقديم المساعدات بشتى أشكالها المادية والخدمية والمعنوية.
6. الوظيفة الاقتصادية: تقودنا دراسة طبيعة التبادل وأنماطه وعلاقاته مباشرة إلى صميم التنظيم الاجتماعي والثقافي، لأنهما يؤثران على الأداء والتنظيم الاقتصادي، خاصة في الأنساق الاجتماعية التقليدية، التي لا يعتمد اقتصادها على السوق. وعلى هذا الأساس

¹ أبو زيد احمد، البناء الاجتماعي، المكتب الجامعي الحديث، الجزء الثاني، 1967، ص 238.

الفصل الأول: المقاربة المنهجية والمفاهيمية

يمكننا مجازة دالتون في فهم العلاقات الاقتصادية على "أنها جزء فقط من العلاقات الاجتماعية". فالنظام الاقتصادي البدائي كان يعتبر الهدايا تبادلاً لسلع ذات قيمة اقتصادية.

وبالرجوع إلى المجتمع الجزائري يمكن أن نلمس نفس الشيء في تبادل الأفراد لهدايا ذات قيمة، ونعني بها الهدايا المادية أي الملموسة. إذ لا تقتصر الهدايا ذات القيمة الاقتصادية على ما هو عيني، بل تتعداه إلى الهدايا النقدية، التي تكون في شكل مبالغ مالية تتراوح بين كونها مبالغ كبيرة أو مبالغ قليلة، حسب المناسبة والعلاقة التي تربط بين الفرد الذي يقدم الهدية والفرد الذي تهدي إليه. فالهدية تأخذ بعداً اقتصادياً، لأنها تمثل إعانات مادية في كثير من المناسبات تتمثل في النقود والمواد الغذائية والأطعمة والألبسة وأدوات العمل والترفيه.¹

فتعدد وظيفة الهدية ودورها في المجتمع يكمن من خلال السعي إلى توطيد العلاقات الاجتماعية والمحافظة عليها وعلى تماسكها هذا من جهة، ومن جهة أخرى ترتبط الهدية بقيم تتعلق بالسمعة والشرف، كما تسعى إلى إبراز المركز الاجتماعي والذي يبرز بصورة كبيرة بالقيمة المادية للهدية، كل هذا فيما يخص الجانب الاجتماعي والثقافي للمجتمع، أما من ناحية أخرى فيرتبط بجوانب اقتصادية تتمثل في البيع والكسب من ورائها ومن وراء تنوعها.

أما بالنسبة للعلاقات المرتبطة بالهدية فهي:

1. الهدية والاقتصاد:

ارتبطت الهدية منذ البداية بالاقتصاد، فقد اعتبرت بمثابة قرص في المجتمعات البدائية التي استخدمتها كنوع من أنواع التبادل، حيث يتم الرد في الوقت نفسه أو بعد حين إلا إنها اتخذت كدين على المستقبل، ضمن شبكة للتبادل الدوري للمنافع، وهكذا أنتجت مجموعة من القواعد الاقتصادية بناءً على معاملات الهدية من خلال أخلاقيات العملية وحدودها بين الأفراد الدائنين والمدينين. وتبقى الهدية تحمل معنيين:

¹ نورية سوامية، مرجع سبق ذكره، ص (185-186).

الفصل الأول: المقاربة المنهجية والمفاهيمية

دين ايجابي وهو ما يهبه الشخص كل مرة أحسن ويعتقد انه يريد الأحسن للعلاقة، والدين السلبي الذي يفكر فيه الهادي عكس ذلك أي انه يحاسب المهدي إليه وينتظر منه الرد أو المقابل. أما في العصر الحديث فقد استلهم علماء الأنثروبولوجيا أمثال ألان كايي أفكار مارسيل موس عن الهبة وأهميتها في المجتمعات لزيادة إنتاجية المؤسسة الاقتصادية وتمثيلها بالمؤسسة الاجتماعية، حيث يرفع عنها شدة التحكم بالسلطة، ويؤجر أكثر معط فيها خلافا لمبدأ احترام الشهادات ونظام السلم الوظيفي المجحف في حق الأصناف البسيطة والتي تعتبر أكثر عطاء للمؤسسة من غيرها.¹

2. الهدية والدين:

اهتمام الدين بالهدية سجل منذ الأزل، على اعتبار أن الديانات جاءت لتدعم مكارم الأخلاق، فمثلا في الدين الإسلامي جعلت الهدية في أعلى المراتب حيث تفضل على الصدقة وعلى الهبة، لما فيها من فضائل دنيوية وأخروية، مع ذكر الضوابط الدينية للهدية، التي ترفع واجب الإهداء وتكليف الرد، فعزز هذا الفعل ورفع به مستوى الأخلاق، إلا أن الأنثروبولوجيون يرفضون تدخل المعتقد أو المقدس أي الدين في هذا الفعل أي الإهداء وحجتهم في ذلك أن العطاء خلق طبيعي في الإنسان ولا يجوز بأن ينسبه الدين إليه ويفرض أحكامه، فالضمير الجمعي هو شريعة المجتمع وليس الدين.

3. الهدية والسياسة:

ارتباط الهدية بمفاهيم السلطة قديم وحديث، وتظهر الهدايا في الميدان السياسي بمعان مختلفة تماما، ولغايات محددة تقريبا بين الطرفين، سواء كانت في شكل سيوف في الزمن البعيد، أو قطع المعادن الثمينة والمجوهرات، أو أوسمة وشهادات واتفاقيات في الزمن المعاصر، فان أهدافها وبروتوكولاتها تستلزم دراسة لوحدها لما فيها ما يقال ويكفيها مثلا بظاهرة البوتلاتش التي كانت غايتها القصى هي تسلم الزعامة، أما الهدايا السياسية في العصر الحديث فهي في أغلبها رشاوى وتبادل مصالح وأحيانا تكون وسيلة ضغط أو فعل مضطر لحماية مصلحة ما.

¹Jacques T.Godbout, **Le don**, La dette et l'identité, Les classiques des sciences sociales dirigée et fondée par Jean-Marie Tremblay, 2dition électronique, 2000, page43.

الفصل الأول: المقاربة المنهجية والمفاهيمية

4. الهدية والمجتمع:

تساهم الهدية في تشكيل الطبقات الاجتماعية، وبناء المراكز، كما تعمل الهدية على إرساء قواعد الهيمنة الاجتماعية وتحالف الطبقات، ولأن المجتمع هو من يحدد إطار الهدية وجميع تفاصيلها، وذلك لأن الهدية لا تعد إلا واحدة من ممارساته التي تطبق مجموع معتقداته وميكانيزماته ترابطه.

5. الهدية والاعتقادات الخرافية (السحر، الأساطير):

لا نستطيع نفي وجود عنصر الهدية في العديد من الأساطير، حيث يحصل الموهوب له أو المهدي إليه على قدرات خارقة، ثروات مقابل تضحية أو تحول ما، وما تزال الكثير من الاعتقادات حول إعطاء الهدية والمقترنة بالعالم الميتافيزيقي سائدة في كل مجتمع، كاعتقاد قبائل التروبرياند أن الشيء المهدي يملك روحا ما يفتأ يرجع لصاحبه أي "الهادي الأول"، وحتى مارسيل موس اقتنع بذلك لمشاهداته الواقعية لحصول ذلك، وهذا ما أعابه عليه الكثير من العلماء، كما اقترن السحر بالهدية في الكثير من الشعوب، حيث يتم رفض الهدية في مواضع يحس المستقبل فيها عدم الارتياح لهاديه، وحتى إن لم يفصح له عن ذلك، فإنه لا يرفضها بطريقة تصرّحية، إلا أنه لا يستخدمها أو حتى يصل به الأمر إلى إتلافها حرقا وهو يتلفظ ببعض الكلمات التي يعتقد بأنها ستصونه منها، وهذا يحدث في المشاهدات اليومية للمجتمع الجزائري.

6. الهدية والهوية الثقافية:

يظهر ارتباط الهدية بالهوية الثقافية في مجموع الرموز والتمثلات التي يتبناها العقل الجماعي لمجتمع ما، حيث يبدأ نسيج خيوطها من هويته، التي هي عبارة عن تراكمات تاريخية لأفكاره ونظرته لنفسه، تستمد شعبيتها ووجودها من إفرزات صراعه مع الشعوب، واحتكاكه بنفسه مقابل ظروفه التاريخية وترسباته الثقافية القديمة وعاداته ومعتقداته.

الفصل الأول: المقاربة المنهجية والمفاهيمية

7. الهدية والأخلاق:

لا يمكننا فصل فعل الهدية عن خلقها، وهو الدافع الأساسي الذي توجد بوجوده، ففي قبائل الكولا مثلا نتساءل لماذا يعطي الأفراد أشياءهم الثمينة وهم يعلمون أنها قد لا ترجع لهم، ليس فقط لأنهم سيتلقون أخرى بالمقابل، ولكن لأنهم مشبعون بخلق العطاء وقد كان الأخرى لو كانت الظاهرة ذات منشأ اقتصادي منذ البداية، أن تصنع لنفسها سوقا، إلا أن القبائل غلب عليها خلق المنح والعطاء أكثر من الكسب والتبادل المنظم للمنافع، وبالتالي فإن فعل المنح ذاك، يتطلب قوة نفسية وأخلاقية كبيرة لعدم حجز الثروة واستغلالها إلا من أجل الهدف الاقتصادي. كما أنه بتحليلنا للمثال الذي ساقه الأنثروبولوجي ألان كايي في حوار الصحفي عن مجموعات العمال الثلاث الذين أعطيت لهم نفس المهمة، ولكن بأجور متفاوتة، فإن المجموعة الأولى كانت أكثر إنتاجية، والتي لم تعتمد إلا على ما أسماه ألان "تحفيزات داخلية"، وهي مجموع الأخلاق والطباع التي لها علاقة بالواجب اتجاه المجتمع ومساعدة الآخرين والأصدقاء.¹

8. الهدية والعرف الاجتماعي:

ترتبط الهدية بأعراف المجتمع أي بمجموع العادات والتقاليد في المجتمع، بصفة قوية حيث يتخذ كل مجتمع أشكالا للتهادي، توقيتات معينة أي المناسبات ومعاني معينة للعملية أي سلوكات وأقوال، متفق عليها في عرفه، حيث تصبح الهدية مظهرا من مظاهر العادات والتقاليد التي دأبت عليها الجماعة، وبالتالي نستطيع قراءة منطلقات ومسلمات العقل الجماعي للجماعات، حدودها ورموزها، وذلك من خلال هداياهم في كل مراسيمها.

9. الهدية والجمال:

تقترن الهدية بالجمال في كل مرة قديما وحديثا، ماديا ومعنويا، أما ماديا فنجد أن الهادي يحاول دائما إضفاء الجمال على هديته لزيادة أهميتها للمستقبل، حيث ارتبطت الهدايا بالصناديق منذ القدم، هذه الأخيرة التي ظهرت في أشكال كبيرة وجميلة مزخرفة، ولم تكن هدية في حد ذاتها، بل كانت حاملة لها

¹Pr. Alain Caille, **Mauss, Les Entretien**, Common Good forum, par Violaine Hacher, juin 2013.

الفصل الأول: المقاربة المنهجية والمفاهيمية

فقط، تضفي عليها جمالا وفخرا. أما الجمال المعنوي فقد صاحب الهدايا مع فعل المنح بطريقة آلية، حيث يطبع الهادي أو المانح في أغلب الأحيان ابتسامة على وجهه لكي يقنع المهدي له برحابة صدره وسعادته بما منحه، حيث بذلك يترك أثرا ايجابيا في النفوس وانطبعا جميلا، وقد غلبت في العصر الحديث القيمة الجمالية على القيمة المنفعية للهدية، فأصبحت تميل إلى تجميل الظاهر على حساب قيمة الهدية في حد ذاتها.

10. الهدية والقانون:

لا شك أن الهدية عملية اجتماعية محضة، تستند لقانون أو لنقل عرف التقاليد والعادات، إلا أنه ومن أجل حفظ الحقوق وخاصة بالنسبة للهدايا الكبيرة كتمليك الأراضي والعقارات في العصر الحديث، أصبحت تستلزم التدخل القانوني للعملية من أجل إضفاء الشرعية وحفاظا على حقوق المهدي له، فقد تهدي الجدة مثلا قطعة أرض لحفيدها في مناسبة ازدياده، فكيف للمولود أن يحفظ ملكيته لولا الوصاية القانونية من أجل حفظها له لحين رشده، ولكن في العموم تبقى أغلبية الهدايا في المناسبات الاجتماعية لا تحتاج لقانون يضبطها.

ومنه فإن للهدية علاقة بكافة المجالات، حيث تتطوي وفق ما تنص عليه هذه المجالات من أفكار ومبادئ تتطوي في إطار الهدية سواء من الناحية المادية أو المعنوية، كعلاقتها بالعرف الاجتماعي الذي يرتبط بالعادات والتقاليد التي ينطوي عليها أفراد مجتمع معين عن غيره من المجتمعات وغيرها من العلاقات التي تمثل جزءا من بناء الهدية وتكاملها لتقدم في الأخير وفق المعايير والمعطيات التي تجتمع فيها كافة العناصر التي تمثل علاقة أكيدة بالهدية، وتسري هذه الأخيرة وفقها لتخرج وفق النمط المتعارف عليه في المجتمع وبين الأفراد.

الفصل الأول: المقاربة المنهجية والمفاهيمية

ثانيا: أسباب اختيار موضوع الدراسة:

تتمثل مبررات دراسة الموضوع في:

- الأسباب الذاتية:

- الرغبة الشخصية في تناول الموضوع ودراسته.
- الشعور بأهمية الموضوع وقيمه في المجتمع.

- الأسباب الموضوعية:

- محاولة الكشف عن أبعاد وجوانب الظاهرة.
- تقديم تصور للظاهرة أو الموضوع المدروس.
- معرفة ما يحكم ويميز الموضوع الظاهرة من خصائص وعوامل.
- معرفة تأثيرات ومخلفات هذه الظاهرة في المجتمع.
- إبراز الدور الذي تجسده في التمثلات الاجتماعية المختلفة.
- إبراز الدلالات الرمزية لهذه الظاهرة وما تحتويه من جوانب ومعطيات.

الفصل الأول: المقاربة المنهجية والمفاهيمية

ثالثاً: الدراسات السابقة:

يقال: " ليس هناك صفر في المعرفة العلمية " ¹. فالدراسات السابقة تعتبر من بين أهم الخطوات التي يركز عليها البحث العلمي، فهي تمثل نقطة الانطلاق التي يبدأ من خلالها الباحث، سواء ارتبط ذلك بالجانب النظري أو الميداني، لأنه من طبيعة العلوم التراكمية. فعرض الدراسات السابقة يوضح بعض النقائص أو النقاط التي لم يتم تناولها أو التطرق إليها، وهذا ما يؤدي بالباحث نحو السعي إلى محاولة الإلمام بتلك النقائص الموجودة ضمن الدراسات السابقة التي تحصل عليها أو التي لم تتجز من قبل، ليحاول الباحث أن يركز عليها.

وعليه سيتم عرض الآتي:

¹ سامية محمد جابر، الفكر الاجتماعي، دار العلوم العربية، بيروت، 1989، ص 94.

*مارسيل موس : هو عالم اجتماعي وأثنوبولوجي فرنسي ولد في اينيال عام 1872م من عائلة حاخامية، خلال دراسته في الفلسفة في جامعة بوردو التي قام بها تحت سلطة خاله إيميل دوركايم، الذي تنبأ كرسي تعليم التربية وعلم الاجتماع منذ سنة 1887. وبفضل معرفة واسعة في اللغة الأجنبية ساهم موس من خلال دروسه، ومن خلال ملاحظاته النقدية في عرض أعمال مدارس وطنية، وهذا ساهم في وضع التأمل الأثنوبولوجي الفرنسي في سياق عالمي. شارك عام 1904م في تأسيس جريدة الإنسانية والتي كان مدير تحريرها. وأعلن التعليمات الإثنوغرافية الوصفية حيث سمحت له بتحديد قواعد المنهج الإثنوغرافي، وتمكن مساهمة موس في تطبيق علم الاجتماع لدوركايم وتلاميذه مع تعديله. لم يكتب موس أبداً أي كتاب يمكن أن نعرض فيه خطوط فكره الرئيسية رغم اعتباره من أبرز منظري الأثنوبولوجيا الفرنسية، كذلك لم يذهب أبداً إلى الميدان رغم اعتباره الملهم الأبرز للأبحاث الميدانية الإثنوغرافية الفرنسية. (مارسيل موس، علم الاجتماع والأثنوبولوجيا، بحث في الهدايا الملزمة، ترجمة: محمد طلعت عيسى، مكتبة القاهرة الحديثة، 1971، ص ص 132-137).

الفصل الأول: المقاربة المنهجية والمفاهيمية

1) مارسيل موس* ونظام البوتلاتش

تصنف من أوائل الدراسات الأنثروبولوجية الأصلية على المجتمعات البدائية، كما تعد أول بحث في موضوع الهبة طبق على قبائل الكيوتل، الهايد، وهي قبائل الهنود الحمر التي تقطن بالجزء الشمالي لأمريكا، وفي منطقة الساحل الغربي لكندا، ليكشف عن أقدم أنظمة التبادل وهو نظام البوتلاتش.¹

والذي من خلاله استخدم موس منهجية المقارنة المحددة، أي أنه قام بدراسته على مناطق مختارة جغرافيا بوليفيا، ميلانيزيا، شمال غرب أمريكا، وبمساعدة الوثائق، عكف موس على دراسة ظاهرة الهبة في عدد من المجتمعات على حدى وقارنها ببعضها حيث جاء في مقالته "البوتلاتش" عند الهنود، الهدايا الرحمية عند "الساموا"، والهبة عند الهندوس "البراهمية" الهبة عند الجرمانيين والمستمدة من البوتلاتش.

وكان سؤال البداية الذي انطلق منه هو: لماذا يكون الرد على الهدية بالهدية ملزما رغم أن العملية برمتها تبدو في الظاهر على الأقل قائمة على المجانية وحرية قبولها أو الرد عليها؟ وكشف عن نظام البوتلاتش الذي يركز في أساسه على أن يقوم الشخص من ذوي المكانة والمركز الاجتماعي في هذه القبائل بتوزيع نوع معين من الأغذية الصوفية على الضيوف في حفل رسمي كبير، وبعد فترة من الزمن يرد الضيوف هذه الأغذية في حفل رسمي كبير أيضا بعد مضاعفة ما أخذوه منه في الأصل. فالعلاقة في الأخذ والرد ولذلك فإنها تحقق الاستقرار الاجتماعي وتدعم أواصر العلاقات بين القبائل، ويلجأ الأفراد في حفل كبير إلى إحراق هذه الأغذية ذات القيمة الاجتماعية العالية وبعض ممتلكاتهم ليظهروا ترفعهم عن الأشياء المادية ويدعون غيرهم من الأشخاص الذين يحضرون حفل البوتلاتش إلى مجاراتهم، فكلما أحرق وأتلف الشخص هذه السلع المادية كلما دع ذلك إلى اكتساب المزيد من الشرف والمكانة الاجتماعية المرموقة.

ومنه فالبوتلاتش هي كلمة مستمدة من لغة شينوكال توليفية، وهي لغة نشأت في أجواء تجارة الرقيق في أواخر القرن 18 على الساحل الشمالي الغربي من أمريكا الشمالية، وهي تعني الهبة أو العطاء ضمن إطار احتفالي. وتعني كلمة بوتلاتش مجموعة مظاهر كالاحتفالات والرقصات والخطابات وغيرها. وقد انتشرت بين شعوب السواحل. وتنظم الاحتفالات بمناسبة أحداث مهمة في حياة الفرد كالزواج والخلافة

¹Marcel Mauss : *Essai sur le don*, page07.

الفصل الأول: المقاربة المنهجية والمفاهيمية

وغيرها. وفي حالات المنافسة بين الزعماء خاصة لدى الكواكيوتل، وتجد هذه الاحتفالات تعبيرها الأفضل في توزيع المهابة والغذاء من قبل مضيف على ضيف المدعويين رسميا بهدف حصوله على الاعتراف العام بامتيازاته العائلية.

وأیضا هو نظام يتعلق بتوزيع واستعراض الرتب والألقاب بين السكان الأصليين لتلك المنطقة حيث تقام ولائم بمناسبات دورة الحياة، يسمون فيها أنفسهم بأسماء بعض الأسر أو الكيانات المتحكمة في الموارد¹. حيث يقوم الشخص من ذوي المكانة والمركز الاجتماعي في هذه القبائل بتوزيع نوع معين من الأغذية الصوفية على الضيوف في حفل رسمي كبير، وبعد فترة من الزمن يرد الضيوف هذه الأغذية في حفل رسمي كبير أيضا بعد إضافة أعداد أخرى كبيرة منها قد يصل إلى أضعاف ما أخذوه منه في الأصل².

فالبوتلاتش في واحد من أهم تجلياته هو شكل من أشكال السلطة لأن الذي يهب هدية إلى شخص ثم تصبح له سلطة على الموهوب له، ويصبح المتقبل للهبة مدينا للواهب حتى يرد على الهبة بما يماثلها أو يفوقها³.

فحفلات الهدايا (البوتلاتش) لها ارتباط وثيق ببنى السلطة في مجتمعات شمال غرب أمريكا، فبمناسبة البوتلاتش يحتد التنافس بين زعماء القبائل في إظهار كرمهم وسخائهم، فالسؤدد لا يكون دون إكرام المحتاجين والغرباء والعابرين والأتباع بالأكل واللباس والهدايا. وكي يكون السيد زعيما لابد له من اهانة المال في حفلات البوتلاتش دون تردد. ومن هنا يمكن القول أن الهبة تتحول بموجب هذا من حكم (الجميل والمعروف) الذي يهبه المرء عن طيب خاطر إلى ما يشبه الضريبة والأداء المستوجب على الزعماء.

¹شارلون سيمور سميث، موسوعة علم الإنسان، المفاهيم والمصطلحات الأنثروبولوجية، ترجمة مجموعة من الأساتذة علم الاجتماع بإشراف محمد الجوهري، ط2، المركز القومي للترجمة، 2009، ص590.

² مارسيل موس، علم الاجتماع والأنثروبولوجيا، بحث في الهدايا الملزمة، ترجمة الدكتور محمد طلعت عيسى، مكتبة القاهرة الحديثة، 1971، ص132.

³ يوسف بن موسى، أنثروبولوجيا الهدية وأنساق التبادل- عرض كتاب الهبة لمارسيل موس، تراث الأنثروبولوجيا الفرنسية في تقدير الممارسة الفكرية لمارسيل موس، تقديم وتنسيق: يونس الوكيل، 01 فبراير 2016، مؤمنون بلا حدود، قسم الفلسفة والعلوم الإنسانية.

الفصل الأول: المقاربة المنهجية والمفاهيمية

كما قام بواس بدراسة ظاهرة البوتلاتش، وهي صيغة للتبادل كانت سائدة في نهاية القرن التاسع عشر في فانكوفر في كولومبيا البريطانية غرب كندا. ويمثل البوتلاتش أحد أصناف الهبة. فمعلوم أن هذه الأخيرة تمثل ترابطاً لالتزامات ثلاثة هي العطاء والقبول والرد.

يعتبر نظام البوتلاتش أقدم النظم الاقتصادية في المقايضة والتبادل والتجارة، ويتضمن عنصرين هامين هما القرض والكرامة، والظاهر أن تبادل الهدايا يتم بشكل إرادي إلا أنه يحوي صفة الإلزامية فيه، فمن وجهة نظر موس فالأفراد الذين يشتركون فعلاً في عملية التبادل يمثلون القوانين الأخلاقية للجماعة، وفي نفس الوقت تقوي وتعزز هذه القواعد والقوانين.

ويقوم هذا النظام الشعائري على طقوس تعمل على حفظ حقوق أطراف العلاقة في الأخذ والرد، كما تحقق الاستقرار وتدعم أواصر العلاقات داخل مجتمع القبيلة، بغية بلوغ الشرف والسمعة الطيبة وذيوع الصيت عن طريق المنح والإعطاء والمبالغة في الرد، الذي يصل حد إحراق تلك الأغذية ذات القيمة المالية العالية وأحياناً أخرى قد يحرق الشخص بعض ممتلكاته ليدل على استهانته بالأشياء المادية ويدعو غيره من الأشخاص الذين يحضرون حفل البوتلاتش إلى مجارته في أعماله وكلما احرق أو اتلف هذه السلع المادية كلما ارتفعت مكانته في المجتمع. أما عن شروط الأشياء المقدمة، فيرى كل من "موس" و"ليفي ستروس" أن في كل مجتمع إلى جانب الأشياء التي يمكن بيعها أو شرائها والأشياء التي يمكن إعطائها هناك الأشياء التي هي غير قابلة للصرف وغير متصرف بها مثل الأغراض المقدسة، والتي تعتبر كأعطيات الآلهة للبشر والتي لا يمكنهم إعطاؤها لأمثالهم.

فقد كانت القبائل الهندية تجتمع في فصل الخريف، وتمارس البوتلاتش في إطار احتفالي، ومن خلال هذه الاحتفالات تلتقي عدة عشائر ممثلة بزعمائها. وكان على هؤلاء الزعماء أن يظهروا كرمهم، وذلك بتقديم الهبات بقدر سخي تجعل الزعيم الخصم غير قادر على رد هبات ذات قيمة مماثلة على الأقل، ويسعى الواهب إلى الإعلاء من شأنه، ذلك أنه كلما طال مدة الرد ارتفعت قيمة الهبة، بل قد يصل الوضع عند قبائل "الكواكيوتل" إلى إتلاف الزعيم لممتلكاته ليؤكد زعامته أمام متحديه، الذي إن أراد أن يواجهه كان عليه أن يفوته في عملية الإتلاف هذه، أنه صراع على الحظوة بين الوجهاء. وقد دافع بواس

الفصل الأول: المقاربة المنهجية والمفاهيمية

عن مؤسسة البوتلاتش أمام منتقديها، وأوضح أن الأمر لا يختلف عن القرض البنكي، أي أن الزعيم وهو يحرق ممتلكاته يقوم بنوع من الاستثمار الذي سيعود عليه بالربح لاحقاً.

وأوضح ليفي ستروس أن قبائل بورورو تعتمد على هذا المبدأ، فالزعيم يحصل على خدمات من كل العشائر في شكل طعام أو أشياء مصنوعة، فما كاد الزعيم يحصل على بعض الأشياء مقابل هدايا حتى قام بإعادة توزيعها بين أفراد القبيلة.¹

فالبوتلاتش هي الوسيلة الوحيدة التي من خلالها يكتسب المكانة السياسية والمركز الاجتماعي ضمن نظام تراتبي طبقي، كما أن البوتلاتش يقر في نفس الوقت بوضع الواهب والموهوب ويجب على الشخص إعطاء المعطى له أن يمنح خلال احتفال بوتلاتش ينظمه هو فيما بعد ما يوازي قيمة ما تلقاه على الأقل.²

ويلاحظ موس أن البوتلاتش في الشمال الغربي الأمريكي منظومة معقدة من الالتزامات تكون في شكل دائرة كالآتي:

- واجب العطاء وهو جوهر البوتلاتش، فمن واجب الزعماء إقامة حفلات البوتلاتش، فدون حفلات البوتلاتش يفقد الزعيم سيادته.
- ثم يستتبعه واجب القبول فلا يحق مطلقاً لأي شخص أن يرفض الهبة، وينظر باحتقار لمن يفعل ذلك أو حتى الذين يتأخرون في حضور البوتلاتش خشية أن يصبحوا مدينين للآخرين بهدايا لا يقدرّون على ردها بعد ذلك، أي خشية إذلالهم بتحميلهم دينا يتقل ظهورهم ولا يقدرّون على تسديدها مما يهدد بتحويلهم إلى أتباع وعبيد.
- وفي مرحلة الثالثة يأتي الالتزام بالرد الذي هو أيضاً جوهر البوتلاتش، والرد على الهبة يكون بما يماثلها أو يفوتها ثمناً، وبالتالي يعود الهبة إلى مصدرها الأول.

¹ محمد حبيدة، الأنثروبولوجيا من البنيوية إلى التأويلية، إفريقيا الشرق، المغرب، 2014، ص-ص (35-37).
² بيار بونت، ميشال ايزار، معجم الإثنولوجيا والانثروبولوجيا، ترجمة: مصباح عبد الصمد، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع (مجد)، 2006، بيروت، لبنان، ص111.

الفصل الأول: المقاربة المنهجية والمفاهيمية

ومن جهة أخرى نجد شعب الماوري في بولينيزيا الذي يعتقد أن الأشياء الموهوبة ليست جامدة وميتة، بل لها روح يسميها "الهاو" وهي روح الأشياء أو روح الغابة والطرائد التي تحويها. وكذلك الأشخاص لهم قوة يسميها الماوري "المانا"، وهي قوة الشخص السحرية والدينية والروحية، والمانا تنتقم من كل من لا يحترم حق الرد على الهدايا.

وفي هذا السياق يقول موس "نجد في هذا النمط من القانون والاقتصاد موضوعات متنوعة تتضمن جملة من القواعد والأفكار، فإن أهم آلياته الروحية طبعاً، تتمثل في تلك التي تجبر المارة على الرد على الهدية بمثلها".

كما يحقق البوتلاتش للواهب مكانة رمزية كبيرة جداً فضلاً عن الربح المادي. فالزعامة السياسية تتحقق عندما ينتصر الزعيم على غيره في العطاء، ولذلك فأغلب الصراع يدور حول الملكية، ويتم توظيف الميراث والحرب والصيد والمصاهرات والتحالفات في مواسم وهب البوتلاتش أو أخذه، " فلا يحصل الأفراد على مكانتهم السياسية داخل الأخويات والعشائر إلا عبر "حرب الممتلكات" على ما يتم عن طريق الحرب أو الحظ أو الوراثة، أو من خلال التحالفات والمصاهرات...فزوج الأبناء وعضوية الأخويات لا تتحقق إلا من خلال البوتلاتشات المتبادلة والمستردة".

نتائج الدراسة:

يرى موس أن البوتلاتش نظام شعائري ذو طابع اجتماعي اقتصادي، وهو يخدم غاية سياسية، حيث يعتبر وسيلة للتنافس على الزعامة وإدارة الحراك الاجتماعي للقبيلة من قبل الزعماء المحليين، كما أن نظام التهادي قائم على قاعدة إلزامية ثلاثية، العطاء والقبول والرد. كما أن موس يعتقد أن هناك رابط روحي بين الهدية والمهدي والمهدى إليه، إذ أن الشيء المقدم له روح ويرجع إلى مالكة الأول في الأخير.

الفصل الأول: المقاربة المنهجية والمفاهيمية

لقد حاول موس إثبات أن النظم الاقتصادية في المجتمعات البدائية مرتبطة ارتباطا وثيقا بالنظم الاجتماعية وتوصل من ذلك إلى:

- أن نظام البوتلاتش يساعد على إشباع الحاجة التي يشعر بها الشخص للحصول على المزيد من السمعة وذيوع الصيت.
- البوتلاتش نظام عشائري يدخل فيه الكثير من الطقوس.
- ترتبط الأنظمة الاقتصادية في المجتمعات البسيطة ارتباطا وثيقا بالنظم الاجتماعية.
- أن تبادل الهدايا في البوتلاتش يتم بشكل إرادي على الرغم من وجود صفة الإلزامية فيه.
- أن عملية التبادل لا تخلو من عمليات اقتصادية.
- وجود مفهوم القيمة في هذه التبادلات.
- الحصول على المكانة الاجتماعية والهيبة تمثل أهمية للمتبادلين أكثر من الحصول على السلع المادية.
- أن الطقوس والشعائر التي تمارس في البوتلاتش تحافظ على الاستقرار الاجتماعي، لأنها تنظم قضية الأخذ والرد وتدعم أواصر العلاقات بين القبائل.
- تحتل العلاقة بين السلع منزلة ثانوية بالنسبة للعلاقة بين الأشخاص.
- إن الشيء المعطى كائن له روح وتكمن فيه قوة تحركه وهو مرتبط بصاحبه الأول، فإذا أعطى فان روح الشيء نفسه تضمن رجوعه، ما يعادل قيمته إلى مالكة الأصلي.
- مفهوم القربان والصلة بينه وبين الهدايا، فالقربان هو الهدية إلى الناس لوجه الآلهة والطبيعة وقد يكون أحيانا لوجه الآلهة والأرواح كثمن للحصول على الأمان والسلام.
- وجوب العطاء ووجوب الأخذ والرد.¹

تكشف ظاهرة تبادل الهدايا حسب موس بوصفها "ظاهرة اجتماعية كلية" وتدرس بشموليتها ومجمل أنساقها، أي بأبعادها الدينية والقانونية والأخلاقية والاقتصادية والسياسية والمورفولوجية والجمالية والأسطورية، كما أن الالتزامات المتضمنة يتم التعبير عنها رمزيا مع إعطاء أهمية للموضوع المتبادل. كما

¹ مارسيل موس، مرجع سابق، ص 15.

الفصل الأول: المقاربة المنهجية والمفاهيمية

يؤكد على أن الموضوعات المتبادلة لا تنفصل كلياً عن البشر الذين يقومون بتبادلها، مما يؤسس لمجتمع مشترك وأحلاف متينة يصعب حلها، وهذا ما هو الا تعبير مباشر لتجنب الصراع المستمر وبالتالي التحالف والتضامن والسلم.¹

وهكذا يتضح لنا مما تقدم أن مارسيل موس حاول أن يدرس التبادل بوصفه أساس الروابط الاجتماعية، ومعرفة أشكاله وتطوراتها وما يتعلق به من أخلاق وقيم وقوانين ورموز.

(2) مالينوفسكي² ونظام الكولا

قام مالينوفسكي بدراسته الأنثروبولوجية بجزر التروبرياند في المحيط الهادي، وذلك بالفترة الممتدة بين 1915 و1917، حيث كشف عن نظام ما يسمى بالكولا، نظام اجتماعي بالدرجة الأولى ذو نتائج اقتصادية، حيث سعى من خلال بحثه لإثبات أن المجتمعات البدائية لم تبدأ علاقاتها بناء على المصلحة وتحصيل المنفعة بل على أسس اجتماعية بدءاً من الهبة مستخدماً طريقة الملاحظة بالمعايشة.

فدراسة موس لكل من البوتلاتش والكولا ترجع بصفتيهما نوعين بارزين من الهبة، وعلى الرغم من التشابه الكبير بينهما خاصة في ارتكازهما على مفهومي القرض والشرف، إلا أن ذلك لم يمنع موس من ملاحظة الاختلاف بينهما والمتمثل أساساً في الطابع السلمي للكولا.

¹ عبد الله عبد الرحمن يتيم، المدرسة الأنثروبولوجية الفرنسية: مارسيل موس نموذجاً، مجلة الثقافة الشعبية، العدد 6، البحرين، 2011.

² ولد الأنثروبولوجي البريطاني سنة 1884 بمدينة كاراكاو في بولندا، وحصل على درجة الدكتوراه في الطبيعة والرياضيات سنة 1908، ولكن تحولت اهتماماته اثر قراءته لكتابات السير جيمس فريزر، ليسافر إلى إنجلترا 1910 ليتلمذ على يد وستر مارك وغيره من خيرة العلماء. وفي سنة 1922 قام بنشر دراسته الشهيرة التي بين أيدينا عن جزر التروبرياند في شرق غينيا الجديدة، وكان ذلك تحت عنوان: "مغامرو المحيط الهادئ الغربي" ويصبح بذلك من أهم رواد الأنثروبولوجيا الوظيفية. (محمود أبو زيد، أعلام الفكر الاجتماعي والأنثروبولوجي الغربي المعاصر، ج2، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2007، ص131)

الفصل الأول: المقاربة المنهجية والمفاهيمية

فدورة تبادل تتم في جزر التروبرياند قام بتوثيقها ودراستها برونييسلاو مالمينوفسكي في كتابه "سكان الأرجوناوتس في غرب المحيط الهادي"، الذي صدر عام 1922. وبمقتضى هذه الدورة يجهز سكان التروبرياند قواربهم، ويقومون بزيارة الجزر الأخرى، حاملين معهم الهدايا والمنتجات التي ينتجونها محليا لمقايضتها. وعندما يصلون إلى إحدى الجزر يقدم الوافدون هداياهم، ويجرون عمليات المقايضة على سلعهم الأخرى، ويقيم أبناء الجزيرة الولايم لضيوفهم. ولكن هذه الرحلات ليست مجرد رحلات تجارية إذ أن سكان الجزر يسعون إلى أن يظفروا من شركائهم في عملية تبادل الكولا بالأساور المصنوعة من الأصداف البيضاء واسمها المحلي سولافا، وتحمل أصداف الموالى، والعقود المصنوعة من الأصداف الحمراء واسمها المحلي سولافا. وتحمل أصداف الكولا من جزيرة إلى أخرى في جولة تتخذ شكل الحلقة، حيث تتجه الأساور من ناحية، وتتجه العقود إلى الناحية الأخرى في دورة دائمة من عمليات التبادل يطلق عليها اسم الكولا.

تعتبر الكولا نظام شعائري تتبعه القبائل المالينزية التي تعيش في منطقة جزر واحدة، تنتشر على شكل حلقة وتكون دائرة مغلقة للتبادل، وفي نطاق هذه الدائرة يتبادلون خلال احتفالات بعض السلع ذات القيمة الاقتصادية، وهي عقود مصنوعة من اللآلئ الحمراء (وهي صنف من الرخويات نوات الصدفتين) وأساور من الأصداف البيضاء، كانت قبائل التروبرياند يتداولون "فايغوا" وهي نوع من العملة التي تنقسم إلى نوعان "موالي" وهي عبارة عن سوار جميل منحوت ومصقول من محار البحر ويحمله مالكة أو والداه في المناسبات الكبرى، أما النوع الثاني "سولافا" وهو عقد من الأصداف اللؤلؤية الحمراء وتحمله النساء بشكل احتفالي والرجال بصفة استثنائية في حالات الاحتضار.¹

فدراسة مارسيل موس حول الهبة كأساس في دراسته لنظام الكولا، الذي يعني نوعا من الإنفاق والتعاقد عن طريق تبادل الهدايا بين قبائل جزر التروبرياند في المحيط الهادي كما يمارس في بعض جزر مالينيزيا وأستراليا. والكولا نظام شعائري تتبعه بعض القبائل المالينزية التي تعيش في منطقة جزر واحدة

¹ مارسيل موس، بحث في الهبة: شكل التبادل وعلته في المجتمعات القديمة، ترجمة: المولدي الأحمر، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، يناير 2011، ص-ص (252-253).

الفصل الأول: المقاربة المنهجية والمفاهيمية

تنتشر على شكل حلقة وتكون دائرة مغلقة للتبادل وفي نطاق هذه الدائرة يتبادل الميلانيزيون بعض السلع ذات القيمة الاقتصادية وهي عقود من الأصداف الحمراء وأساور من الأصداف البيضاء.

حيث أن قبائل التروبريانديتبادلون "فايغوا" وهي نوع من العملة التي تنقسم إلى نوعان "موالي" وهي عبارة عن سوار جميل منحوت ومصقول من محار البحر ويحمله مالكه أو والداه في المناسبات الكبرى، أما النوع الثاني "سولافا" وهو عقد من الأصداف اللؤلؤية الحمراء، وتحمله النساء بشكل احتفالي والرجال بصفة استثنائية في حالات الاحتضار، ويوضح موس أن "فايغوا" مصنفة حسب الجنس فالعقود مذكر والأساور مؤنثة، لذلك يميل كل منها نحو الآخر بشكل يشمله التزاوج، وتسير "السولافا" في اتجاه عقارب الساعة، بينما تسير "الموالي" في الاتجاه المعاكس، ويتم تبادل هاتين السلعتين في كل نقطة من نقاط الدائرة، ويتبع ذلك حفلات ومراسيم وطقوس وسحر، ويقوم الزائر وخاصة إذا كان من ذوي المكانة الرفيعة بتقديم هداياه من النقود، مثلاً للشخص الذي اعتاد التبادل معه ويأخذ معه في مقابل ذلك بعض الأساور التي تهدي إليه نظير هديته في هذا الحفل الرسمي الكبير الذي أقامه أهل الجزيرة، والمشاركون في عملية التبادل هذه يستلمون الأشياء لفترة من الزمن ولكنهم لا يستطيعون أن يحتفظوا بها إلى الأبد، لأنه يتوجب عليهم تمريرها في خط السير المرسوم لها كما تجري العادة.

ويذهب الرجال في رحلات الكولا خالي الوفاض لا يحملون أي هدايا ليقدموها إلى شركائهم، بل ليقدّموا بذهابهم تذكرة بأن عليهم دين شرف قد آن الأوان لسداده، يتحقق النجاح في الكولا كما يظن من يمارسونها بإجراء طقوس سحرية لتهدئة الشريك وجعله يشعر بأنه كريم يستطيع أن ينتظر، والأسس التي يقوم عليها هذا التبادل المؤجل هو أن كل هدية تقدم يجب أن تساوي الهدية المستلمة، وهذا واجب مقدم الهدية فهو الذي يجري التقديرات، ويحدث أحياناً أن يتأخر الشخص في رد الهدية المناسبة ولذلك يتوجب عليه أن يقدم بعض الهدايا الصغيرة من حين لآخر حتى تتاح له فرصة تقديم الهدية المناسبة. والملفت فيها ما يدل على تفكير الناس في أمور الربح والكسب والمساومة أو إلى حساب أو تقدير قيمة الهدية. والمبدأ الآخر هو أن العرف والتقاليد تحتم على الرجل الذي يقبل هدية من شخص آخر أن يرد إلى المهدي ما يقابل هديته، ولكن لا يتعرض هذا الشخص لأي نوع من القهر أو القسر أو الضغط المادي لرد الهدية بمثلها.

الفصل الأول: المقاربة المنهجية والمفاهيمية

ويرى مالينوفسكي أن شريك الكولا يشتري المجد كما يشتري الصداقة، فشركاؤه الذين يعيشون في جزر نائية يستطيع أن يعتبرهم حلفاء ويتوقع منهم الحماية، فالمكاسب الاجتماعية بما فيها الحصول على الشهرة والصيت هي الأساس في هذه العملية، فالتهادي في هذه الحالة يؤكد الروابط الاجتماعية والهدايا لا تعطى اعتباطاً وإنما هي تقدم لمقابلة بعض الالتزامات الاجتماعية المحددة.

ومنه فنظام التبادل في المجتمعات البسيطة -جزر التروبريان- يعتمد أساساً على أهمية التبادل الرمزي للهدايا والتنازل عن الثروة وتجاوز ما هو مادي، وما يمكن أن يحققه من تلبية لحاجات الفرد النفسية والاجتماعية نتيجة للتوقعات والالتزامات التي يتضمنها هذا التبادل.¹

ومنه يوضح مالينوفسكي بأن "فايغوا" مصنفة حسب الجنس فالعقود مذكر والأساور مؤنثة لذلك يميل كل منها نحو الآخر بشكل يشمله التزاوج، وتسير "السولافا" في اتجاه عقارب الساعة- أي من الشرق إلى الغرب- بينما تسير "موالي" في الاتجاه المعاكس، ويتم تبادل هاتين السلعتين في كل نقطة من نقاط الدائرة، ويتبع ذلك حفلات ومراسيم وطقوس وسحر، ويقوم الزائر وخاصة إذا كان من ذوي المكانة الرفيعة بتقديم هداياه من النقود، مثلاً للشخص الذي اعتاد التبادل معه ويأخذ معه في مقابل ذلك بعض الأساور التي تهدى إليه نظير هديته في هذا الحفل الرسمي الكبير الذي أقامه أهل الجزيرة. والمشاركون في عملية التبادل هذه يستلمون الأشياء لفترة من الزمن ولكنهم لا يستطيعون أن يحتفظوا بها إلى الأبد، لأنه يتوجب عليهم تمريرها في خط السير المرسوم لها كما تجري العادة.

ويميز الأهالي بين الكولا والمقايضة، ولذلك يعيرون أحياناً على الشخص طريقته في تبادل الكولا فيقولون أنه "يقوم بالكولا كما يقوم بعملية المقايضة"، فهذه العملية ليست عملية تجارية تقوم على المساومة أو إلى حساب أو تقدير قيمة الهدية، والمبدأ الآخر هو أن العرف لا يتعرض هذا الشخص لأي نوع من القهر أو القسر أو الضغط المادي لرد الهدية بمثلها.²

¹ زهرة عباس، نظام التبادل عند بعض القبائل البدائية قراءة في الإرث الأنثروبولوجي.

² علياء شكري وآخرون، دراسات في علم الاجتماع الاقتصادي والتنمية الاجتماعية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1991، ص-ص (59-60).

الفصل الأول: المقاربة المنهجية والمفاهيمية

بل إن الأمر يتجاوز في بعض الحالات مسألة العطاء والرد عليه، ليصل إلى حد الإلتلاف، وذلك في سبيل تأكيد عدم وجود أي رغبة في استرداد ما تعطي. ومن هنا إحراق صناديق كاملة من زيت سمك الاولاشن أو زيت الحوت، وإحراق البيوت وآلاف الأغطية، وتهشيم أثنى أواني النحاس ورميها في الماء، وكل ذلك بهدف سحق وإذلال المنافس لا لمجرد إثبات الذات فحسب بل وإعلاء درجة أسرتنا في السلم الاجتماعي".¹

يمارس الكولا في إطار التبادلات الاحتفالية التي عرفت بها المجتمعات البدائية، جزر التروبريانند وبعض جزر مالينيزيا وأستراليا، تنتشر هذه الجزر على شكل حلقة، حيث يتبادل القبائل سلعهم "السولافا" وهو المحار و"الموالي" وهي أساور للزينة. في خط دائري يمشي بالسولافا في اتجاه عقارب الساعة وبالموالي بالعكس، ويصحب هذا التبادل طقوس وشعائر وسحر في تلك الحفلات المقامة على الجزر، حيث يقدم كل متعامل مع شريكه المعتاد بالتبادل قيمة مالية ما ويأخذ مقابلها من السلعة، ومن قوانين هذه العملية عدم الاحتفاظ بالسلعة وتميرها في خط السير الدائري لها، كما أن على المتعامل أن يرد بقيمة الهدية تماما، هذا ما يقدره مقدم الهدية، وفي حالة عدم قدرته على الرد يأتي الشريك حاملا هدايا صغيرة ومستخدما ممارسات السحر والشعوذة في استرضاء شريكه، وحتى إن لم يكن يملك شيئا فعليه السفر لشريكه ومتعامله ليظهر له حسن نيته.

فإن عملية التبادل في الكولا عملية اجتماعية في الأساس حيث تعمل على خلق روابط متعددة بين الشريكين، التحالف والحماية، الشهرة والصيت، مجموعة من الالتزامات الاجتماعية، أما المنفعة التجارية فرغم وجودها أحيانا فهي غير مقصودة بل ويعيبيوا الأهالي من يقوم بالكولا بطريقة المقايضة أو يفكر في الربح والكسب من ورائها.²

¹ يوسف بن موسى، أنثروبولوجيا الهدية وانساق التبادل-عرض كتاب الهبة لمارسيل موس، تراث الأنثروبولوجيا الفرنسية في تقدير الممارسة الفكرية لمارسيل موس، تقديم وتنسيق: يونس الوكيل، قسم الفلسفة والعلوم الإنسانية، مؤمنون بلا حدود، 01 فبراير 2016، ص- ص (62-65).

² شكري علياء وآخرون، دراسات في علم الاجتماع الاقتصادي والتنمية الاجتماعية، دار المعرفة الجامعية، 1991، ص- ص (58-60).

الفصل الأول: المقاربة المنهجية والمفاهيمية

والأشياء التي يتم تبادلها في حلقة الكولا ليست لها قيمة مادية (نقدية) ولا يمكن تحويلها إلى سلع استهلاكية. وإنما هي تقتنى للعرض فقط ولاكتساب الهيبة، تشبه في ذلك حسب رأي مالينوفسكي التاج الملكي البريطاني، أو كأس الفوز في دوري رياضي الذي يحتفظ به الفريق الفائز إلى أن يحين أوان التصفية النهائية مرة أخرى في العالم التالي. وتحتل تلك الأصداف قيمة عالية جدا في نفوس الرجال الذين يسعون للحصول عليها من شركائهم في حلقة الكولا طوال حياتهم، حيث تقول العبارة المتداولة محليا: "إذا دخلت حلقة الكولا مرة، بقيت دائما فيها". وكل من يشارك في حلقة الكولا يتلقى كل سلع الكولا في مرحلة ما من مراحل التبادل المستمر. ويحتفظ بها لفترة ثم يبادلها مع غيره، فالأصداف يتم تبادلها بشكل رسمي دون أي مساومات. ويشير المدى الزمني بين إعطاء الهدية وتقديم الهدية المقابلة إلى حجم الثقة الموجودة في نفس مقدم الهدية، بأن شريكه في التبادل سوف يرد ما عليه. ويمارس الرجال طقوس سحرية ليضمنوا حسن نية الطرف الآخر وتعاطفه بما يعنى عودة الأصداف مرة أخرى، على أساس أن هيبة الرجل تعتمد على ما يجوزه من أصداف.

وقد وجه مالينوفسكي اللوم والتأنيب إلى الكتاب الذين أشاروا إلى أن أصداف الكولا هي النقود في ذلك المجتمع. ورأى أن الصواب هو فهمها كعملية تبادل الهدايا في إطار أخلاقي.

ومن هنا استخدم مالينوفسكي الكولا ليؤكد قضية عامة هي أن الاقتصاد مترسخ في العلاقات الاجتماعية. فحلقة الكولا تصهر في سبيكة واحدة عددا كبيرا من الجزر واقتصادياتها. كما أكد على الطبيعة السياسية للكولا. فهي تمنح الرجال مكانة داخلية، ودعم الاستقرار السياسي بين الجزر المشاركة في حلقة الكولا بالحفاظ على السلام بينهم، ذلك أن سكان جزر التروبريانديتحتفظون أشد التحفظ في مهاجمة سكان الجزر الذين يشاركونهم حلقة الكولا.

وفي رأي مالينوفسكي أن التفاعلات الكثيرة التي تتم في نطاق الكولا (الهيبة والنفوذ السياسي والتجارة وتقديم الهدايا)، تكون جميعها "كيانا عضويا كليا".¹

¹ جوردن مارشال، موسوعة علم الاجتماع، المجلد الأول، ترجمة: محمد الجوهري وآخرون، ط2، 2007، ص-ص (557-556).

الفصل الأول: المقاربة المنهجية والمفاهيمية

ومن هنا تمثل دراسة مالينوفسكي للكولا نموذجا أساسيا لتوضيح المنهج الوظيفي في الأنثروبولوجيا وتتلخص دراسة مالينوفسكي في:

- أن الكولا نظام اجتماعي يهدف إلى تعزيز أواصر الصداقة والتحالف والمحبة بين الأهالي بالدرجة الأولى، كما لا يمكن نفي استخدام المقايضة والتعامل الاقتصادي في بعض السلع.
- أنه من خلال النظام الشعائري للكولا لا يبحث الأهالي عن الربح المادي أكثر من سعيهم للسعة الطيبة وذبوع الصيت عن طريق التنازل عن أشياءهم الثمينة والبذل في سبيل تركية القيم الاجتماعية العالية، كما يترتب عن ذلك التزامات اجتماعية وتوقعات من الأطراف في رد الهدايا.

نتائج الدراسة:

- لقد كانت ملاحظات مالينوفسكي مركزة بشكل حصري على المبادلات الاحتفالية بين الرجال، وقد كانت دراساته حديثة حيث قام بها على وجه الخصوص على أساس الأنثروبولوجيا الأمريكية أنات واينر في 1976 لتوسيع دراسات مالينوفسكي.
- ليست شبكات التبادل والأشياء إلى جنس ومتبادلة مقتصرة على جنس واحد فهي تساهم على التحديد الاجتماعي للذكورة والأنوثة، فالنساء أيضا لهن مبادلات كما أن المبادلات الاحتفالية كانت مصحوبة بمقايضة سلع نفعية أشار إليها مالينوفسكي.
- توصل أنه في كل مجتمع من هذه المجتمعات هناك إلى جانب الأشياء التي يمكن بيعها وشرائها، قابلة للتصرف ومتصرف بها، والأشياء التي يمكن إعطاؤها غير قابلة للتصرف وغير متصرف بها، مثل الأغراض المقدسة، أي أعطيات الآلهة للبشر التي لا يمكن إعطاؤها لأمثالهم، إذ قضى واجبهم بالحفاظ عليها، الأمر الذي لا يمنعهم من إفادة الذين لا يملكون من الحسنات التي تمنحها هذه الأشياء.¹

¹ بيار بونت وميشال ايزار، معجم الإثنولوجيا والأنثروبولوجيا، مرجع سابق، ص 111.

الفصل الأول: المقاربة المنهجية والمفاهيمية

- أن صور التبادل الشعائري التي تتم في جزر التروبريانند يوجد فيها ما يدل على تفكير الناس في الربح أو الكسب أو النفع الشخصي سواء كان للهدايا فوائد مادية أو لم يكن.
- أن نظام الكولا ينطوي على مضمون اجتماعي أساسه توطيد أواصر الصداقة والعلاقات الطيبة بين سكان تلك الجزر.
- إن نظام الكولا يحقق لأطراف التبادل الحصول على الصيت والسمعة نتيجة لتنازل الشخص عن بعض الأشياء ذات القيمة الرفيعة لأصدقائه.
- ينطوي المجتمع على الكثير من المعاملات الجدية الرسمية في نظم المبادلات والعلاقات الاجتماعية المتشابكة والمعقدة فهي عادة ما تسبق بتحضيرات كبيرة لإقامة هذه المراسيم الكبيرة.¹

3) بول بوهانان وقبائل التيف

أظهرت الدراسة التي قام بها بول بوهانان على قبائل التيف، أنه هناك نوعين من التبادلات التجارية غرضها المقايضة بالمنافع والسلع في السوق، والتهادي الذي يقوم على تبادل الهدايا بين الأطراف غرضها ربط وتوطيد العلاقات الاجتماعية، استخدم فيها العالم طريقة الملاحظة بالمعايشة. حيث تعيش هذه القبيلة على ممارسة الزراعة، ويستخدمون الأسواق المجاورة لاستكمال حاجياتهم المختلفة، أما التبادل التجاري فهو محدد بمبدأ السوق أي تقدير السلع ومقابلتها المالية وبالتالي تتخذ التعاملات موقف الشراء والبيع، أما التهادي فهو عملية تبادل يتم فيها تبادل السلع بين الأفراد والجماعات التي تربط بينهم علاقات اجتماعية قوية، بسلع محددة لا تقدر قيمتها مالياً وهي مخصصة للتهادي أكثر من البيع. أما السلع المخصصة للبيع والشراء والتي تقتضي المساومة والمقايضة، فتتمثل في أمثال الدواجن والماعز والأدوات المنزلية وبعض الآلات والمواد الخام، وأما المخصصة للتهادي فمجموع العبيد والماشية والقضبان المعدنية والنحاسية، وبالتالي تقدر القضبان بالماشية أو العكس فعلى الرغم من أن للعبيد والقضبان النحاسية قيمة

¹ فيليب لابورت، اثنولوجيا أنثروبولوجيا، مرجع سابق، ص303.

الفصل الأول: المقاربة المنهجية والمفاهيمية

اقتصادية معينة، فإن قيمتها الاجتماعية المقدرة تأتي في الدرجة الأولى، لبلوغ الصيت والمكانة المرموقة والسمعة الحسنة.¹

إن التبادل لا يتم بالمقارنة بين السلع رغم اتساع نطاق عمليات التبادل عند التيف وتنوع السلع الصالحة للتبادل، فالمواد الغذائية عندهم يتم تبادلها تبعا لقواعد السوق، لأنه لا يمكن تحديد كميات الطعام التي سوف يتم تبادلها بين طرفي التبادل، وإنما لا بد من دخولها في مساومات طويلة حتى يستقر الأمر على تحديد المقادير أي سوف يقدمها كل طرف مقابل الحصول على مقادير أخرى معينة من الطعام في الطرف الآخر، ويدخل في نطاق هذه الفئة من السلع الدواجن والماعز والأدوات المنزلية وبعض الآلات والمواد الخام، فقد تباع المرأة نوع من الخضراوات أو الفواكه لكي تشتري بعض الأواني وهكذا.

فكرة البيع والشراء تسيطر على هذا النوع من التبادل الذي يتم في أغلب الأحوال عن طريق المساومة والمقايضة، وتتألف المجموعة الثانية من السلع والعييد والماشية والقضبان المعدنية، فالناس يقدرون العبيد والقضبان النحاسية برؤوس الماشية أو العكس، وهذه السلع ترتبط ارتباطا قويا بمسألة المركز الاجتماعي وذيوع الصيت وحسن السمعة، فعلى الرغم من أن للعييد والقضبان النحاسية بعض القيمة الاقتصادية، فإن قيمتها الاجتماعية في هذه الناحية أتت في المرحلة الأولى، ولذا فإن الناس حين يتبادلونها ويطلبون المزيد منها فإن الهدف الذي يكمن وراء ذلك هو البحث عن المزيد من ذيوع الصيت والمكانة الاجتماعية المرموقة، أما الفئة الثالثة من السلع فإنها لا تتألف من سلع مادية بقدر ما تتألف من بعض الحقوق التي يتمتع بها المرء عن غيره من الناس وبخاصة الحقوق في النساء والأطفال، لذا فإن معظم القيم المتعلقة بهذه العمليات يعبر عنها في حدود وألفاظ القرابة والزواج.

فالملاحظ أن كثيرا من العناصر التي يعتبرها المجتمع الحديث على أنها أشياء أو سلع لا يمكن تبادلها في مجتمع التيف ولا تخضع لمنطق التبادل هناك، وتعتبر الخدمات أهم هذه الأشياء لأن مجتمع التيف يرى أنه من غير اللائق الإشارة إليها في حدود وألفاظ التبادل، فتقديم الخدمات هنا مسألة ترتبط بالالتزامات والواجبات الخاصة بعلاقة القرابة أو بعض القيم الخلقية والكرم، ومع أنهم يتناوبون تقديم

¹ أبو زيد أحمد، البناء الاجتماعي، الجزء الثاني، المكتب الجامعي الحديث، 1967، ص-ص (233-234).

الفصل الأول: المقاربة المنهجية والمفاهيمية

الخدمات بعضهم لبعض الا أنهم لا يتكلمون عنها على الإطلاق بنفس الطريقة التي يتكلمون بها عن المسائل الاقتصادية، وهذا نفسه ينطبق على الأرض التي لا تخضع عندهم لعملية التبادل لأن الأرض هي المظهر المكاني للتنظيم الاجتماعي كله.¹

وتخلص الدراسة إلى النتائج الآتية:

- أن التبادل بقبائل التيف ينقسم إلى قسمين: تبادل تجاري محض والآخر عملية تهادي بين الأفراد والجماعات غرضها خلق الروابط الاجتماعية والمكانة الاجتماعية العالية.
- وتختلف سلع التبادل والتجاري والتهادي إذ قد تكون لسلع التهادي قيمة مالية إلا أن قيمتها الاجتماعية أكبر وأنفع، كما تختلف طرق البيع والشراء والتهادي ويكون لها طرق وضوابط خاصة بالعملية ألفاظ وتعاملات خاصة.
- وجود نوعين من السلع المتبادلة في مجتمع التيف حيث يقوم تبادلها كذلك على نوعين من التعاملات، الأولى تقوم على أساس عملية التهادي والثانية تقوم على أساس فكرة السوق.
- يوجد طريقة مختلفة للتعامل الذي يقوم بين أطراف التبادل لكل من هذين الخطين من التبادل.
- أن المساومة والمقايضة تنطبق فقط على السلع التي يحكمها السوق، بينما الهدايا لا تقدر بسعر ولا تحصل فيها المساومة.²

¹ عباس الزهرة، الهدية في المجتمع الجزائري - طبيعتها ودلالاتها الرمزية دراسة ميدانية بمنطقة تيارت، أطروحة دكتوراه في علم الاج تخصص البنيات الأسرية والروابط الاج، جامعة عبد الحميد بن باديس، مستغانم، 2018-2019، ص- ص (31-32).

² فيليب لابورت، اثنولوجيا الأنثروبولوجيا، مرجع سابق، ص303.

الفصل الأول: المقاربة المنهجية والمفاهيمية

4) سوسبري عن قبيلة السيانة

تقطن قبيلة السيانة في مرتفعات جزيرة غينيا الجديدة، ودرسها سوسبري عام 1952، حيث يميز السيانة حين يوزعون الأشياء الثمينة والخنازير وأدوات الزينة المصنوعة من الصدف وريش طائر الفردوس بين أعضاء الجماعات المستقلة، وبين أنواع من المواد الأقل قيمة من البضائع التي يتداولها الأقارب والجيران في الحياة اليومية.

ويطلقون على النوع الأول من التبادل اسم كيميائي وعلى الثاني اسم امياي، ويتم تقديم الكيميائي في المناسبات التي يتم فيها تقديم الهدايا في اغلب الشعوب ذات التكنولوجيا البسيطة مثل الولادة وحفلات الزواج، وحين يتوصلون إلى السلم بعد حادث قتل، كما يحدث في طقوس الحفلات الموسمية.

وتعتبر الهدية تبادلاً بين الجماعات وليس بين الأفراد، فيقدمها ممثل عن إحدى الجهتين وتتسلم بخطاب شكر احتفالي يليه ممثل الجهة الأخرى. وتتمثل كل مادة ثمينة برفاق من الخيزران، فحين تقدم الهدية تدفق المواد التي تحتوي عليها برفع رقاقة واحدة مقابل كل مادة ثمينة من كومة الخيزران.

ولكن المبدأ الذي يراعى داخل الجماعة هو أن المساعدة امياي تقدم دون إجراء تسجيل، وتشمل المناسبات التي يكافأ بها العاملون بالطعام أو بحصة من المحصول عند الحصاد. ويحافظ على مبدأ المقابلة بالمثل إلى حد ما، بالرأي العام الذي يحكم بالرضي أو الاستنكار على من يقدم المساعدة.

ويبين سوسبري أن هناك في بعض الأحيان حسابات تجري أكثر مما يعترف به السيانة، فهم يحصلون على ملح الطعام وهو مادة نادرة في مرتفعات غينيا الجديدة بالمساعدة امياي من الأصدقاء أو من شركاء تجار من القرى التي ينتج فيها، فتزور جماعة من الرجال قرية ملح الطعام مصطحبة معها الخنازير التي يذبها مضيفهم لتقديمها طعاماً لهم، وحين يغادرون فان هدية الوداع تكون من أقراص ملح الطعام.¹

¹ مير لوسي، مقدمة في الأنثروبولوجيا الاجتماعية، ترجمة: شاكر سليم، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ص 208.

الفصل الأول: المقاربة المنهجية والمفاهيمية

ويعتقد بعض العلماء الغربيين أن شعوب المجتمعات البدائية لا تفرق بين السلع الثمينة وبين السلع العادية في التبادل، فالملاحظ أن التبادل يكون على مستوى الأفراد مما يعمل على تقوية العلاقات الاجتماعية بينهم، والى خلق أخرى جديدة، كما يسهم في توسيع شبكة العلاقات.

تكلم الباحثون الذين درسوا التبادل على أن المجتمعات كانوا يستخدمونها حيث أسموها أشباه النقود التي يقتصر تبادلها واستخدامها كوسيط نقدي على مجالات معينة، وهو نفس ما لاحظته سوزبري عند سكان غينيا الجديدة، حيث يقول أن بعض السلع يمكن مبادلتها بالعناصر الضرورية مثل الأكل والشرب والمسكن، والبعض الآخر يمكن مبادلتها مقابل عناصر غير ضرورية وغير أساسية مثل الملابس والذهب.

نتائج الدراسة:

توصل سوزبري إلى النقاط التالية:

- أن نوع التبادل في هذا المجتمع تفرقه بالدرجة الأولى العلاقات التفاعلية والبنائية بين الجماعات.
- وجود ظاهرة الكرم عند هذه الشعوب.
- يتم تبادل الهدايا على مستوى الجماعة وليس على مستوى الأفراد.
- هناك نوعان ممن التبادل هما التبادل بالسلع الثمينة والتبادل بالسلع العادية واليومية.
- كل هدية تقدم يجب أن يقابلها هدية أخرى.
- وجود ظاهرة الإلزام في تقديم الهدايا.

الفصل الأول: المقاربة المنهجية والمفاهيمية

(5) الهدية وما هو مضاد للاقتصاد في المجتمع العربي الإسلامي:

في بداية القرن الثاني الهجري حدثت تطورات جديدة على الأمة العربية الإسلامية حيث انتصر العباسيون على الأمويين عام 132هـ، وأدى ذلك إلى تغيير زمني ومكاني في الحياة الإنسانية بكل علاقاتها الاجتماعية والسياسية والثقافية، حيث انتقلت الخلافة الإسلامية من دمشق إلى المدينة الجديدة التي بناها المنصور بجوار مدائن كسرى وسماها بغداد، هذا العصر العباسي الذي بلغ فيها المسلمون من العمران والسلطان ما لم يكن من قبل، فنضج العقل ليجد سبيلا إلى البحث ومجالا للتفكير.

كما انفتح المجتمع الإسلامي على الشعوب الأخرى كالفرس والهند والأترك وغيرهم، وأدى ذلك إلى الاحتكاك الثقافي والاجتماعي والسياسي بهم، فتم الزواج بغير العربيات وتبدلت معه عادات الطعام واللباس وآداب السلوك، واستجدت كثير من المعطيات الأخرى كظهور طبقة الجواري اللاتي كن شاعرات وراقصات ومغنيات وفقهيات في الكلام، فكن يتخذن المباهاة والمناظرة، كما انتشرت الشعوبية التي تحاول التسوية بين العرب وغير العرب من الزندقة والديانات الفارسية.

إن أساس الحياة الاجتماعية هو الحالة الاقتصادية التي تسيطر على الناس من حيث لا يشعرون. والحياة الاقتصادية في العصر العباسي كانت شديدة الاضطراب والفوضى إلى حد بعيد، وانتشر نظام اقتطاع الأرض مكافأة أو هبة للمقربين لدى الخلفاء والوزراء، فكان الترف والنعيم حظ عدد قليل، هما الخاصة من الناس تمثل الطبقة الحاكمة وبعض رجال التجارة والصناعة، في حين كان الفقر والبؤس والشقاء للعامة وهما أكثر الناس.

إلى فهم اقتصاد الهبة في المجتمع تهدف الدراسة التي قامت بها الباحثة نعيمة بن عبد العالي العربي الإسلامي في محاولة للإجابة على السؤال: أين يبدأ وأين ينتهي الاقتصاد؟

وكان ذلك من خلال التراث العربي المكتوب، حيث مست الدراسة العصر الذهبي للحضارة العربية الإسلامية والمتمثل في الحضارة العباسية، ورمز الثقافي لمدينة بغداد.

كما أن الباحثة انطلقت من منظور اقتصادي لظاهرة الهدية واعتبرتها ممارسة غير ربحية/ نفعية أو فهي ليست تضحية تقدم إلى الآلهة كالزكاة والصدقة التي وردتا، كما أسمته في تعاليم الدين الإسلامي، اللتان يبحث عن نظيرتهما في الآخرة، وبعبارة أخرى فالهدية ليست ظاهرة دينية بل اجتماعية، هي علاقة

الفصل الأول: المقاربة المنهجية والمفاهيمية

اجتماعية تربط الأفراد من خلال الأشياء وتدعو إلى التضامن الاجتماعي. كما حاولت توضيح أن هناك فرق بين الهدية والهبة، حيث تقدمت الهدية إلى من هو أرفع منزلة اجتماعيا وأقوى نفوذا سياسيا، فيتم التبادل من الأسفل إلى الأعلى، أما الهبة فتقدم إلى من هو أقل مرتبة وأضعف نفوذاً، فيكون مسارها الاجتماعي من الأعلى إلى الأسفل.

ومن جهة أخرى فالهبة والهدية لفظتين ليستا مترادفتين في الثقافة العربية، ولكل منهما دلالات اجتماعية وسياسية وشرعية مختلفة.

كما توصلت إلى أن مصطلح الهدية يمكن أن يظهر طريقة جديدة لمقاربة اقتصادية، غير أنها تعتبر بادرة إيجابية ولا ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالظواهر الاقتصادية.

فقد مورست على نطاق واسع في المجتمع العربي الإسلامي، وشملت تبادل كميات كبيرة من السلع المتنوعة، وقد لعبت هذه الظاهرة دوراً رئيسياً مهماً في الاقتصاد العباسي.

من الملاحظ أن التبادل الاقتصادي كان يحمل محل تبادل العنف، لأن الشرف والهيبة يعتبران مرتبتان مهمة في المجتمع العباسي، وكانوا يسعون لحل علاقات العنف اقتصادياً وعن طريق فرض موارد ذات قيمة اقتصادية ومثال ذلك: الدية.

كما أن النضال من أجل المحافظة على السلطة هو الآخر له حلول اقتصادية متمثلة في الجزية "تأليف القلوب أو المصالحة بين القلوب". ومن الأمثلة على المؤسسات الدينية التي تأكد توجهها إلى نفس المبدأ: الكفارة.

وفي الأخير فإن الهدية في المجتمعات العربية الإسلامية لم تتباعد عن الاقتصاد على العكس من ذلك بل تعايشت معه فأينما تكون هنا كهدية يكون الاقتصاد، لأننا نعطي/ نهدي فقط السلع والأشياء التي لها قيمة، وهذا يعني على وجه التحديد السلع الاقتصادية.

الفصل الأول: المقاربة المنهجية والمفاهيمية

6) تبادل الهدايا والتضامن الاجتماعي في المجتمع المحلي المصري:

تقع مدينة اطسا في محافظة الفيوم بمصر التي تضم خمسا وستين قرية، وتعد الزراعة إلى جانب العمل في الوظائف الحكومية أهم المهن المنتشرة بين أبناء المدينة، وهي المجال الجغرافي الذي وقع عليها الاختيار من قبل الباحثة المصرية عليا شكري، للقيام بدراستها، جاءت هذه الأخيرة محاولة لتقديم رؤية واقعية للآراء النظرية السابقة لموضوع تبادل الهدايا، وذلك انطلاقا من أن مجتمعنا العربي يتميز بخصوصية تجعله يجمع في سماته بين خصائص المجتمعات التقليدية وخصائص المجتمعات المتعدنة. فلقد أثارت قراءتها للإرث المكتوب حول موضوع تبادل الهدايا المتمثل في دراسة مارسيل حول اقتصاديات الهدايا، وديفيد شيل حول الهبة، طرحه التساؤل محوريا جاء نصه: ماهو دور الهدايا في تشكيل العلاقات الاجتماعية وما إذا كانت تمثل نمطا من الاتصالات أو تحقق نوعا من التحالف والمشاركة الاجتماعية؟

ومن أجل بلوغ الأهداف المرجوة استعانت الباحثة بمنهج دراسة المجتمع المحلي ومنهج دراسة الحالة، ضف إلى ذلك المنهج الأنثروبولوجي بأدواته المختلفة.

وتوصلت الباحثة إلى أن تبادل الهدايا في مجتمع البحث يرتبط بمناسبة أو سبب يدعو إلى تقديمها، وليس هناك تبادل للهدايا خارج هذا الإطار، والأبعد من ذلك يشترط في المناسبة أن تكون حدث مهم في حياة الأفراد.

تم تقسيم المناسبات إلى تلك الخاصة بدورة حياة الأفراد وشملت الميلاد أو الولادة، والزواج والموت، وتتراوح نوعية الهدايا المقدمة بين عينية وأخرى نقدية ويختلف مقدارها حسب الطبقة الاجتماعية.

كما يعد الختان من المناسبات المهمة وتختلف طريقة الاحتفال بها حسب الأصول الجغرافية للأسر، فتقدم خلالها هدايا للقائم بعملية الختان وأهل الطفل المختن، أما عند الأطراف المعنية بتقديم الهدايا، تخص في الطبقة العليا الدوائر القرابية والجيران والأصدقاء، أما الطبقتين الوسطى والدنيا فتقتصر على الأقارب فقط. تأتي مناسبة الزواج بكثير من الطقوس والممارسات كما تتكون من مراحل لدى المجتمع المحلي المصري، أولها قراءة الفاتحة والشبكة، وهي مناسبة تخص ما يتم تبادله من هدايا بين أهل العروس وأهل العريس، الذي يمثل بعدا اجتماعيا واقتصاديا يتضمن التضامن وعدم التداين بين الأسرتين.

الفصل الأول: المقاربة المنهجية والمفاهيمية

حلاقة العريس وحياقة ثيابه من المناسبات التي تقتصر على الدوائر القرابية وفيها تقدم نقود لحائك الملابس، لتليها حنة العريس وتتعدد الهدايا ما بين النقدية والعينية.

ويعتبر يوم الصباحية اليوم التالي لإتمام الزواج، وللهدايا المقدمة من أهل العروس وظيفة اجتماعية واقتصادية واضحة من حلويات وأطعمة، وقد يستمر ذلك لمدة أسبوع أو يتعداه.

تنتهي دورة الحياة في حالة الوفاة، وهي أكثر المناسبات التي يلعب فيها التضامن الاجتماعي دورا بارزا داخل مجتمع البحث، من حيث المؤازرة الاجتماعية التي تقدم للأسرة المتوفية على مستوى القرابة أو الجيرة أو الصداقة، ويكون ذلك خلال إعداد الميت للدفن وما يلزم من إجراءات الجنازة وإقامة العزاء بإرسال الأطعمة المطهورة وإقامة الولائم.

أما عن القسم الثاني من المناسبات فتوجد دورة العام وتشمل الأعياد الدينية، وتتحصر في عيد الفطر وتتمثل هداياه في أطباق الكعك وتقديم العيديّة للأطفال، أما عيد الأضحى فيتم خلاله توزيع لحم الأضحية على الفقراء، وشهر رمضان تقام فيها الولائم.

إضافة إلى ذلك توجد الأعياد الشعبية وتشمل المولد النبوي، الأربعينية، وكذا عيد الأم، وتعتبر من الهدايا غير الملزمة بالرد.

أما الحج فتقدم هدايا للحاج قبل ذهابه ليردها بعد رجوعه بصورة فورية. أما النجاح في الامتحان تتراوح هداياه بين النقود وعلب الحلويات والمشروبات الغازية. أما أعياد الميلاد من المناسبات المستحدثة التي تقتصر على الأفراد ذوي الأصول الحضرية.

يعد إجراء العمليات الجراحية أو الأمراض مناسبة تتطلب التساند والتضامن الاجتماعي غالبا ما تكون مبلغا من المال.

والقسم الأخير من المناسبات يتمثل في مناسبات أداء متطلبات الحياة اليومية من المجاملات والتعاون بين الأصدقاء والجيران في قضاء الأمور واللقاء في المقاهي وغيرها من الممارسات اليومية.

كما أظهرت الدراسة أن هناك أبعاد تتحكم في نطاق التبادل ترتبط حسب الطبقة الاجتماعية، والأصول الجغرافية للأفراد والأبعاد القرابية وعلاقات الجيرة والصداقة.

كما ذكرت أن هناك نمط من الهدايا، فمنها ما يرد وأخرى لا ترد، ضف إلى ذلك أن قيمة الهدية ونوعيتها وزمن الرد والشخص الحامل للهدية أمور لا بد من مراعاتها عند الرد عليها.

الفصل الأول: المقاربة المنهجية والمفاهيمية

وفي الأخير قدمت الباحثة نتائج عامة جاءت كالتالي:

- يلعب تبادل الهدايا دورا في بلورة طبيعة العلاقات الاجتماعية داخل مجتمع البحث.
- إن عملية تبادل الهدايا لها أبعاد اجتماعية واقتصادية وثقافية تسهم في بناء نمط من العلاقات الاجتماعية يعمل على زيادة التضامن.
- يتجل دور تبادل الهدايا في تحديد نطاق العلاقات الاجتماعية من خلال تشبعه في جميع مناسبات الحياة سواء على المستوى الخاص أو العام أو حتى الحياة اليومية.
- تتدرج عملية تقديم الهدايا داخل النطاق الاجتماعي من مستوى الميكرو والى مستوى الماكرو، وذلك من خلال التبادل داخل الدوائر القرابية ثم داخل مستوى أكبر أي داخل الطبقة الاجتماعية.
- تتنوع أنماط تبادل الهدايا بين الهدايا الملزمة والهدايا غير الملزمة.
- يسهم التضامن الاجتماعي بدور في بلورة إلزامية رد الهدايا، وتسهم إلزامية الرد أيضا في بلورة التضامن الاجتماعي في صورة دائرية، وتتعدم هذه الإلزامية في الشرائح الدنيا لطبقة الفقراء حيث يسهم التضامن في جعل التبادل من جانب واحد فقط.
- تلعب الأبعاد الريفية والحضرية دورا في بلورة نوعية وتحديد الأبعاد التي تدفع إلى تقديمها.

(7) الهدية في المجتمع البحريني:

هي دراسة إثنوغرافية قامت بها الباحثة خديجة المولاني بمنطقة الدية، وهي قرية بحرينية يعني اسمها كلمة فارسية معناها "قرية صغيرة"، يبلغ عدد سكانها ما يقارب 6000 نسمة، تمتاز بنمط عمراني يساعد على تقوية الروابط الاجتماعية بكثرة البيوت المتلاصقة والأزقة الضيقة. كما أن أهاليها متمسكين بالعادات والتقاليد خصوصا الاحتفالات في المناسبات المختلفة.

هدفت الدراسة إلى تناول موضوع الهدية باعتبار هذه الأخيرة سعت إلى كشف طبيعة هذه الظاهرة من خلال التعرف على أنواعها ومناسباتها ومعتقداتها، والأهداف التي يطمح لها الأفراد من وراء تبادلها.

الفصل الأول: المقاربة المنهجية والمفاهيمية

من الناحية المنهجية اعتمدت الباحثة المنهج التأويلي الرمزي الذي يهتم بتحليل الأنساق المعنى المتضمنة في الرموز، ويربط هذه الأنساق بالعمليات الاجتماعية وأنماط التفاعل الاجتماعي، كما اعتمدت الملاحظة بالمشاركة كأداة لجمع المعطيات الميدانية، باعتبارها فرد من مجتمع البحث. ونخلص الى ما يلي:

- للهدية عدة مسميات كالهبة، الرزق، المكافأة، العطية، التبرعات.
- تبادل الهدايا في مجتمع البحث يزيد بين الأقارب والأصدقاء ويقل كلما قلت صلة القرابة.
- الهدية تزيد من الترابط الاجتماعي واستمرار العلاقات الاجتماعية بين الأفراد والجماعات.
- الهدية نوعان هناك المادية وتكون ملموسة وتعيش طويلا، وحجمها وقيمتها المادية تعبير عن أهمية المهدي إليه الذي تربطه به علاقة اجتماعية. أما المعنوية الغير محسوسة فلها تأثير كبير على النفس وتأتي في شكل كلمات التهناني، الدعاء.
- أما عن أهداف منح الهدية، فهيايا المحبة تؤلف بين القلوب وتزرع الحب والتراحم، وهدايا التقاخر التي تشكل رمزا والتفاهم وقد أمرنا رسولنا الكريم بذلك ومعنى ما في الأعراف الاجتماعية وتحرص أغلب الأسر والأشخاص على تقديمها، وهي تختار وتمنح استنادا لمكانة المهدي إليه الاجتماعية أو المادية، وتكون عادة عالية الثمن وقد تشكل أحيانا عبئ مادي يضطر الفرد إلى الاقتراض من أجل اقتناءها.
- ثم تأتي هدايا المصلحة التي ينتظر من وراء تقديمها عملا معيناً أو مصلحة.
- ذكرت الباحثة عدة مناسبات تقدم فيها الهدايا كعيد الفطر وعيد الأضحى وعيد الغدير وهدية المولد الإمام المنتظر، الولادة، الزواج، الموت، العودة من السفر وغيرها.

(8) رمزية الهدية في العلاقات الاجتماعية في الجزائر

جاءت الدراسة بعنوان: رمزية الهدية في العلاقات الاجتماعية في الجزائر-دراسة ميدانية للمجال العمراني بولاية الأغواط، وهي أطروحة مكملة لنيل شهادة الماجستير في تخصص علم الاجتماع التنظيم والديناميات الاجتماعية والمجتمع، بجامعة قاصدي مرياح بورقلة، وهي من إعداد طالبة عويسي خيرة، وإشراف الدكتور محمد المهدي بن عيسى، وذلك في السنة الجامعية 2011/2012.

الفصل الأول: المقاربة المنهجية والمفاهيمية

توخت الدراسة مجموعة من الأهداف النظرية والعملية، في محاولة للإجابة على التساؤلات الرئيسية للدراسة الذي تم صياغتها كآتي:

- كيف تعمل الهدية على إنتاج وإعادة إنتاج علاقات اجتماعية في مجال تفاعلي ومجال زماني ومكاني معين؟

وكان ذلك انطلاقاً من الفرضية العامة التي مؤداها أن لكل مجال اجتماعي نموذج ثقافي يضيف عليها خصوصية معينة، حيث أنه كلما تغير هذا النموذج الثقافي للمجالات الاجتماعية والمتواجدة ضمن المجال العمراني محل الدراسة تغيرت هوية الهدية ومضمون العلاقات الاجتماعية حسب كل مجال تفاعلي والمقسم بدوره إلى أربعة مجالات اجتماعية (بدو، شبه بدو، شبه حضر، حضر).

إن طبيعة الدراسة تدخل ضمن البحوث الوصفية الكيفية التي تمتاز بالاستكشاف، من وصف وتفسير، وفهم وتنبؤ، وتبنت خلالها الباحثة المنهج الوصفي ودراسة الحالة، واستعانت بتقنية الملاحظة بالمشاركة لجمع المعطيات الميدانية من المجال العمراني المتمثل في ولاية الأغواط وبلدياتها، الذي تم تقسيمه انطلاقاً من مقاييس سوسيوولوجية خلدونية، فكان المجال الحضري المتمثل في مدينة الأغواط مقر الولاية، والشبه حضري بلدية تاجموت، وفي مجال البدو قرية الجقيقية، أما شبه البدو بلدية واد مزى.

ويأتي ملخص هاته الدراسة في: لقد كانت تهدف هذه الدراسة إلى إبراز أهمية التفاعل الاجتماعي الرمزي في تحريك عجلة التغير الاجتماعي، من خلال إنتاج وإعادة إنتاج علاقات اجتماعية تختلف باختلاف الزمان والمجال التفاعلي ضمن نمودجه الثقافي السائد. بالإضافة إلى أنواع العلاقات الاجتماعية المتواجدة ضمن المجال العمراني محل الدراسة والمتمثلة في ولاية الأغواط كمجال عمراني واسه به عدة مجالات اجتماعية، تختلف بها النماذج الثقافية بين الحضر وشبه الحضر والبدو وشبه البدو هذا من جهة. ومن جهة أخرى تحاول الدراسة إبراز أهم الخصائص الثقافية والاجتماعية السائدة في كل مجال اجتماعي، والتركيز على مدى تأثيرها في إضفاء معاني ودلالات معينة للهدية داخل حيزها الاجتماعي والزمكاني، معتمدين في ذلك على أهم الدراسات السابقة التي تناولت الهدية كموضوع اجتماعي، وبعدها إلى أهم النظريات التي تخدم الدراسة، حيث في إطارها وما خلالها فسرنا وحللنا وصنفنا المعلومات

الفصل الأول: المقاربة المنهجية والمفاهيمية

والبيانات المحصل عليها من الواقع الاجتماعي من خلال استخدام شبكة الملاحظة، وكذا دليل المقابلة على عينة من الأفراد الذين ينتمون إلى المجالات الاجتماعية، والتي كانت الدراسة لها بطريقة قصدية لعدة أسباب، معتمدين في تحليلها على المعالجة الكيفية لهذا النوع من المادة العلمية الميدانية بحكم طبيعة الموضوع.

حيث توصلت هذه الدراسة في الأخير إلى أن النموذج الثقافي هو الذي يحدد الهوية الاجتماعية للهدية أو الهبة التي تعمل على إنتاج وإعادة إنتاج علاقات اجتماعية تواصلية أو استراتيجية براغماتية داخل هذا الحيز الاجتماعي.

وأهم ما خلصت إليه الدراسة من نتائج:

1. للهدية في المجال الاجتماعي الحضري الأثر الكبير في تحسين وتوطيد العلاقات الاجتماعية، كما أن دلالتها المادية أكبر بكثير من دلالتها المعنوية في توطيد العلاقات الاجتماعية، لأنها تلمع مراكزهم أي أن لها هوية تكاملية وتواصلية.
2. إن هوية الهدية في المجال الاجتماعي الحضري تبدو استراتيجية منفعية، أي فعل تقوده المصلحة وإبراز للمكانة الاجتماعية للفرد المهدي، فهو يمارس عنف خفي من خلال ذلك الفعل الغرضي المتمثل في عملية التبادل في حد ذاتها.
3. أما عن هوية الهدية في المجال الشبه حضري فتتنوع بين الهدية الغرضية في دلالتها، والهدية الاجتماعية التي ترمي إلى إضفاء التواصل الاجتماعي، بحيث يتبادلونها كواجب اجتماعي.
4. فبالنسبة لهوية الهدية في المجال الشبه بدوي فهي تسلك مسلك تواصلية بتأثير ذلك الفهم المشترك في كونها رمز التكريس وتعزيز روح التعاون والتضامن وتثبيت العلاقة الدموية بينهم بواسطة التساند في الأفراح والأقراح.
5. تلبس الهدية في المجال البدوي هوية تواصلية طاغية على العلاقات الاجتماعية، حيث تساهم في بناء علاقات جديدة، كون أن جميع أفراد هذا المجال الاجتماعي تربطهم علاقات القرابة والنسب والجيرة، بل تساهم الهدية في تقوية وتغذية وحتى في ترقيع العلاقات الاجتماعية، التي قد

الفصل الأول: المقاربة المنهجية والمفاهيمية

- تعرضت إلى تمزق أو انهيار وهذا الأمر معروف منذ القديم ولم يتغير أبدا. لكن المتغير هو نوعية وقيمة الهدية، وذلك راجع إلى عامل التغير الاجتماعي الحاصل على المستوى العام.
6. إن الفضاء الحضري عقيم إلى حد ما إنتاج آليات لتحريك العلاقات الاجتماعية، فهو مرهون بعلاقات وسلوكات براغماتية.
7. معظم الأطراف المتفاعلة والمتبادلة للهدايا هم من العائلات وبين أفراد الأسرة فيما بينهم، وبين الزملاء في العمل وبين الطبقات الاجتماعية.
8. إن الهدية منتج ثقافي رسخته العادات والتقاليد في السلوكات الاجتماعية، فجعلت منه عادة تطبع الناس عليها وتكتسي شرعية، لأن الجميع يعترفون بوجودها.
9. الهدية في المجال البدوي ترتبط بالذات الاجتماعية والنسق القيمي للبنية السوسيو ثقافية، أما في المجال الحضري فهي تتخذ مواقف القوة والضعف المادي، وتكون شبيهة بعلاقات حرب صامتة وسرية تتشكل في ساحتها الهدايا والممارسات وتتخرب في الآن نفسه العلاقات الاجتماعية، لأن الهدية عبارة عن موضوع لا يستهدف الذات الاجتماعية، بقدر ما يستهدف المكانة الاجتماعية والثقافية للفرد.
10. طغيان الفعل المصلحي على العلاقات الاجتماعية بشكل عام مقارنة بالماضي، وهذا يظهر بوضوح في المناسبات وشكل الهدايا، ذلك راجع إلى تغير في حدث النموذج الثقافي بشكل خاص وتغير اجتماعي في المجال التفاعلي بشكل عام.
11. المتفاعلون في المجال البدوي يستمدون هويتهم التواصلية من العلاقات الاجتماعية المترابطة، حيث تجمع علاقات القرابة والنسب والجيرة والصدقة الخالصة، ويعتبرونها ناقلة لإرثهم التاريخي والثقافي من خلال التطبع والتنشئة الاجتماعية. أما المجال الحضري وشبه الحضري فهم كذلك يستمدون هويتهم من العلاقات الرمزية والاقتصادية، وهذا راجع لطبيعة البنية الاجتماعية وكذا النسيج والنظام الاجتماعي ضمن المجال التفاعلي العمراني، لأن العلاقة الاجتماعية ومكانة الفرد هي التي تحدد هويتها الاجتماعية.

الفصل الأول: المقاربة المنهجية والمفاهيمية

12. إن دلالة الهدية في

المجالات الاجتماعية تختلف باختلاف النماذج الثقافية، فهناك تناقلات للرموز أي أنواع الهدايا ودلالاتها، والمناسبات التي تقدم فيها عن المجال الحضري إلى شبه الحضري، ومن شبه الحضري إلى شبه البدو، ومن شبه البدو إلى البدو والسيرورة تتم على هذا الترتيب، والعملية لا تتم بالطريقة العكسية، لأن الهدية في حد ذاتها تطبع قابل للتناقل من مجال اجتماعي لآخر بفعل الأفراد لأنهم هم الوحيدون والقادرون على إبراز أذواقهم.

ومنه فالهدية مهما كانت قيمتها المادية كبيرة، فإن قيمتها المعنوية أكبر في إضفاء روح المودة والتعاون والتماسك الاجتماعي بين الناس، خصوصا إذا كانت هدية خالصة لا تنتظر مقابل، ومن دون أن تخرج عن شرعيتها الاجتماعية إذا كانت مادية أو معنوية فهي تصفي النفوس وتقتل الأحقاد الاجتماعية، إلا أن مجتمعنا الحالي لا يدرك أن الهدية وجدت لذلك، وإنما يدرك أنها لتثبيت المكانة الاجتماعية وفرض للتمايز الاجتماعي بين الناس، وهذا ما جعل العلاقة الاجتماعية تبدو في ريب مما يجب أن تكون عليه.

وبناء على ما توصلت إليه هذه الدراسة فإن الهدية ليست معنية بتقديم دلالة معينة لهويتها، بقدر ما هو مفروض على الفرد كتفاعل اجتماعي التبني والإيمان بتلك الدلالات الاجتماعية للهدايا التي فرضها عليه النموذج الثقافي والمجال الاجتماعي الذي يمارس فيه تفاعله، وتمارس فيه الهدية شرعيتها.

(9) تبادل الهدايا في عملية التفاعل الاجتماعي

دراسة بعنوان تبادل الهدايا في عملية التفاعل الاجتماعي-دراسة أنثروبولوجية في بلدة الطرة لواء الرمثا، من إعداد محمود محمد قاسم النعامنة، بجامعة اليرموك، معهد الآثار والأنثروبولوجيا، في كانون 1994.

تتناول هذه الدراسة ظاهرة تبادل الهدايا الذي يتم في المناسبات المختلفة كالزواج والولادة والوفاة وغيرها من المناسبات، وتنتشر هذه الظاهرة في معظم المجتمعات الإنسانية مع اختلاف طرق ممارستها.

الفصل الأول: المقاربة المنهجية والمفاهيمية

وقد أجريت هذه الدراسة في بلدة الطرة التابعة إداريا للواء الرمثا التابع لمحافظة اربد في شمال المملكة الأردنية الهاشمية. وقد تمت الإقامة في مجتمع الدراسة مدة تقارب السبعة شهور تمت خلالها مشاهدة عدد كبير من عمليات تبادل الهدايا في المناسبات المختلفة والمشاركة فيها.

وتبين الدراسة أن لتبادل الهدايا دورا مهما في البناء الاجتماعي لمجتمع الدراسة، إذ انه يخلق علاقات اجتماعية جديدة بين الأفراد لم تكن قائمة من قبل، إضافة إلى تعزيز وتقوية العلاقات القائمة أصلا. ومن هنا فان عمليات تبادل الهدايا تشد أفراد المجتمع الواحد المتبادلين للهدايا إلى بعضهم بعضا، إضافة إلى أنها تشد أفرادا من مجتمعات مختلفة، وهذا كله يقود إلى تماسك المجتمع ككل.

وتتكون هذه الدراسة من خمسة فصول: يشمل أولها على مقدمة، ومشكلة، وأهمية، وفرضيات الدراسة، وكذلك المنهجية التي تم إتباعها في إجراء هذه الدراسة، إضافة إلى لمحة عن مجتمع الدراسة.

ويعرض الفصل الثاني بعض الدراسات الأنثروبولوجية التي تناولت عمليات تبادل الهدايا، حيث تم عرض عدد من نماذج هذا التبادل في المناسبات المختلفة في عدد من المجتمعات البدائية والحديثة، مع التركيز على المجتمعات العربية الحديثة.

أما ثالث هذه الفصول فيعرض المناسبات التي تستدعي تبادل الهدايا في مجتمع الدراسة والهدايا التي يجري تبادلها في هذه المناسبات، مع تقديم تصنيف لهذه المناسبات والهدايا.

ويتناول الفصل الرابع الأهمية الاجتماعية والاقتصادية لتبادل الهدايا، حيث نوقش تبادل الهدايا كنسق اجتماعي من خلال أثره على العلاقات الاجتماعية والقربانية بين المتبادلين، وكنسق اقتصادي من خلال ما ينطوي عليه من منافع ومصالح متبادلة.

أما الفصل الخامس فيتناول مسألة الإلزام والاختيار في عمليات تبادل الهدايا، من حيث تقديم وقبول ورد الهدايا، وتم ربط هذا كله بالمكانة الاجتماعية والاقتصادية لكل طرف من طرفي هذه العمليات. وتم في الخاتمة عرض أهم النتائج التي خرجت بها الدراسة وكذلك التوصيات التي يوصي بها الباحث.

الفصل الأول: المقاربة المنهجية والمفاهيمية

مقال بعنوان " تبادل

(10

الهدايا وتعزيز الرابطة الاجتماعية "

يأتي المقال من إعداد عباس الزهرة والأستاذ الدكتور محمد حمداوي، بجامعة مستغانم- الجزائر، والذي نشر في مجلة العلوم الاجتماعية، العدد 26، في سبتمبر 2017.

بحيث سعت هاته الورقة العلمية إلى دراسة ظاهرة تبادل الهدايا وعلاقتها بتعزيز الرابطة الاجتماعية بين الأفراد، هذا التبادل الذي يرتبط في كثير من الأحيان بمناسبات، منها المناسبات الدينية كنموذج، أين يتم تبادل هدايا مادية وأخرى معنوية. بغية الوصول في الأخير إلى أن الهدية وسيلة تفاعل وتواصل واستمرارها يعزز من الروابط الاجتماعية بين الأفراد سواء كانت علاقات قرابية أو جيرة أو صداقة.

وبناء عليه تطمح الدراسة إلى محاولة للإجابة على الأسئلة الآتية:

- ماهي المناسبات الدينية وطبيعة الهدايا المتبادلة ضمنها؟
- كيف تؤثر عملية المبادلة على الروابط الاجتماعية بين الأفراد؟

ومنه توصل البحث إلى أن تبادل الهدايا بين الأفراد هو أساس التفاعل الاجتماعي لحياة هؤلاء واستمرارها هو شكل من أشكال التضامن الاجتماعي الذي يعزز الروابط الاجتماعية بين الأفراد سواء كانت علاقات قرابية أو جيرة أو صداقة.

يعتبر اعتماد نظام تبادل الهدايا أو التهادي في مختلف المجتمعات الإنسانية القديمة منها أو الحديثة، باعتبار ما ترمز إليها في مختلف الجوانب والمجالات، حيث في الجانب الثقافي تمثل الهدية تعبيراً عن عادات المجتمعات وتقاليدها المتعارف عليها من خلال الرموز التي تحتويها وتعبّر عنها، وتمثل المنفعة المادية للمستفيدين منها من الناحية الاقتصادية هذا من جهة، وأيضاً تمثل وسيلة للتفاهم والقضاء على مختلف الاختلافات والصراعات التي تمر بالإنسان من جانبها السياسي لما تكونه من وجود علاقات تعاون غايتها تجنب النزاعات.

الفصل الأول: المقاربة المنهجية والمفاهيمية

وفي الأخير نخلص إلى أن المجتمعات الإنسانية المختلفة تتميز بطقوس وممارسات تمثل النظام الاجتماعي باعتباره جزء من وحدة متناسقة تدرس في ضوء العلاقة بالمجموع الكلي الاقتصادي والثقافي الذي يحوي مفاهيم ومعاني متداولة بين مختلف الشعوب مع وجود اختلاف في طبيعة الممارسة والمفاهيم بشكل ليس بالبعيد، وإنما نسبياً، حيث يعكس هذا النظام تبادل الهدايا في بعض المجتمعات الإنسانية وتوضيح الصورة العامة لهذا النظام.

(11) بحث في الهبة والعلوم الاجتماعية في البلاد العربية:

مما لا شك فيه إن العرب يولون قيمة كبيرة للكرم والسخاء في حياتهم اليومية، هذا لنذكر أهمية موضوع الهبة وان تصبح دراسة مارسيل موس من أهم المراجع للعلوم الاجتماعية في البلاد.

وأول ما يجب أن ننتبه إليه هو أن الثقافة العربية ضلت تمجد الكرم على أهميته من الناحية القيمية دون أن تحوله بشكل جدي وشامل إلى موضوع سوسيولوجي، أنثروبولوجي، تاريخي، كما فعل غيرنا. إن عملاً كهذا سينزع عن كل عربي اعتقاده الراسخ بأن العرب يجسدون وحدهم الكرم الإنساني في أجلى مظاهره، وفي ذات الوقت سينبئه إلى أن قسماً كبيراً جداً من معاملات مجتمعه مازالت تدار بألية الهبة والهبة المضادة، وان لذلك تداعيات كما يقول كبار الصحافيين المحترفين على الثقافة والسياسة وبناء الحداثة، وفي نهاية الأمر على مشروع التحرر والانعتاق.

لتدخل الانترنت العربية برهة واحدة بمفردات الكرم والجود والسخاء والصدقة والهبة والهدية والكفارة والفضل، والقائمة طويلة جداً، ولنقرأ عناوين ومضامين الحوارات والمقدمات والخطابات والمقالات الخاصة والعامّة المتبادلة بين مستعمليها، وسندرك حينها أن مفردات التصدق والتكرم والتفضل، وغيرها كثير، تخترق كل مستويات حياتنا الاجتماعية، القانونية والاقتصادية، الأخلاقية، السياسية، وتصنع تصوراتنا عن ذواتنا وعن علاقتنا وانتماءاتنا.

بطبيعة الحال نحن ندرك جيداً أن المجتمعات العربية التي تعيش فيها الآن لا تشكل مجتمعات قديمة بالمفهوم الذي يعطيه موس أو ماركس لهذه العبارة، لكن علينا أن نعرف أيضاً أننا مجتمعات مازال فيها التقسيم الاجتماعي للعمل لم يصل إلى حد بلورة حقول الأنشطة الاجتماعية المختلفة، كل حسب

الفصل الأول: المقاربة المنهجية والمفاهيمية

مواصفاته ومبادئ اشتغاله، وذلك رغم النمو البيروقراطي والحضري والاقتصادي الذي شهدته خلال المئة سنة الأخيرة. وهذا هو اللغز الذي يجب على العلوم الاجتماعية في البلاد العربية أن تعمل على حله.

لكن هذه الأسباب كان من الضروري ترجمة هذا العمل السوسيولوجي الأنثروبولوجي المبتكر لمارسيل موس حيث أن المؤلف أنهى أحد أهم الاستنتاجات التي وضعها في خاتمة دراسته باستخدام النص القرآني في سورة التغابن الآيات 15-18 للتدليل على المشاكل الرئيسية للمجتمعات الحديثة التي لا تختلف جوهريا عن المشاكل التي أثارها قضايا الندرة والإنتاج والتوزيع والاستهلاك والعدل في المجتمعات القديمة وان كل الفرق يكمن في كيفية تمثل هذه المشاكل ودراستها بشكل مستقل عن الميتافيزيقا والمعتقد الديني أو غيره...، واستنباط الحلول المواتية لها وفق ما قطعته البشرية من تطور على مستوى التنظيم المادي والثقافي للتبادل والإنتاج وتقسيم العمل وبناء الروابط الاجتماعية المحررة للأفراد والمجموعات.

وكل هذا لخصه موس بقوله: "وراء كل واقعة اجتماعية: تاريخ، تقاليد، لغة، عادات".¹

وعليه فان موضوع الهدية وتبادلها وتقديمها بين الأفراد والمجتمعات لها العديد من المعطيات والخصائص التي يتميز بها مجتمع على اخر من خلال نظرتة وتصوره المنطوي حول ذلك هذا من جهة، وأيضا تجسيدا لعاداته والإطار الذي تنحصر فيه هاته الظاهرة أو المبادلة من جهة أخرى، وذلك لأغراض وأفكار عدة نستقي منها ما يكمل موضوعاتنا التي لكل منها غاية وهدف.

¹ جعفر نجم نصر، الأنثروبولوجيا التاريخية: الأسس والمجالات في ضوء مدرسة الحوليات الفرنسية، دار اوما للطباعة والنشر، العراق، 2013.

الفصل الأول: المقاربة المنهجية والمفاهيمية

➤ الإشكالية والتساؤلات:

إن ما يميز الإنسان ويعطيه خصوصية وجودية هو القدرة التي يمتلكها على عقل الأشياء وإنشاء الرموز وشبكة المعاني، حيث أن العيش بالرموز وتوظيفها لها فعالية إنسانية، والتي بها يعيش الإنسان ويؤثث وجوده ويبني عالمه المادي والمعنوي ويرسي نظام الأشياء والعلاقات بينه وبين الآخرين من الناس، ودلالة الأشياء التي لا تدرك إلا من خلال استعمالها ومما تتضمنه من معنى في حياتهم ومما تتخذه من دلالة في مخيلتهم الجمعية.

فهناك وقائع يومية روتينية تعنى بدراسة النشاطات المألوفة أو غير المألوفة لجماعات الأفراد، والتعرف على ما يتعرضون له من مواقف في حياتهم اليومية والتي تكون لها دلالات اجتماعية تكون نتاج لعملية التفاعل، فهناك أمور لا يستهان بها ولها أهمية كبيرة في عملية التفاعل الاجتماعي وخلق العلاقات، والتي تبرز أو تتمثل في شكل لغة أو رمز مادي أو معنوي كالهديّة مثلا وما تحدّثه من أثر.

فالهديّة تعبر عن شيء أو رمز يتصرف اتجاهها الناس على أساس ما تعنيه وتمثله من معاني يتم تداولها عبر عملية تأويل بين الأفراد.

فالهديّة تعتبر فعلا تلقائيا وعفويا بين الأفراد، يصاحبه الشعور بالواجب والمسؤولية، مما يجعله يتخذ الشكل التقليدي المتبادل، والمتمثل أيضا في العطاء والقبول والالتزام بالرد وغيرها، فالهديّة هي ممارسة اجتماعية وثقافية بالدرجة الأولى وهامة حيث ساهمت بشكل كبير في نسج العلاقات الاجتماعية داخل كل جماعة بشرية.

وقد عرفت هذه الظاهرة الإنسانية منذ الأزل، حيث تمثلت هذه الأخيرة في الهدية التي قدمت أو بالأحرى أرسلتها بلقيس ملكة سبأ باليمن إلى النبي سليمان وذلك بغية استرضائه خوفا منها من الحرب وطمعا في السلام.

الفصل الأول: المقاربة المنهجية والمفاهيمية

فالهدايا هي بمثابة رسائل رمزية هدفها هو السعي لإيصال معنى معين بين الأطراف أو الأفراد، والتي عكف الأنثروبولوجيون على دراستها في المجتمعات، حيث عرف البوتلاتش بكونه طقسا اعتمده مترشيحي الزعامة في ميلانيزيا، وذلك من خلال الوهب الذي يصل إلى تدميرهم لثرواتهم على العلن، حيث كانت تلك الهبات والعطايا تبذل من أجل السيادة، كما أن ظاهرة الكولا والتي هي ظاهرة اقتصادية بامتياز وهامة، والتي يتم من خلالها تبادل الثروات خلال سفرات قبائل التروبريانند الأربعة عشر، في شكل هدايا يجلبها الفرد معه لإعطائه لمتعامله في القبيلة الأخرى كنوع من الترابط في العلاقة لأجل توطيدها لتبادل المنافع المادية، والتي ينجر عنها علاقات اجتماعية متنوعة والتي تتمثل بالصورة الكبيرة في علاقات القرابة.

وفي المجتمع الجزائري اتخذت ظاهرة الهدية صورا وأشكالا خاصة انفردت عن غيرها من المجتمعات الأخرى، وأصبحت ممارسة اجتماعية مميزة تظهر في كل مناسبة بمعاني ورموز معينة تؤدي كل منها وظيفة تختلف عن الأخرى، والتي بدورها أدت إلى خلق شبكة من العلاقات اختلفت باختلاف البيئة الثقافية، حيث أن التنوع الثقافي الموجود بالجزائر أفرز العديد من المعان والرموز المتباينة.

كما أن الهدية لا تعطى أو تبذل من دون أي سبب وإنما لها أسباب، منها ما يكون لها مصلحة شخصية ذاتية تكون بين طرفين ويعلمها هما فقط، ومنها أيضا الاجتماعية التي تكون على مرأى من أفراد المجتمع، حيث يتخذ الأشخاص فيها أطرا ومواقيت حسب العادات والتقاليد والاعتقادات المرتبطة بمجتمع معين، والتي تحدد بدورها شكل الهدية وحجمها وكل ما ارتبط بها من أفكار ومعتقدات مرتبطة بها، والتي تتمحور وتتبلور في موضوع البحث المنطوي حول ما تمثله الهدية من دلالات رمزية ومعاني ثقافية، والتي بدورها تبين طبيعة التمثلات والتفاعلات الاجتماعية بين الأفراد وكيف هي في مخيالهم الاجتماعي، وهويتهم الثقافية وكيف تتمثل في إطارهم الاجتماعي.

ومن خلال ما تقدم حول موضوع الهدية بين الدلالات الرمزية والتمثلات الاجتماعية، نطرح التساؤل المحوري للدراسة كالتالي:

- ماهي الدلالات الرمزية والتمثلات الاجتماعية المرتبطة بالهدية؟

الفصل الأول: المقاربة المنهجية والمفاهيمية

وتتفرع عن هذه الإشكالية إلى التساؤلات الفرعية التالية:

- فيما تتمثل ماهية الهدية؟
- ماهي رمزية الهدية ودلالاتها في المناسبات الاجتماعية؟
- ماهي رمزية الهدية ودلالاتها في المناسبات الدينية؟
- وماهي رمزية الهدية ودلالاتها في المناسبات الثقافية؟

رابعاً: مجتمع البحث:

تستند الدراسة على آراء وإجابات أفراد المجتمع المعني بالدراسة حول تبادل الهدايا بين الدلالات الرمزية والتمثلات الاجتماعية، حسب موضوع البحث وإشكاليته، وعليه فإن مجتمع الدراسة يتكون من الأفراد الذين يعيشون أو يقطنون في منطقة الزيبان، وهم من مستويات مختلفة: من حيث المستوى التعليمي، والمستوى الاقتصادي، والجنس، والحالة الاجتماعية، ومن أعمار مختلفة أيضاً، أي الأفراد الذين يمارسون تبادل الهدية في مختلف المناسبات المذكورة حسب موضوعها ونوعها.

وعليه فإن مجال الدراسة اقتضى التركيز على منطقة الزيبان، باعتبارها ولاية سكني، حيث تم التركيز على المجال البشري من خلال أخذ عينة قصدية مكونة من 10 أفراد أو أسر من كل بلدية فيها بين ذكور وإناث.

ونظراً لأن الدراسة الميدانية لا يمكن تطبيقها على جميع مفردات المجتمع الأصلي للظاهرة الاجتماعية المدروسة، وذلك راجع لكونه يعد من الصعوبة دراسته كله خاصة إذا كان هذا المجتمع كبيراً من حيث العدد، وقد يرجع سبب الصعوبة في عامل الوقت، حيث أنه لو استجوب الباحث جميع أفراد المجتمع الأصلي لأخذ وقتاً أطول لاستكمال بحثه، كما أن تكلفة إنجاز هذا البحث ستكون مكلفة جداً لا يستطيع الباحث تحملها، تعتبر هذه الأسباب وغيرها مما جعل الكثير أو الأغلبية من الباحثين والعلماء في هذا المجال يلجأ إلى استعمال عينة قصدية فقط من أفراد المجتمع تكون ممثلة للمجتمع الأصلي تكون مختارة وفق أسس علمية حتى نتمكن من تعميم نتائجها على المجتمع ككل.

الفصل الأول: المقاربة المنهجية والمفاهيمية

وحسب ما سبق وأن ذكر نشير إلى أن حجم المجتمع الأصلي في هذه الدراسة كبير جدا سواءا من ناحية العدد أو المساحة المتواجد عليها، وعليه يتعذر علينا استخدام الأساليب الأخرى لاختيار العينة، نظرا لانتشار وحدات العينة في مساحات جغرافية متشعبة وواسعة، ولأنه من الصعوبة إجراء دراسة تفصيلية لكل وحدات المجتمع، فانه سيتم اختيار العينة القصدية أو المجتمع المدروس بالطريقة المباشرة.

ونظرا لكون دراستنا تتناول موضوع تبادل الهدايا بين الدلالات الرمزية والتمثلات الاجتماعية في منطقة الزيبان، والذي يشهد حضورا كبيرا وظاهرا في مختلف العلاقات والمناسبات الاجتماعية بين أفراد المجتمع محل الدراسة، فقد لجأت إلى استخدام طريقة التركيز على الأفراد الذين يمارسون أو ينتمون ضمن هذه الظاهرة، والتي " تتشكل من خلال اختيار الباحث الأفراد الذين يصادفهم بشكل مباشر وبسيط والذين ينتمون إلى المجتمع الأصلي"¹ هذا من جهة، ومن جهة أخرى اختيار أشخاص معينين يخدمون الموضوع.

وعليه كانت طريقي في اختيار أفراد المجتمع المدروس أن استوجب كل فرد أصادفه حتى أصل إلى العدد المطلوب الذي حددته مسبقا، والذي قدر ب: 300 مفردة من مختلف مناطق الزيبان، هذا العدد الذي تم جمعه لفترات زمنية متعددة لمدة سنتين تقريبا، وبمساعدة بعض الأشخاص القريبين من المناطق البعيدة عني، وذلك بعد أن تم شرح طريقة العمل لهم والهدف من الدراسة والكيفية التي يتم من خلالها طرح وشرح الأسئلة في حالة غموضها لدى المبحوث، وتم توزيع على مناطق المختلفة من منطقة الزيبان وهي:

- الزاب الغربي: ويشمل كل من طولقة، الحاجب، ليشانة، بوشقرون، فوغالة، امليلي، ليوة، الصحيرة، مخادمة، بنطوس، أورلال، أوماش، لغروس، الدوسن، أولاد جلال، سيدي خالد، البسباس.
- الزاب الشرقي: يشمل سيدي عقبة، شتمة، الدروع، مشونش، بنيان، زريبة الوادي، الفيض، زريبة حامد، جمورة.

¹ أحمد عياد، مدخل لمنهجية البحث الاجتماعي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2006، ص118.

الفصل الأول: المقاربة المنهجية والمفاهيمية

ونشير في هذا الصدد أي أن الزاب قديما كان مقسما إلى:

- الزاب الشمالي أو الظهر اوي ويشمل: طولقة، البرج، ليشانة، بوشقرون، فارفار، العامري.
- الزاب القبلي أو الجنوبي ويشمل: امليلي، ليوة، الصحيرة، مخادمة، بنطيوس، أورلال، أوماش، الدوسن، أولاد جلال، سيدي خالد.

وقد قدر عدد الذكور ب: 90 مفردة، في حين بلغ عدد الإناث 210 مفردة، أما عن المستويات التعليمية لأفراد المجتمع وحالتهم الاجتماعية وسنهم ومستوى الدخل فنجدته بالتفصيل فيما يأتي في الجداول المعروضة.

وفيما يأتي عرض توضيحي عن خصائص مجتمع البحث نوجزها في الجداول التالية:

جدول رقم (1) يوضح جنس المبحوثين

الاحتمالات	التكرار	النسبة
ذكر	90	30%
أنثى	210	70%
المجموع	300	100%

التعليق:

يتضح من الجدول أن أغلب أفراد العينة من جنس الإناث والذين بلغت نسبتهم 70 بالمئة مقابل 30 بالمئة ذكور، وهذا يدل على أن جنس الإناث يهتم أكثر من الذكور بظاهرة الهدايا وتبادلها.

الفصل الأول: المقاربة المنهجية والمفاهيمية

جدول رقم (2) يوضح سن المبحوثين

النسبة	التكرار	الاحتمالات
13%	40	30-20
47%	140	40-31
30%	90	50-41
10%	30	51 فما فوق
100%	300	المجموع

التعليق:

كما يلاحظ في الجدول أن أكبر نسبة تم التعامل وإجراء المقابلة معها هي من فئة السن من 31 إلى 40 سنة بنسبة قدرت ب: 47%، وتليها بعد ذلك كل من الفئة 41 إلى 50 سنة بنسبة قدرت ب: 30%، وبعدها الفئة من 20 إلى 30 سنة بنسبة قدرت ب: 13%، وأخيرا الفئة من 51 سنة فما فوق بنسبة قدرت ب: 10%، وهي الأقل نسبة بين الكل.

الفصل الأول: المقاربة المنهجية والمفاهيمية

جدول رقم (3) يوضح المستوى التعليمي للمبحوثين

النسبة	التكرار	الاحتمالات
9%	27	غير متعلم (أمي)
15%	45	ابتدائي
23%	68	متوسط
23%	70	ثانوي
30%	90	جامعي
100%	300	المجموع

التعليق:

مما تم التطرق إليه في الجدول فيما يخص المستوى التعليمي فقد كان أغلب أفراد العينة من ذوي المستوى التعليمي الجامعي بنسبة قدرت ب 30%، وتليه العينة من ذوي المستوى التعليمي الثانوي بنسبة تقدر ب 70% وبعدها مباشرة ذوي المستوى المتوسط بنسبة قدرت ب 68%، ويأتي بعدها أفراد المستوى الابتدائي بنسبة تقدر ب 45%، وهي الأخير تليها عينة الأفراد دون مستوى تعليمي بنسبة تقدر ب 27%.

وهذا ما يؤكد مدى الاهتمام الملحوظ على العينة المتعلمة من الأفراد بظاهرة تبادل الهدايا وخصوصا وبتركيز أكبر على المناسبات المستحدثة من ناحية الاحتفال بها، وهذا لا يعني أنه يقتصر على الفئات المتعلمة فقط، بل حتى العينة ذات المستوى التعليمي المنعدم أو غير المتعلمين أو من لجؤوا لتعليم القرآني، وذلك تمسكا واقتناعا منهم باعتبار التهادي يمثل جزءا هاما من البناء الاجتماعي ويؤدي وظيفة اجتماعية مهمة بين أفراد المجتمع.

الفصل الأول: المقاربة المنهجية والمفاهيمية

جدول رقم (4) يوضح مهنة المبحوثين

النسبة	التكرار	الاحتمالات
23%	70	ربة بيت
14%	43	بطل (ة)
25%	75	موظف (ة)
14%	42	مهن حرة
23%	70	متمدرس أو طالب (ة) جامعي
100%	300	المجموع

التعليق:

بالنسبة للمهنة الخاصة بالمبحوثين من مجتمع الدراسة، حيث توصلنا إلى أن أعلى نسبة كانت من نصيب الموظفين حيث قدرت ب: 25%، وبعدها تليها عينة الأفراد المكونة كلا من ربات البيوت والمتمدرسين أو أصحاب المستوى بنسبة قدرت ب: 23%. وهذا يدل على أهمية موضوع الهدايا وتبادلها بين أفراد المجتمع بصفة عامة وعينة الدراسة بصفة خاصة، وهذا أمر أو شيء طبيعي في المجتمع لأهمية الموضوع هذا في حد ذاته، وبعدها تليها المهن الأخرى باختلاف نسبها.

الفصل الأول: المقاربة المنهجية والمفاهيمية

جدول رقم (5) يوضح الحالة الاجتماعية للمبحوثين

الاحتمالات	التكرار	النسبة
متزوج	155	52%
أعزب	120	40%
أرمل	25	8%
المجموع	300	100%

التعليق:

أما متغير الحالة الاجتماعية فيدل الجدول على أن أغلب المهتمين بظاهرة تبادل الهدايا والذين تم إجراء المقابلة معهم بخصوص هذا الموضوع هم فئة المتزوجين بنسبة كبيرة مقارنة بالنسب الأخرى، حيث قدرت نسبتهم بـ 52% ، وبعدها تليها الفئات الأخرى المتمثلة في فئة العزاب بنسبة قدرت بـ 40%، وفي الأخير فئة الأرمال بنسبة قدرت بـ 8%، وهي التي تمثل الأقل نسبة بحكم ما توفر لنا في مجتمع الدراسة.

الفصل الأول: المقاربة المنهجية والمفاهيمية

جدول رقم (6) يوضح دخل المبحوثين

الاحتمالات	التكرار	النسبة
جيد	70	23%
متوسط	150	50%
ضعيف	55	18%
دون دخل	25	8%
المجموع	300	100%

التعليق:

من الجدول أعلاه يتضح أن أغلب أفراد العينة المدروسة كان من أصحاب الدخل أو الدخل المتوسط والذين قدرت نسبتهم بـ 50%، لتأتي في المرتبة الثانية الأفراد ذوي الدخل الجيد بنسبة قدرت بـ 23% ، وكانت العينة التالية من الأفراد بنسبة قدرت بـ 18% لذوي الدخل الضعيف في المرتبة الثالثة، وتأتي في المرتبة الأخيرة فئة الأفراد بدون دخل بنسبة تقدر بـ 8%.

الفصل الأول: المقاربة المنهجية والمفاهيمية

خامسا: المجال الزماني والمكاني:

إن مجال الدراسة أو البحث هو عبارة عن مكان أجريت فيه الدراسة، وذلك من خلال حصرها في ثلاثة مجالات فرعية وهي: المجال الزمني والمجال المكاني والمجال البشري، وهذه المجالات الفرعية الثلاث هي محل اتفاق معظم المشتغلين والمهتمين بمناهج وأسس البحث الاجتماعي.

1. المجال المكاني (الجغرافي):

لقد اقتضت الدراسة على دراسة موضوع الهدية، من خلال التركيز على الدلالات الرمزية والتمثلات الاجتماعية في منطقة الزيبان، وذلك بالتركيز على بعض البلديات أو الأماكن التي تحتويها منطقة الزيبان.

تقع منطقة الزيبان بالجهة الجنوبية الشرقية من الجزائر، تبعد عن العاصمة ب: 400 كلم، حيث يحدها من:

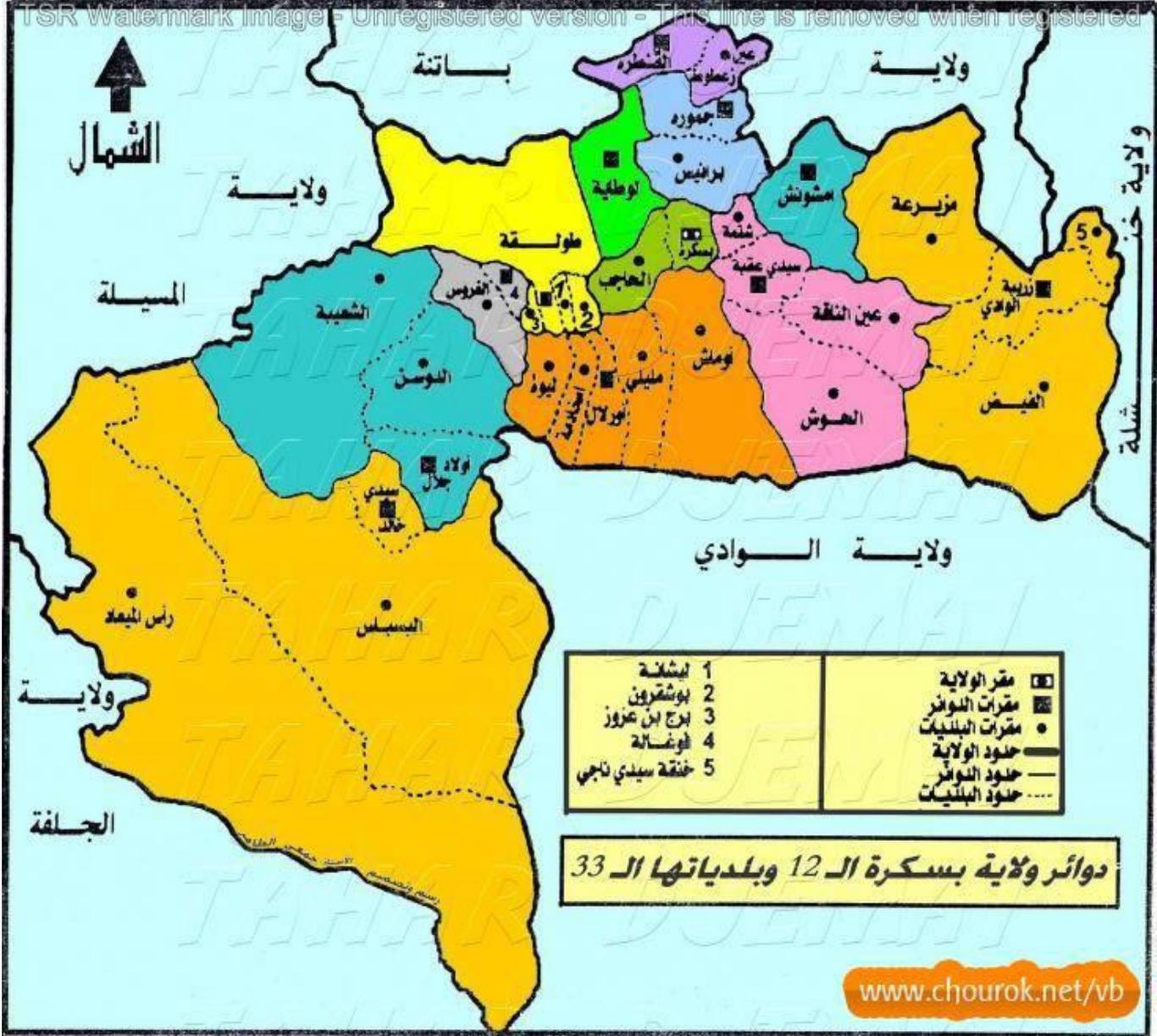
- الشمال ولاية باتنة التي تبعد حوالي: 120 كلم.
- الشمال الغربي ولاية المسيلة ب: 310 كلم.
- الشمال الشرقي ولاية خنشلة ب: 200 كلم.
- الغرب ولاية الجلفة ب: 277 كلم.
- الجنوب ولاية الوادي ب: 220 كلم.¹

تتربع منطقة الزيبان على مساحة إجمالية تقدر ب: 21671 كلم مربع، وتضم 33 بلدية موزعة على 12 دائرة إدارية، يقطنها 633234 ألف نسمة، وبكثافة سكانية بمعدل 28 ساكن بكل كلم. ويقدر تعداد

¹Présentation de la région d'étude, chapitre 1, page 45. [https:// thesis. Univ-Biskra-dz/552/1/di](https://thesis.univ-biskra-dz/552/1/di).
Versite-spécifiques-de-laphidofaune.

الفصل الأول: المقاربة المنهجية والمفاهيمية

السكان المشتغلين ب: 88083 منهم 22902 في الفلاحة و65181 في قطاعات أخرى. وهي بذلك من أكبر الولايات الجنوبية. تلقب ولاية بسكرة بعروس الزيبان وبوابة الصحراء الكبرى.¹



خريطة منطقة الزيبان

¹ ويكيبيديا الموسوعة الحرة// <https://Ar.wikipedia.org/>

الفصل الأول: المقاربة المنهجية والمفاهيمية

2. المجال الزمني:

أما فيما يخص مجال الدراسة الزمني، حيث كان كل هذا في الفترة الزمنية الممتدة من 2020 إلى جانفي 2022. وذلك باعتبار أن المجال الزمني هو الفترة التي أنجزت فيها الدراسة في شقها الميداني، حيث أن بداية النزول إلى الميدان والذي يمثل مقر سكني وإقامتي بحث كان التركيز فيها على الموضوع هذا والاهتمام به كانت منذ سنتين تقريبا من خلال الملاحظات والمشاركة العينية والمكانية لأفراد المجتمع من ناحية، والزيارات الميدانية التي أجريتها لعدد من البلديات أو المناطق في منطقة الزيبان عموما، وذلك لمعرفة الطرق التي يتبناها الأفراد في تجسيد هذا الموضوع، أي طبيعة ممارسة هذه الظاهرة بين أفرادها والخلفية المنطوية وراء ذلك، وكذا إجرائي لعدد من المقابلات المدروسة لمجتمع الدراسة وأفراد العينة المدروسة، والمقابلات العرضية التي تمت مع البعض من عامة الناس من خلال سؤالهم عن الهدية، وغيرها من الأسئلة التي تمت بشكل منظم وعرضي، والتي تدخل كلها في الدراسة الميدانية بشكلها الفعلي والاستعانة بتوزيع دليل المقابلة في شهر جانفي من عام 2020، لتنتهي في شهر أفريل من سنة 2022.

وعليه امتد السقف الزمني الذي استغرقته الدراسة منذ اختيار الموضوع وحتى الصياغة النهائية لها، أي في جانبها النظري والميداني بالفترة الزمنية المذكورة أعلاه، وقد أنجز العمل وفق مراحل جاءت كالتالي:

- مرحلة البحث الوثائقي وجمع المعطيات النظرية حول موضوع الدراسة، التي تلت اختيار الموضوع منذ شهر جانفي. وقامت الباحثة خلالها بجمع مراجع وقراءات من أجل فهم أكثر لموضوع الدراسة وبناءه، وصياغة أسئلة الإشكالية.
- في المرحلة الثانية، تم ترتيب وتصنيف المعلومات من أجل تحرير الفصول النظرية والتي تشتمل الدراسة وتمثل إضافة لها.
- مرحلة صياغة أسئلة دليل المقابلة ثم النزول للميدان. وذلك من أجل طرح أسئلة دليل المقابلة وبداية الشروع في الدراسة الميدانية.
- تمثلت في البداية لجمع المعطيات الميدانية من خلال الملاحظة بالمشاركة باعتبار المنطقة أو مجتمع الدراسة المعني هو مقر سكني وإقامتي، وقمت بزيارة مجموعة من المناطق التابعة

الفصل الأول: المقاربة المنهجية والمفاهيمية

لمجتمع الدراسة لإحداث شمولية أكثر وأكبر بالموضوع، وتحديد مواعيد وإجراء المقابلات، غير أنه وجب التنويه في هذا المقام إلى أن المعطيات الميدانية شرعت الباحثة في تسجيلها منذ اختيار الموضوع، بفضل المشاهدات التي تم تسجيلها عن طريق الملاحظة المباشرة لتسهيل العمل واستغلال الزمن بصورة أكبر.

- آخر مرحلة كانت تنظيم وتحليل المعطيات الميدانية وتحرير الجانب الميداني للدراسة.

غير أن هذه المراحل جميعها تكمل بعضها بعضا ولم تكن بهذا الحزم والترتيب، فكان ذهاب وإياب بين النظري والتطبيقي من أجل التصحيح وسد الثغرات. وتخلل مرحلة البحث انشغال الباحثة بإعداد وتحرير المقال الخاص بالمناقشة لتقديمه للنشر في مجلة علمية محكمة إلى جانب هذا كانت هناك مشاركات في عدد من الملتقيات العلمية سواء على مستوى الجامعة أو جامعات الوطن الأخرى، مما فرض بالضرورة مضاعفة الجهد واستنزاف الوقت لتحضير المداخلات والسفر للحضور والمشاركة.

ترافق الباحث أثناء انجازه لبحثه بمجموعة من المراحل، تبدأ منذ ميله واتجاهه لاختيار البحث في موضوع ما إلى غاية الصياغة النهائية للدراسة. وهو نفس ما مرت به الباحثة في الدراسة بين أيديكم، إذ يعتبر البحث البيبليوغرافي أو الوثائقي والنزول الأولي للميدان من المراحل الأولى المهمة والمالية بعد اختيار موضوع الدراسة، فمن خلال زيارة الباحثة للمكتبات الجامعية ومراكز البحث والمكتبات الخاصة وكذلك المكتبات الإلكترونية تم الحصول على مجموعة من الكتب والمقالات والمحاضرات والملتقيات والمجلات والصحف والحصص التلفزيونية والشرائط الوثائقية..، تحمل معلومات تخدم الموضوع والخاصة بالمجتمع الجزائري وبنائه الاجتماعي، العلاقات الاجتماعية، الثقافة الجزائرية، إضافة إلى إحصاء الدراسات السابقة التي تناولت الهدية كظاهرة للدراسة، والمقاربات النظرية السوسيولوجية والأنثروبولوجية التي تأطر دراسة الظاهرة المطروحة، إضافة إلى ذلك تمت الاستعانة بمجموعة من الكتب والمقالات التي تخص الدليل المنهجي لإعداد الرسائل الجامعية.

كل ما تم جمعه من مادة علمية يشكل قاعدة البيانات التي انطلقت منها الدراسة التي مكنت من استخراج أفكار القسم النظري وصياغة دليل المقابلة من جهة، ومن جهة أخرى توجيه الملاحظة في الميدان بحيث

الفصل الأول: المقاربة المنهجية والمفاهيمية

قامت الباحثة بدراسة مجتمع البحث من خلال الملاحظة بالمشاركة، وهاته الأخيرة ما سهلت طريقة الدراسة كون المنطقة هي مقر سكني وإقامتي، بالإضافة إلى المقابلات المدروسة والتي كانت بالاستعانة بدليل المقابلة والأسئلة المطروحة ضمنه لتسهيل العملية أكثر هذا من جهة، والمقابلات العرضية التي أصافت للموضوع غنا أكثر وتأكيدا للمعلومة.

إن ما شكل ثمرة بناء موضوع هذه الدراسة هو تظافر واجتماع عدة عناصر من جهة الملاحظة العاكسة للواقع الاجتماعي، وكل ما تم جمعه من معطيات كيفية خلال البحث الاستكشافي، ومن جهة أخرى تحليل كل ما تم الاطلاع عليه من أدبيات ودراسات سابقة جمعت حول الموضوع للاستفادة منها نظريا واعتمادها أثناء تفسير وتحليل النتائج الحقلية.

انطلاقا مما مضى ذكره تلاشى الغموض الذي كان يكثف الباحثة حول الموضوع، ليتشكل أليا الإطار المعرفي والمنهجي الذي وجه البحث الميداني في حقل الدراسة من خلال وضع خطة عمل وفق جدول زمني حتى لا يضيع الجهد والوقت.

سادسا: أهداف الدراسة:

لكل بحث علمي أهداف يسعى الباحث إلى تحقيقها، حيث أن البحث العلمي يسعى إلى تحقيق أهداف عامة وموضوعية وذات قيمة ودلالة علمية¹، وهذا البحث يسعى إلى تحقيق جملة من الأهداف، يمكن حصرها في الآتي:

- ليس للباحث الاجتماعي أيّ هدف أسمى من أن يفهم جوانب الظاهرة التي يدرسها، ثم يبرزها لتحقيق الفائدة العلمية وحتى للمساهمة في حلّ المشكلة.
- يهدف البحث الحالي إلى إبراز جوانب الظاهرة المدروسة ودراستها، والتعرف على جوانبها في الواقع.

¹محمد شفيق، البحث العلمي (الخطوات المنهجية لإعداد البحوث الاجتماعية)، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، 1998، ص55.

الفصل الأول: المقاربة المنهجية والمفاهيمية

- معرفة المقصود من الهدية ومختلف العادات والتقاليد والدلالات المرتبطة بهذه العملية.
 - التعرف على الهدية ومدى تأثيرها على العلاقات الاجتماعية.
 - معرفة ما يحكم ظاهرة أو عملية الهدية والتهادي من قواعد ومتطلبات.
 - معرفة تأثير الهدية على العلاقات الاجتماعية.
 - الكشف عن القواعد التي تحكم عملية التهادي من خلال: أشكال الهدية، أطراف عملية التهادي، مناسبة التهادي، العادات والتقاليد المرتبطة بعملية التهادي، وكيفية قبول الهدية وردّها.
 - إن التهادي بين الناس ومنح الهبات والهدايا والعطايا يستهدف أولاً تقوية الإمكانيات المادية وتقديم المساعدات بشكل غير مباشر للشخص المقدم له الهدية نتيجة للمناسبة التي يعيشها أو يمر بها والتي تستوجب إنفاق إضافي في الإنفاق الطبيعي والذي يحتاجه الشخص المهدي له.
 - إن التهادي بين الناس يستهدف توثيق العلاقات الإنسانية بين الناس وتعمل على تنمية المودة وروح المساهمة والتواصل الاجتماعي وصلة الرحم.
 - إن الحكمة السامية من تقديم الهدية هو الحث على التهادي النظيف البعيد عن الأغراض الشخصية والتي تظهر في إزالة الغل وكافة أشكال الحسد فيها تخلية من الرذائل وتطهير من الأحقاد والبغضاء وتحليه بها بالفضائل.
 - تهدف إلى تحقيق الاعتدال في اختيار الهدية وعدم المبالغة في ثمنها باعتبار أن اغلب الأسر ذات دخول محدودة وإن الجزء المخصص للتهادي يكون محدود أيضاً.
- تختص ظاهرة الهدية وتبادل الهدايا مثل أي ظاهرة تتم في إطار المجتمع بجملة من الأهداف التي تسعى إلى تحقيقها والوصول إليها بغية تمتين وتقوية العلاقات الاجتماعية بين أفراد المجتمع، وتحقيق التماسك الاجتماعي والتواصل والتلاحم بين أفرادها.

الفصل الأول: المقاربة المنهجية والمفاهيمية

سابعاً: أهمية الدراسة:

إن عملية التهادي بوصفها شكلاً من أشكال التبادل بين الأفراد شكلت البنى التحتية للمجتمعات البدائية والمعاصرة، حيث ربط الأنثروبولوجيون بين هذه العملية وبين بناء التبادل الدوري للمنافع، فتظهر قيمتها المادية أثر وقوعها في يد مستقبلها، أما بالنسبة لقيمتها الاجتماعية فتظهر على المدى البعيد، مما يشكل آليات التعامل الاقتصادية من جهة ثم تتطور آثارها في سياق المعتقدات السائدة، لتعرج على العلاقات الاجتماعية بالبناء والتوطيد، حيث يظهر ذلك من خلال الصراع والمنافسة في المجتمع.

وفي ذلك يصفها مارسال موس بأنها تمثل ظاهرة دينية وأخلاقية وقانونية واقتصادية وجمالية ومورفولوجية وأسطورية.

ومنه فموضوع الدراسة المرتبط بالهدية، هو بمثابة منظور اثنوغرافي ذا قيمة كبيرة لمعرفة طبيعة المجتمع، وكيف تتمثل هاته الظاهرة في إطاره، باعتبارها ممارسة اجتماعية تحمل العديد من الدلالات والرموز، وتمثل هاته الأخيرة أي الرموز الثقافية للمجتمع وفق ما تتطوي عليه من طقوس وممارسات تسعى للحفاظ على الهوية الثقافية للمجتمع.

ثامناً: منهج الدراسة ووسائل جمع المعلومات:

إنّ العلم يعرف بأنه تفكير يستمدّ الحقائق من مصادرها، فيرتبها ذهنياً يربطها في نسق يمضي بها بشكل يفسّر ما تكون عليه أو تقول إليه.¹ وأهمّ ما يميّز العلم عن أنماط التفكير الأخرى هو المنهج الذي يعرف بأنه: "الطريقة التي يتبّعها الباحث في دراسته للمشكلة لاكتشاف الحقيقة والإجابة عن الأسئلة والاستفسارات التي يثيرها موضوع البحث، وكذلك هو البرنامج الذي يحدّد لنا السبيل للوصول إلى تلك الحقائق وطرق اكتشافها".²

¹ حمداني مادية، رسالة تخرج لنيل شهادة الماجستير بعنوان: ميراث المرأة القبائلية بين التحدي للأعراف والحاجة المادية، تخصص علم الاجتماع الريفي، جامعة الجزائر، السنة الجامعية: 2010/2009، ص14.

² شفيق محمد، البحث العلمي، الطبعة الثانية، المكتب الجامعي الحديث، القاهرة، مصر، ب ت، ص98.

الفصل الأول: المقاربة المنهجية والمفاهيمية

وحتى تصل أي دراسة علمية إلى تحقيق أهدافها من الضروري أن تتبع منهاجا يتلاءم مع إشكالية الدراسة، وعليه نشير في هذا الصدد إلى أن دراستنا الحالية تضم:

1. مناهج الدراسة:

- المنهج الوصفي:

إنّ المنهج الوصفي أو بالأحرى الأسلوب الوصفي هو نوع من الأساليب البحثية، يختصّ بدراسة الظواهر المختلفة، خاصة الاجتماعية منها، ودراسة كيفية توضيح خصائص الظاهرة.¹

وعليه كان استخدامنا لهذا المنهج أو الأسلوب بغرض وصف الظاهرة المدروسة وسرد مختلف مظهراتها وطريقة تجسدها في الواقع. ولأنّ الوصف هو الأساس الأوّل لأيّ دراسة أو ظاهرة أو موضوع. فالمنهج الوصفي يدرس الظاهرة كما تبدو في وضعها الراهن.² باعتباره الطريقة المثلى في الحصول على معلومات وافية ودقيقة تصور الواقع الاجتماعي والذي يؤثر في كافة الأنشطة الثقافية والسياسية والعلمية.³

فالمنهج الوصفي هنا سيكون تحليلي، حيث لا يقتصر البحث فيه على مجرد الوصف، بل يتعداه إلى محاولة فهم الدلالات الرمزية للهدية والتبادلات القائمة بين أفرادها هذا من جهة، ومن جهة أخرى التركيز على إبراز وفهم التمثلات والتمظهرات الاجتماعية القائمة على تبادل الهدايا والعطايا بين الأشخاص في مختلف المناسبات. فالمنهج الوصفي التحليلي "يعدّ أسلوباً من أساليب التحليل المركّز على معلومات كافية عن الظاهرة أو موضوع محدّد خلال فترة أو فترات زمنية معلومة، وذلك من أجل الحصول على المعلومات التي تتطلبها الدراسة كخطوة أولى، ثمّ يتمّ تحليلها بطريقة موضوعية، وما ينسجم مع المعطيات

¹ حمداني مالية، مرجع سابق، ص15.

² العربي بلقاسم فرحاتي، البحث الجامعي بين التحرير والتصميم والتقنيات، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2012، ص127.

³ أحمد عازف العساف ومحمود الوادي، منهجية البحث في العلوم الاجتماعية والإدارية (المفاهيم والأدوات)، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، 2011، ص134.

الفصل الأول: المقاربة المنهجية والمفاهيمية

الفعلية للظاهرة كخطوة ثانية، والتي تؤدي إلى التعرف على العوامل المكونة والمؤثرة على الظاهرة كخطوة
ثالثة".

يستخدم المنهج الوصفي في دراسة الأوضاع الراهنة للظواهر من حيث خصائصها، أشكالها، علاقاتها،
والعوامل المؤثرة في ذلك.¹ وهذا يعني انه يهتم بدراسة حاضر الظواهر والأحداث أي الحقائق الراهنة
المتعلقة بطبيعة الظاهرة أو الموقف أو مجموعة من الأفراد أو الأحداث.²

وتحاول هذه الدراسة الإجابة على التساؤلات من خلال اعتمادها على وصف ظاهرة تبادل الهدايا
والدلالات الرمزية والتمثلات الاجتماعية حولها.³

نشير في هذا الصدد إلى أن دراستنا الحالية تدخل ضمن الدراسات الوصفية، ومن ثم فالمنهج الوصفي
هو المنهج المناسب لهذه الدراسة والذي يعرف على أنه "يقوم بدراسة الظروف أو الظواهر أو المواقف أو
العلاقات، كما هي موجودة في الواقع دون أي تدخل من الباحث، ثم يقوم بعمل الوصف الدقيق والتحليل
الشامل، والتأويل للبيانات الوصفية من أجل التنبؤ بها".⁴

وقد اعتمدت في هذه الدراسة على المنهج الوصفي وذلك من منطلق دراسة ظاهرة الهدية ووصف ما
تحتويه من دلالات رمزية وتمثلات اجتماعية بمنطقة الدراسة. وعلى هذا الأساس استعنت في هذه الدراسة
بناء على المنهج الوصفي أدوات لجمع البيانات تتناسب وطبيعة الدراسة متمثلة في المقابلة والاستمارة
وكذا الملاحظة بالمشاركة وبدون مشاركة.

¹ رابحي مصطفى عليان وعثمان محمد غنيم، **مناهج وأساليب البحث العلمي النظرية والتطبيق**، دار صفاء للنشر
والتوزيع، عمان، 2000، ص42.

² يحيى مصطفى، عثمان محمد غنيم، **مناهج وأساليب البحث (النظرية والتطبيقية)**، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان،
الأردن، 2000، ص42.

³ محمد عبيدات وآخرون، **منهجية البحث العلمي - القواعد والمراحل والتطبيقات**، الأردن، 1999، ص65.

⁴ منسي محمود عبد الحليم، **مناهج البحث العلمي في المجالات التربوية والنفسية**، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية،
2000، ص200.

الفصل الأول: المقاربة المنهجية والمفاهيمية

- المنهج المقارن:

يتمثل في دراسة الطريقة التي كان يتصرف بها الناس في الماضي وتحليل نتائجها على أفعالهم سيمدنا بالتوجيهات للسلوك أو التصرف أو الفعل في الحاضر. وهذا المنهج هو بمثابة دليل في فهم الظواهر.¹

ويركز هذا المنهج من البحوث على مقارنة جوانب التشابه والاختلاف بين الظواهر الاجتماعية، لغرض اكتشاف الظروف التي تصاحب حدوث ظاهرة اجتماعية أو ممارسة معينة، على أن تكون المقارنة في حقبة زمنية واحدة، أو تقوم بمقارنة ظاهرة واحدة في نفس المجتمع في فترة زمنية مختلفة لمعرفة تطورها وتغيرها.²

وكان استعمالنا للمنهج المقارن، لأنّ دراستنا تقتضي منّا ذلك. ونظرا لفعالية هذا المنهج في الدراسات الاجتماعية فقد تناوله من بين العلماء ابن خلدون فيقول: " إنّ على الباحث أن يستخدم المنهج المقارن للمقارنة بين ماضي الظاهرة وحاضرها، وذلك لأنّ أحوال الأمم وعوائدهم تتغير ولا تدوم على وتيرة واحدة ومنهاج مستقر وإنما هو اختلاف على الأيام والأزمنة وانتقال من حال إلى حال ". كما أنّ سان سيمون يقول بأنّ المقارنة هي التي تجعل التجربة الاجتماعية ممكنة لأنه بفضلها تتم التجربة في الأوضاع التي توجد فيها الوقائع الاجتماعية دون تحويل لمجرى هذه الأوضاع أو تغيير لخصائصها.

2. وسائل جمع المعلومات:

إنّ استعمال منهج معين في أيّ بحث يتطلب على الباحث الاستعانة بأدوات ووسائل مساعدة ومناسبة تمكنه من الوصول إلى المعلومات اللازمة لبحثه والتي يستطيع بواسطتها معرفة واقع وميدان دراسته.³

وتعتبر هاته الوسائل إشارات عامة وتوجيهات كلية يهتدى بها الباحث أثناء بحثه وله الحرية في تعديلها بما يتلاءم وموضوع بحثه.

¹ علي عبد الرازق جلبي وآخرون، **مناهج البحث الاجتماعي**، دار المعرفة، قناة السويس، مصر، 2007، ص128.

² معن خليل عمر، **مناهج البحث في علم الاجتماع**، الفصل الثالث، ب ت، ص72.

³ راجي مصطفى عليان وعثمان محمد غنيم، **مناهج وأساليب البحث العلمي**، دار الصفاء، عمان، الأردن، 2000، ص25.

الفصل الأول: المقاربة المنهجية والمفاهيمية

إن بحثاً كهذا تتعدد فيه الأدوات التي تستخدم في جمع المعلومات ومن ثم يستحيل على الباحث أن يستخدم أو يستعين بأداة واحدة ويحصل على معلومات دقيقة وذلك راجع لحساسية الموضوع في بعض جوانبه، وعلى هذا الأساس فقد اعتمدنا في جمعنا للمعلومات على أداتي الملاحظة والمقابلة ثم استخدمنا أداة الاستمارة بالاستعانة بالأداتين السابقتين، وسنعرض الآن كيفية استخدامنا لهذه الأدوات:

- الملاحظة بالمعايشة:

من أهم الوسائل التي يستعملها الباحثون الاجتماعيون والطبيعيون في جمع المعلومات والحقائق من الحقل الاجتماعي أو الطبيعي الذي يزود الباحثين بالمعلومات.¹

تعدّ الملاحظة من بين التقنيات المستعملة في الدراسات الميدانية لأنها تجعل الباحث أكثر اتصالاً بالموضوع. وتعرّف الملاحظة على أنها: "طريقة منهجية يقوم بها الباحث بدقة تامة وفق قواعد محدّدة للكشف عن تفاصيل الظواهر ولمعرفة العلاقات التي تربط بين عناصرها". وهي مشاركة منظمة ومقصودة.² تعتمد على المشاهدة الدقيقة لسلوك أو ظاهرة معينة وتسجيل الملاحظات عنها.³ أي الظاهرة المدروسة من أجل دراستها واستخلاص النتائج منها.⁴

¹ فراس عباس فاضل ألبياتي، علم الاجتماع دراسة تحليلية للنشأة والتطور، دار غيداء للنشر والتوزيع، عمان، 2012، ص46.

² شافا فرانكفورت وآخرون، طرائق البحث في العلوم الاجتماعية، ترجمة: ليلي الطويل، بترا للنشر والتوزيع، سوريا، دمشق، 2004، ص280.

³ برو محمد، الموجه في منهجية العلوم الاجتماعية، الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، تيزي وزو، الجزائر، 2014، ص112.

⁴ محمد مسلم، منهجية البحث العلمي (دليل طلاب العلوم الاجتماعية والإنسانية)، دار الغرب للنشر والتوزيع، ط2، وهران، 2004، ص45.

الفصل الأول: المقاربة المنهجية والمفاهيمية

تعني حصر الانتباه نحو شيء ما للتعرف عليه وفهمه، وهي وسيلة هامة من وسائل جمع البيانات التي تخص الظاهرة موضوع الدراسة¹، فهي أسلوب المعرفة أو الإدراك المحوري.²

ومن هنا كانت الملاحظة وسيلة وأداة جمع البيانات والمعلومات حسب الأحداث المختلفة. وبدورها تعتبر الملاحظة بالمعايشة أفضل وسيلة منهجية، وفي ذلك يقول بواس: إنّه لفهم ثقافة المجتمع لا بد من العيش في المجتمع ومعرفة لغة الأهالي".³

" خلال هذا فإنّ الملاحظة بالمعايشة هي عبارة عن تجربة مزدوجة بين الذات والآخرين، فهي عبارة عن خلق أو سلوك لوضع اجتماعي مؤقت، وهي علاقة مباشرة بين الباحث والمبحوث أو مجتمع الدراسة.

وعليه كان استخدامنا لهذه التّقنيّة بهدف جمع المعلومات وتوفير البيانات عن موضوع البحث. فهي عملية المشاركة بالنشاط الممارس وهو الهدية. فالملاحظة في عين المكان تقنيّة مباشرة للتّقصي تستعمل لمشاهدة مجموعة القرية المحليّة بصفة مباشرة، وذلك بهدف أخذ معلومات كفيّة وكافية من أجل فهم المواقف والسلوكيات، وتكون الملاحظة بوصف صادق للسلوكيات والتّنبؤ بها.

تعتبر الملاحظة وسيلة سهلة وصعبة في نفس الوقت، ونحن لا نعني بها الملاحظة العادية أو الملاحظة العابرة التي يلاحظها الناس يوميا، وإنما نقصد بها الملاحظة العلمية التي تستند إلى مجموعة من الشروط والضوابط، وذلك لأنها تتطلب الدقة في عملية المراقبة ورصد المعلومات ومعاينة الظاهرة المراد دراستها.

وقد استخدمت الملاحظة بالمشاركة من خلال المعايشة باعتباري منطقة الدراسة هي منطقة إقامتي مما سهل علي جمع المعلومات من هذه الناحية. كما استقدت كثيرا من الملاحظة التي اعتمدت فيها على المشاركة مع الآخرين في تجسيدها وتطبيقها، وسجلت ملاحظاتي التي لها علاقة بموضوع الدراسة.

¹ يحي مرسي عيد بدر، أصول علم الإنسان (الأنثروبولوجيا)، ج1، دار الوفاء للطباعة والنشر، الإسكندرية، 2007، ص.398.

² جيامبيترو جوتو، إجراء البحث الاثنوغرافي، ترجمة: محمد رشدي، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2014، ص27.

³ عبد الله عبد الغني غانم، طرق البحث الأنثروبولوجي، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، مصر، 2004، ص103.

الفصل الأول: المقاربة المنهجية والمفاهيمية

- الإخباريون:

إنّ نجاح الدّراسة الميدانيّة يتوقّف إلى حدّ بعيد على حسن اختيار الإخباريّين والتّعاون معهم. فهم يمتلّون حلقة الاتصال بين الباحث والمجتمع طوال فترة الدّراسة.

ويعرّف جريك بايلي الإخباريّين بقوله: " إنّ الأشخاص الذين يسمحون له بالقيام بملاحظة سلوكياتهم يسمّون الخبراء أو الإخباريّين".¹

من بين الأساسيّات في البحث الأنثروبولوجي حسب كبار الأنثروبولوجيون، يتمثّل في استخدام إخباريّين رئيسيّين من هذا النّوع كمصادر للمعلومات على ثقافتهم، فالنّاس يتميّزون فيما بينهم بالنّسبة إلى معرفتهم، وتفسيراتهم لنظمتهم الاجتماعيّة والثّقافيّة. كما يختلف النّاس في اهتماماتهم وقدراتهم على التّعبير اللّغوي، وبالتالي لا يجد الأنثروبولوجي إلّا عددا قليلا من الأفراد يصلحون كإخباريّين ملائميين.

من الطّبيعي أن يميل الباحث إلى هذا الإخباري أو ذاك، ولكن عليه ألاّ يظهر ذلك، لأنّ من شأن ذلك هدم كلّ النّقطة التي تعب الباحث في بنائها بينه وبينهم.²

إنّ الباحث الميداني في إطار استخدامه لهذه التّقنيّة يعتمد على اختيار إخباريّين رئيسيّين كمصادر للمعلومات على ثقافتهم. فالنّاس يتميّزون فيما بينهم من حيث معرفتهم واهتماماتهم، حيث أنّ الباحث يصعب عليه إيجاد إخباريّين ملائميين. وعموما فإنّ النّقطة في الإخباريّين هي مسألة احتمالية.

إنّ طبيعة الموضوع فرضت استخدام هذه النّقطة من خلال معرفة مكان تواجد المعلومة المرجوّة ومجتمع البحث المعني بذلك.

¹ عبد الله عبد الغني غانم، نفس المرجع، ص 117.

² فتيحة محمد إبراهيم ومصطفى حمدي نشواني، مدخل إلى مناهج البحث في علم الإنسان، دار المريخ للنشر، الرياض، المملكة العربيّة السعوديّة، 1988، ص 78.

الفصل الأول: المقاربة المنهجية والمفاهيمية

- المقابلة:

إنّ المقابلة بوصفها أداة للبحث هي حوار يتمّ بين القائم بالمقابلة وبين شخص أو مجموعة أشخاص بهدف الحصول على معلومات حول موضوع معيّن. وتتعلّق خاصّة بالآراء أو الاتجاهات أو السلوك أو المعلومات، فهي عبارة عن أسئلة محضرة سلفاً ومن المتّفق عليه تكون مشاركة المستجوبين إرادية وأن تكون أجوبتهم محاطة بالسّر المهني.

كما أنّ المقابلة تعتبر أداة بحثية تمكّن الباحث من الإجابة عن تساؤلات البحث واختيار فروضه، ويعود سبب استخدامها كونها أكثر مرونة حيث تسمح بملاحظة المبحوث والتعمق في فهم الموقف الذي يستجيب فيه للمقابلة حتى يكون الباحث أكثر واقعية ويجعل المبحوث أكثر تجاوباً.

وتعرف على أنها "عملية اجتماعية صرفة بين شخصين، الباحث أو المقابل الذي يستلم المعلومات ويجمعها ويصنفها، والمبحوث الذي يعطي المعلومات إلى الباحث بعد إجابته على الأسئلة الموجهة إليه من قبل المقابل".¹

استناداً للتعريف السابق نقول أن المقابلة تعدّ احد أهم وسائل جمع البيانات، وذلك لأنها تلزم الباحث بالاحتكاك المباشر مع المبحوث ومعرفة الأفكار التي يؤمن بها ويعتقد فيها والتي تكون لها علاقة بموضوع البحث، بل يتعرف الباحث أيضاً حتى على الأحاسيس والمشاعر التي يحس بها المبحوث اتجاه كل سؤال وذلك من خلال الإيماءات والإشارات التي يراها الباحث على وجه المبحوث، كذلك من خلال تردد المبحوث على الإجابة على الأسئلة أو إلغائها تماماً وهكذا دواليك.

فالمقابلات التي يجريها الباحث مع البعض منهم لا بدّ أن تقوم على أساس من الوضوح والثقة المتبادلة.

ونهدف من خلال استعمالنا لهذه الوسيلة ليس فقط إلى حصر الوقائع بل إلى التّعرف على المعاني التي يمنحها الأشخاص للأوضاع التي يعيشونها. وكان ذلك من خلال وضع استمارة مقابلة أي "دليل العمل الميداني"، حيث أنّ الاستمارة هي قائمة تتضمّن مجموعة من الأسئلة بهدف الحصول على معلومات

¹ أحمد عياد، مدخل لمنهجية البحث الاجتماعي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2006، ص128.

الفصل الأول: المقاربة المنهجية والمفاهيمية

تدور حول موضوع معين¹. ونظرا لطبيعة الموضوع المدروس، فقد تمّ اللجوء إلى استمارة بالمقابلة حتّى يتمّ شرح الأسئلة.

وعليه فإنني في هذه الدراسة قد اعتمدت على المقابلة الموجهة المقننة والغير المقننة من خلال طرح الأسئلة على بعض الناس ومن مختلف الفئات، وقد كان طرح الأسئلة يتم بطريقة تلقائية وبأسلوب الأسئلة المفتوحة لاستدراج المبحوث في الإجابة بكل حرية، بل قد يجيب أحيانا على بعض الأسئلة التي لم نسأله عنها، ومن ثم الاستفادة في هذا الموضوع من حيث بناء أسئلة دليل المقابلة وكذا تحليل البيانات التي تم جمعها.

إن وسيلة المقابلة هذه قد بدأ استخدامها منذ اختياري لهذا الموضوع والبدء في دراسته حيث كنت أسأل أي شخص أصادفه عن مفهومه ونظرتة للهدية وكيفية تبادلها وطبيعة ذلك في حياتنا، وتأييدهم لهذا النوع من الظواهر، وأسباب لجوء مختلف فئات المجتمع لذلك، وغيرها من الأسئلة الأخرى، إنني ومن خلال هذه العملية أمكنني أن أتم إلى حد ما بصلب الموضوع، ومدى تجسيد وفهم هذه الظاهرة، وساعدتني في ذلك تقنية الملاحظة بالمشاركة.

■ الاستمارة (دليل المقابلة):

وتعرف الاستمارة بأنها "نموذج يضم مجموعة أسئلة توجه إلى الأفراد من أجل الحصول على معلومات حول موضوع أو مشكلة أو موقف، ويتم تنفيذ الاستمارة إما عن طريق المقابلة الشخصية أو أن ترسل إلى المبحوثين عن طريق البريد"².

وقد كانت استمارة هذه الدراسة مبنية على محاور حسب ما تم التطرق إليه في إشكالية الدراسة. وقد صمم بناء على الدراسة الاستطلاعية والمقابلات التي استعنت بها في التصميم النهائي لهذا المقياس، وكانت الاستمارة تعتمد على المحور الأول بشكل أساسي والمتمثل في المتغيرات الديموغرافية وهي (الجنس،

¹ محمد علي بدوي، مناهج وطرق البحث الاجتماعي، دار المعرفة الجامعية، الأزارطية، بيروت، 2000، ص383.
² رشيد زرواتي، تدريبات على منهجية البحث العلمي في العلوم الاجتماعية، ط3، ديوان المطبوعات الجامعية المطبعة الجهوية، قسنطينة، الجزائر 2008، ص182.

الفصل الأول: المقاربة المنهجية والمفاهيمية

السن، المستوى التعليمي، المهنة، الحالة الاجتماعية، مكان الإقامة، الدخل) كونها المتغيرات التي نصل من خلالها إلى الفروق بين أفراد العينة حول ظاهرة تبادل الهدايا بين دلالاتها الرمزية وتمثلاتها الاجتماعية.

- أما المحور الثاني فقد خص الهدية والتركيز على ماهيتها بصفة عامة، والتي اشتملت على الأسئلة الآتية لمعرفة نظرة وفكرة الناس وأفراد المجتمع بصفة خاصة حول الهدية وما يربطها من معطيات والمتمثلة في أسئلة عامة حول طبيعة الهدية وأشكالها في المجتمع وما يحكم التهادي من قواعد وعادات متعارف عليها ومبنية عليها وجهات نظر وعليه كانت كالاتي:

- ماذا تمثل لك الهدية؟
 - هل الهدية ظاهرة ايجابية أم سلبية؟
 - لماذا نتهادى؟
 - ماهي أشكال الهدية؟
 - هل هناك تغير في طبيعة ونوع الهدية بين الماضي والحاضر؟
 - حسب وجهة نظرك ماذا يترتب عند الامتناع عن تقديم الهدية؟
 - ماهي القواعد التي تحكم عملية التهادي في المجتمع؟
 - ماهي العادات والتقاليد المرتبطة بعملية التهادي ؟
 - ماهي العبارات التي تقال أثناء إعطاء وقبول الهدية؟
- أما المحور الثالث فقد خص رمزية الهدية ودلالاتها في المناسبات الاجتماعية، والتي انحصرت في مناسبات (الزواج، الأزياد أو الولادة، الختان، النجاح أو التخرج (التهنئة)، الحج أو العمرة، المرض، الوفاة، السفر، الانتقال إلى سكن جديد)، حيث اشتملت على العناصر الآتية:
- ماهي أهم المناسبات الاجتماعية التي تأخذ فيها الهدية؟
 - وكيف يتم ذلك؟
 - هل الهدية مقبولة اجتماعيا؟

الفصل الأول: المقاربة المنهجية والمفاهيمية

- ماهي الهدايا التي تقدمها في مختلف المناسبات الاجتماعية مثل الأعراس والازدياد وغيرها؟
- هل الهدية تقرب الأواصر الاجتماعية؟
- ماهو وقت تقديم الهدية في مختلف المناسبات الاجتماعية ؟
- كيف تقوم باختيار الهدية في مختلف المناسبات الاجتماعية ؟
- وأي المناسبات منها تفضل من ناحية تقديم أو قبول الهدية؟
- ماهي الدلالة الرمزية المرتبطة بالتهادي في مثل هاته المناسبات الاجتماعية؟
- أما المحور الرابع فقد خص رمزية الهدية ودلالاتها في المناسبات الثقافية، والتي تمثلت في مناسبات (رأس السنة الميلادية، رأس السنة الأمازيغية (يناير)، عيد الميلاد، عيد الأم، عيد الحب، الضيافة والاستقبال، التوزيع)، وهذه كلها اشتملت على الأسئلة الآتية:
 - ماهي أهم المناسبات الثقافية التي تأخذ فيها الهدية؟
 - وكيف يتم ذلك؟
 - وهل تبادل الهدايا مقبول من الناحية الثقافية؟
 - وماهي طبيعة الهدايا المقدمة في المناسبات الثقافية؟
 - وأي المناسبات منها تفضل من ناحية تقديم أو قبول الهدية؟
 - ماهي الدلالة الرمزية المرتبطة بالتهادي في مثل هاته المناسبات الثقافية؟
 - كيف تقوم باختيار الهدية في مختلف المناسبات الثقافية ؟
 - ماهو تأثير تبادل الهدايا في المناسبات الثقافية على المجتمع؟
- أما المحور الخامس فقد خص رمزية الهدية ودلالاتها في المناسبات الدينية، حيث تتمثل هاته المناسبات في (عيد الفطر، عيد الأضحى، شهر رمضان الكريم، المولد النبوي الشريف، يوم عاشوراء، أول محرم)، حيث اشتملت على ذكر والإجابة على كل من:
 - ماهي أهم المناسبات الدينية التي تقدم فيها الهدايا؟
 - وكيف يتجسد ذلك؟
 - وهل تبادل الهدايا من ناحية المناسبات الدينية مقبول بين أفراد المجتمع ومجسد؟

الفصل الأول: المقاربة المنهجية والمفاهيمية

- وماهي الدلالة الرمزية الموجودة وراء تبادل الهدايا في مثل هاته المناسبات الدينية؟
- كيف تقوم باختيار الهدية في مختلف المناسبات الدينية؟
- وكيف يؤثر تبادل الهدايا في المناسبات الدينية على المجتمع؟
- وأي المناسبات منها تفضل من ناحية تقديم أو قبول الهدية؟

يعتمد الباحث الأنثروبولوجي على الدراسة الميدانية فيتولى بنفسه معاينة كل شيء وان لا يعتمد فقط على الأخبار والأوصاف التي يحدثه عنها أحد المعرفين ويستند في ذلك على مجموعة من طرق البحث التي تساعده على انجاز الدراسة بكفاءة. والواقع أن قوام البحث الأنثروبولوجي يتمثل في العمل الميداني المكثف، الذي يضطلع به الباحث نفسه ويستخدم فيه طرقا معينة للبحث تتوقف كفاءتها على الأنثروبولوجي ذاته. ومن هنا نلاحظ أن علماء الأنثروبولوجيا لم يكتبوا الكثير عن طرق البحث الميداني بالمقارنة مع ما يكتبه علماء الاجتماع والنفس عن مناهجهم وطرقهم. ومرد ذلك أن العمل الميداني في الأنثروبولوجيا يعتبر عملا شخويا يصعب معه تسجيل قواعد معينة مقننة. وهذا لا يمنع بعض الأنثروبولوجيون من الإشارة إلى عملهم الميداني والأساليب والطرق المتبعة فيه خلال بحوثهم الميدانية.¹

ويتميز العمل الميداني بموقعه وبالطبيعة التي يوحى بها، لكونه ينفذ في مواقع طبيعية²، وقد قام دليل العمل الميداني على مرجعيّات أساسية في النزول للميدان تتمثل في:

1. لم تكن الأبحاث الإثنوغرافية ميزة المدرسة الأنجلو سكسونية فحسب، بل إننا نجد لدى المدرسة الفرنسية تراثا يحتلّ فيه مرسال موس بمؤلّفاته العديدة حجر الزاوية. ف "مارسال موس" عرف بكتابه الشهير في المنهجية " دليل الإثنوغرافيا " الصادر سنة 1974، وهو مجموعة المحاضرات التي ألقاها على طلبته من سنة 1926 إلى 1939 في معهد الإثنولوجيا بباريس. ففي هذا المؤلّف قدّم موس كلّ متطلبات البحث الميداني ذي التوجّه الإثنولوجي بدءا من الملاحظة

¹ علي الكاوي، الأنثروبولوجيا وقضايا الإنسان المعاصر، الدار الدولية للاستثمارات الثقافية، القاهرة، 2008، ص-ص (185-186).

² شاقا فرانكفورت ودافيد ناشمياز، طرائق البحث في العلوم الاجتماعية، ترجمة: ليلي الطويل، بترا للنشر والتوزيع، سوريا، دمشق، 2004، ص279.

الفصل الأول: المقاربة المنهجية والمفاهيمية

ومناهجها إلى كل ما يرتبط بالمجتمعات المبحوثة في مستوى المورفولوجيا الاجتماعية والفيزيولوجيا الاجتماعية والظواهر العامة. فمن خلاله يبيّن موسى آليات التّعامل الإيجابي مع الظاهرة موضوع الدراسة.¹

2. ثم إنّ كتاب « التّحري الإثنولوجي الميداني » ل: جون كوبان، يبيّن لنا بأنّ الميدان هو ميدان وفي نفس الوقت موضوع، وشكل من أشكال التّحقيق، أين يقوم الإثنولوجي بالالتقاء المباشر مع مسائليه. إنّ الإقامة بعيدة المدى والألفة التّقافيّة واللّغويّة تجعلان من الملاحظة بالمشاركة أداة دائمة للسلوك الفردي والجماعي، وخاصّة التّقافة الشّفويّة كوسائل متّصلة للإثنولوجي. فالميدان يتحوّل إلى ذاكرة ويتحوّل إلى نصّ يبيّن كيفية تعامل الإثنولوجي مع العادات والتقاليد للمجتمعات المدروسة.²

3. ومادام الوصف الاثنوغرافي باعتباره كتابة للتّقافات ونشاط لغوي وبصري في نفس الوقت، فإنّ كتاب « الوصف الاثنوغرافي » ل: فرانسوا لابلانتيّن، يبيّن لنا بدوره بأنّ الوصف الاثنوغرافي هو نشاط لغوي وبصري في نفس الوقت، تجربة المشاهدة التي تحاول تكريس معرفة الأنثروبولوجيا بالرجوع المستمر إلى المشاهدة. فالصّعوبة تأتي من أنّ الاثنوغرافيا ليس فحسب لا تفكّك دراسة التّقافات ومشكلة الكتابة، لكن تجعل من العلاقة الناتجة عن ذلك تميّزها. هذا الكتاب الذي يعتمد على التّجارب الميدانيّة المختلفة يحاول مزج أنماط مختلفة للوصف وتقترح التّفكير في هذه المسائل.³

4. أمّا "برونيسلاو مالينوفسكي" فقد أضفى من خلال كتابه « جريدة الاثنوغرافيا ». بعدا ثوريًا على البحث، إذ أولى للميدان وللتّحقيق المباشر مكانة بارزة وهو يتعارض في ذلك مع التّطوريّين، ومع العلماء الكتابيّين ومع إناسة المقاعد الوفيرة.

¹ Marcel Mauss : **Manuel d'ethnographie**, 1926, un document produit en vervation numérique par Jean-Marie Tremblay, professeur de sociologie au cégep de Chicoutimi conviel : jmt-sociologue@videotron.ca.

² Jean Copans : **l'enquête ethnographique de terrain**, ouvrage publié sous la direction de François Singly. Nathan université, 1998.

³ François Laplantine : **la description ethnographique**, ouvrage publié sous la direction de François Singly- Nathan université, Paris, 1996.

الفصل الأول: المقاربة المنهجية والمفاهيمية

5. وما دامت الدراسة الحقلية تمثل منحى جديدا في مجال العلوم الاجتماعية وخاصة الأنثروبولوجيا، فإنّ كتاب « مدخل إلى مناهج البحث في علم الإنسان » ل : فتيحة محمد إبراهيم ومصطفى حمدي الشنواني، يعتبر دليلا منهجيا وعمليا للدراسة الحقلية.¹

6. الصور الفوتوغرافية:

تم الاعتماد على هذه الوسيلة من أجل التوثيق والإثبات الواقعي لظاهرة تبادل الهدايا في المجتمع، وتمثلاتها في بعض المناسبات للتدعيم أكثر للبحث. حيث خصت الصور المعروضة في هذا المجال حول:

- بعض الصور لمنطقة الزيبان.
- صور لبعض الهدايا المتبادلة في حلقة الكولا.
- صور لبعض الهدايا المتبادلة في المناسبات.

¹ فتيحة محمد إبراهيم ومصطفى حمدي شنواني، مرجع سابق، ص190.

الفصل الأول: المقاربة المنهجية والمفاهيمية

تاسعا: تحديد المفاهيم:

يعتبر الإطار المفاهيمي بمثابة الخلفية النظرية التي يعتمد عليها الباحث لكونها تشكل أدوات بحثية تحدد مضمون ودلالة الإشكالية في ترابط عناصرها، ولهذا أصبح من المؤلف في الدراسات العلمية وخاصة السوسولوجية الأنثروبولوجية ضبط المفاهيم في سياق نظري، باعتبار هاته الأخيرة ألفاظ عامة وتجريد للواقع يسمح للباحث أن يعبر بها بعد ذلك عن الواقع.¹

ومن هذا المنطلق نحاول تحديد المفاهيم الأساسية والمساعدة للدراسة كالاتي:

1. الهدية:

لغة: هي

- ما أتحف به، يقال: أهديت له واليه، وأهديت للرجل كذا: بعثت إليه إكراما له، فهو هدية، وجمعها هدايا وهداوى.²
- بعث بالأمر أو الشيء وأتحفه به إكراما وتوددا وجمعها هدايا وهداوى وهداؤ.³
- الهدية من "هدى" وهي مفرد هدايا، هديته الطريق هداية، أي: تقدمته لأرشده، وكل متقدم لذلك هو هاد، والهدية: أي الطريقة والسيرة، والجمع هدي وهدايا وهداوى، و"أهديت" للرجل كذا بالألف: بعثت به إليه إكراما فهو هدية.⁴

¹ محمد الجوهري، عبد الحي الخريجي، طرق البحث الاجتماعي، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، 1990، ص58.

² عماد محمد رضا وآخرون، الهدايا الترويجية التجارية وتخريجها الفقهي وضوابطها الشرعية، دراسات علوم الشريعة والقانون، المجلد 40، ملحق 1، 2013، ص872.

³ المنجد في اللغة والإعلام، دار الشروق، بيروت، لبنان، 1991، ص860.

⁴ عدنان محمود العساف ونادر محمد القضاة، الهدايا الترويجية في المصارف الإسلامية (دراسة فقهية قانونية تطبيقية)، المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية، العدد 4، 1440هـ - 2018م، ص212.

الفصل الأول: المقاربة المنهجية والمفاهيمية

اصطلاحاً: هي

- من أعطى أحداً شيئاً من أجل التودد إليه أو محبته ولا ينتظر منه مقابل. وفي الأنثروبولوجيا بوجه عام ما يقدم للغير من مال أو متاع عن طيب خاطر، وما يقدم للكائنات أو الأماكن المقدسة في المناسبات الدينية لاسترضائها واستعطافها، ويصاحب ذلك ضرب من الشعائر والطقوس لتؤدي الهدية على وجهها، ومن أبرز مظاهر الهدية ما يسمى "نظام الهدايا الملزمة" إذ لوحظ على نطاق واسع عند طائفة من المجتمعات البدائية، وأهم أشكاله وأكثرها انتشاراً البوتلاتش ويتضمن نظام الهدايا الملزمة ثلاث عمليات، أولها تقديم الهدية في مناسبات معينة، وثانيها قبول المهدي إليهم هذه الهدايا، وثالثها ردهم هدايا أخرى أكبر منها قيمة عند حلول مناسبة من مناسبات الإهداء.¹

ويستخدم لفظ الهبة والهدية في معاجم العلوم الاجتماعية والأنثروبولوجية لنفس المعنى، فكلمة "Gift" الإنجليزية أو "Don" الفرنسية، تأتي كمفردات لكلمتي الهدية والهبة دون تفريق، إلا أنه ينبغي علينا التوضيح أن الهبة والهدية ليست بمفردات في جميع اللغات بالنسبة لكلمة الهبة = Gift = Don، وكلمة الهدية = Gif = Cadeau، وبما أننا نبحث في مجتمع يتكلم باللسان العربي، كان لزاماً أن نبين الفروق التي تظهر في استخداماتها، فهي كلها تحمل فعل العطاء والتنازل عن قيمة ما للآخر، أما الأعطية فتشمل الهبة والهدية في المعنى، وهي تملك للآخر بلا عوض غرضها الكرم، أما الهبة فهي نقل حق انتفاع بملكية ما للآخر غرضها المواصلة والود وتكون لفائدة العائلة أكثر من خارجها، كما تكون قيمتها أكبر من الهدية وحتى في استخداماتها في الدراسة فالهبة أشمل من الهدية وأوسع ونقصد بها فعل العطاء بوجه عام، أما الهدية فهي تعني مجموع الأفعال والخدمات أو الأشياء التي يقدمها الشخص لغيره من الناس دون أن يتوقع منهم أن يقدموا له مقابل لها.

¹ إبراهيم مذكور، معجم العلوم الاجتماعية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1957، ص 214.

الفصل الأول: المقاربة المنهجية والمفاهيمية

- هي الأفعال أو الخدمات التي يقدمها الشخص لغيره من الناس دون أن يتوقع منهم أن يقدموا له أي مقابل لها.¹
- الهدية تعتبر رمز أو لغة مشفرة يتم تداولها بين الأطراف المتفاعلة، حيث تحمل معاني ودلالات لا يفهمها إلا المتفاعلون بين الطرفين.
- هي ما يعطى بقصد إظهار المودة وحصول الألفة، وهي أقصر الطرق في تعزيز توطيد العلاقات الاجتماعية بين الناس ومفتاح سحري يلمس القلوب ويولد الوصالا في القلوب ويزرع في الضمير مودة ومحبة.
- يعرفها غودبوت أنها تمثل المجمع العام للعلاقات التي تجمع كل القوى الشخصية التي تعيش في الكون البدائي: الإنسان والنبات والمعادن والآلهة.
- أما فوغان جينيفيف فيرى أنها الوسيلة للحفاظ على المصلحة الذاتية لكل من الأطراف المعنية في التفاعل.²
- ويقول مارسيل موس بأنها إعطاء شيء دون انتظار المقابل.³
- عرف موس الهدية أو المنحة بوصفها تمثل حقيقة اجتماعية كلية تتطوي على مختلف القيم الاجتماعية ذات الدلالات الدينية والقانونية والأخلاقية والاقتصادية.⁴

ومنه فالهدية هي ما يقدم من أشياء أو خدمات من فرد أو مجموعة أفراد إلى شخص أو أشخاص معينين، وهي تمثل أهمية معنوية أكثر منها مادية، فالهدية تحمل العديد من الرموز والدلالات بغية التعبير بها عن ذلك، بحيث تقدم الهدايا احتفالاً بمناسبة معينة، وهي تختلف باختلاف المناسبات. يعرف مارسيل موس الهدية بأنها شيء مادي أو معنوي يحصل عليه فرد ما لسبب من الأسباب، غير أن إعطاء الهدية تعتمد على رغبة الشخص المعطي للهدية بتكوين علاقة عميقة مع الشخص الذي قدمت له

¹ أحمد أبو زيد، البناء الاجتماعي، المكتب الجامعي الحديث، الجزء 2، ص 251.

² مجلة الفرات، يومية سياسية، تصدر عن مؤسسة الوحدة للصحافة والطباعة والنشر، دير الزور سوريا، 2007/05/28.

³ مارسيل موس، علم الاجتماع والأنثروبولوجيا، بحث في الهدايا الملزمة، مرجع سابق، ص 12.

⁴ قيس النوري، مدارس الأنثروبولوجيا، دار الحكمة للطباعة والنشر، بغداد، 1991، ص 341.

الفصل الأول: المقاربة المنهجية والمفاهيمية

الهدية. علما أن الهدية تعمق الصلات الإنسانية بين الأفراد، وفي بعض الأحيان تكون سببا من أسباب قطع العلاقات إذا كان هناك اختلال في التوازن بين الهدية المقدمة والهدية المرادة إلى الشخص الذي قدم الهدية أو الذي بدأ بتقديم الهدية.

أما تعريف ريموند فيرث للهدية في كتابه الموسوم "نحن سكان جزيرة تيكوبيا" فيتحدث عن الهدايا التي تقدم في مناسبات الأفراح والمآتم بين سكان الجزيرة فيقول بأن الهدية هي هبة أو عرض يمنحه شخص معين إلى شخص آخر وهذا المنح إنما يعتمد على أسباب عديدة منها الرغبة في التقرب إلى الشخص الذي عرضت له الهدية أو الرغبة في الحصول على مكاسب مادية منه أو الرغبة في تبادل النساء بين الشخصين أي الشخص الذي قدم الهدية والشخص الذي أخذ الهدية.

علما أن الهدية لها وظائف اجتماعية مهمة لعل أهمها تعميق العلاقات وبالتالي تحقيق التماسك الاجتماعي والتوصل إلى حالة قوة المجتمع لكي يكون قادرا على تحقيق أهدافه القريبة والبعيدة. إن مردودات الهدية كما يقول ريموند فيرث هو أكثر من تكاليفها أي أنها تجلب الفوائد والأرباح للمانح أكثر مما تحمله من نفقات وتكاليف وخسائر. لهذا يكون الميل بين سكان هذه الجزيرة هو إعطاء الهدايا في أثناء المواسم الدينية وفي أثناء المناسبات الخاصة والعامة كمناسبات الأفراح ولاسيما الزواج ومناسبات المآتم كالوفاة مثلا. وصاحب الهدية يتوقع أن ترجع له هديته من الشخص الذي قدمها له أو ترجع له أضعاف قيمة الهدية. غير أن عدم التوازن في قيمة الهدية أو الهدايا الممنوحة ينتج في ضعف العلاقات بين الناس الذين يتعاملون بالهدايا. فان كانت الهدية الممنوحة أكبر من الهدية التي حصل عليها الشخص المانح فان الشخص الأخير لا يتردد عن إضعاف العلاقات مع الشخص الذي أخذ الهدية وأعطى مقابلها هدية أصغر أو هدية ليست ذات قيمة واضحة كما في حالة الهدية التي أعطاها للشخص الأول.

نستطيع أن نقول بأن الهدية هي شيء مادي أو غير مادي يعطيه شخص إلى شخص آخر لغرض. وهذا الغرض يساور الشخص المانح يتوقع من الممنوح رده للهدية أي الحصول على الهدية مقابل هديته أي تبادل الهدايا.

الفصل الأول: المقاربة المنهجية والمفاهيمية

أما التهادي فهي عملية تبادلية بين شخصين أو مؤسستين أو جماعتين، كل شخص أو كل جماعة تقدم هدية إلى الشخص الآخر وتستلم هدية منه حيث أن تقديم الهدايا أو استلام الهدايا يسمى بالتهادي أي الشخص يمنح هدية وشخص يردها إلى المانح.

علما أن قيمة الهدية المانحة والممنوحة ينبغي أن تكون متساوية من حيث الثمن والتكاليف لكي تستمر وتقوى وتتعزيز العلاقات الإنسانية بين الطرفين. وأما إذا كان هناك طرف يمنح هدية أكبر من الطرف الآخر أو يمنح هدية ولا يحصل على أي شيء لقاءها فان هذا يسبب اختلال التوازن بين ما قدمه المانح وما قدمه الممنوح. وهذا يكون سببا مهما من أسباب تراجع العلاقات الإنسانية وتداعيا بين الأشخاص والجماعات. لذا في موضوع التهادي ينبغي أن ينظر كل من المانح والممنوح إلى قيمة الهدية أي ثمنها وتكاليفها وان يردها، أي يرد الهدية بالقيمة نفسها أو الثمن للهدية التي حصل عليها، وإذا حدث هذا فان العدالة الاجتماعية في الهدايا وتقديمها ستتحقق، وهنا تستمر العلاقات الإنسانية بين الأفراد والجماعات وتستطيع المجتمعات أن تحقق درجة عالية من التماسك والتضامن الاجتماعي. وبالعكس ذلك لا يمكن أن تكون للمجتمعات فرصة تحقيق التضامن والتماسك لان الهدايا لم تكن متوازنة من حيث أثمانها وتكاليفها أي أن الهدية التي قدمها المانح أقل أو أعلى قيمة من الهدية التي حصل عليها الممنوح.

وهكذا تلعب الهدايا الدور المهم والفاعل في تعميق العلاقات الإنسانية بين البشر سواء كان ذلك في المجتمع البدائي أم المجتمع المتحضر. ففي جميع المجتمعات سواء كانت بدائية أم متقدمة كما يخبرنا مارسيل موس تؤدي الهدايا دورها المهم في إرساء دعائم العلاقات الإنسانية الوحيدة بين الأفراد والجماعات، وعدم تقديم الهدايا من قبل الأفراد لا يمكن أن ينعف في تنمية العلاقات بين الناس. لذا تؤدي الهدية سواء كانت مادية أم اعتيادية الدور المهم والمؤثر في تعميق الصلات وفي احداث التفاهم والتقارب والتواصل بين الناس بغض النظر عن مستوى التقدم الحضاري والنفسي الذي وصله المجتمع وبغض النظر عن الخلفية الاجتماعية والطبقية التي انحدر منها الشخص.¹

2. الدلالات الرمزية:

¹طاهر حسو الزيباري، النظرية السوسيولوجية المعاصرة، دار البيروني للنشر والتوزيع، 2017، ص - ص (255-257).

الفصل الأول: المقاربة المنهجية والمفاهيمية

- الدلالة:

الدلالة هي أن يلزم من العلم بالشيء علم بشيء آخر، والشيء الأول هو الدال والثاني هو المدلول، فإذا كان الدال لفظا كانت الدلالة لفظية، وإن كان غير ذلك كانت الدلالة غير لفظية، وكل واحدة من اللفظية وغير اللفظية تنقسم إلى عقلية وطبيعية ووضعية.¹

- الرمزية:

- الرمز هو إشارة أو علامة أو مفهوم تعبر عن شيء آخر، ودراسة الرموز مهمة لأنها عامة وتتشرك فيها العواطف والمعلومات والمشاعر التي قد تقوم بوظيفة التماسك الاجتماعي والالتزام الاجتماعي، ومع ذلك فإن لها اعتلال وظيفي يتمثل في صراعات الاجتماعية مثل الرموز المقدسة التي غالبا ما تجدد في كافة الثقافات الإنسانية لان جميع الثقافات تتضمن رموزا خاصة بها.²

- أن الفكرة الرمزية تمثل تذكر بشكل ما مواقف التكيف، مع أنه يضع التوافق الحالي جانبا ويستثني إدراك الذات ووعي العمليات التمثيلية التي تعطيه إلى حد ما محتواه الدلالي. ونستطيع القول معتمدين على نظرية كورت ليوين بأن الرمز هو دائما نتاج المتطلبات العضوية-النفسية ضمن محيط مادي واجتماعي. هذا النتاج هو ما أسميناه المسار الأنثروبولوجي لأن تعاكس التعبير هو خاصية للنتاج وللمسار.³

- الرمز هو ظاهرة مادية تمثل شيء ما أو منتج مادي أو مجموعة من الأصوات يضيف عليها مستخدموها معنى معيناً، ويكون هذا المعنى جزافياً، بمعنى أنه لا توجد علاقة حتمية لازمة بينه وبين

¹ جميل صليبا، المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، 1982، ص563.

² معن خليل عمر، معجم علم الاجتماع المعاصر، دار الشروق للنشر والتوزيع، ط2، 2006، ص406.

³ جيلبير دوران، الأنثروبولوجيا رموزها أساطيرها أنساقها، ترجمة: مصباح الصمد، ط3، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، 2006، ص 21.

الفصل الأول: المقاربة المنهجية والمفاهيمية

الخصائص المادية للظاهرة التي يعبر عنها، ومن الضروري لكي نفهم الدور الذي يلعبه السلوك الرمزي في نشأة الثقافة واستمرارها أن نكون على بينة من طبيعة الرموز نفسها.¹

- والرمز مفهوم عام يشمل الأصوات والكلمات والإرشادات والحركات التي تمثل حقائق ترتبط بمفاهيم لا علاقة عضوية بينها وبين الرمز. والإنسان هو الكائن الوحيد الذي يفهم الرموز ويستجيب لها. وتولي الأنثروبولوجيا الحديثة الرموز أهمية خاصة لأنها تصور البناء الاجتماعي والعلائق الاجتماعية لدى الشعوب، كما تمثل أساليب تفكيرها وتصور مشاعرها.² فالرمز هو الإشارة المادية لوظيفة معنوية.³

- الرمز الذي يشير إلى الموضوع أو الشيء المشار إليه، على أساس من قانون أو قاعدة أو عادة أو اتفاق أو ارتباط في التصورات والأفكار، على أنه يعني ذلك الشيء.⁴

يحيل إلى الشيء الذي يشير إليه بوساطة قوة القانون الذي يحدد تأويل الرمز في إحالته إلى الشيء المعني.⁵

- الرمزية هي إدراك أن شيئاً ما يقف بديلاً عن شيء آخر، أو يحل محله أو يمثله بحيث تكون العلاقة بين الاثنين هي علاقة الخاص بالعام.⁶

يستعمل الوصف "الرمزي" للدلالة على مختلف جوانب الحياة الاجتماعية. يقوم كتاب موس الشهير (Essai sur le don) على تصور للرمزية الاجتماعية يشدد على المؤثرات الاجتماعية للوظيفة الرمزية.

¹ عدنان أبو مصلح، معجم علم الاجتماع، دار أسامة للنشر والتوزيع ودار المشرق الثقافي، الأردن، عمان، 2006، ص262.

² شاكر مصطفى سليم، قاموس الأنثروبولوجيا إنكليزي-عربي، ط1، جامعة الكويت، 1981، ص943.

³ فريدريك معتوق، الموسوعة الميسرة في العلوم الاجتماعية، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، لبنان، 2012، ص81.

⁴ السيد حافظ الأسود، الأنثروبولوجيا والفلكلور ومناهج التحليل الرمزي، المأثورات الشعبية، العددان 53/54 يناير وابريل، 1999، ص10.

⁵ اوزوالد ديكر وجان ماري سشايبر، القانون الموسوعي الجديد لعلوم اللسان، ترجمة: منذر عياشي، المركز الثقافي العربي، 1972، ص236.

⁶ فيليب سيرنج، الرموز في الفن-الأديان-الحياة، ترجمة: عبد الهادي عباس، دار دمشق، دمشق، سوريا، 1992، ص5.

الفصل الأول: المقاربة المنهجية والمفاهيمية

ودوركايم يشدد على أن المجتمع من أصل رمزي (جوهره الرمز)، وأن الحياة الاجتماعية هي أساس نشاط الإنسان العقلاني.¹

- يعتبر الأنثروبولوجيون الرموز مقولة ثقافية ويهتمون بدراسة الرموز. وقد ظهر منذ القرن الماضي علماء كبار أسهموا في هذا المجال إسهامات كبرى ووضعوا الخطوات الأولى لمن يليهم نحو دراسة الرموز والعلامات الرمزية وتقديم تفسيرات مقنعة تستند إلى نتائج التجربة، وساهم في اغناء ذلك ما صادفته دراسات أخرى حول علم العلامات ونظرية الاتصال من نجاح وتقدم وتفرعت دراسة الرموز إلى دراسة "رمزية الأفراد" و"رمزية الجماعات" وتأثير كل ذلك على أعضاء الجماعة أو المجتمع والعلاقة بين الرمز والعاطفة الدينية والمجتمع وكان من أبرز من اهتم بذلك دوركايم في دراسته لرموز وشعائر الطوطمية لدى سكان أستراليا الأصليين وقد أوضح في دراساته العلاقة بين الرمز والعاطفة الدينية والمجتمع وان العلاقة بين الأشياء المقدسة علاقة رمزية وليست علاقة طبيعية أو فطرية، وأنه بدون الرموز تكون الشعائر الدينية عرضة للضعف والزوال وأن الحياة الاجتماعية بكل مظاهرها وفي كل لحظة من لحظات تاريخها تحتاج إلى هذه الرمزية الواسعة حتى تستثمر في الوجود.²

ومنه فالدلالة الرمزية تعني ما يحمله الفعل أو الشكل من معنى معين يجسد تعبيراً معنوياً تمثل في شيء أو شكل مادي على الغالب، وهي تمثل الدلالة على ما وراء المعنى الظاهري. إن الصورة هي تمنح للعالم طابعا رمزياً يمكنه بوساطتها الدائمة والحركية من أن يغدو عالماً محسوساً لا ينتكر لمحسوسيته. فالصورة تعمل عمل الرمز.³

¹ خليل أحمد خليل، المفاهيم الأساسية في علم الاجتماع، دار الحداثة، بيروت، لبنان، 1984، ص 110.

² فيليب سيرنج، الرموز في الفن-الأديان-الحياة، ترجمة: عبد الهادي عباس، دار دمشق، سورية، 1992.

³ فريد الزاهي، الصورة والآخر رهانات الجسد واللغة والاختلاف، دار الحوار، سوريا، 2013، ص134.

الفصل الأول: المقاربة المنهجية والمفاهيمية

3. التمثلات الاجتماعية:

لغة:

- التمثل في اللغة العربية مشتق من مثل، يمثل، مثولا، ومثل التماثيل أي صورها ومثل الشيء بالشيء أي شبهه به، وكذلك من تمثل تمثيلا، وتمثل الشيء له بمعنى تصور له وتشخصه، كقوله تعالى: " فأرسلنا لها روحنا فتمثل لها بشرا سويا" سورة مريم آية (17)¹.

ويمثل بالشيء: أي ضرب مثلا، وتمثل به: تشبه به، فالتمثيل التمثل متقاربان وهما يشتركان في أمرين: حضور صورة الشيء في الذهن، والآخر قيام الشيء مقام الشيء.

- يقابل مصطلح التمثلات الاجتماعية في اللغة الفرنسية ويقصد بها إحضار الشيء ومثوله أمام العين أو الذهن إما بواسطة الرسم أو النحت أو اللغة، أي أن سيرورة التمثل في الذهن تستدعي لزوما حضور متمثل².

- أما ابن منظور فيقول: " التمثل من الشيء أي تصويره حتى كأنه ينظر إليه، وامثاله أي تصويره، ومثلت له تمثيلا إذا صورت له مثالا بكتابة أو غيرها"³.

- فالتمثل هو تكيف عنصر ثقافي أو ثقافة بأجمعها مع مركب ثقافي أو ثقافة أجنبية، وذلك بشكل كامل ومن طرف واحد.⁴

¹سورة مريم، الآية (17).

²دهلاس جنيفر، "المراهق والهاتف النقال التمثل والاستخدامات دراسة على عينة من المراهقين في ولاية الجزائر العاصمة"، جامعة الجزائر3، الجزائر، 2009-2010، ص23.

³ابن منظور، لسان العرب، دار المعرفة، بيروت، ط1، 1988، ص437.

⁴ ايكة هولتكرانس، قاموس مصطلحات الإثنولوجيا والفولكلور، ترجمة: محمد الجوهري وحسن الشامي، الهيئة العامة لقصور الثقافة، 1972، ص153.

الفصل الأول: المقاربة المنهجية والمفاهيمية

اصطلاحاً:

- لا يقتصر التمثل الاجتماعي على تصور الأفراد الذين يكونون المجتمع، فهو يتكون من مجموعة ظواهر نفسية واجتماعية تقتضي عزل الجانب الفردي عن الجانب الاجتماعي، والتمييز بين الجانب الإدراكي والجانب العقلي للعمل الجماعي¹.

- وهي شكل من أشكال المعرفة الفردية والجماعية تختلف عن المعرفة العلمية، وتحتوي على معالم معرفية ونفسية واجتماعية متفاعلة فيما بينها، والتمثلات تهدف إلى إعادة إنتاج الواقع الاجتماعي المعاش².

- ويعرفها دوركايم على أنها طبقة واسعة من الأشكال الذهنية (العلم، الدين، الأساطير..) والأفكار والمعارف بدون تمييز، والمصطلح مشترك بين عدة علوم اجتماعية (علم النفس، علم الاجتماع، الأنثروبولوجيا)، وأخذ أهمية قصوى في علم النفس الاجتماعي خاصة مع العالم الفرنسي فموسكوفيتسي S.Moscovici الذي يعرف التمثلات بأنها منتج للفكر الإنساني وسيرورة بواسطتها يتحرك الفرد في محيطه³.

- وقد عرف هذا المفهوم مداه مع دوركايم وتطور فيما بعد مع عدد من الباحثين أمثال "دانيس جوليه" الذي اعتبر "بأن التمثلات الاجتماعية لها قدر كبير من الأهمية في حياتنا باعتبار أنها تعطي معنى لأفعالنا وتصرفاتنا⁴.

- فالتصورات هي جملة الأفكار والانطباعات التي يصوغها الفرد انطلاقاً من هذه الأحداث والمواقف التي تمكنه لاحقاً من التواصل مع غيره ومن اتخاذ القرار والموقف أو الاتجاه المناسب ويتم ذلك بالرجوع

¹ مليكة جابر، "التمثلات الاجتماعية للطلبة الجامعيين (ما بعد التدرج) لفرص العمل بعد التخرج"، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، العدد 18، 2015، ص 17.

² حسان محمد الحسن، معجم علم الاجتماع، بيروت، ط2، 1986، ص 38.

³ JODLET Denis, **Les Représentations sociale**, P.U.F, Paris, 1989, P450.

⁴ Denis jadelat ; **représentation sociale**, phénomène conopt, théorie ; puf 2^{ème} ex paris, 1984, p22.

الفصل الأول: المقاربة المنهجية والمفاهيمية

إلى منظومة القيم السائدة في مجتمعه وإلى طبيعة وخصائص الجماعة التي ينتمي إليها الفرد والتي عادة ما تكون أنظمتها وقوانينها مجال اتفاق بين أفرادها فهي مرجعه في الحكم على موضوع أو شخص أو علاقة.¹

- يرى موسكوفيشي بأنها جوهر المعرفة لاعتقاداتنا الدينية، ولأيديولوجيتنا السياسية والاجتماعية، ولنظمتنا الخلقية ولنظرياتنا العلمية المشتركة والمحددة في ضوء الأطر الاجتماعية المحيطة بنا.²

- وهناك من يرى أن التمثل الاجتماعي لا يعدو أن يكون معنى رمزي تتجلى رمزيته في المدرك الذي تم تمثله وبالتالي استبطانه من خلال هذه العملية التفاعلية فالذات حسب راوكات ترمز موضوعها من خلال تأويله وإسناد معنى له هو الأكثر بدهاة في التمثلات الاجتماعية بينما يتجاوز جون كلود بريك هذا المعنى معتبرا أن كل حقيقة هي موضوع تمثل الفرد أي أنه أصبحت جزءا من تمثله ورؤية سواء تعلق الأمر بالفرد أو المجموعة، هذا التمثل يتم بناؤه ضمن سياق معرفي ثم يقع إدماجه ضمن منظومة القيم الفردية أو الجماعية التي يساعدها في تشكيلها تاريخ الفرد أو الجماعة أو السياق الاجتماعي والأيدولوجي الذي تنزل فيه.³

- ويصنف التمثل الاجتماعي من خلال التعريف الوارد في قاموس علم النفس ل نوريبار ستيلاني بأنه فكرة تمثل فعلا يصبح حاضرا في الذهن فالتمثل ليس مجرد تمثيل للواقع وإنما بناءا لنشاطاتنا الذهنية. وهذه الأنشطة الفكرية هي التي ستمكننا من إعادة تشكيل الواقع عن طريق إعادة تشكيل المعطيات في إطار القيم والقوانين والمبادئ لتصبح بذلك التمثلات الاجتماعية عبارة عن شكل من المعرفة المتداولة والحس المشترك.⁴

¹Moscovici serge ; **psychologie sociale et puf**, paris 1992, p360.

²بشرى عناد مبارك، "التمثيلات الاجتماعية وعلاقتها بالتوجه نحو السيادة الاجتماعية لدى المنتمين للأحزاب السياسية"، العدد 51، مجلة الفتح، أيلول لسنة 2012، كلية التربية الأساسية، جامعة ديالى.

³Jean Claude abris : **pratiques sociales et représentation**, puff 2éme ed paris, 1997, p17.

⁴Norbert sillany , **dictionnaire usuel de psychologie**, paris, 1980, p315.

الفصل الأول: المقاربة المنهجية والمفاهيمية

- تعتبر التمثلات الاجتماعية واقعا فريدا من نوعه يدل على رسوخ بنية الوعي الجماعي وطابعه الاستعلائي، أو آلة تصنيف الأشخاص والتصرفات، أو هيئة وسيطة بين الأيديولوجيات والممارسات، أو شكلا خاصا لفكر رمزي له قواعد تشكيل وانتشار خاصة به.¹

- تعرف على أنها صيرورة إدراكية وذهنية يتم بواسطتها إعادة بناء للواقع من خلال المعلومات والمعارف التي تلقاها الفرد طيلة تاريخ حياته والساكنة في ذاكرته حيث يستحضرها من خلال علاقة مع الأفراد والجماعات.²

- ويعرفها موسكوفيتشي بأنها عبارة عن نظام قيمي وفكري وممارساتي يعطي للأفراد إمكانية توجيه محيطهم الاجتماعي، كما أنها تضمن لهم التواصل بين بعضهم البعض.³

ومنه فالتمثلات الاجتماعية هي مجموع الأفكار والتصورات والمعتقدات التي يتبناها المبحوثين، والتي من خلالها تتجسد فكرة تبادل الهدايا بين الأفراد والمجتمعات كل وفق عاداته ومنطقاته، التي تعكس الصورة بين طرفين أو جماعتين وفق ما هو متعارف عليه.

¹ أجيل فيريول، معجم مصطلحات علم الاجتماع، ترجمة وتقديم: أنسام محمد الأسعد، دار ومكتبة الهلال، بيروت، 2011، ص153.

² René Kaes, *Image de culture chez les ouvriers français*, Indiction paris, 1968, p15.

³ سومار عبد القادر، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في الفلسفة، "المخيال الجماعي والتمثلات الفكرية"، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم الفلسفة، جامعة جيلالي لباسي، سيدي بلعباس، السنة الجامعية: 2015/2016.

الفصل الأول: المقاربة المنهجية والمفاهيمية

4. تبادل الهدايا:

- يتضمن مفهوم التبادل الاجتماعي علاقات تقوم على تبادل منافع وخدمات مادية ومعنوية، يحاول كل طرف فيها تعظيم مكاسبه وتقليل التكلفة. وبهذا يفهم السلوك ويفسر في ضوء المكافأة والتكلفة، وبمقارنة التكلفة بالفائدة.¹

- وهو ظاهرة اجتماعية كلية أو شاملة، وذلك بمعنى انه يمثل نشاطا له معانيه المتضمنة السارية في كافة مجالات المجتمع.²

- ومنه فتبادل الهدايا ينطوي على معايير ومعطيات مستقاة من عادات ومعتقدات أفراد المجتمع المعني بالظاهرة بصفة عامة، والمجتمع المدروس بصفة خاصة، في إطار تمثلات مجتمعية تعكس المناسبة وطبيعتها.

- تبادل الهدايا بين أفراد المجتمع يعد من الأمور التي تؤثر إيجابا على النفس وتدعم أواصر الألفة فيما بينهم فهي عربون وفاء أو رد جميل ورسالة تحوي كلمات الحب والاحترام والصدقة والاعتذار والشكر والثناء والعرفان. كما أنها عملية اجتماعية مهمة تقوم على التبادل والتواصل بين الأفراد والمجتمعات تتضمن العطاء والمنح ولها دور مهم في توطيد أواصر المحبة وتنمية مشاعر الود بين الأهل والأصدقاء.

رغم ما لتبادل الهدايا بين الأفراد من تأثير نفسي قوي إلا أنها تعد بمثابة ثقافة غير متعارف عليها وسط بعض المجتمعات، حيث إنها تكاد تكون محصورة وسط فئات بعينها ولا يوليها العامة الاهتمام إلا أنها بشكل عام متعارف عليها وسط الفتيات أكثر من الرجال، وهذا ما ينعكس تأثيره من خلال:

¹ فهمي جدعان، حصاد القرن: المنجزات العلمية والإنسانية في القرن 20، العلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد 3، مؤسسة عبد الحميد شومان، عمان، الأردن، 2007، ص 39.

² سمير خليل، دليل مصطلحات الدراسات الثقافية والنقد الثقافي، دار الكتب العلمية، مراجعة وتعليق: سمير الشيخ، بيروت، لبنان، 2016، ص 46.

الفصل الأول: المقاربة المنهجية والمفاهيمية

- إن الهدية تعد من الأشياء التي تبعث داخل نفس الفرد الإحساس بالفرح والألفة تجاه الآخر لأنها تعبر عن اهتمام الطرف الآخر وتقييمه لشخصك وهو ما يعتبر دافعا للرد بالمثل.
- ارتبط تقديم الهدية في أذهان العديد بالمناسبات رغم أن أي شخص يمكن أن يسعى لخلق المناسبات التي تقربه من الآخرين ويعمد إلى تقديم الهدايا المناسبة لهم بغض النظر عن نوعها بغية إدخال السرور والغبطة إلى نفوسهم وتوطيد أواصر الألفة.
- إن أبسط أنواع الهدايا التي يمكن أن تؤثر إيجابا في الآخرين هي الورود باعتبارها أبسط لغة وأعمق تعبير، ورغم أن البعض يربطها بالمحبين فقط إلا أنها يمكن تبادلها بين الأصدقاء أيضا.

الفصل الأول: المقاربة المنهجية والمفاهيمية

- خلاصة الفصل:

يعتبر المدخل المفاهيمي والمنهجي القاعدة التي ينطلق وينبني عليها موضوع البحث، من خلال الوقوف على أهم النقاط التي تعطي للموضوع المصادقية والمنهجية العلمية الصحيحة في تناول حيثياته في باقي العناصر المدرجة.

حيث أن المفاهيم والمصطلحات العلمية تشكل مجموعة الوسائل الرمزية التي يعتمد عليها الإنسان في التعبير عن المعاني والأفكار بغية توصيلها للآخرين، وغالبا ما تعبر عن الصفات المجردة التي تشترك فيها الأشياء والظواهر والحوادث، سواء أكانت طبيعية أم اجتماعية.¹

أما فيما يخص الدراسات المجتمعية والمنطوية على نمط الجماعة وتعارف المجتمع في تجسيد مواضيعه المختلفة، وباختلاف هاته الدراسات المجتمعية التي تتطلب القيام أو التركيز على البحث الميداني في دراستها وبلورة معطياتها ومتغيراتها حسب طبيعة الدراسة، حيث أن هاته الأبحاث الميدانية تمثل العنصر الأساسي في تحليل مختلف المواضيع والظواهر الاجتماعية والإنسانية المنطوية حسب موضوعها وزمان ومكان حدوثها وتطبيقها.

تم الاعتماد على الدراسة الحقلية والمعاشة خلال فترة من الزمن، حيث تطبيق هذه المقاربة في دراسة ظاهرة تبادل الهدايا في المجتمع المدروس من خلال استخدام الوصف الاثنوغرافي عن طريق المقابلة والملاحظة بالمشاركة، والاستعانة بالمقاربات والإرث الأنثروبولوجي حول ثقافة المجتمع المدروس موضوع تبادل الهدايا. وحسب طبيعة هاته الدراسة والتي فرضت علينا دراسة ميدانها والتعرف عليه عن طريق تطبيق واستخدام تقنيات البحث الميداني بما يحتويه من ملاحظة ومقابلة كتقنيتين أساسيتين في الدراسة، بغية تحصيل وجمع المعلومات والمعطيات حول موضوع الدراسة بأكبر قدر ممكن لفهمه، هذا من جهة التقنيات.

¹ عدلي أبو طاحون، في التغيير الاجتماعي، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، 1997، ص42.

الفصل الأول: المقاربة المنهجية والمفاهيمية

ومن جهة أخرى الاستعانة باستخدام طريقة المقارنة، باعتبار هاته الأخيرة تقدم مقارنة وتبين الفرق بين طبيعة الهدية المقدمة وتبادلها في الماضي، وبينها أيضا في الحاضر أو الوقت الحالي بكل ما يحتويه من معطيات.

فاختيار المنهج مرتبط بخطة البحث وموضوعها. فموضوع الدراسة هنا يعتمد على تبني المنهج الذي يوضح الظاهرة المدروسة كما كانت في الواقع من خلال الوصف الدقيق لها والتعبير عنها بطريقة كيفية حسب أهداف الدراسة المسطرة.

فمن خلال هذه المقارنة تم الاعتماد على المنهج البنائي الوظيفي لفهم الظاهرة المدروسة من خلال النظام الاجتماعي القائم عليها، وباعتباره يمثل جزءا من المجتمع.

الفصل الثاني

الفصل الثاني: الهدية بين تعدد الأطر النظرية وتعدد القراءات

- تهديد

أولاً: الهدية: النشأة والتطور

ثانياً: دراسة الهدية لمارسيل موس

ثالثاً: النظرية التفاعلية الرمزية

رابعاً: النظرية البنائية الوظيفية

خامساً: نظرية الرأس مال الرمزي (الممارسة العملية)

سادساً: النظرية التبادلية الاجتماعية

سابعاً: نظرة المجتمع للهدية

- خلاصة

الفصل الثاني: الهدية بين تعدد الأطر النظرية وتعدد القراءات

تمهيد:

تتعدد النظريات العلمية لتفسير ظاهرة معينة، حيث أن تبني الباحث للنظرية أو النظريات التي تخدم موضوعه لها من الأهمية ما يجعل الموضوع مدروس بطريقة صحيحة ووفق أسس علمية مدروسة، حيث تمثل الإطار الذي يحدد للباحث كيفية دراسة الموضوع من خلال تحديد المنهجية العلمية الصحيحة، من خلال المعطيات الميدانية بصفة خاصة والنظرية التي يدور حولها الموضوع المدروس بهدف الوصول إلى الغاية المقصودة من الدراسة وفق الخطة الموضوعية.

فتتعدد المقاربات الأنثروبولوجية في تفسير ظاهرة التهادي أو تبادل الهدايا، يرجع إلى اختلاف وجهات النظر في تفسير الظاهرة المدروسة، ووفق ثقافة المجتمع المدروس، باعتبار أن لكل منها خصائص ومميزات تكمن وراء موقعها الجغرافي وطبيعة السلوك الإنساني الممارس فيها.

الفصل الثاني: الهدية بين تعدد الأطر النظرية وتعدد القراءات

أولاً: الهدية: النشأة والتطور

الهدية هي تعبير عن الحب والتقدير، لم ينفك الإنسان عن العطاء منذ بداياته الأولى. يقال أن إهداء الهدايا هو من أقدم الممارسات البشرية على الإطلاق، وأن تاريخ هذه العادة الكريمة يعود حتى إلى ما قبل نشأة الحضارات، بل وقد يصل إلى عصر الإنسان البدائي. ومن هذا نأخذ مقتطفات من كل حضارة، والتي تتمثل في:

- الإنسان البدائي:

تماشياً مع التطور البسيط للإنسان حينها، أخذت هداياه أشكالاً بدائية في العصور الحجرية: فقد قدم أسنان الحيوانات وقرونها والأحجار كهدايا لمن يحب، قبل أن يتطور ليحفر نفس هذه المواد وغيرها من موارد طبيعية ليصنع بها سلاسلًا ويهديها للبس والزينة.

- حضارة سومر:

ومع ولادة الشعوب والحضارات التي واكبها النمو المعرفي والاجتماعي للمجتمع البشري، بدأ الإنسان بالتقن في الهدايا. منذ حضارة سومر في بلاد الرافدين وهي أقدم الحضارات عمراً، وثقافة الهدايا لم تتوقف، تبادل السومريون الهدايا بين بعضهم بعضاً، وأهدوا قرابيناً لألهتهم، وقدموها أيضاً للشعوب الصديقة لهم كرموزاً للتحالف. أما أشهر هداياهم فكانت وليدة المنتجات التي برعوا فيها وهي المنسوجات كالألبيسة والصوف والسجاد وغيرها. يعتقد وحسب الأدلة الأثرية أن حضارة سومر بدأت في الألفية السادسة قبل الميلاد، واستمرت حتى اقتراب الألفية الأولى قبل الميلاد. وتقول المصادر أن السومريين بدأوا أيضاً بإنتاج الذهب والمجوهرات وإهدائها في مدينة أور قرابة السنة 3000 قبل الميلاد.

- مصر القديمة (الفرعونية):

أما المصريون القدامى فقد أحدثت تقاليدهم في الهدايا نقلة نوعية في الطريقة التي وظف فيها البشر الهدايا للقرون العديدة التي تلت وجودهم وصولاً إلى يومنا هذا.

الفصل الثاني: الهدية بين تعدد الأطر النظرية وتعدد القراءات

كان المصريون يهدون فراغتهم الهدايا في أيام تنصيبهم التي كانت تعتبر تواريخ ميلادهم كآلهة، فضلا عن الهدايا التي كانت تهدي لهم وتوضع في الأهرامات لكي يستفيدوا منها في حياتهم التي ستأتي بعد مماتهم حسب المعتقد المصري القديم. أما أنواع هداياهم فشملت على سبيل المثال الذهب والمجوهرات والحبوب والمحاصيل الزراعية.

- الصين القديمة:

منذ ولادة حضارتهم قبل 5000 سنة، قدر الشعب الصيني أهمية تبادل الهدايا للتعبير عن الحب والاحترام وتقوية الروابط الاجتماعية. اشتهرت الشعوب الصينية عبر تاريخها بالعملية والابتكار، وبهذه السمات قدم الصينيون القدامى هداياهم. واحتراما لتاريخهم العريق، لا يزال الصينيون يثمنون هدايا كسلاسل اليشم (الجاديت) وأمشاط الشعر ذات الجودة العالية والهدايا الصغيرة التي يمكن لصاحبها أن يتنقل أو يسافر بها كغيرهم من الحضارات.

- حضارة الإغريق:

كالمصريون القدامى بدع الإغريقون أيضا عادات وتقاليدهم لا زالت تمارس حول العالم اليوم. فقد أبدى الإغريق أهمية لأعياد الميلاد كمناسبات يسن الاحتفال وتقديم الهدايا بها. ويعرف اليونانيون القدامى بالنهايات المأساوية لقصصهم التي تدور حول الهدايا، كقصة حسان طروادة: التمثال الذي قدمه الإغريق كهدية لأهل طروادة ليتفاجأ الطرواديون لاحقا بجنود إغريق يخرجون منه ليغزوا مدينتهم. من الجدير بالذكر أن المثل الشهير "احذروا هدايا الإغريق" جاء بعد أن حذرت أميرة طروادة كساندرا أهل مدينتها من قبول الحصان. لا تخلو الأساطير اليونانية من القصص التي كانت الهدايا فيها جزءا أساسيا من سير الأحداث، مما يدل على اهتمام الإغريق بهذا التقليد اهتماما شديدا.

- الإمبراطورية الرومانية:

اشتهر الرومان بكثرة مناسباتهم وأعيادهم، مما جعل ثقافة تبادل الهدايا والمنافع من أهم سمات المجتمع الروماني القديم. ففي بداية كل سنة جديدة، تبادل الرومان هدايا كالتين والعسل والتمور، بالإضافة إلى

الفصل الثاني: الهدية بين تعدد الأطر النظرية وتعدد القراءات

العملات والقروش الثمينة. تأثرا بالإغريق، تدل المصادر أن الرومان هم من ثبت أهمية أعياد الميلاد كمناسبة سنوية تهدي بها الهدايا.

- إمبراطورية بابل الجديدة:

أنه من الواجب عند الخوض في موضوع تاريخ الهدايا أن نذكر إحدى معظم الهدايا في تاريخ البشر وأكثرها إبداعاً: حدائق بابل المعلقة والتي بناها الملك البابلي الكلداني نبوخذ نصر الكبير في مملكته التي كانت عاصمتها بابل في العراق حالياً.

حكم نبوخذ نصر الكبير إمبراطورية بابل وما بين النهرين بين عامي 562 و605 ق.م. وتميزت فترة حكمه بالإنجازات الكبيرة والمتعددة الأشكال، بالإضافة إلى الفتوحات والانتصارات العسكرية، شهد حكم نبوخذ نصر بناء وتشديد تحفا عمرانية لا تزال تبهر الرائي والسامع والقارئ لحد يومنا هذا. ومثلما تدفعنا نحن للعطاء، دفعت مشاعر الحب والمعزة نبوخذ نصر إلى إنشاء حدائق بابل المعلقة ليهدئها إلى زوجته اميديا.

إضافة إلى كونها مصنفة كأحدى عجائب الدنيا السبع، تعد هذه الهدية الضخمة من أشهر الهدايا في التاريخ وأجملها، فقد زرعت في حدائق بابل جميع أنواع الزهور والفواكه والخضراوات الشتوية والصيفية، لتظل مثمرة طوال العام، وتميزت بالتالي بنظام هندسة ري متطور وسابق لعهد. وتشتهر حدائق بابل أيضاً ببواباتها الثمان.

- العصر الحالي:

واصلت ثقافة تقديم الهدايا بمختلف أشكالها الانتشار من العالم القديم وحضاراته حتى العالم الجديد. ومع الوقت والسنين تطورت الوسائل والتكنولوجيا وتضخم الإنتاج، مما أدى إلى تكرار الأشكال والأفكار وندرة الهدايا الإبداعية المناسبة الأسعار. فأصبح تقديم الهدايا المبتكرة والخالقة يبدو تحدياً لا يتحمل عاتقه الكثيرون. ومع ذلك، إيجاد هدايا مبتكرة ومناسبة ليس شيئاً مستحيلاً، لأن خيال الإنسان وابتكاره لا ينتهيان، استمراره بالإبداع في التعبير عن حبه وتقديره لن ينتهي أبداً.

الفصل الثاني: الهدية بين تعدد الأطر النظرية وتعدد القراءات

1

فتقديم الهدايا هو دأب الإنسان منذ القدم. فقد تمكنت الأبحاث الأحفورية من اكتشاف مغارة سنة 1991م في جنوب إفريقيا على شاطئ المحيط الهندي تعرف بمغارة "بلومبوس"، حيث وجدوا داخلها 39 محارة حلزون صغيرة بحجم حبة الحمص، مخرمة بعناية بغرض تقديمها كهدايا تعلق كقلادة. وأثبتت الفحوصات المخبرية أنها تعود إلى خمس وسبعين ألف سنة خلت خلال العصر الحجري الوسيط.

ويقول ألان ووكر وبات شيبمان في كتابهما "البحث عن أصول الإنسان" انه منذ ذلك التاريخ هناك انفجار للفن والزخرفة والتبرج والوشم كوسائل لإبراز التميز خصوصا عندما بدأت التجمعات الإنسانية تتكثف. وكذلك كعلامة للانتماء إلى مجموعة أو أخرى مختلفة. ويعلق "راندال وايت" من جامعة نيويورك انه في هذه المناسبات التبادلية المنقطعة للمعرفة والتكنولوجيا وكذلك للجينات من خلال تبادل الزيجات، ظهر الإهداء كواحد من التعاملات التي ترمز إلى الالتزامات المتبادلة التي بدأت تتأسس وتتقنون.

جاء في ملحمة "جلجامش" السومرية القديمة، التي تعود إلى حوالي أربعة آلاف سنة ما يلي: "فتح جلجامش فاه وأجاب عشتار العظيمة، إذا تزوجتك أية ملابس لجسمك؟ سأكون فرحا إذا أعطيتك خبزا وكل أنواع الطعام الذي يليق...سأفرغ الشعير في صوامعك".

ويصف تشارلز ديكنز في إحدى رواياته الحياة التي تخلو من العطاء والكرم بالعاقرة روحيا. وهذه حال أحد أبطاله "أبينيزر سكروج" الذي يجلس على ثروته متهربا من العطاء، واصفا إياه بالفقير الحقيقي وبغير الإنساني. بينما الموظف الفقير "بوب كراتشيت" مستعد لإهداء القليل الذي يملكه حتى إلى صاحب عمله الوضيع، هو الغني الفعلي. لكن في النهاية عندما يقرر "سكروج" العطاء يستعيد إنسانيته.

فالمعروف أن الاهتمام بالهدية كان منذ القدم، فقد ظهر الاهتمام بها من خلال العناية بمظاهر الحضارة كالتحف ومظاهر الزينة من جواهر وحلي، ومظاهر الطبيعة وجمالها الخلاب الذي يمثله القصر والعود والكافور ذو الرائحة الطيبة.

¹¹ تاريخ الهدايا، Bearingbear.store، التاريخ: 21/08/2022، الساعة: 23:07.

الفصل الثاني: الهدية بين تعدد الأطر النظرية وتعدد القراءات

ويدل على ذلك أن هدايا النيروز المحمولة إلى ملوك الفرس في كل سنة من دهاقين العراق، والتي تقدر بعشرة آلاف، وهدايا المهرجان التي تقدر بمئة ألف، ثم حملت إلى الخلفاء في الإسلام.

ولم تقتصر الهدايا على أدوات الزينة والحلي والجواهر، وإنما نلاحظ الاهتمام ببعض العادات والتقاليد المحببة لملك الهند التي تسود عندهم في الاحتفالات، كاستخدام العود الهندي، وإشعال الشموع، والاهتمام بالجواري، والاهتمام باللباس المزخرف والاهتمام بالذهب. وكان مما تهديه ملوك الأمم إلى ملوك فارس طرائف مما في بلدهم، فمن الهند الفيلة والسيوف والمسك والجلود، ومن الصين المسك والحريير والأواني، ومن الروم الديباج والبسط. وهذه الأخبار تدل على انتشار هذا النمط الاجتماعي عند الأمم الأخرى كالفرس واليونان والهند والصين منذ القدم.

كما تعتبر الهدية مظهر من المظاهر الاجتماعية الموغلة في القدم، ويبدو أن هذا المظهر كان ثمرة من ثمار التقارب بين أفراد الجماعة البشرية، ولعل أوثق الشواهد التي تدل على تبادل الهدايا في المجتمعات القديمة ما قصه علينا القرآن الكريم من خبر الهدية التي أرسلتها ملكة سبأ إلى سليمان عليه السلام محاولة استمالته، بعدما رأت من شدته وقوة بأسه. فتبادل الهدايا معروف منذ القديم، حتى أنها تعد عند الكثير من الأمم عرفا جاريا بين الناس، وغني عن القول أن الهدايا تذكر في مقدمة الطرائق التي يتقرب بها الناس من بعضهم، فهي بمنزلة رسول على دوام الصلة بين المتحابين.

فقد كانت الهدية موجودة عند العرب، وكان يتبادلها الناس منذ القدم وكانت عادة الإهداء تتمثل في الناقة والسيوف والفرس والرمح، شائعة لديهم، لكنها كانت تقدم بأساليب مختلفة حسب عاداتهم وتقاليدهم، وقد كانت تقال في ذلك الأشعار من أجل الكسب المادي.

أما في الإسلام فقد جاء ذكر الهدية في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، وذلك لما لها من أثر في النفوس واستحباب قبولها، والمكافأة عليها، فقد حث الإسلام على الهدية باعتبارها عنصرا لزرع المودة والمحبة بين الأفراد.¹

¹ عدنان عبود موسى الحراشة، شعر الهدايا في العصر العباسي، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، 2006، ص-ص (8-15).

الفصل الثاني: الهدية بين تعدد الأطر النظرية وتعدد القراءات

فالهبة أو الهدية موجودة في المجتمعات العربية القديمة إلى يومنا هذا، كما حث الرسول (ص) عليها، لاعتبارها عامل من عوامل، نشر المحبة والتضامن الاجتماعي، سواء بين الأقارب أو الجيران أو الأصدقاء كما جاء في قوله: "تهادوا تحابوا" فالهدية في الإسلام، يُراد بها التبرع والتفضل على الغير، سواء أكان بمال أم بغيره، ويوجد فرق بين الهدية والإعارة، فإذا أعطى الإنسان مالا لغيره، وملكه هذا المال دون عوض، كان هدية وإذا لم يملكه إياه، كان إعارة. كما يوجد فرق بين الهدية والصدقة، فالهدية يراد بها التودد وتآلف القلوب أما الصدقة فيبتغى بها وجه الله سبحانه وتعالى. فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول (ص): "تهادوا تحابوا"¹.

كما دُرست الهبة من طرف السوسيولوجيين والأنثروبولوجيين على رأسهم مارسال موس Marcel Mauss² الذي بحث عن دور الهبة في المجتمع، منطلقا من سؤال وهو: ماهي القاعدة المبنية على الحق والمصلحة التي تلزم برد الهدية المتسلمة، لدى المجتمعات، ذات النمط المتخلف أو البدائي؟ وما هي القوة الكامنة، داخل الشيء الموهوب والتي تجعله يرده؟ ومن خلال بحثه ودراسته في دور الهبة، وجد أنها أمر إلزامي لتقوية الروابط الاجتماعية بكل أنواعها بين الأفراد. فيقول: "تتم التبادلات والتعاقدات داخل الحضارة الإسكندنافية، وعدد هام من الحضارات على شكل هدايا، نظريا بطريقة اختيارية، لكنها في حقيقة الأمر إلزامية."³

كما وجد موس أن الهبة أو الهدية تلتزم بثلاث عناصر إلزامية وهي العطاء، قبول العطاء، والرد عليه. مما يؤدي إلى نشوء علاقة مزدوجة بين الواهب والموهوب، كما تتمثل في علاقة تكافل وتضامن بين الأفراد.⁴

كما قدم دفيد شيل David Cheal دراسة عن اقتصاديات الهدايا، وقد استعرض فيها مختلف الآراء التي تبنت وجهة النظر الاقتصادية، فيما يتعلق بتبادل الهدايا، كما قدم آراءه التي تشير، إلى أنه على الرغم

¹الإمام محي الدين أبي زكريا يحيى بن شرف النووي، رياض الصالحين، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، ص600.

².Marcel MAUSS, *Essai sur le don*, 3^{eme} édition, PUF, quadrige, 1989, P147, 148.

³.Ibid, P148.

⁴.Maurice GODELIER, *L'énigme du don*, Pari, fayard, 1996, P20

الفصل الثاني: الهدية بين تعدد الأطر النظرية وتعدد القراءات

من الأهمية الاقتصادية الواضحة التي لا يمكن إغفالها لنظام تبادل الهدايا إلا أن الأهمية الحقيقية، لهذا النظام تكمن في أنه يستخدم كوسيلة لبناء أنماط أو أنواع من العلاقات الاجتماعية، وأن هذا التبادل يمثل شبكة من الاتصالات التي تربط الأفراد في المجتمعات الحضرية الحديثة، مثلها مثل المجتمعات البدائية، بل وأكثر من ذلك، فإن هذا التبادل يُعد نظاما للمساندة الاجتماعية، وُضع من أجل مقابلة احتياجات الأفراد خلال دورة حياتهم.¹

وعلى الرغم من تبدل طبيعتها وقيمتها وظرف إعطائها، ظلت كما يقول عالم الأنثروبولوجيا كلود ليفي ستروس واحدة من ثلاث عمليات تبادل تحكم العلاقات الإنسانية منذ تكونها، اللغة حيث تتبادل الكلمات، والقرباية في تبادل الزيجات، والاقتصاد حيث تتبادل الهدايا والأشياء. إلا أن تقديم الهدايا تغير وتبدل خلال التاريخ وعبر المجتمعات المختلفة، وذلك بفعل عاملين مهمين هما: العلاقات الاجتماعية التي باتت تعتمد بدرجات متزايدة على الصداقة أكثر من اعتمادها على القرباية كما كان الحال في الماضي. وأيضا سيادة النزعة الاستهلاكية وقيم السوق، فعندما تكون علاقات القرباية هي الأساس فإن فعل الإهداء هو المهم أكثر من الهدية، بينما الواقع الحالي يرى بأن فعل الإهداء يتساوى بالأهمية مع الهدية نفسها. ففي الثقافات القديمة لم يكن تبادل الهدايا مزاجا فرديا كما هو سائد اليوم، حيث كان يشبه التبادلات الاقتصادية الحاصلة في عصرنا الحالي، مثل نظام الكولا البوتلاتش وقتها. فالدافع وراء تقديم الهدايا يرجع إلى التزامات دينية وأخلاقية معينة مع الاعتراف وتثبيت تراتبية اجتماعية معينة هذا من جهة، ومن جهة توقع العمل بالمثل. ويضيف موس بأن هذه الدوافع مع الوقت تصبح متأصلة بنسيج المجتمع حيث يصبح الفرد بحكم ظروف معينة مضطرا اجتماعيا إلى أن يقدم الهدايا.

وهكذا فإن تبادل الهدايا حسب موس هي عبارة عن نظام يقوم على ثلاث سمات رئيسية من الالتزامات وهي:

1. الالتزام بتقديم الهدية.

2. الالتزام بتسليم الهدايا.

¹مجموعة من الباحثين، الأسرة والطفولة، دراسات اجتماعية وأنثروبولوجية، دار المعرفة الجامعية، مصر، الإسكندرية، (ب، س)، ص 297.

الفصل الثاني: الهدية بين تعدد الأطر النظرية وتعدد القراءات

3. الالتزام بإعادة دفع أو تقديم الهدايا.

أجريت دراسات أنثروبولوجيا كثيرة على نظام الهدية لدى قبائل كثيرة في أمريكا اللاتينية والصين والهند وغيرها، وأعطت نتائج تؤكد على أن عادات القبائل في أمريكا اللاتينية وتقاليدھا لا تختلف كثيراً عن عادات القبائل العربية، من حيث أنها عقد ضمني ملزم أخلاقياً، وأن سمعة الشخص تكون عرضة للخدش في حال إخلاله بتنظيم الهدية. وتعد دراسة مارسيل موس المترجمة بعنوان "بحث في الهبة: شكل التبادل وعلته في المجتمعات القديمة" من أهم دراسة اجتماعية عن الهدية لدى القبائل القديمة، ومن أبرز النتائج التي توصل إليها: أن كل هدية يجب أن تقبل دائماً، بل وتمتدح.

ومن عادات القبائل البدوية في السعودية أن تقدم الهدايا بشكل منضبط وملزم في مسائل الزواج، وفي قضايا الصلح وإنهاء الخلاف بين القبائل التي تتطلب دفع مبالغ مالية. ونظراً لكثرة معدل المناسبات الاجتماعية التي تتكرر في تقديم الهدية النقدية، وزيادة متطلبات تقديم الهدايا نتيجة للتماسك الاجتماعي الكبير، ولحاجة أفراد القبائل لبعضهم البعض نظراً لاحتمالية تعرض أي منهم للظروف ذاتها، مما يتطلب منهم الإنفاق المستمر في جميع المناسبات، فإن هذا شكل عائقاً أمام تراكم الثروة بين أفراد القبائل، وقلل من أعداد الأثرياء بينهم¹.

الهدية وتبادلها يعنيان كثيراً بما يرمزان إليه في العلاقات الاجتماعية. وعلى الرغم من تبدل طبيعتها وقيمتها وظرف إعطائها، ظلت كما يقول عالم الأنثروبولوجيا كلود ليفي شتراوس، واحدة من ثلاث عمليات تبادل تحكم العلاقات الإنسانية منذ تكونها، اللغة حيث نتبادل الكلمات، والقرابة في تبادل الزيجات، والاقتصاد حيث نتبادل الهدايا والأشياء.

لكن تقديم الهدايا تغير وتبدل خلال التاريخ وعبر المجتمعات المختلفة كثيراً. وذلك بفعل عاملين مهمين هما: العلاقات الاجتماعية التي باتت تعتمد بدرجات متزايدة، على الصداقة أكثر من اعتمادها على القرابة كما كانت الحال فيما مضى. وسيادة النزعة الاستهلاكية وقيم السوق على ما عداها. فعندما تكون

¹عبد الرحمن بن عبد الله الشقير، الهدية: أهم أشكال التفاعل الاجتماعي، مجلة حكمة،

file:///C:/Users/dell/Desktop، "30/08/2022 على الساعة: 10:30.

الفصل الثاني: الهدية بين تعدد الأطر النظرية وتعدد القراءات

علاقات القربى هي الأساس فأن فعل الإهداء هو المهم أكثر من الهدية. بينما في الواقع الحالي فان فعل الإهداء يتساوى بالأهمية مع الهدية نفسها.

ففي الثقافات القديمة لم يكن تبادل الهدايا مزاجا فرديا كما هو سائد اليوم. في ذلك الوقت كان يشبه التبادلات الاقتصادية والاتفاقيات القانونية التي تجري في السوق بين الشركات والمؤسسات في عصرنا الحالي. ويقول مارسيل موس في كتابه الشهير "الهدية" (1950م) أن "اقتصاد تبادل الهدايا هو أقدم نظام اقتصادي وقانوني يمكننا الحصول عليه أو تصوره". كما يعد عالم الأنثروبولوجيا مارشال ساهلين أن تقديم الهدايا هو أحد الأشكال الأولى لتشكل الاقتصاد وولادة السوق.

في البدء ينشأ نوع من التوتر عند تقديم الهدية لأن المستلم يعد قبولها اعترافا ضمنيا باعتماده على المانح أو بسلطة معينة عليه. لإزالة هذا التوتر، يصبح الرد بالمثل، أو الإهداء بدوره، ملزما. النكوص عن ذلك، أو الرد بالمثل بطريقة غير كافية، يعد حينئذ نقصا للمكانة والاحترام الذاتي. وهكذا عندما يفى المستلم برده يصبح المانح الأساسي ملزما بالرد من جديد. فتولد وتتأسس عند ذلك دورة قائمة، كما يقول "س.د. روبرتس" على "المديونية". كلا الطرفين ينتابهما شعور بأنه لم يفى تماما بالقابلية عند رده بالمثل. هذا الشعور بالمديونية هو ما يقود نظام تبادل الهدايا بأكمله.

وهكذا حسب موس، فأن تبادل الهدايا هو نظام يحمل في طياته الاستدامة الذاتية ويقوم على التزامات ثلاثة:

- الالتزام بالعطاء
- الالتزام بالتسلم
- الالتزام بالعمل بالمثل

ويقول روبرتس أن التزام العمل بالمثل ليس مهما فقط لإيجاد تقابلية متوازنة بين الطرفين، بل ما يوازي ذلك أهمية هي الطقوس التي يتم من خلالها تقديم الهدايا لأنها تثبت العلاقات الاجتماعية القائمة، كطقوس مناسبات ميلاد الأشخاص وغيرها كما يوضح بيار بورديو. فالتبادل لم يقتصر على الأشياء المادية، بل كان تبادلا للمجاملات في احتفالات تتخللها الولائم والطقوس بين العائلات والقبائل والعشائر.

الفصل الثاني: الهدية بين تعدد الأطر النظرية وتعدد القراءات

والهدية يجب أن تعكس المناسبة، عندما نقدم الهدية لا نقدم فقط الشيء بل إننا بحسب موس نقدم جزءا من أنفسنا. وتعد الهدايا رمزا للعلاقة بين الطرفين يتم من خلالها التواصل دون استعمال اللغة. لهذا يقول راسل بالك من جامعة يورك أن الهدية المثالية تتسم بست سمات:

- وضوح تعبيرها عن التضحية من قبل المانح
- أن تكون أمنية المانح سعادة المتسلم
- أن تكون الهدية نوعا من الرفاهية
- أن تكون الهدية مناسبة للمتسلم
- يجب أن يتفاجأ المتسلم بالهدية
- أن تنجح الهدية في إسعاد المتسلم.

إذ ذلك يصبح لدينا أربعة عناصر أساسية: المانح والمتسلم والمناسبة والهدية. ويقول ج.ف. شاري أن هذه العملية قائمة على الإيثار والتسابقية بمعنى أنها تؤدي إلى تعظيم الاكتفاء الذاتي للمانح من خلال تعظيم متعة المتسلم.

بالمقابل، فإن عملية مشاركة المتسلم باختيار نوع الهدية محدودة جدا، وتجري عن طريق الصدفة عندما يكون المتسلم برفقة المانح حيث يتم الاقتراح بطريقة مواربة. لكن في هذه الحالة تفقد الهدية الرمزية الديناميكية.

وعن ردود الفعل، استنتجت دراسة قام بها "د.ب. ووتن" أن متسلمي الهدايا يلائمون ردود أفعالهم لتوافق التوقعات الاجتماعية للمانحين، من خلال التوضيح العلني أو الإيحاء أو تعابير الوجه أو كيفية التعاطي مع الهدية. لكن في حالات قليلة، تخفت هذه الدلالات مما يعني أن الهدية مرفوضة وقيمة القيمة.

وهناك أربعة عوامل تؤثر في الحكم الذي يصدره المتسلم: العلاقة بين الاثنين، والسياق الذي تقدم فيه، وقيمة الهدية، وتناسبيتها.

وعلى الرغم من كل ذلك، تجدر الإشارة إلى اختلاف بين علماء الأنثروبولوجيا والاقتصاد حول أهمية الهدايا. فبينما يعتقد الأولون أن منح الهدايا هي عملية اجتماعية ايجابية، حيث تحقق عدة أهداف سياسية

الفصل الثاني: الهدية بين تعدد الأطر النظرية وتعدد القراءات

ودينية ونفسية، كما يقول موس فان الاقتصاديين يعدونها هدرا للموارد. وحجتهم أن المانحين يشترون أشياء يمكن ألا يشتريها المتسلمون أنفسهم إذا ترك الأمر لهم، أو أنهم يقيمونها بأقل من سعر السوق.

ومن الأمثلة المقدمة على ذلك، أن تقاليد تقديم الهدايا وتسلمها من مجتمع إلى آخر مختلفة. ففي الثقافة الصينية واليابانية تكون الصفة الجماعية والاحتفالية في تقديم الهدايا هي الغالبة. بينما في الثقافة اللاتينية والأنكلوساكسونية فان العلاقات الشخصية هي السائدة.

تقتضي التقاليد الصينية للهدايا الامتناع عن قبول الهدية لثلاث مرات. وذلك لدحض أي شعور يمكن أن يخالج الطرف الآخر بوجود طمع ما، وعلى مانح الهدية في كل مرة أن يواصل بإصرار تقديمها بلطف، ويجب أن تقدم باليدين الاثنتين وأن تكون الهدية ملفوفة بورق خاص.

وفي النهاية تقبل الهدية وتوضع جانبا دون أن تفتح أمام المانح تجنباً للحرج الذي يمكن أن يظهر على وجه المقدم إليه. الرموز في الثقافة الصينية مهمة جدا. الألوان والأرقام لها معان خاصة. ففي رأس السنة الصينية يجب أن تهدى الأموال في مغلف وأن يكون عددها مفردا. أما في اليابان فان تقديم الهدية هو شكل من أشكال الفن. فالاحتفالية والمظهر الخارجي يعدان أهم من قيمة الهدية نفسها. لكن هذا يعد في المجتمعات الغربية مبالغة غير مفيدة.

وفي البلدان العربية تختلف أشكال التقديم والتسلم بشكل كبير وفق البيئات المختلفة حتى على نطاق ضيق. ولكنها عموما تتراوح ما بين فتح الهدية أمام متسلمها، وما بين أحجام هذا عن فعل ذلك أمام المانح. والرائج أيضا، أن يترافق ذلك مع بعض عبارات المجاملة من قبل المتسلم تتضمن لمسة مبالغة في تقديره لقيمة الهدية.

ومع توسع العولمة وتشابك العلاقات الدولية على صعد عدة، ازداد احتكاك القين الثقافية المختلفة بعضها مع بعض الآخر. لهذا السبب أنشأ كثير من الشركات أقساما خاصة لدراسة كيفية التعامل مع ثقافات غريبة عما هو سائد في بلدها المنشأ.

وفي حادثة ذات مغزى أرسلت إحدى الشركات الأمريكية عددا من الساعات التي توضع على المكاتب كهدايا لزيائنها حول العالم. لكن الذين تسلموا هذه الهدايا في شرق آسيا أبدوا كثيرا من الاضطراب. إذ

الفصل الثاني: الهدية بين تعدد الأطر النظرية وتعدد القراءات

تبين أن كلمة "ساعة" تعني بالصينية شيئاً قريباً من "موت" وهي بذلك ترمز إلى النية بإنهاء العلاقة وليس تعزيزها. وهذا بالطبع ليس غاية الشركة المرسله التي اضطرت إلى استرجاع هداياها واستبدلت بها أخرى مناسبة.

ترك هذا التبادل الثقافي أيضاً أثراً على طريقة تبادل الهدايا. فتقديم الهدية باليدين الاثنتين لم يكن سائداً في الولايات المتحدة الأمريكية. أما اليوم فإن كثيراً من المهتمين وواضعي قواعد اتيكيت الهدايا في أمريكا يشددون مثلاً على ضرورة تقديم الهدية باليدين الاثنتين. ويشيرون إلى أن المتسلم أيضاً عليه مد يديه الاثنتين لأخذها متأثرين بذلك بعادات بلدان شرق آسيا.

كذلك فتح الهدية مباشرة عند تسلمها وأمام أناس آخرين كما هو سائد في الولايات المتحدة وأوروبا، بدأ يتغير متأثراً بثقافات أخرى. كما أن بعض العادات اليابانية كربطات الهدايا البسيطة والأنيقة وتجنب الألوان الحادة، بدأ تأثيرها يتسرب إلى كثير من البلدان الغربية.¹

ومنه فنظام تبادل الهدايا يعكس مرحلة تاريخية واجتماعية لتطور المجتمعات والعلاقات الاجتماعية وتختلف صور تقديم الهدايا حسب طبيعة المجتمع ونوعية العلاقة وأهدافها. فالهدية يجب أن تعكس المناسبة، حيث أننا عندما نقدم الهدية فإننا لا نقدم الأشياء فقط بل إننا بحسب موس نقدم جزءاً من أنفسنا.

¹ أمين نجيب، البعد الاجتماعي للهدايا، مجلة القافلة، ارامكو السعودية، التاريخ: 30 أغسطس 2022، الساعة: 00:00،

الفصل الثاني: الهدية بين تعدد الأطر النظرية وتعدد القراءات

ثانيا: دراسة الهدية لمارسيل موس

إن سؤال البداية الذي انطلق منه موس في دراسته للهدية، أن الذي لفت انتباه موس في هذا المجال هو تلك الظاهرة الاجتماعية الشائعة التي ينخرط فيها جميع الناس، ونقصد تبادل وتملك الأشياء عن طريق الهدية، وسؤال موس هو لماذا يكون الرد على الهدية بالهدية ملزما رغم أن العملية برمتها تبدو في الظاهر على الأقل قائمة على مجانية الهدية وحرية قبولها أو الرد عليها؟ ماهو الشيء الخفي الذي يجعل من علاقة الهدية علاقة متناظرة ملزمة؟

للإجابة عن هذا السؤال استدعى موس فرضية رائجة في أوروبا آنذاك، مفادها أنه لفهم المجتمعات المعقدة يجب دراسة المجتمعات البسيطة، أي البدائية، حيث تتجلي بوضوح وبشكل مباشر العناصر الأولية للظواهر الإنسانية انطلاقا من ذلك اختار عددا من المجتمعات التي توفرت لديه بشأنها معلومات دقيقة جمعها جيل جديد من الباحثين أوجده التوسع الاستعماري، لكنه استطاع مراكمة خبرة مهنية جعلته يهتم بمواضيع اجتماعية وتفاصيل ثقافية تتجاوز فائدتها العلمية المشاريع الاستعمارية ذاتها.

لكن ما هو الهدف العملي الذي يريد موس أن يصل من خلال هذه الدراسة في السياق الوضعي المهيمن آنذاك؟

يقول المؤلف: "... وهكذا فإنه بإمكاننا تحقيق هدفين: من جهة سنصل إلى استنتاجات تتعلق بوجه من الوجوه بالأصول القديمة الطبيعية للمبادلات الإنسانية في المجتمعات المحيطة بنا أو التي سبقتنا مباشرة. ومن خلال ذلك سنتعرف على السوق قبل ظهور التجار، وقبل أن يظهر ابتكارهم الأساسي الذي هو العملة بحد ذاتها.

ومن جهة ثانية سنتعرف على الكيفية التي عملت بها الأخلاق وكذلك الاقتصاد داخل هذه المبادلات. وبما أن الأخلاق والاقتصاد مزالا يعملان بشكل ثابت في مجتمعاتنا ولو بطريقة ضمنية.

وهكذا تتضح لنا مما تقدم ملامح المشروع المعرفي الضخم لمارسيل موس: التبادل بوصفه أساس الروابط الاجتماعية، أشكاله وتصوراتها وما يتعلق به من أخلاق وقيم وقوانين ورموز.

الفصل الثاني: الهدية بين تعدد الأطر النظرية وتعدد القراءات

يتلخص فكر موس بأن الظاهرة المجتمعية الكلية تتصف بكونها ظاهرة تمس كل مؤسسات المجتمع، وتغزو مختلف جوانب حياة الأفراد الاجتماعية والثقافية والاقتصادية، ولا يمكن تفسيرها إلا في ضوء تكامل الكل. وذهب إلى اعتبار الهبة ظاهرة اجتماعية كلية، فهي تمثل ترابطا بين ثلاثة التزامات هي:

○ العطاء (تقديم الهدية).

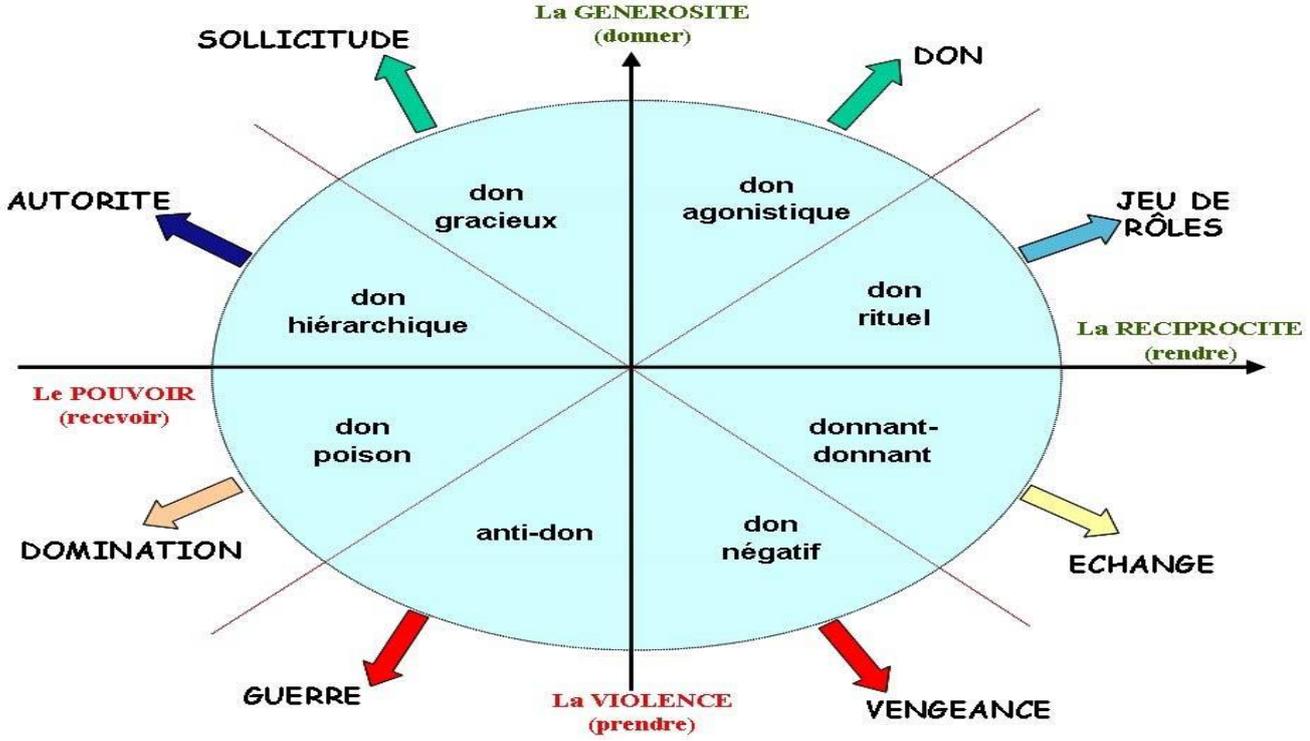
○ وقبولها.

○ والرد عليها بإعادة الشيء الموهوب ذاته أو يماثله في القيمة أو أعلى منه قيم.

وهذه الالتزامات المترابطة تدفع الهبات سواء كانت أشياء أو خدمات أو أشخاص نحو العودة إلى مانحها الأصلي، لأنها تشكل امتداد له. وهذا ما يضيف على علاقة الواهب والموهوب له صفة الازدواجية، بحيث تنشأ علاقة تضامن وتعاون نظرا لاقتسام الأملاك عن طريق تقديمها كهدية. أما من جهة أخرى، تنشأ علاقة تمايز وتبعية إذ يصبح الموهوب له مدين للواهب إلى وقت الرد عليها أن كل هبة تخلق تقاربا أو تباعدا بين الواهب والموهوب له، وتجمع بين متضادين هما السخاء والالتزام، فهي مرتبطة جوهريا بالمكانة والهيبة لأنها تعتبر ضررا وخسارة للمتلقي في مقابل المانح للهدية؛ فالشعور بالتبعية من قبل المتلقي والالتزام في رد الهدية بمثلها أو أكثر منها قيمة، سيكسب المانح هيبة ومكانة اجتماعية كبيرة، بالتالي فهو يمارس عنفا رمزيا على الموهوب له. ولعل الشكل الآتي سيوضح الأشكال المختلفة للهدية في ضوء دراسة مارسيل موس¹.

¹ Pantaléo, les colliers soulava et bracelets mwali du circuit kula monnaies et lien social, publiée en juillet 2002 :http // :www.passerelleco .infoarticle.phpid-article,p153.

الفصل الثاني: الهدية بين تعدد الأطر النظرية وتعدد القراءات



الأشكال المختلفة للهدية حسب دراسة مارسيل موس

وعليه سنقوم من خلال ما تم إدراجه في الشكل أعلاه والموضح لمختلف أشكال الهدية حسب ما استخلصه ودرسه مارسيل موس، من خلال ترجمة المصطلحات المدرجة ضمنه فيما يخص أشكال الهدية من اللغة الفرنسية إلى اللغة العربية حتى يتسنى علينا وعلى كل مطلع عليها فهمها وأخذ فكرة حولها ببساطة، وعليه تطرقنا إلى ما يأتي:

الفصل الثاني: الهدية بين تعدد الأطر النظرية وتعدد القراءات

المصطلح	معناه
Don Gracieux	هدية كريمة
Don Agronistique	هدية ناهضة
Don Rituel	هدية طقسية
Don Poison	هدية السم
Donnant-Donnant	أخذ وعطاء
Don Négatif	التبرع السلبي
Anti-Don	ضد التبرع

قد أوضح الأنثروبولوجيون أن هناك أيضا تبادلات أقل وضوحا من نفس النوع مثل تلك التي تخص الزواج، فعل سبيل المثال؛ ما حاول الفرنسي كلود ليفي ستراوس إدراكه حول وجوب زواج البنت من ابن عمتها، وزواج الولد من ابنة خاله، من أجل فهم المراد من تلك القواعد عن طريق تحليل الجماعات القرابية والزيجات كأنساق من التحالفات. ونفهم من خلال ذلك أن تبادل النساء (الزوجات) يمثل الهدايا الأكثر قيمة وشأنا من بين الهدايا الأخرى، كما يمثل هذا التبادل الأكثر فاعلية لأنه يعمل على تقوية التحالف، وضمان التماسك الاجتماعي بين الأفراد وبالتالي المجتمع ككل.

هناك نتيجتان أساسيتان توصل إليهما موس في دراسته لظاهرة الهبة، النتيجة الأولى هي أن الهبة تعد أحد الاكتشافات البشرية المذهلة التي ابتدعها الناس للتواصل فيما بينهم وإقامة علاقات تبادل بين الأفراد والجماعات تعزز من فرص التعايش السلمي بينهم، وما إلزامية الهبة إلا بإلزامية التبادل. والنتيجة الثانية هي أن الهبة في المجتمعات القديمة لم تكن مجرد أفعال ثنائية ينخرط فيها بشكل عشوائي طرفان (أفراد وجماعات)، بل هي نظام شامل شديد التعقيد من المبادلات يجري بموجبه انتقال جميع أنواع الممتلكات والحقوق بين الأطراف المعنية دونما حاجة إلى السوق وإلى العقود الوضعية التي عرفتها البشرية في أوقات لاحقة من تطورها بشكل متفاوت وحسب التجربة التاريخية لكل مجموعة. وإلى جانب ذلك لم تكن

الفصل الثاني: الهدية بين تعدد الأطر النظرية وتعدد القراءات

الهدية في هذه المجتمعات تقتصر على الأشياء (المنتجات الفلاحية والحرفية)، أو الأشخاص (النساء والعبيد والأطفال)، بل كذلك الرموز والمعاني، الطقوس والأغاني والقصائد...، ومن ثم توصل موس إلى تصور سوسولوجي مميز لكل الظواهر الاجتماعية، ومنها الهدية، مفاده أن هذه الظواهر "كلية" أي أنها تختزل جميع مستويات الحياة الاجتماعي بتفاعلاتها المادية والرمزية.¹

ألف موس كتاب "تبادل الهدايا" بحث في الهبات والهدايا الملزمة، حيث يقول عنه فرانز بواس: " إن هذه الدراسة جديرة بالذكر شكلا ومضمونا لما جاء بمعلومات قيمة عن تبادل الهدايا عند المجتمعات البدائية فيما يخص الإعانات ذات الصفة الحرة والمجانية، فهي في حقيقة الأمر ملزمة وهادفة". درس موس في هذا البحث الذي تناول الهدية، شكل التبادل وسببه في المجتمعات البدائية لاتصاله الوثيق بظاهرة هامة من الظواهر الأخلاقية والاجتماعية، وهي العطايا والهبات، وما يترتب عنها اقتصاديا وقانونيا وسياسيا واجتماعيا في الحياة الإنسانية الجماعية والمجتمعية، ويهدف حول هذا الموضوع أن يصل إلى تفسير علمي لخاصية الجبر والاختيار في تقديم الهبات والهدايا في المجتمعات البدائية.

فالشأن في الهدية في مجتمعاتنا أن تكون عند فصل وإرادة وهي وإن بدت كذلك في المجتمعات البدائية إلا أنها في حقيقة الأمر ليست اختيارية بل جبرية ولغرض معين.

وقد كشف في بحثه بصفة رئيسية عن القاعدة الأساسية في القانون والمصلحة، بحيث تفرض على من يقبل هدية في المجتمعات البدائية أن يرد قبلها أو أفضل منها.

وللوصول إلى إجابة شافية حول هذه المسألة يبدأ موس بحثه بمقدمة تتضمن مقطوعات من الهافال Havel وهي إحدى القصائد القديمة في الادا Edda الإسكندنافية القديمة خصوصا فيما يتعلق بتبادل الهدايا والكرم.

ويرى موس أن التبادل لم يكن فرديا وحرا طبقا لما يسمى بالاقتصاد الطبيعي، وأن السوق كانت موجودة بالشعوب البدائية على عكس ما ادعى وأنها لم تعقد لأجل تبادل منافع وثروات فحسب بل كانت تعقد بين

¹ مارسيل موس، بحث في الهدية - شكل التبادل وعلته في المجتمعات القديمة، ترجمة: المولدي الأحمر، مركز دراسات الوحدة العربية.

الفصل الثاني: الهدية بين تعدد الأطر النظرية وتعدد القراءات

جماعات وأشخاص اعتبارية لتبادل المجاملات والولائم والطقوس والخدمات العسكرية... الخ. وهذه المبادلات كانت تقع في شكل إيعازات أطلق عليها موس "القروض الكلية" ومن جملة هذا النسق يوجد شكل للمبادلات يتم بممارسات تسود فيها روح من الصراع العنيف اقترح تسميته "بوتلاتش" وهو شكل تبادل الهبات بصفة إلزامية.¹

فحسب مارسيل موس تتميز الحياة الاجتماعية بالدينامية الدائمة، ويهدف نعت الكلي إلى الإمساك بـ "حالة تحول دائم" أو "باللحظة العابرة".

إن التركيز على نشأة العلاقات يفصل موس عن ليفي ستروس، لكنه يقربهما في الوقت نفسه من مفكر آخر، إنها "ماريلين سترائيرن" التي تمكنت من خلال اعتمادها على حالات من ميلانيزيا، المكان الذي ظهرت فيه ظاهرة المانا، من أن تمنح الاستقلال لتغيرات نشأة العلاقات لدرجة يصبح معها المانا ضروريا. ويعود نجاحها إلى بنائها لمنهج فرويد لـ "التحليل كنوع من الخيال الملائم أو المتحكم فيه". وذلك من أجل التعامل مع الاختلافات المعرفية بين المجتمعات. وهذا يعني التشبث بالموقف التالي: " لا يمكن رؤية ثقافة معينة إلا من منظور ثقافة أخرى". استعمل موس كلمة الهبة مؤقتا، معترفا بضرورة إعادة النظر، ومن ناحية ثانية ذهبت سترائيرن بهذا اللفظ إلى أقصاه واستعملته كـ "شيء مصطنع" أي كما لو انه شيء تم العثور عليه. وعندما يتم دمج الهبة في منظور واسع النطاق فان الحياة الاجتماعية الميلانيزية تصبح شيئا مصطنعا.

تعتقد سترائيرن أن الشخص في ميلانيزيا يولد ويمنح جنسا في شبكة العلاقات المختلفة التي تلعب فيها الهبات دور الوساطة. فالشخص يوجد أساسا كشخص محتملة بواسطة الهبات التي يتلقاها من أبيه وأمه معا، تماما كما يتم إطعام الجنين من طرف الأب، ويتم إرضاع الرضيع بحليب الأم التي ينشأ الرضيع منها. وعلى الرغم من أن مسألة ما إذا كان الشخص ذكرا أو أنثى تظل مطروحة، فان الإناث يصبحن ذكورا كأعضاء للعشائر التي تتلقى الخاصية النسوية، بينما يصبح الذكور إناثا عندما يقدمون بخاصية

¹إبلاخ مديحة، مذكرة بعنوان "إيديولوجية الرشوة والسلوك الرشوي والارتشائي في المجتمع الجزائري"، دراسة ميدانية لعينة من المختصين في مكافحة الرشوة، جامعة الجزائر، قسم علم الاجتماع، السنة الجامعية: 2009/2008، ص-ص (13-14).

الفصل الثاني: الهدية بين تعدد الأطر النظرية وتعدد القراءات

ذكورية. إن الشيء نفسه، موضوع الهبة ليس برجل أو امرأة، إلا أنه يصبح مذكرا عندما يتم النظر إليه بوصفه امتدادا لأنشطة الرجال، ويصبح مؤنثا عندما يعترف بأن الرجل تخلص منه ومنحه كهبة.

إن نقاش ستراثيرن لهذا الموضوع مفيد في تحصيل فهم عميق للواقعة الاجتماعية الكلية التي ركز عليها موس. فقد ربط بين "نحن" و"هم" من خلال افتراض الطبيعة المؤقتة لمفهوم الهبة التحليلي.

إن ما وصفه موس بالاجتماع الكلي لم يكن خيالا بل كان ظرفا ترتبط فيه واقعة بواقعة أخرى.¹

في كل الأحوال يعد عمل موس " الهدية: أشكال ووظائف التبادل في المجتمعات القديمة" من أكثر أعماله تميزا وبروزا، وهو المثل الأوضح على كيفية دراسة لما أسماه ب "الحقائق الاجتماعية الشاملة"، بل ومن حيث الاهتمام بظاهرة اجتماعية محددة، ولكن بمنظور مزدوج، أي " لا بشموليتها ومجمل أنساقها ".

المقصود هنا هو "التمثيلات" أو انساق التبادل، التي تبدو نظريا أنها طوعية وغير ذات أهمية وربما تلقائية، ولكنها في الواقع ملزمة ومهمة، لقد ركز موس على قيامه بالدراسة المقارنة لأشكال التعاقد والتبادل في "بولينيزيا" و"مالينيزيا" وشمال غرب أمريكا، مع بعض الأدلة المكملة من الآداب الرومانية المبكرة والهندوسية والجرمانية. وكانت أطروحته المركزية هنا هي دراسة الشكل القديم للتبادل، والتزاماته الثلاثة: العطاء والأخذ وإعادة العطاء، أي من حيث كونها صفات متوافرة تقريبا في كل المجتمعات، وهي بوصفها كذلك يتم إعادة بعثها في مجتمعاتنا بهدف تقوية الروابط الاجتماعية والمحافظة عليها، أي على التعاون والمنافسة والصراع.

إن دراسة هذه الموضوعات بشكل تفصيلي وملموس وضمن إطار كليتها حسب المجتمع الذي تم اختياره "سيجعلنا قادرين على النظر في جوهرها، وفي عملياتها وحياتها والعمل على الإمساك باللمحة عندما يأخذ المجتمع وأعضاؤه أشياء عزيزة وعاطفية من أنفسهم ومن مواقفهم وذلك في مقابل أشياء أخرى تكشف لنا عملية تبادل الهدايا حسب موس بوصفها أمرا دينيا وقانونيا وأخلاقيا واقتصاديا وجماليا ومورفولوجيا وأسطوريا من حيث الأهمية أيضا. إن الالتزامات المتضمنة فيها يتم التعبير عنها رمزيا

¹ ناويوكيا سوغا، الواقعة الاجتماعية الكلية-البناء والترابط الجزئي وإعادة التركيب، ترجمة: عبد السلام الفقير، مراجعة: حسن أحجيج، المغرب، ص10.

الفصل الثاني: الهدية بين تعدد الأطر النظرية وتعدد القراءات

عبر الأسطورة والمخيال، بل وتأخذ شكل الاهتمام بالموضوع الذي يتم تبادله. ويؤكد موس أيضا على أن الموضوعات المتبادلة " لا يتم فصلها كليا عن البشر الذين يقومون بتبادلها، إن المجتمع المشترك الذي يتأسس من حولها وكذلك الأحلاف التي يتم إنشاؤها متينة جدا لدرجة أنه يصعب حلها".

عبر هذا العمل الأنثروبولوجي البارز "الهدية: أشكال ووظائف التبادل في المجتمعات القديمة" سعى موس إلى شرح كيف أن الهدية التي هي أمر اعتيادي في الحياة اليومية، بل وتلقائي، إلا أن الأفراد الذين يدخلون في تبادلها إنما يقومون بتقديمها واستلامها وفق شعور بالواجب والمسؤولية. كما أظهر موس كيف أن تبادل الهدية قد مر بثلاث مراحل تطورية، حيث انتقل من نظام "لزوم رد الهدايا" الشامل وتبادل يربط عشيرة بأخرى مثل المجتمعات التي لديها نظام "البوتلاتش" أو نظام آخر مشابه يكون فيه التبادل تعبيرا عن التنافس أو الصراع أحيانا. وقد انتقل هذا التطور بتبادل الهدايا إلى العالم المعاصر حيث واصل الشكل القديم لنظام التبادل بقاءه إلا أن السيادة أصبحت لأخلاق السوق.¹

يعتبر اقتصاد الهدايا أو ثقافة الهدايا وسيلة للتبادل حيث لا يتم بيع الأشياء الثمينة، بل يتم تقديمها دون اتفاق صريح على المكافآت الفورية أو المستقبلية. تحكم الأعراف والعادات الاجتماعية الإهداء في ثقافة الهدايا، ولا يتم تقديم الهدايا في صورة تبادل صريح للسلع أو الخدمات مقابل المال، أو بعض السلع أو الخدمات الأخرى.

إن طبيعة اقتصاديات الهدايا هي موضوع نقاش تأسيسي في الأنثروبولوجيا. بدأ البحث الأنثروبولوجي في اقتصاديات الهدايا مع وصف مالينوفسكي لحلقة الكولا في جزر التروبرياند خلال الحرب العالمية الأولى.

بدأت تجارة الكولا وكأنها شبيهة بالهدية لأن تروبرياند كان يسافر لمسافات طويلة عبر البحار الخطرة لإعطاء ما كان يعتبر أشياء ثمينة دون أي ضمان للعودة. سرعان ما اثبت جدول مالينوفسكي مع عالم الأنثروبولوجيا الفرنسي مارسيل موس تعقيد "تبادل الهدايا" وقدم سلسلة من المصطلحات الفنية مثل: المعاملة بالمثل، الممتلكات غير القابلة للتصرف وعرضها للتمييز بين الأشكال المختلفة للتبادل.

¹ مارسيل موس، المدرسة الأنثروبولوجية الفرنسية نموذجا، الثقافة الشعبية، العدد السادس، صيف 2009، ص-ص (101-100).

الفصل الثاني: الهدية بين تعدد الأطر النظرية وتعدد القراءات

يتميز تبادل الهدايا عن أشكال التبادل الأخرى بعدد من المبادئ، مثل شكل حقوق الملكية التي تحكم المواد المتبادلة، ما إذا كان الإهداء يشكل "مجال تبادل" مميزا يمكن وصفه بأنه "نظام اقتصادي"، وطبيعة العلاقة الاجتماعية التي يؤسسها تبادل الهدايا. تختلف أيديولوجية الهدايا في المجتمعات التجارية بدرجة عالية عن "المكانة" النموذجية للمجتمعات غير السوقية.

درس موس ظاهرة العطايا والهدايا من مختلف جوانبها ولم يقتصر على بعد واحد، ومن خلال عينات مختلفة مكانا وزمانا، بل سعى إلى صياغة تصور أعمق ينفذ إلى مختلف الأبعاد الكامنة في الظاهرة ومختلف العوامل المؤثرة فيها، فقد درس نموذجي "البوتلاتش" و"الكولا" في شموليتهما وما يحف بهما من أبعاد اقتصادية واجتماعية ودينية ورمزية أي بصفتها ظواهر اجتماعية كلية.

والظاهرة الاجتماعية ليست فقط عملية تجميع لجوانب مختلفة من الظاهرة الاجتماعية، بل هي دراسة لمختلف هذه الجوانب وهي تتفاعل فيما بينما لإنتاج ظاهرة واحدة منسجمة ومتسقة.

وبهذا المفهوم الذي أستاذة دوركايم استطاع موس تجاوز الطرح الوضعي الذي يقتصر على دراسة الجوانب المادية في الظاهرة الاجتماعية وعزلها عن أنساقها الرمزية. وبناء على دراسة الهبة بصفتها ظاهرة اجتماعية كلية خلص إلى أن تقسيم العلوم الاجتماعية إلى تخصصات متباينة ومنعزلة بعضها عن بعض من شأنه أن يوقع الباحث في منزلقات منهجية خطيرة تحيد به عن الدرس العلمي الجاد، فهي تهدد البحث بالسقوط في تجزئة الظاهرة المركبة وتبسيط الظاهرة المعقدة، وهذا ما لا يتقبله المنهج العلمي الدقيق.¹

في خاتمة كتابه موس: " الهدية: أشكال ووظائف التبادل في المجتمعات القديمة، حيث أكد على أن الخسارة هنا هي بالمستويين: الأول على مستوى نوعية العلاقات الإنسانية التي كانت تتم خلال عملية

¹ تنسيق وتقديم: يونس الوكيل، تراث الأنثروبولوجيا الفرنسية في تقدير الممارسة الفكرية لمارسيل موس، 01 فبراير 2016، الملفات البحثية، قسم الفلسفة والعلوم الإنسانية، مؤمنون بلا حدود، ص66.

الفصل الثاني: الهدية بين تعدد الأطر النظرية وتعدد القراءات

تبادل الهدايا، إذ أصبح التبادل اقتصاديا بحتا، والمستوى الثاني هو الحاجة إلى إعادة بناء حرية الالتزام بالكرم والمنفعة الشخصية في الهدية والإهداء".¹

طرح مارسيل موس دراسته عن الهبة والعتاء، والتي أكد فيها ضرورة إعطاء هدية وانتظار أخرى، معبرا عن أن الهبة أحد الاكتشافات البشرية المذهلة التي ابتدعها الناس للتواصل فيما بينهم وإقامة علاقات تبادل بين الأفراد والجماعات تعزز من فرص التعايش السلمي بينهم، كما توصل إلى أن الهبة في المجتمعات القديمة لم تكن مجرد أفعال ثنائية ينخرط فيها طرفان عشوائيا، بل هي نظام شامل شديد التعقيد من المبادلات ينتقل بموجبه جميع أنواع الممتلكات والحقوق بين الأطراف المعنية دونما حاجة إلى السوق وإلى العقود الوضعية. ويفسر موس هذا النظام التبادلي في ثلاث ضرورات الأولى إلزامية تقديم الهبة يقابلها إلزامية تقبلها، إذ أن هذه الهدية إذا لم تقبل، يجعل "المستقبل يفقد مكانته فهي إعلان واعتراف بالهزيمة سلفا" وهناك إلزامية الرد عنها، فالهدية التي لا يرد عليها تجعل متقبلها في وضعية دونية، خصوصا عندما تقبل الهدية من دون أن تكون هناك نية لرد عليها.

إذن الهبة من هذا المنظور تؤسس لعلاقة التبادل وتعزز العلاقات بين الأفراد، تعمل على استمرار العلاقة وتوطيدها، ويقال في المثل الشعبي: "لي جا وجاب، يستاهل الفراش والجواب". و"لي جا وجاب، يستاهل تحريشة من الكلاب"، كما يقال في فضل الهدية "تهادوا تحابوا"، ويقال أيضا في المخيال المحلي الجزائري: "من عندي ومن عندك تتطبع ولا من عندي تنقطع"، ما يؤكد ضرورة التبادل في خلق الرابطة الاجتماعية.

¹ عبد الله عبد الرحمن يتييم، المدرسة الأنثروبولوجية الفرنسية، عادات وتقاليد، الثقافة الشعبية، العدد السادس، صيف 2009، البحرين، ص 98.

الفصل الثاني: الهدية بين تعدد الأطر النظرية وتعدد القراءات

ثالثاً: النظرية التفاعلية الرمزية

تشير معظم النظريات الاجتماعية كيف يشرع الأفراد والجماعات في الحصول على ما يريدونه من خلال ما يعرف بنظرية الفعل الاجتماعي الذي يتم بدوره بناء على الحاجة والتفاعلية، بمعنى أن البشر يتصرفون حيال الأشياء على أساس ما تعنيه لهم، وأن هذه المعاني هي نتاج للتفاعل الاجتماعي في المجتمع الإنساني، حيث يتم تداولها عبر عملية تأويل يستخدمها الفرد في تعامله.

وهي نظرية أمريكية بارزة في علم النفس الاجتماعي، تركز اهتمامها على طرق تكون المعاني من خلال عملية التفاعل، وتهتم بالتحديد على تحليل معاني الحياة اليومية، عن طريق الملاحظة المباشرة، وزيادة درجة الألفة الحميمة، ثم تعتمد على ذلك في الوصول إلى فهم للأشكال الأساسية للتفاعل الإنساني.

وللنظرية أربعة محاور رئيسية وهي:

- إلقاء الضوء على الطرق التي يجيد بها البشر التعامل بالرموز، فبفضل الرموز يستطيعون إنتاج الثقافة واستخدامها في نقل تاريخ معقد من جيل إلى جيل.
- التركيز على العملية والظهور، فالعالم الاجتماعي في نظر التفاعليين عبارة عن شبكة دينامية جدلية، والمواقف تواجهها دائماً نتائج غير مؤكدة أو مستقرة، والحياة وتواريخ كل حياة منخرطة على الدوام في عملية تحول وضرورة، لا تثبت على حال واحد ولا تتوقف عن الطفرات. والتركيز هنا يكون حول ملاحقة مسارات النشاط بما يرتبط بها من عمليات توائم وما ينجم عنها من نتائج.
- أن العالم الاجتماعي بوصفه يقوم تماماً على التفاعل، فلدى أصحاب وجهة النظر هذه لا يوجد فرد وحيد منعزل، فالبشر في حالة ارتباط دائم مع الآخرين.
- إن التفاعلية تنظر إلى ما وراء هذه الرموز والعمليات والتفاعلات لكي تحدد الأنماط الأساسية للحياة الاجتماعية.¹

¹جوردون مارشال، موسوعة علم الاجتماع، المجلد الأول، ترجمة: محمد الجوهري وآخرون، ط2، 2007، ص392.

الفصل الثاني: الهدية بين تعدد الأطر النظرية وتعدد القراءات

قام بتطوير التفاعلية الرمزية جورج هربرت ميد الذي ينتمي إلى مدرسة شيكاغو، ونشر بلومر أعماله بعد وفاته. ومن الأفكار الرئيسية لهذه النظرية هي:

- تتشكل الحياة الاجتماعية وتستمر وتتغير المعاني الأساسية التي ترتبط بها عبر تفاعل الناس فيما بينهم واستجاباتهم لبعضهم لبعض على أساس المعاني التي يضيفونها على عالمهم، فتصبح الحياة الاجتماعية والأشياء ذات دلالة عندما يضيفون معاني عليها.
- يعبر عن الحياة الاجتماعية برموز واللغة هي أهم نظام رمزي.
- يهدف البحث الاجتماعي إلى دراسة بنية الأنظمة الرمزية ووظائفها ومعانيها.
- أفضل طريقة للبحث الاجتماعي هي الطريقة الطبيعية التي تتضمن إجراءين: الاستكشاف والتفتيش. ويهدف الاستكشاف إلى دراسة ميادين جديدة والبحث عن تفصيلات وتقديم فهم واضح لسؤال البحث، أما التفتيش فهو طريقة تحليلية تتضمن عملية اختبار مكثفة ومركزة.
- تتشكل المعاني في التفاعل الاجتماعي ومن خلاله، ويكون تعلمها من خلال التفاعل وليس بأي طريقة أخرى.
- تستخدم المعاني وتشكل وتدار من خلال التفاعل.¹

بدأ استخدام التفاعلية الرمزية كمصطلح يشير إلى مدخل معين ومميز لدراسة حياة الجماعة الإنسانية والسلوك الشخصي، وهي تدعو إلى استقصاء الأفعال المحسوسة للأشخاص مع التركيز على أهمية المعاني وتعريفات المواقف والرموز والتفسيرات، وذلك لأن التفاعل بين الإنسان يتم وفقاً لهذه النظرية عن طريق استخدام الرموز وتفسيرها.

ويرتكز التفاعل الرمزي كما يعرفه "بلومر" على ثلاث مقدمات منطقية هي:

- أن بني الإنسان يتعاملون مع الأشياء على أساس معانيها بالنسبة لهم.
- أن المعاني مشتقة من التفاعل الاجتماعي الذي يمارسه الفرد مع رفقاءه.

¹سوتيريوس ساراتناكوس، البحث الاجتماعي، ترجمة: شحدة فارح، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، مراجعة: ثائر ديب، بيروت، لبنان، يناير 2017، صص (121-122).

الفصل الثاني: الهدية بين تعدد الأطر النظرية وتعدد القراءات

■ أن هذه المعاني يتم تناولها وتعديلها من خلال عملية تفسيرية يستخدمها الفرد في التعامل مع الأشياء التي يواجهها.

فالتفاعلية الرمزية تعتبر من النظريات الحديثة المهمة لأنها أحدثت منظور تحليلي مختلف للظواهر والسلوكيات والعلاقات الاجتماعية من جانب، وكما ساهمت في تحديث وإثراء منهجية علم الاجتماع ليتمكن من استيعاب التشكلات الحديثة في المجتمع من جانب آخر، كما أن هاته النظرية طبقت منهج "ماكروسوسيولوجي" الذي يشمل كل الجوانب الأخرى المرتبطة بالمجتمع رغم أنها في الأساس تتبنى مقاربة "ميكروسوسيولوجية" في دراساتها.

وأهم مقولاتها أو مفاهيمها الأساسية هي الرموز لبناء شبكة علاقات اجتماعية، ويجب أن تصل هاته الرموز والمعاني حيث أن "جورج ميد" ينطلق من فكرة أساسية هي أن الإنسان كائن حي تفاعلي وتواصلية يستخدم الرموز لبناء شبكة علاقات اجتماعية، ويجب أن تصل هاته الرموز للفهم المشترك لتصبح متداولة. كما أن التوقعات والسلوك مفهوم مهم عند أصحاب هذه النظرية حيث أن المجتمع عندهم ماهو الا وسط للتفاعل والترابط الاجتماعي، وتبنى التفاعلات في الأساس على توقعات الأفراد لسلوكيات بعضهم بناء على تصورات رمزية مسبقة. وهناك مفهومان آخرين مهمين في هذه النظرية هما الأدوار والتفاعلات، فلا تخلو أي علاقة اجتماعية من وجود تقمص للأدوار وتفاعل اجتماعي بناء على هذا التقمص للدور، ولا تنتج أي علاقة الا بفعالية القيام بالدور والتفاعل الايجابي.

إن الفكرة الأساسية التي تركز عليها النظرية هي التأكيد على أن معظم السلوك الإنساني ينشأ من خلال التفاعل الاجتماعي، فالإنسان كائن اجتماعي يشعر بالمحبة والبغض كما يشعر بالاعتزاز بذاته أو بمركزه، فكلما تفاعل الفرد مع غيره وتبادل معه علاقة مشتركة، فأن ذلك يعني أنه تفاعل معه، ومن ذلك فأن الفرد يعتبر شخصا اجتماعي من خلال هذا التفاعل، إذ أنه يطور شخصيته ويصقلها من خلال انتمائه للآخرين في وحدات اجتماعية متعددة.

الفصل الثاني: الهدية بين تعدد الأطر النظرية وتعدد القراءات

حيث يرى العديد من الأنثروبولوجيين وعلماء الاجتماع ومنهم مارسيل موس في مقالته الشهيرة حول الهبة، أن التبادل هو أساس العلاقات الاجتماعية والعائلية والاقتصادية كافة.¹ وعموماً فإن هناك عوامل يجب اعتبارها في العلاقات الاجتماعية:

- أن الفرد يعيش معظم حياته في ظل ثقافة معينة وجماعات تتكون منها هذه الثقافة، حيث أن المعاني والخبرات التي تكونها هذه الوحدة الاجتماعية.
- إن السلوك الاجتماعي للأفراد يتم وجهاً لوجه مع الأفراد الآخرين لاعتبار حاجاتهم وأفعالهم ومن ثم فإن علاقات الفرد الاجتماعية المباشرة ستكون هامة جداً في تحديد تصرفاته.
- يقضي الأفراد جزءاً كبيراً من حياتهم داخل الجماعات ومن ذلك فإن مراكزهم وحاجاتهم تمارس تأثيراً قوياً على سلوك الفرد.²

وعليه يرى هيربرت ميد أن البشر يعتمدون على رموز وتقاهمات ومواضع مشتركة في تفاعلهم مع بعضهم البعض، ولأن البشر يعيشون في عالم زاخر بالرموز، فإن جميع عمليات التفاعل بين الأفراد تشتمل على تبادل الرموز.³

ويرى الباحثان كابان ودورتييه: " أن طقوس التفاعل هي مقدار من المناسبات لتأكيد النظام الأخلاقي والاجتماعي، ففي اللقاء يسعى كل فاعل إلى تقديم صورة قيمة عن نفسه، هي المظهر أو القيمة الاجتماعية الايجابية التي يدعيها الشخص عملياً من خلال توجه الفعل الذي يفترض الآخرون أنه يتبناه في سياق لقاء خاص.⁴

¹ فريديريك معتوق، الموسوعة الميسرة في العلوم الاجتماعية، مكتبة لبنان، بيروت، لبنان، 2012، ص 55.
² تمرسيت فتحة، "الأسرة الجزائرية والتغير الاجتماعي"، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في علم الاجتماع، تخصص علم الاجتماع الحضري، 2016/2015، جامعة محمد خيضر بسكرة، قسم العلوم الاجتماعية، ص 49.
³ أنتوني غيدنز، علم الاجتماع، ترجمة: فايز الصياغ، مركز دراسات الوحدة العربية للتوزيع، ط1، بيروت، 2005، ص 76.

⁴ علي الشيخ وكويحل فاروق، سوسيولوجيا الحياة اليومية-الواقع المعاش للأفراد في الوسط الاجتماعي، مجلة الشامل للعلوم التربوية والاجتماعية، جامعة الشهيد حمة لخضر الوادي، المجلد 01، جوان 2018، ص 124.

الفصل الثاني: الهدية بين تعدد الأطر النظرية وتعدد القراءات

تتمثل استخداماتها التي تعبر عن جوهر الرؤى النظرية للتفاعلية الرمزية في الآتي:

- الإنسان كرمز: إن الإنسان له القدرة في خلق الرموز في العالم المعاش، وذلك من خلال خبرته، حيث أن خلق الرموز واستخدامها في المسائل الإنسانية يخلق عملية البقاء أو التغير.
- الاتصال الرمزي: لقد استخدم الإنسان الرموز في عمليات الاتصال بالآخرين، حيث أن عملية الاتصال الرمزي هي ما يعبر عنه استخدام الإنسان للكلام أو اللغة الرمزية في عملية الاتصال.

فالتفاعلية الرمزية تركز على السلوك الإنساني، وترتكز عليه في إطار الحياة اليومية. حيث يرى جيدنز أن الأفعال البشرية ما هي إلا ممارسات لها خصائص معينة تستند عليها البنى الاجتماعية، وتتضمن بالضرورة عملية تواصل يحكمها الرموز الدالة لها.¹

فأهم ما يميز هذه النظرية هو الحتمية الفائقة إلى ضرورة النظر في الأدوار، والتي يعتبرها رالف دارندورف أنها الأفكار المشتركة والموروثة والتي توجه وترشد السلوك، ولكنها لا تحتمه. فالفرد فاعل اجتماعي نشط، كما يقول ايمانويل ليفيناس: نحن من نؤسس النظام وليس العكس.

يقول موس: "ليست الهبات برموز فقط، ولكن الرموز هبات بالتأكيد"، لقد تابع موس أعمال دوركايم لما حققته نظريته للثقافة والدين على المجال الأنثروبولوجي والاثولوجي، والذي ظهر كمنظر للنظرية السيميائية الثقافية، حيث جاء هذا التيار بفكرة أن الرموز تولد من خلال العواطف التي تنجر عن الطقوس الجماعية، فالطقوس هي من يفرز هذه الترجمات الرمزية لسلوكيات الأفراد، ويرى موس في مقالته عن السحر أن الرمز يتدخل في إنتاج المعاني في المجتمع، وقوة الاجتماع تظهر دائما في قوة الرمز داخل المجتمع، مما يوفر أساسا متينا لنظرية التفاعل الرمزي، كما ننوه أن موس كان في بداية تحليله لموضوع الهبة يتبنى المنظور البنيوي في التحليل، إلا أنه وبعد العمل الميداني اكتشف ضرورة الاهتمام بالرمز كوسيلة صحيحة للتأويل.

¹شحاتة صيام، النظرية الاجتماعية من المرحلة الكلاسيكية إلى ما بعد الحداثة، 2009، مصر العربية للنشر والتوزيع، ص-ص (195-241).

الفصل الثاني: الهدية بين تعدد الأطر النظرية وتعدد القراءات

الفعل الفردي الذي ينجزه الآخر ضمن المنظومة الجمعية يمكن تقديره جمعياً من جهة كونه كلا لا يتجزأ. ومن خلال الفهم الكتلوي تتضح خصوصية كل فعل فردي ضمن الكتلة، حينما ينظر إلى هذه الأفعال من جهة تتابعها الزمني أو من جهة تخيرها فرادى وإسنادها إلى أصحابها.¹

تعتقد النظرية التفاعلية الرمزية أن الحياة الاجتماعية التي نعيشها حصيلة تفاعلات بين البشر بعضهم بعض أو بينهم وبين المؤسسات الاجتماعية في المجتمع، ومن أبرز روادها هربرت ميد وبلومر وتيرنر. حيث تنظر لأدوار البشر بعضهم تجاه بعض من خلال المعاني والرموز التي يتعاملون بها وطبيعة هذا الرمز والذي يحدد علاقتنا به أو بهم، حيث قد تكون ايجابية أو سلبية اعتماداً على هذا الرمز أو الصورة الذهنية التي كونها عن هذا الرمز أو عن تفاعل معهم، وتبدأ التفاعلية الرمزية بمستوى تحليل الوحدات الصغرى ثم تنتقل منها للوحدات الكبرى أي تبدأ بالأفراد وسلوكهم كمدخل لفهم النسق الاجتماعي الأكبر.

يرى أصحاب النظرية أن التفاعل مع الآخرين هو من أهم العوامل التي تحدد سلوكيات الإنسان، حيث يستخدم أصحاب هذا الاتجاه صيغة التفاعل الرمزي للإشارة إلى الخصائص المميزة والفردية لكل إنسان. فاستجابة الفاعل ليست فورية ومباشرة وإنما تقوم على تقويم معنى الفاعل. وتركز النظرية على دراسة الأسرة من خلال عمليات التفاعل التي تتكون من أداء الدور وعلاقات المكانة ومشكلات الاتصال.

اعتبر هربرت ميد أن المجتمع يمثل نسق ديناميكي من التنشئة الاجتماعية، والذي في داخله تتشكل الذات الاجتماعية خلال التفاعل. كما يرى ميد أنه بالرغم من التنشئة الاجتماعية فإن عمليات الذات تتضمن وجوهاً إبداعية وتلقائية تساهم في التغيير الاجتماعي واختراع أنماط جديدة من التنشئة الاجتماعية، وهكذا جعل من الفردية الإنسانية لديها القدرة على المساهمة في استمرار الديناميكية الاجتماعية والتغيير.²

ومن هذا المنطلق يمكن اعتبار فهم سلوك تبادل الهدايا في الأسرة أو المجتمع من خلال فهم المواقف والأوضاع المحددة له نتيجة التمثل أو الموضوع الاجتماعي المرتكز عليه بين الأفراد وما يحويه من

¹ محمد بن عياد، في المناهج التأويلية، تقديم: محمد الهادي الطرابلسي، ديسمبر 2012، جامعة صفاقس، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، وحدة البحث في المناهج التأويلية، مطبعة التفسير الفني بصفاقس، ص 20.

² د. فاكر الغرابية وآخرون، الإساءة ضد الأطفال في مجتمع الإمارات - دراسة ميدانية على عينة من الأطفال المواطنين والمقيمين، مؤسسة دبي لرعاية النساء والأطفال، دبي الإمارات العربية المتحدة، 2015، ص - ص (22-26).

الفصل الثاني: الهدية بين تعدد الأطر النظرية وتعدد القراءات

دلالات ومعان لها رمزيتها ومعناها، ومن هنا نقول بأن العلاقة بين الرمز والفعل هي علاقة تكاملية حتمية حسب الظرف والظاهرة.

رابعاً: نظرية الرأسمال الرمزي (الممارسة العملية)

ينطلق بيار بورديو من نظريته من رؤية مفادها أن الرأسمال الاجتماعي يعتمد بشكل وثيق على الرأسمال الاقتصادي والثقافي، وهذان الأخيران مرتبطان بالأصل الاجتماعي بشدة، يكون الرأسمال الاجتماعي هاما بمقدار الارتقاء في الهرمية الاجتماعية، حتى أنه أقرب إلى أن يكون حكرا على الذين يتربعون في أعلى هذه الهرمية ويسمح لهم بتقوية موقعهم المهيمن.

وينطلق بيار بورديو في نظريته من رؤية مفادها أن الرأسمال الاجتماعي يعتمد بشكل وثيق على الرأسمال الاقتصادي والثقافي، وهذان الأخيران مرتبطان بالأصل الاجتماعي بشدة. أي أن دور شبكة العلاقات ليس سوى انعكاس للموقع الاقتصادي أو للكيان الاجتماعي، وهذا ما يتفق مع رأي فرانسوا هيران الذي قام بتحليل أول تحقيق إحصائي كبير تم في فرنسا في بداية الثمانينيات، حول الشبكات الشخصية واستخلص: " أن البنات الإجمالية للألفة الاجتماعية أو رأس مال العلاقات تبدو مرتبطة إلى حد بعيد برأسمال الاقتصادي، وهي أشد ارتباطا بالرأسمال الثقافي من أن نتمكن ونجعل منه بعدا مستقلا للحياة الاجتماعية " ¹.

تمثل الممارسة الاجتماعية الموضوع الرئيسي في سوسيولوجيا بيار بورديو، ففضله والى جانب آخرين أصبح هذا المفهوم من المفاهيم الرئيسية في البحث الاجتماعي بسبب قدرتها التفسيرية المتنوعة والملائمة لكشف طبيعة الظواهر الاجتماعية والإنسانية، بحيث يمكن تفسير التباينات الاجتماعية والثقافية في آن واحد، كما يمكن تفسير الظواهر السياسية والاقتصادية والدينية وغيرها، دون أن تفقد النظرية مصداقيتها.

حاول بورديو من خلال نظرية الممارسة أن يقدم حلا للفجوة بين النظرة الذاتية للعالم الاجتماعي، والنظرة الموضوعية ليتوصل إلى أن العلاقة بين الذاتي والموضوعي علاقة جدلية متداخلة ومتشابكة ومتعددة.

¹ فليب كابان- جان فرانسيسكو دورتييه، علم الاجتماع من النظريات الكبرى إلى الشؤون اليومية: أعلام وتواريخ وتيارات، ترجمة: إياس حسن، دار الفرقد للطباعة والنشر والتوزيع، سوريا، 2010، ص (324-325).

الفصل الثاني: الهدية بين تعدد الأطر النظرية وتعدد القراءات

حاول بورديو توضيح كيف تمثل الذات الفاعلة الشروط الموضوعية البنوية، حيث أنتج مصطلح الهابيتوس، وكيف تؤثر هذه الذات في تلك الشروط فأنتج مصطلح المجال.¹

ومنه تصبح الممارسة محصلة العلاقة الجدلية بين الهابيتوس والمجال، أو هي نتائج تفاعل الهابيتوس والمجال، فالممارسة الاجتماعية نشاط إنساني، وليست مجرد فعل آني لكنها فعل موجه من الماضي، تمثل محصلة خبرات مكتسبة أو موروثه، تتضافر لتقييم الواقع المعيش وتحديد طبيعة الفعل الملائم في لحظة الممارسة، فالهابيتوس الذي يكتسبه الفاعل في المجال يصبح بمثابة القواعد المولدة للممارسات.²

يقدم بورديو مفهوم المجال كأداة تفسيرية وسيطة تربط البناء الاجتماعي بالممارسة الاجتماعية، وتتيح له فهم العلاقات والتفاعلات التي تتم في الحياة الاجتماعية، فالبناء الاجتماعي هو مجموعة من المجالات المستقلة نسبيا والمتجانسة بنائيا، والمجال الواحد يتوسط البناء العام والممارسة.³

إن لكل مجال رأسمال نوعي خاص به الذي يكتسبه الأفراد بالتنشئة والتعليم، إلا أن بورديو ركز على أربعة أشكال من أنواع الرأسمال وهي:

- الرأسمال الثقافي: ينتقل إلى الأفراد بطريقتين من خلال الأسرة باكتساب أنماط التفكير والاستعدادات ونظم المعنى، وقيما محددة للسلوك، كذلك يتم انتقاله عن طريق نظام التعليم الذي يعتبره بورديو العائق الثقافي الأكبر، لأنه يعمل على توسيع وإعادة إنتاج قيم وثقافة الطبقة المسيطرة بوصفها الثقافة والقيم الموضوعية للمجتمع بأكمله.

- الرأسمال الاجتماعي: هو مجموعة الصلات التي يعقدها الفرد داخل الشبكة الاجتماعية، وهذه الأخيرة هي مفتاح الفوائد المادية والرمزية، ولا بد له أن يمتلك رأسمالا اجتماعيا يمكنه من استثمار

¹ أحمد موسى بدوي، ما بين الفعل والبناء الاجتماعي: بحث في نظرية الممارسة لدى بيار بورديو، العدد 8، إضافات لبنان، خريف 2009، ص- ص (11-12).

² بيار بورديو، محاولات باتجاه سوسيولوجيا انعكاسية، ترجمة: أحمد حسان، دار ميرت للنشر والمعلومات، القاهرة، 2002، ص 33.

³ أحمد موسى بدوي، مرجع سبق ذكره، ص 15

الفصل الثاني: الهدية بين تعدد الأطر النظرية وتعدد القراءات

العلاقات الاجتماعية المتنوعة لزيادة الرأسمال الكلي الخاص به مثل: علاقات الجيرة، العمل، القرابة... الخ.

فمن خلال المقاربة البنوية فان الرأسمال الاجتماعي لا يعتمد على عدد المعارف لدى الفرد فقط بل يعتمد أيضا على الموقع الذي يحتله في شبكة علاقاته، حيث يرى جيمس كولمان بأنه عبارة عن " بناء علاقة في قلب شبكة ما يعتبر استثمارا، فكل فاعل يفترض أنه يلجأ إلى استثمارات عقلانية تبعا لإستراتيجية قائمة على توقع عقلاني، فمثلا إذا قدم A خدمة إلى B أن يرد له ما يراه مكافئا في فترة قادمة، A ينتظر وB عليه الالتزام، وهذا الالتزام يشكل دينا محتجزا ل A، وبمقدار ما يحتجز الفرد دينا من هذا النوع فهو بذلك يحتجز رأسمال اجتماعي سيمكنه من تحسين سعادته، وفي هذه الحالة تصبح الالتزامات ديونا غير مسددة وعليه فان الرأسمال الاجتماعي مرتبط بمعايير المعاملة بالمثل التي تتفوق في قلب الشبكة ".¹

- الرأسمال الرمزي: يشير إلى درجات المكانة التي يكتسبها الفرد، ويتم التعبير عن هذه المكانة أو القوة الرمزية من خلال علامات التمييز داخل كل مجال، تلك العلامات التي تعمل على إبراز وتأكيد المكانة الاجتماعية، كما يعتبر الرأسمال الرمزي ميزة أي نوع من الرأسمال الاقتصادي أو الثقافي أو الاجتماعي، فهو يمتلك قيمة استثنائية بحيث يكون معترفا به من قبل الفاعلين الاجتماعيين ويلقى منهم إقرارا واعترافا بقيمته المميزة.²

ومن خلاله فان مانح الهدية يضيف لنفسه شرفا اجتماعيا كبيرا وقوة رمزية، في مقابل متلقي الهدية فرأسماله الرمزي يتناقص ويصبح في موقف المدين الواجب عليه رد دينه وهو الهدية.

¹ فليب كابان- جان فرانسيسكو دورتيه، علم الاجتماع من النظريات الكبرى إلى الشؤون اليومية: أعلام وتواريخ وتيارات، ترجمة: إياس حسن، دار الفرقد للطباعة والنشر والتوزيع، سوريا، 2010، ص 329.

² شوفاليه سبفان، شوفيري كريستيان، معجم بورديو، ترجمة: الزهرة إبراهيم، النايا للدراسات والنشر والتوزيع، سوريا، 2013، ص 164.

الفصل الثاني: الهدية بين تعدد الأطر النظرية وتعدد القراءات

- الرأسمال الاقتصادي: يرى أن كلا من الرأسمال النوعي والاجتماعي والثقافي والرمزي، يتداخل بصورة معقدة مع الرأسمال الاقتصادي، يعني ذلك أنه دائما توجد مصلحة اقتصادية كامنة داخل كل رأسمال نوعي.¹

يعرض بورديو من خلال دراسته الميدانية المكثفة التي قام بها حول المجتمع القبائلي في الجزائر لأهم الأفكار التي اشتهر بها، فعن التبادل يرى أنه موجود في كل المجتمعات سواء كانت حديثة كالمجتمعات الغربية الذي يحدث عبر قنوات اقتصادية كالسوق، أما المجتمعات التقليدية كالمجتمع القبائلي عبر قنوات الرمزية. إن التبادل الرمزي للهدايا لا يخضع لمنطق التبادل المادي المميز لآليات السوق والدوافع الاقتصادية بل يخضع لمنطق اجتماعي ثقافي رمزي تلعب في عناصر متعددة أدوارا هامة، ومن بينها طبيعة العلاقة بين الأشخاص، المناسبات التي تقدم فيها الهدايا، الزمن الفاصلين استلام الهدية ووقت ردها.

يعتبر مصطلح الهابيتوس أحد المفاهيم الرئيسية لنظرية بيار بورديو، والذي يعرفه أنه بناء ذهني ومعرفي يمكن الأفراد من التعامل مع العالم الاجتماعي، وهو منتج تاريخي يتشكل خلال التنشئة الاجتماعية وبواسطة التعليم، مشكلا رأس مال نوعي يستخدمه الفرد بشكل لا إرادي أثناء الممارسات المختلفة. فهو يحمل طاقة توليدية قادرة على إعادة التشكيل، فهو الاستعداد أو الميل الاعتيادي للفرد، الذي يبدو كما لو كان طبيعيا وميزة لوجود الأفراد وحياتهم وتنظيم أفعالهم وممارساتهم.²

فالشرف بمنطقة القبائل هو جزء لا يتجزأ من النظام الاجتماعي الكلي، ومن ثم فهو لا ينفك عن النظام الطبيعي الذي يشكل الخلفية الثقافية التي يتغذى منها الرأسمال الاجتماعي، فالشرف رأسمال رمزي يجد مضمونه ومادته ضمن رابطة العرق والدم الطبيعيتين، وهو استعداد جوهري يمتلكه الأفراد ليجعلوا من سلوكهم وممارساتهم متنسقة مع منطق العلاقات الاجتماعية بينهم.

¹ أحمد موسى بدوي، مرجع سبق ذكره، ص 324.

² بيار بورديو، أسئلة علم الاجتماع: حول الثقافة والسلطة والعنف الرمزي، ترجمة: إبراهيم فتحي، دار العالم الثالث، القاهرة، 1995، ص 199.

الفصل الثاني: الهدية بين تعدد الأطر النظرية وتعدد القراءات

فالتهادي بين الأفراد هو وسيلة للمحافظة على المكانة المرموقة والعز، تأكيد الهرمية الاجتماعية، كما يعتبر طريقة للحفاظ على التماسك والرباط الاجتماعي.

كما أن بورديو حاول التعريف بأن الجوانب الثقافية والرمزية والاجتماعية يجب أن تحظى بأولوية التحليل الاجتماعي، وقد نجم عن هذا أن بورديو قد نظر إلى الموضوعات المادية والاقتصادية من منظور رمزي وليس إلى أسس مادية. فالثقافة لا تتفصل عن الواقع الاجتماعي ولا على آليات السوق والاقتصاد، فكما أن الثورة الاقتصادية تحتاج إلى رأس مال مادي من أجل أن تتعامل بفاعلية مع النظام الاقتصادي، نفس المنطلق ينطبق على الثقافة، فالكفاءة الثقافية في أشكالها المختلفة تؤلف رأسمالات ثقافية رمزية من خلال دخولها في علاقات موضوعية وفاعلة مع نسق الإنتاج الاقتصادي.¹

وأخيرا ذهب بورديو إلى اعتبار أن للمفاهيم صفة إجرائية، بمعنى أنها لا تحمل مضمونها وتكتسب معناها إلا في إطار استخدامها في الواقع، وفي إطار نظام معين من العلاقات.²

خامسا: النظرية البنائية الوظيفية

المقاربة التي اعتمدها في بحثنا هي المدخل البنائي الوظيفي باعتباره الإطار الفكري والمقاربة الرئيسية التي تنطلق منها دراستنا باعتبارها الأنسب له، فالمجتمع يمثل بناء متكامل يشمل جملة من الأنساق الاجتماعية التي تتضمن مجموعة من النظم الاجتماعية، حيث يؤدي كل نسق وظيفة تتكامل وتتساند مع باقي الأنساق الأخرى.

لكن الجدير بالذكر أن المقاربة البنائية الوظيفية لن تتفرد بهذه الدراسة لأن طبيعة بعض العناصر في موضوعنا تحتاج إلى طرق أخرى في المعالجة المنهجية والتفسير لذلك استعنا بمقاربة الفهم ثم المقاربة التأويلية إلى جانب المقاربة البنائية الوظيفية التي لازمت عملنا من بدايته إلى نهايته، حيث ركزنا من

¹ السيد حافظ الأسود، الأنثروبولوجيا الرمزية: دراسة نقدية مقارنة للاتجاهات الحديثة في فهم الثقافة وتأويلها، منشأة المعارف، الإسكندرية، 2001، ص 71.

² عبد الغني عماد، سوسيولوجيا الثقافة: المفاهيم والإشكاليات من الحداثة إلى العولمة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2006، ص 99.

الفصل الثاني: الهدية بين تعدد الأطر النظرية وتعدد القراءات

خلالها على تحليل الدلالات الرمزية التي تحويها التمثلات والظواهر الاجتماعية الممثلة لها في المجتمع وبين أفرادها كل حسب معناه ومنطلقه.

إن استخدام هذه المقاربة في موضوعنا يحيلنا لإعطاء فكرة عامة عن مفهومها وكيفية استخدامها فيه كمقاربة رئيسية.

ظهرت النظرية البنائية الوظيفية على يد العالم الاجتماعي البريطاني هيربرت سبنسر، ثم ذهبت إلى أمريكا فطورها هناك كل من تالكوت بارسونز وروبرت ميرتون وهانز كيرث وسي ورايت ملز. ينظر الفكر البنوي الوظيفي للبناء الاجتماعي ككل مترابط ومتفاعل تتبادل مكوناته الاعتماد والتأثير والتأثر. فالظاهرة الاجتماعية هي وليدة الأجزاء أو الكيانات البنوية التي تظهر في وسطها لتؤدي وظيفة اجتماعية لها صلة مباشرة أو غير مباشرة بوظائف الظواهر الأخرى المشتقة من الأجزاء الأخرى للبناء الاجتماعي. ويعترف الاتجاه الوظيفي ببناء الكيانات أو الوحدات الاجتماعية، ويعترف في الوقت ذاته بالوظائف التي تؤديها الأجزاء والعناصر الأولية للبناء أو النسق الفرعي له بناء يتحلل إلى عناصر يطلق عليها الأدوار، ولكل دور وظيفة، وهذه الوظائف مكملة بعضها لبعض ومتكاملة.

تعود جذور البنائية الوظيفية كمدرسة للفكر الوضعي الذي يؤرخ له من القرن 19م، حيث ظهر مفهوم البناء أول ما ظهر عند "لابينيتز" في الرياضيات سنة 1684م، تلاه "إميل دوركايم" سنة 1895م الذي يرى أن وظيفة النظام الاجتماعي هي التوافق بينه وبين احتياجات الكائن العضوي. أما الأنثروبولوجيا فقد كان السبق لـ "مالينوفسكي" الذي قدم تعريف هام للوظيفية سنة 1926، والى جانبه كرائد في هذا الاتجاه قدم "راد كليف براون" مفهوم البناء الاجتماعي حيث يعتبر هذا الاتجاه في الأنثروبولوجيا طريقة لتفسير الظواهر الثقافية من خلال وظيفتها والكيفية التي ترتبط بها بعضها مع بعض في إطار النسق الثقافي والاجتماعي الواحد وكيفية ارتباط هذا النسق بالبيئة الطبيعية.¹ ترافق نشوء هذا الاتجاه مع ظهور اتجاه الانتشار الثقافي، كرد فعل عنيف على النظرية التطورية، وقد تميز الاتجاه البنائي بأنه ليس تطوريا وليس تاريخيا، حيث ركز على دراسة الثقافات الإنسانية كل على حدة في واقعها الحالي، وهذا ما جعله يختلف

¹ايكه هولتكرانس، قاموس مصطلحات الإثنولوجيا والفولكلور، ص-ص (366-367).

الفصل الثاني: الهدية بين تعدد الأطر النظرية وتعدد القراءات

عن الدراسات التاريخية حيث اعتبر الثقافات الإنسانية ظاهرة، تدرس علمياً وبالتالي كشف علاقاتها الداخلية والخارجية.¹

والمبادئ التي تركز عليها النظرية البنائية الوظيفية هي:

1. يتكون المجتمع أو المجتمع المحلي أو المؤسسة أو الجماعة من أجزاء ووحدات مختلفة إلا أنها مترابطة ومتسانة وحداتها مع الأخرى.

2. يمكن تحليل المجتمع تحليلاً بنوياً وظيفياً إلى أجزاء وعناصر لكل منها وظائفها الأساسية.

3. أن الأجزاء هي أجزاء متكاملة، فكل جزء يكمل الجزء الآخر، وأن أي تغيير يطرأ على أحد الأجزاء لا بد أن ينعكس على بقية الأجزاء وبالتالي يحدث ما يسمى بعملية التغيير الاجتماعي.

4. إن كل جزء من أجزاء المؤسسة أو النسق له وظائف بنوية نابعة من طبيعة الجزء، وهذه الوظائف مختلفة نتيجة اختلاف الأجزاء أو الوحدات التركيبية، وعلى الرغم من اختلاف الوظائف فإن هناك درجة من التكامل بينها.

5. الوظائف التي يؤديها المجتمع إنما تشبع حاجات الأفراد المنتمين أو حاجات المؤسسات الأخرى.

6. تعتقد النظرية البنوية الوظيفية بنظامي سلطة يتخذ القرارات ويصدر الأوامر والأوامر إلى الأدوار الوظيفية أو القاعدية، ونظام المنزلة فهو النظام الذي يقضي بمنح الامتيازات والمكافآت.

جمعت النظرية بين كل من النظرية البنائية والوظيفية، تنظر إلى الأسرة على أنها بناء يتكون من عناصر وأجزاء تحتل أوضاعاً وأدواراً. كل جزء له وظيفة خاصة تحدد واجباته وحقوقه في علاقات التفاعل مع الأجزاء الأخرى، فلا يمكن التحدث على وظائف الجماعة دون التحدث عن بنائها، ولا يمكن أن تهتم بالبناء دون الوظائف الاجتماعية، حيث العناصر المكونة لكل هي متكاملة فيما بينها.

يرى أصحاب هذا الاتجاه أن بنية المجتمع متماسكة، فأى نسق اجتماعي يتكون من أجزاء مترابطة ويعتمد بعضها على بعض، كل جزء يدخل ضمن علاقات اجتماعية ضرورية، تأخذ صورة نظام اجتماعي، لهذا

¹ عيسى الشماس، مدخل إلى علم الإنسان (الأنثروبولوجيا)، دراسة من منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، 2004، ص38.

الفصل الثاني: الهدية بين تعدد الأطر النظرية وتعدد القراءات

لا يمكن فهم أي جزء أو أي نظام اجتماعي، فهما صحيحا إلا إذا درسناه في علاقته بالنظم الأخرى السائدة في المجتمع، وهذا ما يشكل "بناء اجتماعيا". والذي يعرفه الأنثروبولوجيون: على أنه نسيج يتكون من العلاقات التي تربط بين أعضاء مجتمع ما.

يرى بارسونز أن البناء الاجتماعي يشمل الأنماط العرفية التي تحدد ما يجب الشعور به في مجتمع ما، على أنه نمط مناسب أو شرعي. فالمجتمع بناء كلي مركب ومعقد من العلاقات المتبادلة بين الناس.¹

اهتم هذا الاتجاه في الأنثروبولوجيا بالتعرف على مدى التشابك والتفاعل بين النظم التي تؤلف حياة المجتمع ككل ونصيب كل نظام منها في المحافظة على تماسك ذلك المجتمع واستمرار وحدته وكيانه.²

ركز هذا الاتجاه على دراسة الثقافات الإنسانية كل على حدة في واقعها الحالي المكاني والزمني. وهو يعبر عن منهج تم التوصل إليه من خلال الموازنة بين الجماعات الإنسانية والأفراد.

فقد رأى مالفينوسكي أن الأفراد يمكنهم أن ينشئوا لأنفسهم ثقافة خاصة، أو أسلوبا معيناً للحياة، يضمن لهم إشباع حاجاتهم الأساسية البيولوجية والنفسية والاجتماعية. لذلك ربط الثقافة بجوانبها المختلفة المادية والروحية والاجتماعية بالاحتياجات الإنسانية.

كما تهتم هذه النظرية بدراسة أثر وظائف الأسرة في ديمومة الكيان الاجتماعي وتهدف إلى توضيح الترابط الوظيفي، بين النسق الأسري وبقية أنساق المجتمع الأخرى، مُركزة أيضاً على دراسة الترابط المنطقي بين الأدوار الاجتماعية الأساسية التي تتكون منها، فهذا الاتجاه البنائي الوظيفي يدرس الأسرة أو العائلة التي تعد نواة لبناء القرابة، فإنه يركز على الأجزاء التي يتكون منها نسق الأسرة والعائلة في ارتباط بعضها ببعض، عن طريق التكامل والتساند الوظيفي، فعند دراسة القرابة وفقاً للمدخل البنائي الوظيفي، نجد التركيز على وظائف الأنساق الفرعية، داخل الأسرة بالنسبة لبعضها البعض وبالنسبة للبناء القرابي كوحدة متكاملة، وكذلك التركيز على وظائف الأسرة والعائلة بالنسبة للمجتمع من جميع

¹ جميل حمداوي، مبادئ علم الاجتماع الاقتصادي، شبكة الألوكة، ط1، 2015، ص 6.

² فتيحة محمد إبراهيم ومصطفى حمدي النشواني، مدخل إلى مناهج البحث في علم الإنسان، ص114.

الفصل الثاني: الهدية بين تعدد الأطر النظرية وتعدد القراءات

جوانبه، باعتبار أنه لن يُمكن فهم أي نسق اجتماعي فهماً صحيحاً إلا إذا درسناه في علاقته بالأنساق الأخرى التي تكون البناء الاجتماعي.

ومن أهم رواد هذه المدرسة نجد كلود ليفي ستروس¹، إيفانز بريثشارد، كيسنج، راد كليف براون² يرى هؤلاء، أن المجتمع الإنساني نسق، بمعنى أن الحياة الاجتماعية تسودها درجة معينة من الترتيب والتماكك والاستمرار، حيث لا يمكن للفرد بدون هذا الترابط أن يُشبع أبسط حاجاته الأولية أو الثانوية، ويرجع هذا الترتيب أو النسق الاجتماعي إلى نظام اجتماعي، يعني هذا أننا لا يمكن أن ندرس أو نفهم أي نظام اجتماعي فهماً صحيحاً، إلا إذا درسناه في علاقته بالنظم الأخرى السائدة في المجتمع المحلي، ثم في علاقته بالكل، الذي يدخل في تكوينه، كالنسق القرابي لا يمكن فهمه أو تحليله بمعزل عن دوره في التضامن الاقتصادي والتمايز الثأري القبلي³.

فالاهتمام بالبنية كترابط منظم وخفي للعناصر الثقافية، يساعد النموذج في تفسيره وراء العلاقات الاجتماعية، يوازيه في اتجاه آخر اهتمام وظائف بالمعنى الذي يحدده مالمينوفسكي، والذي تعني فيه الوظيفة تلبية حاجة من الحاجات، ويكون فيها التحليل الوظيفي هو ذلك الذي يسمح بتحديد العلاقة بين العمل الثقافي والحاجة عند الإنسان، سواء كانت هذه الحاجة أولية أو ثانوية⁴.

تبنى الكثير من علماء الأنثروبولوجيا هذه النظرية وأشهرهم راد كليف براون، فهو يرى أن البناء يتألف من كائنات إنسانية وأن كلمة "بناء" تشير بالضرورة إلى وجود نوع من التنسيق والترتيب بين "الأجزاء" التي

¹ كلود ليفيس ستروس: عالم أنثروبولوجي فرنسي ولد في بروكسل سنة 1908 اهتم بدراسة تنظيمات القرابة، معتمدا في ذلك المنهج البنائي في الفهم والتحليل من أهم إصداراته البنية الأولية للقرابة

² راد كليف براون: هو عالم أنثروبولوجي بريطاني 1881-1955 تخرج من جامعة كامبردج متأثر بدوركايم كثيرا، ربط مفهوم البنية الاجتماعية، بمفهوم الوظيفة، حيث شبه الحياة الاجتماعية بالحياة العضوية.

³ أمينة كرابية، 'طبيعة الرابطة الاجتماعية في المجتمع الحضري'، رسالة لنيل شهادة دكتوراه علوم في علم الاجتماع، جامعة وهران 2، محمد بن أحمد، 2016/2017، ص - ص (189 - 190).

⁴ عيسى الشماس، مدخل إلى علم الإنسان (الأنثروبولوجيا)، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2004، ص - ص (56 - 62).

الفصل الثاني: الهدية بين تعدد الأطر النظرية وتعدد القراءات

تدخل في تكوين "الكل" الذي نسميه "بناء". وكذلك يوجد روابط معينة تقوم بين هذه "الأجزاء" التي تؤلف "الكل" وتجعل منه بناء متماسك متمايز. وبمقتضى هذا الفهم تكون "الوحدات الجزئية" الداخلة في تكوين "البناء الاجتماعي" هي "الأشخاص" أي أعضاء المجتمع الذي يحتل كل منهم مركزا معيناً ويؤدي دورا محددًا في الحياة الاجتماعية.

تبلور هذا الاتجاه عن طريق الأفكار والكتابات اللتين طرحهما مالمينوفسكي وراي كليف براون. يرى مالمينوفسكي أن ثقافة أي مجتمع تنشأ وتتطور في إطار إشباع الاحتياجات البيولوجية للأفراد، والتي حصرها في التغذية والإنجاب والراحة البدنية، والأمان والاسترخاء، والحركة والنمو. وتنشأ النظم الاجتماعية عادة لتحقيق تلك الرغبات. فالثقافة في رأيه عبارة عن كيان كلي وظيفي متكامل يماثل الكائن الحي، بحيث لا يمكن فهم دور أو وظيفة أي عضو من أعضائه إلا في ضوء علاقته بباقي أعضاء الجسم.

تصور راد كليف براون أنه كما أن للجسم الإنساني بناء أو تركيب متكامل، فإن المجتمع أيضا له تركيب أو بناء اجتماعي يتكون من الأفراد الذين يرتبطون ببعضهم البعض، وكل واحد منهم متماسك مع الآخر عن طريق علاقات اجتماعية مقررة.¹

ويرى راد كليف براون أن البناء الاجتماعي ليس إلا مجموعة من "الأنساق الاجتماعية" والأنساق هي الأجهزة أو النظم التي تتفاعلا فيما بينها داخل إطار البناء الكلي الشامل. والنسق عبارة عن عدد من النظم الاجتماعية التي تتشابه وتتضامن فيما بينها في شكل منظم.

لكن ايفانز بريتشارد يقف موقف المعارضة من راد كليف براون ويرى أن العلاقات الاجتماعية التي تتميز بالثبات والاستقرار هي التي تدخل في البناء واستبعد العلاقات الثنائية التي ذكرها براون. فالعلاقة الثنائية علاقة طارئة مؤقتة قد تنتهي بموت أحد الطرفين. ويستبعد ايفانز أيضا من البناء الزمر الاجتماعية الصغيرة مثل الأسرة التي تتكون من جيلين لأنها لا تلبث أن تختفي كوحدة بنائية متميزة.

¹حسين فهيم، قصة الأنثروبولوجيا- فصول في تاريخ علم الإنسان، عالم المعرفة، الكويت، فبراير 1986، ص-ص(19-130).

الفصل الثاني: الهدية بين تعدد الأطر النظرية وتعدد القراءات

أما الذي يدخل في البناء بالنسبة له فهو الجماعات الكبيرة المتماسكة الدائمة كالعوائل والعشائر التي تستمر في الوجود أجيالا طويلة رغم ما يطرأ على مكوناتها من تغيرات.

ويرى براون أن علاقة النظم بالبناء علاقة بين شطرين:

- علاقة النظام بأفراد الجماعة داخل البناء الاجتماعي.
- علاقة النظام بسائر النظم الأخرى التي تتعلق بالنسق والبناء الاجتماعي.

ويميز براون بين "الصورة البنائية" و"البناء الواقعي"، حيث أن البناء الواقعي يتغير بسرعة واستمرار عكس الصورة البنائية التي تحتفظ بخصائصها وملامحها الأساسية بدون تغير لفترات طويلة من الزمن وتتمتع بدرجة من الاستقرار والثبات.

أما الوظيفة فهي الدور الذي يلعبه الجزء في الكل أي النظام في البناء الاجتماعي الشامل. ويرى براون أن فكرة الوظيفة التي تطبق على النظم الاجتماعية تقوم على المماثلة بين الحياة الاجتماعية والحياة البيولوجية، فالوظيفة هي الدور الذي يؤديه أي نشاط جزئي في نشاط جزئي في النشاط الكلي الذي ينتمي إليه. وهكذا تكون وظيفة أي نظام اجتماعي هي الدور الذي يلعبه في البناء الاجتماعي الذي يتألف من أفراد الناس الذين يرتبطون ببعضهم البعض في كل واحد متماسك عن طريق علاقات اجتماعية محددة.

ورغم تعدد آراء العلماء حول مفهوم الوظيفة إلا أنهم يجمعون فيما بينهم على بعض القضايا التي تشكل في جملتها صياغة النظرية الوظيفية في علم الاجتماع، وقد حصر فاندن برج هذه المفاهيم في سبعة قضايا هي:

- النظرة الكلية للمجتمع باعتباره نسقا يحتوي على مجموعة من الأجزاء المتكاملة.
- رغم أن التكامل لا يكون تاما على الإطلاق إلا أن الأنساق الاجتماعية تخضع لحالة من التوازن الديناميكي.
- إن التوازن والانحرافات والقصور الوظيفي يمكن أن يقوم داخل النسق.
- يحدث التغير بصفة تدريجية ثلاثية.

الفصل الثاني: الهدية بين تعدد الأطر النظرية وتعدد القراءات

- يأتي التغير من مصادر ثلاثة تتمثل في تلاؤم النسق وتكيفه والنمو الناتج عن الاختلاف الوظيفي والتجديد والإبداع.

- العامل الأساسي في خلق التكامل الاجتماعي يتمثل في الاتفاق على القيم.

يعد برونيسلاو مالينوفسكي أحد رواد الاتجاه الوظيفي الحديث والمهتمين بالعمل الاثنوغرافي، الذي يهدف إلى فهم رؤية الفرد وعلاقته بالحياة ليتسنى لنا أن نفهم وندرك رؤيته للعالم. وأكد أن أية نظرية علمية يجب أن تبدأ من الملاحظة وتتجه نحوها، وأنها يجب أن تكون استقرائية، ولتحقق من صدقها يجب أن تتعرض للتجارب العلمية، وعليه فإن الملاحظة والدراسة الميدانية والاستقراء هي محكات للتفكير العلمي.¹

وينطلق فكره بوجه عام حول نظريته عن الثقافة التي صاغها في دراسته لنظام الكولا في جزر المحيط الهادي من بديهيتين رئيسيتين هما:

- كل ثقافة بصرف النظر عن مدى تقدمها أو تخلفها يجب أن تشبع الرغبات والحاجات البيولوجية للإنسان وبذلك توجد فرصة حقيقية للاستقرار ولتقدم المجتمع.

- الاتجاه الثقافي ما هو الا تدعيم آلي وتلقائي للفيسيولوجيا البشرية.²

تعتبر النظرية البنائية الوظيفية نظرية اجتماعية بحتة وموضوع الهدية يعتبر موضوع اجتماعي بحت، وأيضا لتركيزها على النسق والنظام والوظيفة التي هي عناصر أساسية في دراسة موضوع الهدية.

وتتنمي ظاهرة التهادي إلى نسق التبادل ويعتبر التبادل من المواضيع الأساسية في العلاقات الاقتصادية سواء في المجتمعات البدائية أو في المجتمعات الحديثة. وبما أن التهادي ظاهرة من الظواهر الاجتماعية المنتشرة في جميع المجتمعات تقريبا، فهي مهمة لمعرفة جوانب النظام الاقتصادي في أي مجتمع وعلاقة هذا النظام بغيره من الأنظمة. فالهدية تقوم بوظيفة اجتماعية هي توطيد العلاقات الاجتماعية وتكوين

¹ ربيع كردي، البنائية الجديدة في علم الاج والأنثروبولوجيا، مصر العربية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2011، ص19.

² محمود أبو زيد، أعلام الفكر الاج والأنثروبولوجي الغربي المعاصر، ج2، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2007، ص131.

الفصل الثاني: الهدية بين تعدد الأطر النظرية وتعدد القراءات

الصدقات وتنتمي في الوقت ذاته إلى البناء الاجتماعي الشامل في أي مجتمع. فظاهرة الهدية لا يمكن دراستها منفصلة عن باقي النظم الاجتماعية والدينية والسياسية والاقتصادية والقربانية وغيرها.

وتبادل الهدايا يتطلب في البداية التهادي بين اثنين وتتسع دائرة هذا التبادل لتشمل المجتمع كله. وكما ذكر أحمد أبو زيد في تحليله لنظام الكولا أنه على الرغم من كثرة العلاقات الثنائية التي تضم آلاف الناس، فإن كل هذه العلاقات المتنوعة تنتظم في آخر الأمر في شبكة واحدة من العلاقات والصلات بحيث تؤلف نسيجاً واحداً متماسكاً يضم جميع الذين يجرون بقواربهم في رحلات منتظمة يقطعون خلالها مئات الأميال للتبادل والتعارف ليس فقط كأفراد بل وفي بعض الأحيان كتجمعات قبلية كبيرة.

ولذلك كان تبني النظرية الوظيفية وتطبيقها على ظاهرة التهادي من الخطوات المهمة في هذا البحث لأن ظاهرة التهادي تمس جوانب النظرية وخاصة فيما يتعلق بتشعب العلاقات الاجتماعية ووظيفة هذه الظاهرة أي التهادي في حياة الناس في أي مجتمع.

فالاتجاه الوظيفي يساعد في إلقاء الضوء على الوظيفة الاجتماعية لظاهرة تبادل الهدايا في تحقيق المزيد من التماسك الاجتماعي وفيما تتمتع به من خاصية الإلزام. فأى عادة اجتماعية يمارسها الناس بصورة جماعية، لابد أن يكون لها وظيفة تقوم بها وإلا لما وجدت هذه الظاهرة. فالعادات الاجتماعية ولتكن تقديم الهدايا في عيد الأم أو الزوجة في المناسبات الأسرية أو لأفراد الأسرة في حالات الزواج له آثار في المجتمع وتتمثل في تعزيز الترابط بين أفراد المجتمع وتقوية التماسك الاجتماعي. فالأثر الذي تمارسه هذه العادات الاجتماعية ناشئ عن وجود هذه الصور من أشكال السلوك الاجتماعي وهذا الأثر هو الوظيفة التي يؤديها السلوك الاجتماعي في المجتمع.

الفصل الثاني: الهدية بين تعدد الأطر النظرية وتعدد القراءات

سادسا: النظرية التبادلية الاجتماعية

يعود أصل النظرية إلى عام 1958، عندما نشر عالم الاجتماع الأمريكي جورج هومانز مقالا بعنوان "السلوك الاجتماعي كتبادل". وللنظرية جذور قوية في مجالات الاقتصاد وعلم الاجتماع وعلم النفس، ومن المنظور التاريخي ركز علماء النفس الأوائل على مبادئ التعزيز والوظيفية والنفعية في الواقع، وأدرج عالم الأنثروبولوجيا الفرنسي كلود ليفي ستروس المبادئ الإثنوغرافية الهامة لتبادل الهدايا وأنظمة القرابة في نظرية التبادل الاجتماعي.

ظهرت هذه النظرية كإحدى الاتجاهات النظرية التي تبلورت نهاية الخمسينيات من القرن العشرين، نتيجة لما نشأ من نقد حول إخفاق البنائية الوظيفية في قراءتها في الواقع الاجتماعي. كنظرية تعكس الواقع الامبريقي وتفسير السلوك الإنساني في مستويات مختلفة.

فجاءت محاولتها الأولى في مجموعة الأفكار الأساسية والذي يتمثل بعضها في أن الناس في عملية التفاعل الاجتماعي إنما يتبادلون أنماط السلوك، لتعتمد في تفسيرها للسلوك على عوامل سيكولوجية بحتة ترتبط في بعض مضمونها بعوامل بيولوجية، وجاءت محاولات لاحقة في تجاوز اختزال السلوك الإنساني في العوامل السيكولوجية بارتباط السلوك بالبناء الاجتماعي والثقافة، وهذا ما قال به "بيتر بلاو". ولقد نبعت النظرية من مصادر معرفية متعددة في أهمها بعض أفكار وافتراضات مفكري الاقتصاد السياسي الكلاسيكي بما في ذلك مبدأ المنفعة، وخاصة ما تضمنته كتابات "ادم سميث" و"ريكاردو".

هذا بالإضافة للظروف الاقتصادية التي صاحبت الثورة الصناعية وما ترتب عليها من تغيرات. كما يرجع فكر التبادلية إلى الأنثروبولوجيا أيضا والتي شملت دراساتها نماذج وأفكار عن عملية التبادل ووظائفها الاجتماعية، وارتباط عملية التبادل بالثقافة والحاجات الفردية، وتتنظر الأنثروبولوجيا إلى المجتمع باعتباره شبكة من التبادلات المنظمة عن طريق معيار تبادلي. ومن ناحية أخرى يتمثل ذلك المصدر الآخر بتحليلات المدرسة السلوكية وخاصة ما جاء في كتابات "سكينز" حيث يحاول أنصار علم النفس التجريبي إخضاع الجوانب غير الملموسة في الفعل الإنساني للاختبار، وترجمت نتائجهم إلى افتراضات حول

الفصل الثاني: الهدية بين تعدد الأطر النظرية وتعدد القراءات

علاقة الدوافع والمؤثر بالاستجابة، كربط استجابة الإنسان وسلوكه للمؤثرات كالثواب والعقاب، واعتقادهم يكمن في قدرة الأفراد على التمييز بين اللذة والألم.

وبذلك يمكن القول أن النظرية التبادلية إنما ترجع أساساً إلى تلك المصادر الأساسية التي اشتقت منها مسلماتها وقضاياها الاجتماعية، والتي هي النظرية الاقتصادية والسيكولوجية بالأساس. وتعتبر هذه النظرية أن الفرد هو وحدة التحليل فيها، وأنه من خلال فهم سلوك التبادل للأفراد تتكون لديهم المعرفة بالجماعة التي يكتسبون صفاتها وخصائصها من أعضائها، ومن ثمة فهي ليست ذات كيان مستقل، كما أن لها تحليلات فيما يخص التنظيم وعملياته.¹

قد ظهرت في السنوات الأخيرة الكثير من المدارس التي تهتم بالتبادل من الناحية الاقتصادية والاجتماعية ومنها مدرسة التبادل الاجتماعي على يد العالمين: (فريدريك بارت وسيريل بيلشو)، وتركز نظرية التبادل الاجتماعي على فكرة التبادل في دراسة المجتمع، فيرى بيلشو مثلاً أن كل تفاعل بين الناس يربطهم اعتماد متبادل يمكن النظر إليه على أنه تبادل اجتماعي وإن جميع الوظائف التي تنسب إلى العائلة من التماسك والإشباع الجنسي والتنشئة الاجتماعية وغيرها من الوظائف الهامة التي تقوم بها الأسرة لا تمنع العائلة من التفكك والتشتت ولكن ما يحافظ عليها ويمنعها من التفكك هي حالة المبادلة التي تتم بين أفراد الأسرة، وينتج عن عملية التبادل نوعين من السلع هي سلع مادية و سلع اجتماعية، فالجانب المادي يشتمل على النقود والسلع، أما الجانب الاجتماعي فيشتمل على الخدمات والمراكز والتعاون والمحبة التي تربط بين الأفراد.

ويرى الكثير من أنصار هذه النظرية التمييز بين المبادلات الاجتماعية والمبادلات الاقتصادية، ويعتبر العالم مالينوفسكي أول من أشار إلى هذا التقسيم، وقد اعتبر الباحث الأنثروبولوجي مالينوفسكي أن الدوافع الاقتصادية ليست لها قيمة في مجال التبادل الاجتماعي، وأوضح أن قيمة السلعة المتضمنة في مجال التبادل الاجتماعي سواء كانت أساور أو عقود هي قيمة رمزية ومادية حين تدور هذه النظرية حول ما تمثله بين الماضي والمستقبل وليست ما تستحقه السلعة في ذاتها، ومن هنا فإن مالينوفسكي ينكر قيمة

¹ عيسى عثمان إبراهيم، مقدمة في علم الاجتماع، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2004، ص- ص (112- 116).

الفصل الثاني: الهدية بين تعدد الأطر النظرية وتعدد القراءات

الدوافع الاقتصادية في مجال التبادل الاجتماعي، حيث يرى أن سلع التبادل الاجتماعي ذات قيمة رمزية فقط، وإن وظيفتها تتمثل في إيجاد التعاون والتساند والتضامن الاجتماعي بين الأفراد والجماعات المشتركة في عمليات التبادل الاجتماعي، ومن ثم يمكن اعتبار الهدايا وأشكال التبادل والتزاور والمساعدة في وقت الحاجة وخاصة المناسبات الاحتفالية عوامل تعمل على تقوية التماسك الاجتماعي بين الجماعات فنظام التبادل يتخلل البناء الاجتماعي ويمكن بذلك اعتباره شبكة اجتماعية تشد أجزاء المجتمع بعضها إلى بعض وتجعلها في حالة رائعة من التعاون والتساند.¹

لقد تبلورت هذه النظرية أولاً في الأنثروبولوجيا، ثم منها إلى علم الاجتماع، فعلم اجتماع التربية؛ ومن أبرز روادها في علم الإنسان ما يلي:

- "جيمس فريزر": أظهر في كتابه "الطرائق الشعبية في العهد القديم" عادات الزواج والنظام القرابي في المجتمعات البدائية، من خلال دراسته لنظام الزواج في مجتمع "أبورجنالس" في أستراليا؛ حيث لاحظ بأن عامل الملكية غائب في الزواج؛ فعند زواج الرجل لا يتطلب منه أن يكون مالكا لثروة مالية، أو مادية، بل يشترط أن يكون لديه أخوات أو بنات لكي يستطيع أن يتزوج بواسطتهن، حيث لا يستطيع أن يحصل على زوجة ما لم يقدم من أخواته أو بناته بديلا عنها، ما يدل على أن المرأة تتمتع بقيمة اقتصادية وتجارية عالية.
- "كلود ليفي ستروس": حلل في كتابه "أسس بناء النظام القرابي" نظام الزواج من الأقارب وبين أبناء العم، حيث وجد أن عملية التبادل في هذا المجتمع تحل مشكلة اقتصادية قائمة فيه، فالرجل الذي يبادل أخته وابنته للحصول على زوجة، وهذا يعد من أرخص الطرق دون امتلاك هذا الزوج ثروة أو أملاك. ولكن "ستروس" أضاف أن عملية التبادل الاجتماعي تتضمن الكلفة الاجتماعية التي تختلف عن الكلفة الاقتصادية، لأن الكلفة الاجتماعية تعني الالتزام بالآداب الاجتماعية العامة والقيم والأعراف وعدم مراعاة الرغبة النفسية فقط (السلوكية)، فالالتزام بالآداب العامة يجابهه اعتراف الجماعة بعضوية الفرد.

¹ مطرف عمر وبن معمر بوخضرة، "الأعياد والمناسبات الاحتفالية في المجتمع الجزائري بين العادات الاجتماعية والمظاهر الفرجوية- دراسة انثروبولوجية"، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد 52، ديسمبر 2019، ص 390.

الفصل الثاني: الهدية بين تعدد الأطر النظرية وتعدد القراءات

ينظر "ستروس" إلى عملية التبادل الاجتماعي على أنها جزء من عملية التكامل والتضامن الاجتماعي وقد استنتج أن: دوافع الفرد لا تؤثر بقدر ما تؤثر مكونات البناء الاجتماعي التي يتعلمها من خلال التنشئة الاجتماعي على عملية التبادل الاجتماعي بين الأفراد. فالقيم الاجتماعية هي التي تضع مكافأة لبعض أنماط السلوك المتماثل وتضع عقوبات على الفرد المعارض. يرى ليفي ستروس أن منظور التبادل الاجتماعي يركز على أنظمة التبادل المعمم مثل أنظمة القرابة وتبادل الهدايا.

انتقد "ستروس" التفسير والتحليل النفسية التي استخدمها السلوكيون، وكل التجارب التي أجريت على الحيوان من طرف: "بافلوف"، "واطسن" "ثورندايك"، التي تتضمن الاستجابة مقابل المكافأة، والتي عممت نتائجها على السلوك الإنساني، وأضاف "ستروس" أن السلوك الإنساني أو المجتمع الإنساني يتميز بالإرث الحضاري أو التراث الثقافي من: قيم، أعراف، عادات لا توجد في المجتمع الحيواني. كما استبعد "ستروس" التفسير الاقتصادية القائمة على المنفعة.

يرى ليفي ستروس أن التبادل هو العنصر الأساس لكل الظواهر التي درسها مارسيل موس، فمنح الهبة وقبولها والرد عليها يمثل حقيقة واحدة هي التبادل. وحسب ليفي ستروس فإن كل ما هو اجتماعي هو عبارة عن تبادل أو مجموعة من التبادلات: تبادل النساء (القرابة)، وتبادل الأشياء (الاقتصاد)، وتبادل الكلمات (الثقافة).

وقد أوضح ليفي ستروس كيف أن قبائل بورورو تعتمد على هذا المبدأ، فالزعيم يحصل على خدمات من كل العشائر في شكل طعام أو أشياء مصنوعة، لكنه على غرار ذلك فالثروات التي بين يديه لا يكاد يحتفظ بها لنفسه، حتى يقوم بتوزيعها على أفراد القبيلة.

لقد فتح ليفي ستروس بتركيزه على ظاهرة التبادل الباب أمام باحثين آخرين من أجل تعميق دراسة الظاهرة، حيث ركز مارشال سالنيز في كتابه "العصر الحجري، عصر الوفرة" على الجانب الاقتصادي لظاهرة التبادل لدى المجتمعات البدائية. فكل قبيلة لا يمكن أن تعيش على الاكتفاء الذاتي لاعتمادها على مبدأ التخصص، مما يعني أنها لا تحتاج إلى كل ما تنتج، ولا تنتج كل ما هي في حاجة إليه، وهذا يضطرها إلى تصريف بعض منتجاتها وتصريف أخرى، ولا يتحقق

الفصل الثاني: الهدية بين تعدد الأطر النظرية وتعدد القراءات

هذا الأمر إلا بفضل التبادل الذي يساعد على تقوية آصرة المحبة والتعاقد بين أفراد القبيلة الواحدة، بل يحقق السلم بين قبائل مختلفة كانت ستلجأ لولا التبادل إلى السلب والنهب.¹

- "مالينوفسكي": اهتم بدراسة ظاهرة التبادل الرمزي في جماعة "الكولا" في مجتمع "تروبرياندا" (الطرف الشرقي لغانا الجديدة). ينقسم الكولا إلى جماعتين، واحدة تعطي الأساور والأخرى ترد لها القلائد، ومن خلال ذلك تبنى علاقات اجتماعية متينة، فهذا التبادل لا يحمل منفعة اقتصادية (فهو تبادل لبضائع كمالية وليست نفعية). فعلى العكس تماما عندما يكون التبادل اقتصاديا ويخص بضائع نفعية أي غير كمالية بل ضرورية، ففي هذه الحالة تجرى مساومات عدائية مجادلة حادة في الثمن. ويرى مالينوفسكي من خلال تبادله مع الكولا، ورسم تمايزا حادا بين التبادل الاقتصادي والتبادل الاجتماعي، ويقول مالينوفسكي مستخدما تبادله مع الكولا، حيث أن دوافع التبادل يمكن أن تكون اجتماعية ونفسية بشكل أساسي.

هناك شكل آخر من التبادل يجري خلال الاحتفال الديني « Le potlatch » الذي يقيمه هنود على الساحل الغربي من كندا، ويتمثل هذا الاحتفال في تقديم هدية إلى الغير على أن يلتزم هذا الأخير بتقديم هدية مقابلة أعلى ثمنا من التي قدمت له، وإذا لم يتمكن من ذلك فإنه يذل، إذن هي لعبة عدوانية واستغلالية.

- "مارسل موس": ألف كتابا حول الهبة سماه: "محاولة حول الهبة" « Essai sur le potlatch » 1924don، حيث تعتبر دراسة مثالية للتفاعلات التبادلية؛ ففي نظره أن الآداب الاجتماعية تمثل قوة إلزامية في المجتمع تفرض على الأفراد إعطاء وإعادة إرجاع هدية مماثلة أو ذات قيمة أكبر من المستلمة، فتبادل الأساور والقلائد عملية اجتماعية صرفة وليست اقتصادية وهي من الآداب العامة التي تحافظ على البناء الاجتماعي، وبالتالي فقد تأثر بالكلفة الاجتماعية وليس الاقتصادية.² فموس فيحدد الدور الذي تلعبه الأخلاق والدين في التبادل الاجتماعي، حيث يقول

¹محمد حبيدة، الأنثروبولوجيا من البنيوية إلى التأويلية، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، 2014، ص-ص (35-38).

² بلحيزي سعاد، "المؤسسة التربوية من منظور النظرية التبادلية السلوكية"، جامعة تلمسان، مقياس: سوسيلوجيا المؤسسة التربوية، أولى ماستر علم اجتماع التربية، الموقع: <https://elearn.univ-tlemcen.dz>

الفصل الثاني: الهدية بين تعدد الأطر النظرية وتعدد القراءات

بأن التبادل الموجود في المجتمع يتأثر بالسلوكيات الاجتماعية، بينما تؤثر الأخلاق والدين على جميع جوانب الحياة.

وقد ظهرت في السنوات الأخيرة الكثير من المدارس التي تهتم بالتبادل من الناحية الاقتصادية والاجتماعية ومنها مدرسة التبادل الاجتماعي على يد العالمين "فريديريك بارث وسيريل بيلشو"، وتركز نظرية التبادل الاجتماعي على فكرة التبادل في دراسة المجتمع فيرى بيلشو مثلاً أن "كل تفاعل بين الناس يربطهم اعتماد متبادل يمكن النظر إليه على أنه تبادل اجتماعي وأن جميع الوظائف التي تنسب إلى العائلة من التنازل والإشباع الجنسي والتنشئة الاجتماعية وغيرها من الوظائف الهامة التي تقوم بها الأسرة لا تمنع العائلة من التفكك والتنشئة ولكن ما يحافظ عليها ويمنعها من التفكك هي حالة المبادلة التي تتم بين أفراد الأسرة، وينتج من عملية التبادل نوعان من السلع هي سلع مادية و سلع اجتماعية، فالجانب المادي يشتمل على النقود والسلع أما الجانب الاجتماعي فيشتمل على الخدمات والمراكز والتعاون والمحبة التي تربط بين الأفراد.

ويرى الكثير من أنصار هذه النظرية التمييز بين المبادلات الاجتماعية والمبادلات الاقتصادية، ويعتبر العالم مالينوفسكي أول من أشار إلى هذا التقسيم، وقد اعتبر الباحث الأنثروبولوجي مالينوفسكي أن الدوافع الاقتصادية ليست لها قيمة في مجال التبادل الاجتماعي، وأوضح أن قيمة السلعة المتضمنة في مجال التبادل الاجتماعي سواء كانت أساور أو عقود هي قيمة رمزية ومادية حين تدور هذه النظرية حول ما تمثله بين الماضي والمستقبل وليست ما تستحقه السلعة في ذاتها، ومن هنا فإن مالينوفسكي ينكر قيمة الدوافع الاقتصادية في مجال التبادل الاجتماعي، حيث يرى أن سلع التبادل الاجتماعي ذات قيمة رمزية فقط، وأن وظيفتها تتمثل في إيجاد التعاون والتساند والتضامن الاجتماعي بين الأفراد والجماعات المشتركة في عمليات التبادل الاجتماعي، ومن ثم يمكن اعتبار الهدايا وأشكال التبادل والتزاور والمساعدة في وقت الحاجة وخاصة المناسبات الاحتفالية عوامل تعمل على تقوية التماسك الاجتماعي بين

الفصل الثاني: الهدية بين تعدد الأطر النظرية وتعدد القراءات

الجماعات، فنظام التبادل يتخلل البناء الاجتماعي ويمكن بذلك اعتباره شبكة اجتماعية تشد أجزاء المجتمع بعضها إلى بعض وتجعلها في حالة رائعة من التعاون والتساند.¹

غالبا ما ترتبط الهدايا بالمواسم والأعياد والمناسبات، فالهدية تعتبر في نظر المهدي والمهدى إليه دينا واجب الوفاء، ولا يقتصر دورها على النواحي المادية فقط بل يمتد أثرها إلى الترابط والتواصل الاجتماعي حيث أن تكرار المناسبات ومواسم الهدايا سواء من حيث الأخذ أو العطاء تقوي الصلات الأسرية والعشائرية والاجتماعية عموما، كما أن صفة الإلزام التي صاحبها في العرف الاجتماعي جعلتها واجبة الأداء وتضفي عليها هالة من الإلزام والقداسة، ومن ثم يمكن اعتبار الهدايا شكلا من أشكال التبادل بين الجماعات العائلية والقرابية وإن كانت تمثل عملية اقتصادية في أساسها يتم بمقتضاها انتقال المواد والخدمات بين الأفراد فهي تمثل عملية اجتماعية.

ففي المواسم والمناسبات الهامة كالزفاف والختان أو مواجهة الالتزامات التي تفرضها الطقوس قد يلتمس الشخص المساعدة من الأقارب والأصدقاء والجيران وقد تتخذ هذه المساعدات شكل النقود أو المواد الغذائية أو رؤوس الأغنام وغيرها، كما يتوقع المعطي في بعض المجتمعات أن ترد إليه هذه الأشياء في مناسبة تالية عندما يحتاج إلى المساعدة ولا يستطيع القيام بالتزامات معينة بمفرده وهذا من باب المقابلة بالمثل.

كما يمكن أن نحدد القضايا الأساسية لنظرية التبادل الاجتماعي، والتي تتحدد في خمس قضايا وهي على الترتيب التالي:

- قضية النجاح: وتعني انه إذا ما كوفئ شخص نتيجة لقيامه بنشاط معين، فإن ذلك الشخص يكون أكثر رغبة بعد ذلك لإنجاز هذا النشاط والقيام به.

¹ مطرف عمر وبن معمر بوخضرة، الأعياد والمناسبات الاحتفالية في المجتمع الجزائري بين العادات الاجتماعية والمظاهر الفرجوية دراسة أنثروبولوجية، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد 52، ديسمبر 2019، ص390.

الفصل الثاني: الهدية بين تعدد الأطر النظرية وتعدد القراءات

- قضية الحافز أو المثير: وتعني انه لو حدث مثير في الماضي، وأدى إلى خلق ظروف تشابه كبيرة بين ذلك المثير في الماضي والحاضر، لكان من المحتمل قيام الشخص بنشاط مماثل لما قام به في الماضي وحصل منه على مكافئة.

- قضية القيمة: تعني انه كلما انطوت نتيجة فعل شخص أو نشاط على قيمة، كلما زاد احتمال قيامه بذلك النشاط الذي يعد في نظره ذا قيمة أكثر بالنسبة له.

- قضية الإشباع والحرمان: وهي تنقسم إلى شقين، الأول منها ويعني انه لا يتمكن الشخص من خلال أفعاله التي يقوم بها الحصول على تلك المكافأة التي كان يتوقعها، فانه سوف يغضب، ومن ثمة يكون أكثر ميلا نحو القيام بسلوك عدواني، وتصبح نتائج هذا السلوك بالنسبة له فيما بعد أكثر قيمة. ويتحدد الثاني في انه حينما يقوم الشخص بفعل معين يتوقع له مكافئة، ومن ثمة يحصل على مكافأة أكثر من التي كان يتوقعها، ولم يحصل على العقاب الذي كان يتوقعه، فانه يصبح مسرورا، ويكون أكثر رغبة في القيام بإنجاز سلوك مقبول، وتصبح نتائج هذا السلوك أكثر قيمة بالنسبة له، وبذلك فيما ينطوي الموقف على عدالة في توزيع المكافآت.

فحسب هذه النظرية نجد أن الأهداف والحاجات الخاصة هي المحرك الأساسي للأفراد، ونظرا لما تحققه لهم من إشباع عاطفي يفوق بكثير التضحية بالذات، وهذا الإشباع لا يحدث من فراغ، ولكن يتبادلونه من خلال عملية التفاعل.

فالتبادل الاجتماعي عند "هومانز" يبدأ من تفاعل الأفراد التبادلي أي وجهها لوجه، عاكسا الأوجه النفسية والاجتماعية والاقتصادية، لتكون قاعدة لعملية التبادل فيما بعد بين المتفاعلين، قوامها أهداف وغايات اجتماعية كالسمعة والاعتبار والاحترام والتقدير والنفوذ الاجتماعي، وليس المنفعة المادية البحتة، لأنها ليست دائما هدف التبادل الاجتماعي.

لأن الفرد داخل الجماعة يشترك في عدة عمليات تبادلية مستمرة تستهدف القبول الاجتماعي من قبل أعضاء جماعته واحترامهم له، الأمر الذي يزيد من اعتباره الاجتماعي ومكانته الاجتماعية، وبدوره يكشف

الفصل الثاني: الهدية بين تعدد الأطر النظرية وتعدد القراءات

عن تماثله الاجتماعي لقواعد جماعته. واعتبر "هومانز" هذا القبول والاحترام والتماثل مكافآت اجتماعية للفرد داخل جماعته.¹

تتظر نظرية التبادل الاجتماعي إلى التبادل على أنه سلوك اجتماعي قد يؤدي إلى نتائج اقتصادية واجتماعية.

علاقة التبادل قد تكون علاقة مادية أو عاطفية يشعر الطرفان بالارتياح في علاقة التفاعل المتساوية. يقول آدم سميث: " لاستمرار التبادل لابد أن يشعر كل الطرفان لعدالة التبادل"، وكل صلة اجتماعية يعرفها مارسيل موس "بكونها عقدا تبادليا... فلا يمكننا أن نعطي دون أن نأخذ والعكس بالعكس".²

قام فرانز بواس بدراسة ظاهرة "البوتلاتش"، وهي صيغة للتبادل كانت سائدة في نهاية القرن التاسع عشر في فانكوفر في كولومبيا البريطانية غرب كندا. ويمثل البوتلاتش أحد أصناف الهبة. فمعلوم أن هذه الأخيرة تمثل ترابطا للالتزامات ثلاثة هي العطاء والقبول والرد.

وقد كانت القبائل الهندية تجتمع في فصل الخريف وتمارس البوتلاتش في إطار احتفالي، حيث تلتقي عدة عشائر ممثلة بزعمائها، وكان على هؤلاء الزعماء أن يظهروا كرمهم، وذلك بتقديم الهبات بقدر سخي تجعل الزعيم الخصم غير قادر على رد هبات ذات قيمة مماثلة على الأقل. ويسعى الواهب إلى الإغلاء من شأنه، ذلك أنه كلما طالبت مدة الرد ارتفعت قيمة الهبة، بل قد يصل الوضع عند قبائل "الكواكيوتل" إلى إتلاف الزعيم لممتلكاته ليؤكد زعامته أمام متحديه، الذي إن أراد أن يواجهه كان عليه أن يفوته في عملية الإتلاف هذه، انه صراع على الحظوة بين الوجهاء. وقد دافع فرانز بواس عن مؤسسة البوتلاتش أمام منتقديها، وأوضح أن الأمر لا يختلف عن القرض البنكي، أي أن الزعيم وهو يحرق ممتلكاته يقوم بنوع من الاستثمار الذي سيعود عليه بالربح لاحقا. وبذلك وضع أسس النسبية الثقافية، إذ علينا أن نفهم منطق البوتلاتش كما يفهمه الهنود أنفسهم، لا كما نفهمه نحن.

¹ السيد رشاد غنيم، النظرية المعاصرة في علم الاجتماع، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2008، ص72.
² قرطي فائزة، "الزوجان والعلاقات الأسرية"، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في علم اجتماع العائلة، جامعة وهران2، 2016/2015، ص-ص (22-24).

الفصل الثاني: الهدية بين تعدد الأطر النظرية وتعدد القراءات

فمفهوم النظرية يقوم على فكرة أن العلاقة بين شخصين يتم إنشاؤها من خلال عملية تحليل التكلفة والفائدة. وتعتبر النظرية مهمة لفهم التفاعل البشري وصنع القرار، وتحتوي النظرية على تطبيقات ممتازة للعالم الحقيقي، مثل فهم الأعمال والعلاقات الشخصية.¹

وتتلخص أهم أفكار رواد هذه النظرية فيما يلي:

- الحياة التي نعيشها هي عملية أخذ وعطاء أي تبادل بين شخصين أو مجتمعين.
- يعتبر العطاء الذي قدمه الفرد للفرد الآخر كواجب في حين يعتبر الأخذ الذي يحصل عليه الفرد من الفرد الآخر كواجب في حين يعتبر الأخذ الذي يحصل عليه الفرد من الفرد الآخر هو حق.
- عند الموازنة بين الأخذ والعطاء تقوى وتتعمق العلاقة وتستمر بين الأفراد.

الموازنة بين الواجبات والحقوق لا تتحدد بالمجالات المادية فقط بل بالمجالات المعنوية والروحية والاعتبارية.

تكشف الهدية عن أهم تفاعل اجتماعي وتبادل رمزي بين الأفراد؛ وذلك لأن تقديم الهدية في المناسبات للآخرين، يتوجب على الآخرين معرفة جميع من قدم الهدايا ومن لم يقدم الهدايا في مناسباتهم، وذلك لردّها لهم بحسب ما قدموه، فمن يقدم هدية تساوي مبلغاً معيناً مثلاً، سوف ترد له هدية تساوي قيمة الهدية التي قدمها، وتزيد أو تنقص تبعاً لهذا القانون، أما الذين لا يقدمون هدايا فإنهم في الغالب لن يحصلوا على هدايا في مناسباتهم من الأفراد الذين لم يسبق أن تلقوا منهم هدية، وإن حصل وقدموا هدية فإنهم يخبرون المقربين أنهم قدموها تفضلاً، وأنهم لم يتلقوا هدايا منه في مناسباتهم. وهذا الإخبار يعد الثمن الذي سوف يدفعه من سمعته الذي تلقى الهدية ولم يسبق أن أهدى.

تفسر نظرية التبادلية نظام الهدية بشكل دقيق، وذلك لرؤيتها أن الهدية تقع في سياق منظومة الحقوق التي يحصل عليها الفرد، مقابل الواجبات التي عليه أن يؤديها، وتتم بشكل ودي، ولكنها تزيد من الود والتماسك الاجتماعي إذا كان العطاء موازياً للأخذ، وقد تتوتر العلاقات وتكون مكلفة اجتماعياً إذا أعطى

¹ ديما محمود، "نظرية التبادل الاجتماعي"، موقع المرسل ALmirsal.com، 2021، الساعة: 9:48، التاريخ: top/htmFile:///c:/users/PRO/Desk، 2022/02/08.

الفصل الثاني: الهدية بين تعدد الأطر النظرية وتعدد القراءات

أحد الطرفين أكثر مما يأخذ. ويرى بيتر بلاو أن الطرف المعطي يكون دائماً في موقع القوة والتفوق الاجتماعي من الطرف الذي يأخذ.

وفق هذا التنظيم فإن الهدية عقد ضمني إلزامي وقسري في نظام التبادل الاجتماعي الرمزي. ويؤكد مارسيل موس على أن الهدية التي لا يرد عليها بالهدية ما زالت تجعل متقبلها في وضعية دونية.

سابعاً: النظرية التأويلية الرمزية

احتلت الرموز حيزاً كبيراً من اهتمام الفلاسفة والعلماء والمفكرين والمشتغلين بالأنثروبولوجيا؛ لإدراكهم لدورها الحيوي ليس فقط في حياة الفرد الاجتماعية والثقافية بل أيضاً في اهتماماته الشخصية، وإبداعاته الفكرية والفنية والأدبية، فالرموز أبدعها المجتمع والأفراد متخذة في ذلك عنصر مهم في تشكيل وإعادة تشكيل هويتهم الثقافية.

أوجد البعد الرمزي فرقا جوهرياً بين الإنسان والكائنات الأخرى، لأن الإنسان كائن عاقل ومفكر لديه استعدادات لإنتاج الرموز وتمثيل الأشياء والأفعال بطريقة رمزية. كما تؤدي الرموز وظيفتين، فالأولى هي وظيفة الاتصال والثانية هي وظيفة المشاركة، وهما يتساندان في أوجه الفعل الاجتماعي.

من غير المعقول أن نتحدث عن المقاربة التأويلية دون أن نذكر أن مارسيل موس وماكس فيبر في صياغته للنظرية التأويلية، وبالتالي استطاع أن كانا ملهمي كليفورد جيرترز بيلور قاعدة رئيسية مفادها أن شبكات المعاني هي التي تشكل الثقافة، وتجعل منها نسقا يتجسد في الرموز المنقولة تاريخياً؛ وهذا النسق حسب رؤيته هو الذي ينظم الحياة الذاتية ويوجه السلوك الخارجي. إذ يعتبر جيرترز من أهم الأنثروبولوجيين الأمريكيين الذين درسوا المجتمع المغربي، وقد سعى هذا الاتجاه التأويلي إلى فهم طبيعة النظام الاجتماعي المغربي، وضبط آليات تغييره انطلاقاً من تصورات الأفراد وتمثلاتهم الثقافية حول الوجود وحول علاقاتهم الاجتماعية.

إذن فالتأويلية تعالج الحياة الاجتماعية والأنشطة الثقافية من حيث هي ظواهر يمكن دراستها وفهمها على أنها حوار للمعاني، أو نقاش يتعلق بالرموز المتضمنة لتلك المعاني التي يصدرها الأفراد حولها.

الفصل الثاني: الهدية بين تعدد الأطر النظرية وتعدد القراءات

يدعو غيرتز إلى النظر لكل شيء على أنه نص وأن المجتمعات مختزلة في المعاني والدلالات والرموز، وهي مطروحة للتفكيك، من خلال ممارسة التأويل فهو المفتاح الذي روج له تيار ما بعد الحداثة. ويهتم التحليل الرمزي بمعنى الظواهر الاجتماعية ودلالاتها عند الأفراد وتأويلاتهم لها، فالبنىات الرمزية ليست مجرد تمثّل للممارسات الاجتماعية، بل إن السلوك الاجتماعي هو في حد ذاته فعل رمزي.

تتيح المقاربة الغيرتزية عدة إمكانات، وهي الانتقال من النص إلى آخر، ومثال ذلك تبادل الهدايا بين الأفراد يحيلنا إلى طبيعة العلاقات الاجتماعية والممارسات الثقافية، وهاتين الأخيرتين هما جزء من التنظيم الاجتماعي والثقافي للمجتمع المدروس. وثانيا هو الانتقال من الموضوع المجهرى إلى تناول الانتماءات الثقافية الواسعة، فمن ظاهرة تبادل الهدايا في المجتمع الجزائري إلى ثقافة المجتمعات المغربية ثم العربية. وثالثا، بناء الموضوع بواسطة هاجس المقارنة.¹

يؤكد غيرتز على استخدام المنهج الاثنوغرافي المكثف - الذي تميزت به المدرسة الأنثروبولوجية الانجلوساكسونية-، الذي يسعى إلى الكشف عن رؤى المواطنين موضوع الدراسة، مع توضيح كيفية تأثير الأبنية الثقافية المتخلفة على الفعل الاجتماعي، ذلك لأن ما يواجهه الاثنوغرافي ليس مجرد ظواهر متفرقة، بل هو عدد كبير من الأبنية التصورية المعقدة المتداخلة فيما بينها، والتي تتطلب نوعا خاصا من الوصف الاثنوغرافي المكثف وليس مجرد جمع وتصنيف للمعطيات. وبما أن موضوع الدراسة هو نسيج المعاني والرموز المؤلفة للثقافة والموجه للفعل الاجتماعي، فإنه يتطلب التحليل الوصفي التأويلي الذي يبحث عن المعنى، ومن أجل تفسير المعنى فإن الباحث يبحث عنه في تفاعلات الأفراد الاجتماعية فيما بينهم عن طريق الهدية، إذ هؤلاء هم من يضيفوا أو يفرضوا المعنى على الأفعال والممارسات والتبادلات التي تجري بينهم.

إن ما ذهب إليه غيرتز في تأكيده على ضرورة تحليل تصورات الأفراد وفهم الرموز المتضمنة لتلك المعاني، يؤكدده ليفي ستروس في دراسته للأسطورة حيث ذهب إلى " أن اختلاف الأساطير التي تمس موضوع معين، سواء في المجتمع الواحد أو بين المجتمعات لا تعود إلى الاختلاف الوارد في البناء الاجتماعي لكل مجتمع، أو الأزمنة التي تحكى فيها، بل إلى العقل، فكل الأساطير تكشف عن بنية

¹ محمد حبيدة وآخرون: الأنثروبولوجيا من البنيوية إلى التأويلية، إفريقيا الشرق، المغرب، 2014، ص-ص (95-96)

الفصل الثاني: الهدية بين تعدد الأطر النظرية وتعدد القراءات

التفكير العام أو العقل البشري ذاته. إضافة إلى ذلك يثبت غيرتر أن عملية فهم الحاضر تبقى مرتبطة بمعرفة الماضي، حيث لا تستقيم بدونه.

كما يتضح أن الأنثروبولوجي الأمريكي يولي أهمية لدور الخيال عند الأنثروبولوجي، وللطبيعة الأدبية للكتابة الأنثروبولوجية. رغم أن هذه الأخيرة كانت محل انتقاد له، والذي يظهر في تصريح الباحث منديب عبد الغني حيث يرى... " أن غيرتر يميل إلى أسلوب الكتابة الأدبية الغاية في التعقيد والمليء بالمجازات، والتشبيهات، وكثرت الجمل الاعتراضية وفتح الأقواس خصوصا في بحوثه حول المعتقدات الدينية ."

ثامنا: نظرة المجتمع للهدية

إن الهدية في مجتمع الزيبان هي عبارة عن رمز يختزل بعدا اجتماعيا وإنسانيا، والذي يمثل العطاء والتهادي بكل تداعياته، حيث هي بمثابة عربون للصدقة أو رد الجميل، ومن خلالها تزيد الروابط الاجتماعية وتزيد من الألفة بين الناس، فتتبادل الأسر الهدايا بمختلف المناسبات وذلك عند النجاح والولادة وفي الأعياد والمناسبات المختلفة، كما أن الهدية تساهم في توطيد العلاقات بين الأقارب والأفراد والجماعات.

ورغم وجود اختلاف في طبيعة الهدية وقيمتها تماشيا مع ظروف الناس المعيشية إلا أن الهدية واكبت هذه التغيرات، وذلك بما تحويه من إيجابيات وسلبيات. ومنه فالهدية تمثل فعل تلقائي وعفوي بين أفراد المجتمع يصاحبه الشعور بالواجب والمسؤولية، مما يجعله يتخذ الشكل التقليدي المتبادل والمتمثل في العطاء والقبول والالتزام بالرد وغيرها. ومنه فالهدية عبارة عن ممارسة اجتماعية وثقافية ساهمت في نسج العلاقات الاجتماعية داخل كل جماعة بشرية وفق مميزاتها وخصائصها المنطوية حولها.

فموضوع البحث يرتبط بمنطقة الزيبان التي تقع في الجنوب الشرقي من الجزائر، ويعود تاريخها إلى عهود قديمة، حيث يذكرها ابن خلدون في المقدمة بقوله: "وحده الزاب متكون من عدة قرى يطلق عليها كلها اسم الزاب: "أولها زاب الدوسن ثم زاب طولقة ثم زاب امليلة وزاب بسكرة وزاب تهودة وزاب بادس، وبسكرة أهم هذه القرى كلها". ويدور موضوع البحث حول الهدية، ومنه ينعكس تبادل الهدايا باعتباره أسلوب من

الفصل الثاني: الهدية بين تعدد الأطر النظرية وتعدد القراءات

الأساليب والعادات المتعارف عليها في مختلف المجتمعات، والتي هي بمثابة طريقة للتعبير عن الاحترام والواجب تجاه الآخرين، باعتبار أن التهادي معروف عند كل الشعوب، حيث لكل منها طقوسها ومناسباتها التي تشهد اختلافات جزئية بسيطة.

كانت الهدية ومازالت من العادات السائدة في المجتمع الجزائري عموما ومجتمع الزيبان بوجه خاص رغم موجة التغيير الثقافي والاجتماعي الحاصلة في البلاد وذلك من خلال ما رصدناه أثناء دراستنا الميدانية.

فعملية التهادي بوصفها شكلا من أشكال التبادل بين الأفراد شكلت البنى التحتية للمجتمعات البدائية والمعاصرة، حيث ربط الأنثروبولوجيون بين هذه العملية وبين بناء التبادل الدوري للمنافع، فتظهر قيمتها المادية أثر وقوعها في يد مستقبلها، أما بالنسبة لقيمتها الاجتماعية فتظهر على المدى البعيد، مما يشكل آليات التعامل الاقتصادية من جهة ثم تتطور آثارها في سياق المعتقدات السائدة لتعرج على العلاقات الاجتماعية بالبناء والتوطيد، حيث يظهر ذلك من خلال الصراع والمنافسة في المجتمع، ويحظى تبادل الهدايا في المناسبات الاجتماعية بالدور الكبير بين الأفراد.

فالهدية في المجتمع التقليدي كانت تظهر هوية الأفراد وتراثهم من خلال الثقافة السائدة لمجموعة من المناسبات والأشكال التي ألقت الأفراد على ممارستها والقيام بها كالزواج، الختان، الوفاة... فكانت هذه الممارسات تتميز بتفاعل بين الفرد وبيئته وهذا ما نلاحظه عن طريق العادات والتقاليد الشعبية التي تعد من حقائق الوجود الثقافي.

أخذت هذه الممارسة في مجتمعنا شرعية الثبات والتغير لما اقترنت بطابع الإلزام والاحترام في جل عاداتها وتقاليدها التي مسها التغير في أنساقها، فمن بين أسباب ثبات واستمرار الهدية في مجتمع البحث هو انصهارها بعادات في بعض المناسبات التي قد ارتبطت بمعتقدات أكدها المبحوثين بدون تفسيرها أو تبريرها بعبارة "متصلحش"، "مش مليح"، "ماجاياش"، وحسب بحثنا هذا يطلق عليها بالتأويلات الميتافيزيقية التي ارتبط فعلها بواقعة معينة في زمن سابق ما جعل منها متوارثة أبا عن جد.

كما يتميز الإنسان بعدم قدرته على ثبات الأشياء بل قابليتها للتغير، فمن بين سمات الثبات هو إنشاء شبكة من الرموز والمعاني فتوظيفها يعطي فعالية إنسانية بكل امتياز، كما قال بيار أنصار "أن

الفصل الثاني: الهدية بين تعدد الأطر النظرية وتعدد القراءات

المجتمعات سواء الحديثة منها أو التقليدية أو تلك المسماة بلا كتابة تنتج دوما متخيلات لتعيش بها وتبني من خلالها رموزها وصورها عن نفسها والأشياء والعالم وبواسطتها تحدد أنظمة عيشها الجماعي ومعاييرها الخاصة".

فالهدية تغيرت بفعل عدة عوامل خاصة عقب التغيرات الثقافية والاقتصادية، فرغم هذا بقيت صامدة واستمرت لأجيال عديدة ولم تفقد رمزيتها فتلاحظ أن التغير مس بوجه الخصوص المظهر لا الجوهر.

من بين التغيرات التي مست تبادل الهدايا أن ممارستها اختلفت عن السابق في التنظيم الاجتماعي، الثقافي، الاقتصادي خاصة في نسق السوق، ومنه أصبحت العلاقات الاقتصادية جزء من العلاقات الاجتماعية.

ففي القديم كان النظام الاقتصادي البدائي يعتبر الهدايا تبادل لسلع ذات قيمة اقتصادية، وفي مجتمع دراستنا لاحظنا أن تبادل الأفراد للهدية كان ذو قيمة تمثلت في الأجهزة الالكترونية، الكهرومنزلية كالثلاجة، تلفاز، مدفئة...، وهذا حسب المبحوثة (ف.ح) "الهدية تمثل قيمة الإنسان".

وعليه الهدية الآن أصبحت ذات طابع مادي حيث أن العطاء لم يصبح مجاني حسب ما أظهره موس في الالتزامات الثلاثة "منح، قبول، رد" فيها عبر على شرط استمرار الروابط الاجتماعية فنستطيع القول أن تقديم أو منح الهبة ليس دائما فعل من دافع أنفسنا بل هو رد فعل لمنح سابق.

مع تباين واختلاف الآراء والمرجعيات للهدايا مع التشديد على أهميتها وقيمتها تبقى للهدية أهمية كبرى في المجتمع ولها قيمة في ترابط وتحابب الأفراد.

ويركز الأفراد في المجتمع الزابي على فكرة أن الهدايا هي شيء أساسي ولا بد من توفره، والسير على خطى السابقين أي منذ القدم وذلك اقتداء بما جاء في حديث الرسول صلى الله عليه وسلم: " تهادوا تحابوا"، أي أن الرسول صلى الله عليه وسلم حث على الهدية وتبادلها وقبولها. وفي الأثر " أن الرسول قبل الهدية".

الفصل الثاني: الهدية بين تعدد الأطر النظرية وتعدد القراءات

وحسب وجهة نظرهم أن الهدية في السابق كانت بسيطة تعبر عن مشاعر الود والمحبة بين الأفراد، وكانت لا تحمل أي نوع من المصلحة. أما في الوقت الحالي وبالرجوع إلى الظروف الاجتماعية والاقتصادية الصعبة بصفة خاصة التي يعيشها الناس، إلا أن ظاهرة تبادل الهدايا مستمرة رغم اختلاف مقصدها. ومن بين ما أصبحنا نلاحظه اليوم أن الناس أصبح يخصص مبلغا من المال بغرض التهادي ولكثرة المناسبات ولزيادة تكلفتها عن السابق لتعدد المناسبات كالازدياد والنجاح أو التخرج وأعياد الميلاد حيث أصبحت تشهد نوعا من المبالغة في فكرة الهدية وقيمتها المادية إرضاء لمظاهر الناس وكلامهم.

ونوهنا في هذا الجانب على فكرة تغير طبيعة ونوعية الهدية عن الماضي وزيادة في قيمتها، حيث كان الاكتفاء في القديم على بعض الفواكه، أو مشروبات بسيطة، أو طقم فناجين مثلا. وباعتبار هاته الأخيرة أصبحت غير كافية في ظل الظروف الاقتصادية التي أصبحت ترهق العديد من الناس وهذا ما أدى مع مرور الوقت إلى حدوث تغير في العادات والموروثات الشعبية الخاصة بالمجتمع، والذي تغيرت معه طبيعة ونوعية الهدية وقيمتها المادية أيضا اختلفت، وهذا التغير راجع إلى الظروف الاقتصادية. فهناك من يرى أن هذا الاختلاف لا بد منه لأنه يواكب العصر والوقت ولأن الظروف اختلفت والماديات طغت وغطت عن المعنويات، وهذا ما استدعى منا إلى تغيير في نوعية وأشكال الهدية.

وترى مجموعة أخرى من الأفراد أن الهدية هي في الأصل بسيطة والتعبير عنها لا يكلف الكثير سواء من الناحية المادية أو المعنوية، وهذا بالرجوع إلى قول الرسول عليه الصلاة والسلام، فهي من جهة تعبر عن شخصية المهدي وثقافته في تقديم الهدية، ومن جهة أخرى التركيز على الغاية منها والهدف من تقديمها وهو إرضاء من يقدم إليه الهدية وإعجابه بها. لكن ما نلاحظه اليوم هو اختلاف في مفهومنا للهدية نتيجة دخول وطغيان بعض المعتقدات والأفكار الجديدة عليها، فبدل من أن تكون وسيلة للود والمحبة بين الناس، أصبحت تعتمد على المادة فقط، مما وصل بها إلى اعتبارها عبئا على من يقدمها بغية التفاخر والتركيز على المظاهر تحت تعبير أحدهم " يلي جاب أكثر يسوى أكثر ". وليس باعتبارها وسيلة للتواصل والتقارب بين الناس والجماعات بصفة عامة والأفراد بصفة خاصة. وهذا ما أصبح يندرج في الوقت الحالي تحت مفهوم "الكرم" لاعتبار هاته الأخيرة تعكس صورة من يعطي أكثر وأعلى هذا من جهة، وهناك من نراه على أساس أن تقديم الهدية تدل على الكرم ولا يهم كم كانت قيمتها أو نوعها، إذ أن

الفصل الثاني: الهدية بين تعدد الأطر النظرية وتعدد القراءات

لها قيمة رمزية ومعنوية تفوق قيمتها المادية، مما يسهم في تعزيز مبدأ العطاء الذي يعبر عن الود والألفة. والهدية من أكثر الأشياء المطلوبة والتي يبقى الطلب عليها باعتبارها تدخل السرور في نفس كل من يتلقاها، حيث انه مهما ارتفعت قيمتها وأسعار شرائها تبقى هذه العادة قائمة بين أفراد المجتمع.

ومن وجهة نظر أخرى ترى أن ظاهرة تبادل الهدايا في الوقت الحالي أصبحت مكلفة جدا بحكم الظروف الصعبة المرهقة والتي أصبح الناس يتباهون فيها بمن يقدم أكثر، ومع كثرة المناسبات وتوسعها مما يصادف مناسبة ازدياد أو زواج أو نجاح، بالإضافة إلى موضة الاحتفال بأعياد الميلاد والهدايا التي تقدم بين الأفراد في المدارس وأماكن العمل والمناسبات الوطنية والعالمية، وذلك باعتبار أن الهدايا اليوم لم تعد بسيطة، مما يعجز الكثير عن توفيرها في كل الأوقات والمناسبات، والتي تؤدي إلى الشعور بالإحراج مما يسبب الانقطاع عن القيام بأداء الواجب في بعض المناسبات لكثرة وغلاء الأمور الضرورية الحياتية.

وهناك من يرى بأن مجتمعنا في الوقت الحاضر صارت جل علاقاته الاجتماعية بكل ما تحويه من مناسبات وتجمعات تنطوي على فكرة "حب المظاهر" و"المصلحة"، أي نيل محبة الناس عندما تقدموا لهم الهدية وبقيمة معتبرة والعكس صحيح، فكما قال أحدهم (أصبحنا نعيش في زمن التمثيل والتصنع حتى في حالة عدم الإعجاب بالشيء المقدم).

إن تأثير الهدية هو معنوي أكثر منه مادي بغض النظر عن قيمتها المادية في ظل ارتفاع الأسعار فإن إيجابياتها تكمن فيما تحتويه من تأثير معنوي، في حالة التغاضي عن الأثر السلبي لها المرتبط بالمصالح الشخصية وحب المصلحة.

وعليه تعتبر المناسبات التي تقدم فيها الهدية بمثابة دين، فعند تقديم الهدية تقدر قيمتها، وذلك لردّها بالقيمة نفسها أو أكثر منها، أي "المعاملة بالمثل" وكل هذا يبقى على حسب المقدرة المالية في الوقت والمناسبة نفسها.

وعليه فإن الهدية تعتبر من المظاهر الاجتماعية التي تؤثر في الحياة الاجتماعية بطريقة غير مباشرة وذلك من خلال التفاعل الموجود بين أفراد المجتمع المعني. ومن خلال الدراسة المنجزة في مجتمع البحث

الفصل الثاني: الهدية بين تعدد الأطر النظرية وتعدد القراءات

والتي تتطوي على مجموعة من الأفكار المستصاغة من خلال رأي أفراد مجتمع البحث في موضوع الهدية وتبادلها وتمثلها في مختلف التفاعلات المشتركة بين أفرادها في أنها:

- يعتبر أفراد المجتمع أن تقديم الهدية وتبادلها يزيد ويأخذ طابعا أكثر اهتماما سواء من ناحية النوعية أو التكلفة أو التجسيد مع الأقربون من ناحية صلة القرابة والتمثلة في أفراد الأسرة الواحدة وبين الأصدقاء والأقارب هذا من جهة، ومن جهة أخرى يقل وينقص الاهتمام بها كلما ابتعدت وتناقصت درجة القرابة والصلة بين متعامليها.
- يمثل تبادل الهدايا بين أفراد المجتمع الظاهرة الاجتماعية الأكثر تأثيرا بين متعامليها مما تساعد على استمرار العلاقات بين مختلف الأفراد والجماعات.
- تمسك الأفراد في مجتمع الزيبان بالحرص على تبادل الهدايا بين أفرادها اقتداء بسنة الرسول صلى الله عليه وسلم.
- أن إعطاء وتقديم الهدايا يختلف باختلاف مناسبة تبادلها، وأنها تختلف بين مادية ومعنوية حسب الظرف والحالة.
- أن ثمن الهدية ونوعيتها يرتبط بمكانة وقيمة الشخص المهدى إليه ومنزلته في نظر مهديه.
- إن وقع الهدية وتأثيرها في نفوس أفراد المجتمع اختلف، وذلك راجع إلى المثيرات والتطورات الكبيرة للهدية سواء من ناحية طبيعتها وشكلها وحجمها. حيث أصبحت في الوقت الحاضر تلحظ تأثيرا آخر في نفوس الأفراد، ومنه انتقلت من هدايا رمزية بسيطة إلى هدايا غالية الثمن ومختلفة.
- ضروري أن يتبادل الناس الهدايا بين بعضهم البعض لاعتبارها من الأمور المستحبة بين أفرادها والتي تؤلف على المودة والمحبة بين أفرادها.
- في السابق كان الإهداء أهم من الهدية، بينما في الوقت الحالي أصبح الواقع المعاش يفرض على المتعاملين بفعل التهادي أن يتساوى فعل الإهداء مع الهدية، والا فانه سيكون فيها حرج.
- يرتبط تقديم الهدايا في مجتمع البحث بمناسبة معينة كالزواج، الختان، الحج، ازدياد، النجاح...، فلا يمكن أن يهدي شخص هدية لآخر دون مناسبة لذلك.

الفصل الثاني: الهدية بين تعدد الأطر النظرية وتعدد القراءات

- تعتبر الهدية انعكاسا للترابط والتضامن الاجتماعي وتقوية له في مختلف المناسبات المدرجة بين أفراد المجتمع.
- الهدية أصبحت عبارة عن رمز للتضامن الاجتماعي والمشاركة في إحدى المناسبات المتعارف عليها، والتي ينعكس من وراءها ووراء تقديمها وإعطائها مدى أهمية الشخص المقدمة له الهدية.
- تبادل الهدايا بين أفراد المجتمع يعد عملية اجتماعية بالغة الأهمية لما تقوم عليه من تبادل وتواصل بين الأفراد والمجتمعات لما تتضمنه من العطاء والمنح الذي له الأثر الكبير على نفسية الأفراد والمساهمة في توطيد أواصر المحبة والود بينهم.
- يرى أفراد المجتمع بأن الهدية في الوقت الحاضر أصبحت وسيلة مهمة لتحقيق المصالح والتي طغت فيه على المشاعر، كما قال أحدهم (لغاية في نفس يعقوب).
- أصبحت الهدية في الوقت الحاضر شكلا من أشكال التباهي الاجتماعي وذلك بالرجوع لتكلفتها وقيمتها.
- إن المناسبات التي يتبادل فيها الناس الهدايا هي مناسبات الزواج والازدياد والسكن الجديد والنجاح والختان، أما مناسبات رأس السنة وعيد الحب وعيد الأم وعيد الميلاد فهي مناسبات دخيلة على المجتمع وجديدة ولا يقتنع بها كل أفراد المجتمع باعتبارها لا تمثل ديننا وعاداتنا تحت قولهم هي (بدعة) لا تمثل المسلمين.
- تخضع الهدايا وتبادلها لمتغيرات عدة وتختلف هذه الهدايا على حسب طبيعة العلاقة بين معطي الهدية ومستقبلها، أو حسب المناسبات التي تقدم فيها الهدية (زواج، ميلاد طفل، نجاح مدرسي وغيرها)، تجعل مانح الهدية في موقف الدائن أما من يتقبلها يصبح في موقف المدين، على هذا الأخير رد الهدية في إحدى المناسبات، وهذا ما يجعل من سيرورة التفاعل تتواصل وتستمر فكما أشار بورديو أن مانح الهدية يضيف لنفسه رأسمال رمزي يتكاثر ويتضاعف، بينما الرأسمال الرمزي للمدين أو من أخذ الهدية يتناقص، وهذا ما يبدو في العبارات التي تتردد على الألسنة في مناسبات الأعراس و"التحماد" خاصة، ألا وهي: "رديت ديني" "الرد الدين لي عليا".
- فالهدية اختلفت في مضمونها عن الزمن الماضي، فالجيل الحالي لا يفكر بنفس الهدايا التي قدمها الكبار.

الفصل الثاني: الهدية بين تعدد الأطر النظرية وتعدد القراءات

- يعتبر عدم تقديم الهدايا من أحد أهم الأسباب التي تؤدي إلى حدوث المشاكل والحساسية بين احد الأطراف في حال تجاهلها وعدم ردها في مناسبة شبيهة لها.

وعليه تعتبر ظاهرة تبادل الهدايا في مجتمع البحث قائمة على العرف والعادة من خلال الانقياد بتطبيق حيثياتها دون الاهتمام بالبحث وراء معرفة المبادئ التي تعكسها. حيث تخضع الهدية لعدة اعتبارات منها طبيعة المناسبة وثقافة المجتمع والسن والإمكانات المادية. فقد أصبح من الضرورة تقديم الهدية حيث تمثل عربون تواصل اجتماعي من جهة، ومن جهة أخرى تمثل موروث شعبي لا يمكن إنكار دوره في علاقاتنا الاجتماعية.

فاختيار الهدية وتقديمها يكون على أساس الفائدة وللذكرى والاستهلاك، حيث يقوم البعض باختيار ملابس أو حلويات أو أدوات منزلية، أو بعض المستلزمات الشخصية كالعطور وغيرها. كما يكون حسب المناسبة حيث يقوم البعض بتقديم المال كهدية، لأن الغاية أن يبقى أثر الهدية في الذاكرة، ومن الضروري عدم النظر إلى قيمتها المادية، والابتعاد عن المبالغة في تقديم الهدايا، والتركيز على جانب الثناء للهدية والشكر على تقديمها مهما كانت.

وعليه نستنتج بأن الإنسان بطبعه اجتماعي، فلقد خلقنا لنكون مجتمعات نعيش ضمنها، لذلك دائما نسعى للحصول على التقبل والحب من الآخرين.

- إظهار الحب: هناك نظرية تقول أن الإنسان يحب التعبير بالرموز، على سبيل المثال الشاب الذي يهدي شريكته الزهور ليعبر لها عن حبه ومشاعره تجاهها، وبالتالي فهو يستخدم الزهور كرمز للتعبير عن الحب نظرا لجمالها ورائحتها العطرة.

- تواصل رمزي: الإنسان بطبعه يربط المشاعر بالمادة أو الهدية، لذلك عندما يهدينا أحد شيء نعتبر أن هذا الفعل معناه اهتمامه بنا وبسعادتنا، وعندما لا تكون الهدية مناسبة نشعر بالضيق والإحباط، ليس لأن الهدية في حد ذاتها سيئة ولكن لأننا نشعر بشكل غير مباشر أن هذا الشخص لم يهتم بنا أو يفكر في سعادتنا بالشكل الكافي.

الفصل الثاني: الهدية بين تعدد الأطر النظرية وتعدد القراءات

- للحصول على مقابل: علم الاجتماع الحديث أثبت أن إعطاء الهدايا يخلق ما يسمى بـ "توازن الديون" بمعنى أن الأشخاص يجب أن يتبادلوا الهدايا لأنك إذا اكتفيت بالأخذ ولم تعطي في المقابل سيعكس ذلك انطباع عنك أنك لا تهتم بقيام العلاقة مثل الطرف الآخر ولا تقدره.
- هدايا بلا مقابل: بعض الأشخاص معطائين بطبعهم يقدموا الهدايا ولا ينتظروا مقابل أو هدية أخرى لهم، المقابل الوحيد الذي يتوقعونه يكون شعور السعادة الذي يروونه على وجه الغير، مثال على ذلك عندما تهدي الطفل هدية أنت لا تنتظر منه ردها، لكن تريد أن ترى السعادة على وجهه.

وعليه فتبادل الهدايا بين أفراد المجتمع يعد من الأمور التي تؤثر إيجابا على النفس وتدعم أوامر الألفة فيما بينهم، كما أنها عملية اجتماعية مهمة تقوم على التبادل والتواصل بين الأفراد والمجموعات. ومن خلال تحري بعض الأحداث من الواقع حول موضوع الهدايا نذكر بعض الأقوال المذكورة على أفواه قائلها منها:

- تقول أحدهن بأننا بشر ونحتاج لتبادل الاهتمام، فمثلما تهدينا سيأتي الوقت الذي نحتاج فيه أن تعاشي نفس الشعور، وهذا ما يجعلنا نعيش وننظر لهذا الموضوع داخل دائرة مغلقة لا شعوريا، حيث مثلت رأيها استنادا إلى موقف حصل معها نتيجة تعرضها لظرف صحي أدى إلى قيامها بإجراء عملية طارئة وكان توقعها بأن صديقاتها سيأتون إليها للاطمئنان عليها ومفاجئتها، الا أنهن اكتفوا بالاطمئنان عليها عن طريق الهاتف فقط.
- وتقول أخرى: نهدي الأشخاص بمحبة وود ولكن وحصلت كثيرا أن يهديني شخص هدية باهظة واردها بشيء قليل، هذا سيسبب لي الحرج بأي شكل كان، وفي نفس الوقت هنالك الكثير من الأشخاص ربما هم في ظروف مادية أحسن مني بكثير وحين أبادلهم هدايا قيمة في مناسبات مهمة، رغم صعوبة ظرفي المادي أجدهم يردوها بهدية قليلة القيمة ليست فقط بئسها وليست لأنهم في ظرف صعب فقط هم لديهم هذا الطبع، الكثير من الأشخاص يفتقرون للذوق وأنا لست مجبرة على أن أقطع جزءا كبيرا من راتبي وأجمعه لفترة طويلة وفي النهاية أحصل على هذا

الفصل الثاني: الهدية بين تعدد الأطر النظرية وتعدد القراءات

- المقابل، لذا أجد أنني أحبذ أن أعامل الآخرين بالمثل في موضوع الهدايا، إلا إذا كنت أعلم ظرف هذا الشخص فلن أكرث لأن يهديني حتى بل سأبادر بإهدائه.
- تقول أخرى: بأن النساء هن الأكثر اهتماما بموضوع الهدية، وأن المرأة هي المكلفة باختيار وشراء وتقديم الهدايا في المناسبات العائلية والاجتماعية، حيث أن النساء الأكثر علما واطلاعا بالواجبات الاجتماعية والأكثر تقديرا لنوع وقيمة الهدية التي يجب أن تقدم.
- تقول إحداهن: لا أحبذ المبالغة في تقديم الهدايا حيث أن الهدية برمزياتها وليس بتكلفتها، وأنا أتوقف عن تقديم الهدية إذا لم يرد لي هديتي.
- وتقول أخرى: قال رسول الله (ص): "تهادوا تحابوا" من هنا يمكن أن نقول أن التهادي وسط المجتمع شيء مطلوب كما أن الهدية لا يشترط أن تكون بسعر باهظ، وإنما تكمن القيمة في الاهتمام الذي يبديه صاحب الهدية بالآخر.
- ويقول أحد الأشخاص: رغم ما لتبادل الهدايا بين الأفراد من تأثير نفسي قوي إلا أنها تعد بمثابة ثقافة غير متعارف عليها وسط بعض المجتمعات، حيث أنها تكاد تكون محصورة وسط فئات بعينها لا يوليها العامة الاهتمام.
- يقول آخر: ارتبط تقديم الهدية في أذهان العديد بالمناسبات رغم أن أي شخص يمكن أن يسعى لخلق المناسبات التي تقربه من الآخرين، ويعمدا لى تقديم الهدايا المناسبة لهم بغض النظر عن نوعها بغية إدخال السرور إلى نفوسهم وتوطيد أواصر الألفة.
- تقول السيدة: تلقيت أول هدية لي عند اجتيازي البكالوريا بتفوق ولم ألتق غيرها إلا بعد تخرجي في الجامعة حيث أن مجتمعنا لم يدرج على هذا الأمر وينظر إليه وكأنه ثقافة غريبة وفدت إلينا من الخارج رغم أن تبادل الهدايا يعد أحد الأشياء التي أوصى الرسول (ص) بها لما لها من تأثير نفسي عميق يدعم أواصر الود بين أفراد المجتمع.
- تقول إحداهن: إن التهادي بين أفراد المجتمع يخلق بينهم التراحم والتوادد ويزيل الآثار السلبية، كما أن الهدية لها وقع جميل في النفس يصعب محوه، فإذا عمد أحد الأشخاص إلى إعطائك هدية فستظل تذكره. وقالت اذكر قبل عدة سنوات أن أخي أهداني قميصا جديدا وشاءت إرادة الله أن يتوفى أخي لتصبح هديته التي أهداني إياها بمثابة ذكرى عزيزة على نفسي.

الفصل الثاني: الهدية بين تعدد الأطر النظرية وتعدد القراءات

- يقول أحدهم: أنا شخصيا أحب أن أهدي زوجتي وأولادي وزملائي خاصة عندما أرجع من السفر.
- كما أفضل أن أفاجئ زوجتي ببعض الهدايا وخاصة الورد لأن قيمة الهدية تكون أكبر عندما لا يتوقعها الفرد.
- كما أنني لا أحب أن أقدم لأبنائي الهدية لكي أكافئهم على نجاحهم لأنني لا أريد أن اربط نجاحهم الذاتي بشيء مادي.
- لطالما كانت الهدية أداة لتقوية العلاقات الاجتماعية وزيادة الترابط الاجتماعي ونشر قيم المحبة والعطاء بين الأفراد، ولكن نجد اليوم أن المجتمع يحيد عن هذه الأهمية التي طالما تميزت بها الهدية على مرور الزمن، حيث أصبحت تختزل في عبارات: إذا عايدني عايدته، وإذا قدم لي هدية أقدم له هدية توازيها وتعادلها، إذا هنأني أهنئه، وإذا اتصل بي اتصل به، إذا دعاني أدعوه، حتى العزاء لم يسلم من المقايضة فإذا عزاني أعزيه.

الفصل الثاني: الهدية بين تعدد الأطر النظرية وتعدد القراءات

خلاصة الفصل:

تتعدد النظريات العلمية لتفسير ظاهرة معينة، حيث أن تبني الباحث للنظرية أو النظريات التي تخدم موضوعه لها من الأهمية ما يجعل الموضوع مدروس بطريقة صحيحة ووفق أسس علمية مدروسة، حيث تمثل الإطار الذي يحدد للباحث كيفية دراسة الموضوع من خلال تحديد المنهجية العلمية الصحيحة، من خلال المعطيات الميدانية بصفة خاصة والنظرية التي يدور حولها الموضوع المدروس بهدف الوصول إلى الغاية المقصودة من الدراسة وفق الخطة الموضوعية.

وذلك راجع إلى اختلاف الثقافات باختلاف المجتمعات، حيث انه لكل مجتمع ثقافته المميزة والمختلفة عبر المجتمعات الأخرى، حيث أن هاته الأخيرة تعكس هويته وشخصية المجتمع بصورة عامة والأفراد بصورة خاصة والتي تصب في قالب الثقافة بما تحويه من عادات وتقاليد وأعراف متداولة ومتعارف عليها، وذلك لأن الثقافة هي نتاج تفاعل الإنسان مع بيئته وتعطيه سماته الخاصة وتكون اتجاهاته وسلوكه. وكل ثقافة مع مرور الوقت تصبح عادة، وفي ذلك يقول مالينوفسكي: "إن العادة هي أسلوب مقنن من أساليب السلوك يتم فرضه تقليديا على أفراد المجتمع المحلي".¹ أي هي سلوك أو نمط سلوكي تعده الجماعة الاجتماعية صحيحا وطيبا، وذلك بسبب مطابقته للتراث الثقافي الدائم.

ومما لا شك فيه أن الدنيا أخذ وعطاء ولكن هذه الفكرة لا تتنافى مع العطاء والود والمودة في العلاقات الإنسانية التي أصبحت اليوم جثة هامة بسبب الأنانية والإصرار على التبادلية في العلاقات الاجتماعية. وعليه فالتبادل يكون حدثا عاما لأنه يكون يخص أفراد المجتمع ككل، ويكون حدثا خاصا لأنه يوجد في مجتمع دون آخر، ويوجد في ثقافة دون أخرى.

¹ ايكه هولتكرانس، قاموس مصطلحات الإثنولوجيا والفولكلور، ترجمة: محمد الجوهري وحسن الشامي، دار المعارف،

الفصل الثاني: الهدية بين تعدد الأطر النظرية وتعدد القراءات

تعتبر ظاهرة تبادل الهدايا من أهم ما يميز المجتمعات والشعوب على حد سواء، مع اختلاف في طبيعتها ونمطيتها وطريقة تقديمها قديماً وحديثاً، باعتبار أن هناك وقائع روتينية تعنى بدراسة نشاطات الأفراد من خلال ما يتعرضون له من مواقف لها دلالات اجتماعية تكون نتاج لعملية التفاعل الاجتماعي، والتي تتمثل في الهدية وما تحدثه من أثر. وعليه تساهم عملية تبادل الهدايا في مختلف المناسبات بصورة عامة في المحافظة على التواصل وإبراز ثقافة المجتمع وطبيعة علاقاتهم وأفعالهم.

ومنه فالهدية هي جزء لا يتجزأ من علاقة الناس ببعضهم حيث يكمن ارتباطهم ببعض وتواصلهم واحترامهم لبعض، حيث أصبحت تمثل نوعاً من التقليد وعادة اجتماعية متداولة أيضاً. وفي ذلك يقول الشيخ علي الطنطاوي " لا تعامل الناس في أمور العواطف والهبات والهدايا بمقياس البيع والشراء ولا بميزان الربح والخسارة بل عاملهم بالكرم والجود ومن منعك شيئاً فأعطه أنت ستعيش مرة واحدة على هذه الأرض"، كما أكد مارسيل موس عبر عمله الأنثروبولوجي الهدية إلى أن الأفراد الذين يدخلون في تبادل الهدايا إنما يقومون بتقديمها واستلامها وفق شعور المحبة والمسؤولية.

الفصل الثالث

الفصل الثالث: رمزية الهدية ودلالاتها في المناسبات الاجتماعية

- تمهيد

أولاً: الزواج

ثانياً: الازدياد (الولادة)

ثالثاً: الختان

رابعاً: النجاح أو التخرج (التهنئة)

خامساً: الحج أو العمرة

سادساً: المرض

سابعاً: الوفاة (الموت)

ثامناً: السفر

تاسعاً: السكن (الانتقال للسكن في منزل جديد)

- خلاصة

الفصل الثالث: الهدية ودلالاتها في المناسبات الاجتماعية

- تمهيد

عرف الإنسان المناسبات والأحداث الاجتماعية منذ فترة مبكرة، عكس الاعتقاد السائد أن الإنسان ما قبل التاريخ لم تحكم سلوكه وتصرفاته قيود اجتماعية، فخلال قرون طويلة خلت عبرت الكتابات والنقوش والرسوم الجدارية عن وجود عادات وتقاليد ثقافية، دينية وسحرية، لم يكن بالإمكان القضاء عليها أو التخلي عنها بسهولة. فمنذ ولادة الإنسان إلى وفاته يحتفل بعدة مناسبات ترتبط كل منها بمرحلة من مراحل حياته، وأخرى وافدة إليه والتي تبناها من ثقافات مغايرة. وفيما يلي سنأتي على ذكر المناسبات الاجتماعية وما يتم خلالها من تبادل للهدايا، التي جاءت على لسان المبحوثين وما سجلناه ضمن شبكة ملاحظتنا.

وعليه يمكن أن نفهم حجم تماسك الأسرة والتحولت التي طرأت عليها من نظام الهدية، من خلال تكثيف المعاني لجميع المناسبات الزوجية وتوثيقها بالهدايا. فالهدية وإن تنوعت مسمياتها واختلفت مناسباتها وبدت بشكل مكلف على الزوج، إلا أنها تنطوي على تنظيم اجتماعي يملأ كثير من الفراغات، ويقلل حجم المشكلات العائلية، وقد تنشأ مشكلات عائلية في حال الإخلال بنظام الهدية.

فالأفراد يحتفلون في المجتمع بالعديد من المناسبات ذات البعد الديني والاجتماعي، والتاريخي والثقافي، حيث تحمل كل واحدة من هذه المناسبات اسما خاصا بها يرتبط بحدث أو واقعة أو تقويم زمني أو شخصيات إسلامية وغير إسلامية خلد اسمها التاريخ الوطني.

يوجد مناسبات اجتماعية كثيرة يتأكد فيها تقديم الهدايا، وقد بدأت بمجموعة مناسبات محدودة، ثم توسعت المناسبات مع توسع مدارك الإنسان والانفتاح الاجتماعي، إلا أن الهدايا التراثية لها أسماء، قد تكون خاصة بكل منطقة.

الفصل الثالث: الهدية ودلالاتها في المناسبات الاجتماعية

إن هذه المناسبات التي تعرف طقوسا وممارسات، غالبا ما تشهد تداخل وامتزاج العادات والطبائع والشعائر الدينية، وتمثل عناصر ثقافية لها حيويتها الخاصة التي تمنحها قوة الانتقال من جيل إلى آخر، وتصبح أحد الأبعاد المعبرة عن الهوية الثقافية للمجتمع بمختلف عناصره.

ومن خلال هذا فالهدية كما سبق الذكر تعتبر ظاهرة شاملة لمجموعة من الأشكال والممارسات التي يتم من خلالها تبادل الهدايا وفق الطقوس المصاحبة لها، لكن قبل أي شيء نشير إلى أن أشكال الهبات تختلف حسب الجندر (النوع الاجتماعي) وهذا استنادا لما قالته المبحوثة (ح.ل) "الهدايا لي نمدهم تختلف من الراجل للمرا" أي أنها ليس نفس الهدية التي تمنح للرجل نفسها تقدم للمرأة فلكل جنس هديته الخاصة. وعليه قمنا بتقسيم المناسبات الاجتماعية كالتالي:

الفصل الثالث: الهدية ودلالاتها في المناسبات الاجتماعية

أولاً: الزواج

بداية بتعريف الزواج والذي يتمثل في:

- لغوياً: الزواج مأخوذ من الفعل زوج يزوج تزوجاً بمعنى اقترن أحد الجنسين بآخر أي اجتماعهما بعد انفرادهما، وقد شاع استعمال هذا المفهوم في التعبير عن اقتران الرجل بالمرأة على سبيل الدوام والاستمرار وإلى عملية الأزواج والارتباط والاستمتاع والتناسل.

1 -

- يعرف الزواج اجتماعياً على أنه مؤسسة اجتماعية أو مركب من المعايير الاجتماعية يحدد العلاقة بين رجل وامرأة ويفرض عليها نسقاً من الالتزامات والحقوق المتبادلة الضرورية لاستمرار الحياة الأسرية.²

يعتبر الزواج من الطقوس الاجتماعية والثقافية التي تتميز بالطابع الإنساني الذي يحمل في طياته مجموعة من العادات والتقاليد التي لا يمكن الاستغناء عنها كما قالت الباحثة (ز.ج) "عادات كبارنا ولي ما تبع كبير راح تدييرو" وهذا ما يمثل خصوصية ثقافية لهذا الطقس عن غيره من الطقوس كونه يحمل في جوانبه ممارسات لا تتخلى عن الهبات التي تتبادل وسط المجتمع خاصة المحلي.

أي أن الزواج يعتبر من بين الظواهر الاجتماعية والثقافية التي تحظى بالعديد من السلوكيات والممارسات في المجتمع، ويمر هذا الزواج بالعديد من المراحل والخطوات الاجتماعية المتمثلة في مختلف العادات والتقاليد المتوارثة والتي تحظى بالأهمية البالغة في مثل هاته المناسبات والتي تميز مجتمع عن مجتمع آخر وتعتبر هاته المراحل بالنسبة لمجتمع البحث ذات أهمية من خلال تبادل الهدايا وفق المراحل التي يمر عبرها الزواج، والتي تعرف بطقوس الزواج، تسمى طقوس الزواج عند فان جنب "بطقوس المرور أو العبور أو الانتقال"، فالتحول والانتقال من جماعة لأخرى ومن مرحلة عمرية إلى مرحلة عمرية أخرى، يتطلب ممارسة ببعض الطقوس والشعائر، والتي تهدف إلى مساعدة الأفراد على عملية الانتقال.

¹ معن خليل عمر، علم اجتماع الأسرة، دار الشروق، عمان، 1994، ص55.

² فانتن محمد شريف، الثقافة والفلكلور، دار الوفاء للطباعة والنشر، الإسكندرية، 2008، ص338.

الفصل الثالث: الهدية ودلالاتها في المناسبات الاجتماعية

والانتقال من أدوار (العزوبة) إلى أدوار الزواج يتضمن نوعاً من الاحتفال، ويعتبر هذا الاحتفال الذي يكون جزءاً من النسق الاجتماعي أمراً شائعاً في جميع المجتمعات وإن اختلفت صورته وأشكاله¹

فهناك علاقة أخذ وعطاء مستمرة بين الجماعات المختلفة المشتركة في تراث شعبي قومي واحد، وهناك أيضاً علاقة أخذ وعطاء وتداخل بين الفرد وبين تراث جماعات وتكوينات اجتماعية متباينة. وهذا التداخل أو التفاعل هو الذي لا يدع مجالاً لقيام عزلة أو تنافر بين هذه الجماعات والتكوينات الاجتماعية، ويحولها جميعاً إلى خلايا متفاعلة في نسيج واحد له صفة التجانس والتماسك في النهاية.

فعادات الزواج تشمل الخطبة وما يرتبط بها من ممارسات وطقوس للتوفيق في إكمال نصف الدين. وثم المراحل التي يتم الاستعداد فيها للزواج من تجهيز لمتطلبات الزواج من ملابس وأكلات وحلي تحتاج إليها العروس والعريس لدخولهما مرحلة انتقالية تغيرت فيها مسيرة حياتهما. ولكي يتقاءوا بها لأنها تعني عندهم الخصب والنماء، كما أنها من المراحل التي تدخل على النفس البهجة والسرور لما تتميز به كل مرحلة من المراحل التي تحدث في الزواج، وكل ما يرتبط بهذه المراحل من ممارسات وطقوس تشكل خصوصية لمجتمع البحث وتعبير عن هوية وثقافة هذا المجتمع التي تميزه عن بقية المجتمعات²، وهي:

- **مرحلة التعارف:** والتي تشهد اختلافاً بين الزمن الماضي والحاضر، حيث في السابق كان التعارف من خلال النسوة والإعجاب بفتاة معينة سواء برغبته الشخصية أو عن طريق امرأة كبيرة. لكن الوضع اختلف اليوم بخروج البنات إلى الدراسة أو العمل، حيث أصبحت تتعرف على الشخص وأصبح هناك ما يعرف بالعلاقات العاطفية التي تنشأ بين اثنين، حيث تقوم على الحب، وتساهم هذه المرحلة في زيادة التعارف والتقرب من بعضهما وفهم كلا الطرفين لبعضهما البعض. حيث أن فكرة الحب قبل الزواج أصبحت منتشرة ومطلوبة. وتتميز المرحلة بتبادل الهدايا بين الطرفين مما تعبر عن مدى

¹ نعيمة رحمانى ونصيرة بكوش، "دراسة سيميوية أنثروبولوجية لعادات وطقوس الزواج بتلمسان"، الثقافة الشعبية، عادات وتقاليد، العدد 36، شتاء 2017، البحرين، ص 87.

² محمد الجوهري، "عادات وتقاليد"، الثقافة الشعبية، العدد الرابع، شتاء 2009، البحرين، ص 89.

الفصل الثالث: الهدية ودلالاتها في المناسبات الاجتماعية

الاهتمام وتزيد من درجة القرب بينهما، حيث يقال " يتفكرني يكفيني"¹، "يلي جابلي هدية ما خلا فيا"²، والهدايا تأخذ أشكالاً متعددة حيث قد تكون مادية مثل الورود أو العطور أو الشوكولا أو إكسسوارات هذا من جهة، ومن جهة أخرى هناك الهدايا المعنوية مثل العبارات والكلمات المتبادلة بين طرفين تعبيراً عن مشاعرهم لبعضهم البعض.

- **نهار الشوفة:** (يوم الرؤية الشرعية) يأتي هذا اليوم بعد اتفاق الطرفين وقناعتهم ببعضهم، عندها تكون فيها زيارة من طرف أهل العريس لرؤية العروس، حيث في السابق كانت تكتفي برؤية النساء للعروس أما اليوم فقد أصبح العريس يدخل ليراها أيضاً، وبعد الرؤية هناك ما يعرف بحق الشوفة، وهو مبلغ من المال يعطيه العريس للعروس بعد رؤيتها، أو أحد من أقرباءه في حال عدم دخوله لرؤية العروس، وهو يعتبر هدية وفي الوقت نفسه من العادات والتقاليد المعمول بها، بالإضافة إلى الهدايا التي يحضرها أهل العريس معهم والمتمثلة في علبة حلويات وفواكه متنوعة وعلب من الشوكولا، وأهم شيء خاتم الشوفة الذي يلبس للعروس في حال القبول، حيث قالت إحداهن "لازم نحمر وجهي"³، وفي المقابل من ذلك يحضر أهل العروس الحلويات والعصائر والضيافة المطلوبة لأهل العريس، بالإضافة إلى هدية تقدمها أم العروس لأم العريس وأخته والمتمثلة حسب المتعارف عليه "طرف صابون" و "طرف كتان" وهي قطعة قماش كبيرة، "للتخير بأهل العريس" حسب قول إحداهن. حيث يكون هذا اليوم للتعارف بين العائلتين ورؤية العروس، والتفاهم بالقبول أو الرفض. وقد اعتاد كثير من الناس قبل الزواج وقبل توثيق عقد الزواج، المعروف "بالمملكة"، أن يقدم الزوج المفترض هدايا للزوجة أثناء الخطبة، وهي المرحلة التي يحصل فيها الشاب على الموافقة الشفهية من أهل الزوجة، وجرى تعارف المجتمع أنها هدايا تقدم بصفة شخصية وودية، وإذا تعثر مشروع الزواج

¹ بمعنى أن من يتفكرني بهدية فهذا يكفي، ولا يهم قيمة الهدية بقدر معناها، فالهدية هنا تعبير عن المكانة والاهتمام وقيمة الشخص المهدي له الهدية.

² تعبر عن مكانة الشخص الذي أهدى الهدية في نفسية المستقبل للهدية، فتلك الكلمات تعبر على فرح الشخص باستقبال الهدية.

³ يقصد بها الافتخار بالنفس وعدم الشعور بالنقص أو الخجل، وهذا يرتبط بنوع وطبيعة الهدية المقدمة.

الفصل الثالث: الهدية ودلالاتها في المناسبات الاجتماعية

قبل إتمامه فإنه يسمح للزوج أن يسترد المهر المدفوع والموثق رسمياً، أما الهدايا فقد تتسبب في نزاع بين الأُسرتين، ما بين إلزامية رد الهدية أو التنازل عنها ودياً أو بحكم من المحكمة.

فالشوفة يوم مبرمج من طرفي العائلتين، فيقوم الرجل بزيارة أهل المرأة وعادة ما تقوم النسوة بهذا اللقاء، فنقول لنا المخبرة "نتفاهمو على نهار ونروحولهم" وفي نفس السياق تقول (ز.ج) "نديو معنا لخير ونروحو بالشان والطبع" فالمقصود بهذا إحضار الكعكة والفواكه الموسمية، فيجدون الطرف الآخر من العائلة محضرين لهم نفس الحلويات مع هدايا رمزية كما تقول المبحوثة "تمدولهم طرف قماش مع صابونة ولا قرعة ريحة..." وهذا إن دل يدل على كرمهم وحسن نيتهم. فيطلب أهل الرجل من أهل المرأة بدخول "الراجل" لرؤية المرأة والتحدث معها تحت ما يسمونه "بالرؤية الشرعية" فان أعجب بها يمنحها هبة تتمثل في مبلغ مالي رمزي كل حسب مقدوره، "نهار لي يشوفها الراجل يمدلها صوارد إذا عجباتو..."، فهذا المنح يدل على قبول الشاب للفتاة، ففي نفس السياق تقول (خ.ر) "كي جاو شافني مدلي مليون، وعجوزتي جابتلي خاتم رقيق...".

- **نهار الخطبة:** تعرف بأنها الخطوة التي تسبق عقد الزواج بصفة رسمية وهي في الواقع المرحلة التحضيرية أو الإنشائية لتوثيق العلاقات بين أُسرتي الزوج والزوجة، ووضع أسس الحياة الزوجية، وهي مرحلة مرنة وخطرة لأن الكثير يظنون أن وظيفة هذه المرحلة مقصورة على بلوغ الهدف الأسمى وهو عقد الزواج.¹

تعتبر الخطبة أول خطوة في عملية الزواج وتأتي مباشرة بعد اختيار الشريك، وهي مرحلة التعارف بالنسبة للخطيبين أول فترة تمهيدية، والتأكيد على هذه المرحلة يأتي بتحديد المهر وقرأة الفاتحة، وتحديد موعد الزفاف وغيرها من الطقوس. بعد اتفاق الطرفين أو العائلتين تأتي مرحلة الخطوبة حيث يتم خطبة العروس إلى العريس بصورة رسمية ويتم إلباس العروس خاتم الخطبة كدليل على ارتباطها المبدئي بالشخص، ويقدم أهل العروس الضيافة إلى أهل العريس والمتمثلة في المأكولات التقليدية والمشروبات والحلويات ترحيباً بهم وهذه تمثل أفضل هدية تقدم لهم، ويتم الاتفاق على الشرط الذي

¹ ميرفت العشماوي، عثمان العشماوي، دورة الحياة دراسة العادات والتقاليد، دار المعرفة الجامعية، 2011، ص165.

الفصل الثالث: الهدية ودلالاتها في المناسبات الاجتماعية

يعتبر بمثابة هدية وحق لها وكل ما يرتبط بأمر الزواج، فالمهر هو ثمن المرأة.¹ أما عن الهدايا فكانت على حسب مقدورية كل عائلة، فمنهم من كان يقدم الذهب مثلا كخاتم أو سلسال، ومنهم من كان يقتصر على الثياب فقط وبعض الحلويات التقليدية. وهذه العادة تسمى بـ "التفقيده" وهي هدية تقدمها والدة الشاب في أيام مخصصة كعيد الفطر وعيد الأضحى أو حتى مناسبة أخرى كعيد المولد النبوي الشريف أو عاشوراء، وهي عادة ما زالت مستمرة والمعنى هو زيارة وتفقد العروس من أجل الاطمئنان. وبعد الموافقة على الشروط تقوم والدة الخطيب بتلبيس كنتها الخاتم ولكن ليس بخاتم الخطبة، وإنما "الكلمة" الذي هو رمز القبول الرسمي والمعنى أنها أصبحت محجوزة، فهذا الخاتم أصبح ضروري أكثر منه ثانوي بعدما كان يقدم فقط خاتم واحد يوم "الملاك". وبعد الموافقة على شروط الزواج يتم الاتفاق على يوم "الملاك". وتقرأ الفاتحة على نية التوفيق، أو كما تعرف بـ "التملاك أو الملك" وهي عبارة عن عرس صغير يتم في منزل العروس ويتم دعوة الأقارب، ويقومون بتقديم الهدايا للعروس، كما يحضر أهل العريس الخاتم وما يعرف بـ "الطبق" الذي هو عبارة عن مجموعة هدايا للعروس والمتمثلة في الألبسة حسب القدرة.² وطول هاته الفترة يبقى العريس يصرف على العروس في مختلف المناسبات مثل المولد النبوي الشريف وفي العيدين وغيرها من المناسبات التي يجيء فيها العريس واحد أطراف أهله ويجلبون معهم أكلات خاصة بالمناسبة مثل أكلة التليلتي هو نوع من العجائن مثل المعكرونة ويحضر بالخضار وهو سريع التحضير، أو اليربوشة كما هي معروفة في مجتمع الزيبان وهي تعرف باسم الطعام أو الكسكسي تشبه التليلتي في التحضير، والفواكه، وبعض الهدايا المتمثلة في الملابس (كسوة) أو عطور أو لحم في عيد الأضحى (سهم لعروسة)³، أو تقديم مبلغ من المال عوض إحضار لها، لتأخذ لنفسها ما تريد. فالهدايا في هاته الحالة تكون متبادلة بين العائلتين في المناسبات وحسب مقدرة الخاطب حيث يرسل لأهل خطيبته في العيد أو في شهر رمضان هدية رمزية مثل المال والملابس.⁴ فقدم أهل الخطيب وهم محملين

¹ عبد السلام الترماني، الزواج عند العرب في الجاهلية والإسلام، الكويت، عالم المعرفة، 1984، ص145.

² علي كبريت، موسوعة التراث الشعبي لمنطقتي تيارت وتيسمسيلت، الجزائر، دار الحكمة، 2007، ص160.

³ يقصد به نصيب العروسة من عند أهل الخاطب حسب المناسبة والقدرة المادية.

⁴ بدرية الشامسي، "عادات الزواج وتقاليد في الماضي"، الثقافة الشعبية، العدد 43، 2018، ص 104.

الفصل الثالث: الهدية ودلالاتها في المناسبات الاجتماعية

بالهدايا وهو ما يسمى بالواجب.¹ ففي فترة الخطوبة وبعد "التملك" كما هو معروف، وهي المرحلة التي تسبق توثيق عقد الزواج، وتقدم فيها هدايا الخطوبة وهذا النوع من الهدايا تعبير عن طلب المودة والمحبة وتوثيق للعلاقات بين الخطيبين وبداية للعلاقة الجديدة بينهما، وتبقى كنوع من الذكرى لما بعد الزواج وتجديد لمودة الزوجين لبعضهما البعض. وتكون هذه الهدايا عبارة عن طقم الذهب الذي يقدمه الخطيب إلى خطيبته والذبل حيث تكون دبلة الزوجة من الذهب ودبلة الزوج من الفضة وذلك لأن الذهب من أدوات الزينة التي تحتاجها المرأة ولأن الرجل لا يحتاج إلى الزينة مثل المرأة. وهناك تأويل دائماً يقال إن الذهب يجعل الرجل لا ينجب أولاداً، كذلك هناك بعض العوائل تقدم إلى الزوجة العطور والألبسة والمكياج وغيرها من الأمور الخاصة بالنساء. والبعض الآخر يعطي العروس مبلغاً من المال تقوم بشراء ما تريد من الحاجيات الخاصة بها والتي تكون على ذوقها وليست من اختيار أهل العريس. وكل هذه الهدايا التي يقدمها العريس أو أهله تعبر عن المحبة والسرور والاستهلال بالخير والترحيب بها.

ومن خلال حضوري لمراسيم خطبة صديقة لي قام أهل صديقتي بتحضير الغداء للقادمين والمتمثل في شخصوخة بسكرية باللحم، الحمص، البطاطا والبيض، مع المشروبات الغازية والفواكه الموسمية، ليأتي بعد هذا الطبق الشاي والحلويات التقليدية والمعاصرة كنوع من أنواع الهبة التي تدل على كرم أهل العروسة وحسن معاملتهم. كما أخبرتنا أم العروسة (م.ب) "المهم نكبرو بيهم ونحمررو وجوهنا"، وهذا يندرج ضمن حسن إكرام الضيف في مجتمع البحث.

أما بالنسبة لأهل الخاطب يقومون بجلب هدايا مختلفة للعروسة والتي تتمثل في باقة من الورد الحقيقي أو الاصطناعي، القشقة: طبق من الفواكه الجافة والمكسرات، سلة من الفواكه المنوعة ودون أن ننسى الكعكة **la tarte de fiançaille**، إضافة إلى ذلك إحضار طقم من الفضة الذي يشمل العقد الخاتم الأقرط اسوارة، والأهم للفتاة الخاتم المصنوع من الذهب.

¹ محمد الصافي، "شدرات من عادات وتقاليد المجتمع الصحراوي بجنوب المغرب"، الثقافة الشعبية، العدد 41، 2018، ص126.

الفصل الثالث: الهدية ودلالاتها في المناسبات الاجتماعية

هذا ما كان بالنسبة ل (ذ.ب) غير أن أمها أخبرتني أن الأشياء التي يحضرها أهل الخطيب ليست بالضرورة نفس ما يحضره الجميع، لأنه عائد إلى المستوى المادي والاجتماعي والثقافي، فالقدرة المادية تختلف من شخص إلى آخر فتستطيع عائلة أخرى إحضار نفس الشيء كما تستطيع الأكثر أو الأقل من هذا، لكن المتعارف عليه في مجتمع البحث هي: المقشقة، سلة الفواكه، الخاتم. أما بقية الأشياء فهي اختيارية وهذا ما قد لاحظته من احتفاليات الخطبة التي قمت بالمشاركة فيها.

- **يوم الدفوع والعقد:** وهنا يتم تقديم مهر العروس المنفق عليه بين أهل العريس وعادة يتمثل هذا المهر في مبلغ من المال إضافة إلى جهاز العروس وهو الملابس الخاصة بالعروس وكذلك الذهب إذا تم اشتراطه. وهو اليوم الذي يتم الاتفاق عليه من طرف أهل العريس والعروس لتقديم الحاجيات. وهكذا يتفضل أهل العريس بتسليم ما تم الاتفاق عليه من مواد وهدايا للعروس ستحتاجها خلال ليلتها أي ليلة (الحناء والعرس).

أما حاجيات العروس الأساسية من لباس وحلي وهدايا، فتقوم أم العريس أو أخته بتسليمها لام العروس لوضعها في مكان امن.¹ فمجموعة الهدايا يقدمها الزوج لزوجته، ولأمها ووالدها بمناسبة عقد القران على الزوجة، وقد كانت في السابق تقتصر على الأقمشة والعطورات، ثم توسع الأزواج بتقديم هدايا حديثة مع اقتصارها على أهل الزوجة أو والديها.

فالمهر الذي يعتبره القران صداقا يؤكد به صدق نية الخطبة والرغبة في الزواج وتكريما به للمرأة، فالمهر لا يعتبر هبة لأنه مفروض في الشريعة الإسلامية الممثل في مبلغ من المال المقدر في مجتمع البحث من 10 مليون فما فوق، إضافة إلى ذلك "شاة الحلال" المتمثلة في الخروف أو أي نوع من الغنم وكل ما يشمل العشاء والذهب المنفق عليه من قبل.

وأجمع المبحوثين أن قيمة المهر لها ارتباط وثيق بالمستوى المادي للرجل، بمعنى أن كل فرد يقدم المهر حسب إمكانيته.

¹ إدريس مقبوب، "نظام الأعراس في المغرب- نموذج قبائل بني وراين الأمازيغية"، عادات وتقاليد، الثقافة الشعبية، العدد 9، ربيع 2010، ص 73.

الفصل الثالث: الهدية ودلالاتها في المناسبات الاجتماعية

وتتمثل الهبة هنا في المبلغ الذي يزيده الرجل للمرأة من تلقاء نفسه وعن طيب خاطر حسب ما ذكره المبحوث (ف.ل).

- **يوم العرس:** يعتبر نقطة مرور بالغة الأهمية في حياة الأشخاص من الجنسين، حيث من خلاله يكون الإعلان الكبير بقيام العلاقة الزوجية ويترتب عليه حقوق والتزامات لكل من العروسين تجاه الآخر، وبجانب هذا فهو يحاط بكثير من الطقوس والعناصر الفولكلورية، والذي يكون فيه ليلة الحنة حيث يذهب أهل العريس ومعهم الحنة والذهب الذي تم ذكره في الشرط، وتضع كبيرة العائلة الحنة للعروس باعتبارها (بركة الدار) حتى تكون العروس مباركة وتكون (فال خير عليها)، وفوق الحنة توضع قطعة من السكر أو حبة حلوى أو (لويزة ذهب) حسب إمكانية العريس للرفع من مكانة المرأة وتقدير بها، وهي بمثابة هدية للعروس بالإضافة إلى هدايا أخرى يجلبونها مع الحنة والمتمثلة في "فليزة الحنة" و"طبق الحنة"، ويحضر أهل العروس وجبة عشاء للضيوف ككرم وعادة منهم، بالإضافة إلى تقديم الحلويات والمشروبات، وبدورهم الضيوف يقدمون مبالغ مالية للعروس أو أمها (البروك)، وحسب مجتمع البحث يعتبرونه دين "ماهو غير دين ولازم نردوه"¹ وهي في نفس الوقت هدايا. ونفس الشيء بالنسبة للعريس، حيث أن الهدايا قد تكون مادية من خلال مساعدات في تجهيزات العروس أو العريس أو مبالغ مادية، وأيضا هدايا معنوية من خلال عبارات التهئة والمباركة " كي يضحكوا في وجوهنا الدنيا وما فيها".

ليلة الحناء هي من المراحل التي لا يمكن الاستغناء عنها فهي من العادات الفريدة في المجتمع المحلي فيقيم أهل العروسة بعزيمة أهلها وأصدقائها المقربون لها للعشاء يسمى "بالمعروف" حسب (ذ.ب) ومشاركتهم لها ليلة العزوبية، إضافة إلى ذلك تقم أم العروسة أو جدتها أو خالتها بوضع الحناء لها التي مزجت بماء الزهر بعد ما غني لها أغنية الحناء "الحناء حنينه حني وزيدي هاتي يدك للحناء نعطيك الطيب والجاوي..." فالطيب والجاوي نوع من أنواع البخور، ففي هذه اللحظة يتقدم صديقاتها وأقاربها بمنحها مبالغ رمزية من النقود...

¹ الدين هنا بمثابة الواجب الذي يستدعي الاعتماد على فكرة القبول والرد، أي أن الهدية المعطاة سابقا هي ذاتها تكرر نفسها عند أفراد آخرين يستوجب العمل بمثل ما عملوه من قبل.

الفصل الثالث: الهدية ودلالاتها في المناسبات الاجتماعية

تسمى هدية الزواج "البروك"، وهي مأخوذة من البركة، وتقدم من الأقارب والأصدقاء ومن بعض الضيوف المدعوين للزوج بصفته هو الذي يتحمل تكاليف الزواج كاملة، وتتبع العديد من المناطق عادات متنوعة في هدية الزواج، وقد مرت جميعها بتاريخ من التحولات واختلاف المعاني الرمزية للهدية. فقد كانت الهدية ولا زالت تقتصر على خرفان يقدمون للعريس؛ وذلك لأنه يتكفل بإقامة وليمة العشاء لجميع المدعوين من الرجال والنساء، وكانت الخراف "الذبائح" تسد عجزاً كبيراً في ميزانية الوليمة، وقد كانت الأفراح تقام في أحواش في الحي نفسه أو فوق السطح، وما على الداعي إلا أن يرص الأرض ويركب الخيام ويفرشها بالسجاد البسيط، وتجهز بما يلزم من تحضير ويبدأ العرس بحضور الأقارب والأحباب.

ومن جهة أخرى فقد جرت عادة بعض المناطق أن تقدم الهدية للمتزوج على شكل مبلغ نقدي، أفضل من شراء الهدية، باعتبار أنه الأدرى بما يلزمه من مصاريف ويلزم عرسه.

فمثلاً كما يحدث في بعض العائلات بالمنطقة أنهم عند تزويج البنت يقدم مبلغ مئة ألف دينار من طرف كل شخص من أقاربها لمساعدتها في تجهيز نفسها، أما في الولد فيكون المبلغ مقدر بخمس مائة ألف دينار لمساعدته في التحضير لعرسه، حيث يمثل هذا التصرف نوع من الدعم المادي المتفق عليه بين الأقارب، وهو بمثابة دين يتوجب القيام به، وكما قيل على أفواه البعض (وكيما يقلك راه يوم ليك ويوم عليك)، " ويوم كيما هكا لازم نوقفوا فيه مع بعض)، (الواحد منا كي ما يساعدش يلي ليه شكون يساعد).

وبعد بروز ظاهرة قاعات الأفراح المتخصصة في إقامة الولائم وتجهيز الأماكن للزواج، انتهت فكرة تقديم الخراف كهدايا، واستبدلت بمبالغ نقدية تعادل قيمة خروفين في الغالب، وهي تقدم بطريقة شخصية أثناء السلام عليه وتهنئته.

ويوجد أشكال متنوعة في هدايا الزواج، مثل: الهدايا التي تقدم للزوجة بعد الخطبة أو التملك، وبعد الزواج، والهدية التي يقدمها الزوج لزوجته بعد العقد، وصباح الزواج.

الفصل الثالث: الهدية ودلالاتها في المناسبات الاجتماعية

فالزفاف هو آخر المراحل أين يتم الذهاب لأخذ العروسة بموكب من السيارات في جو من الفرحة والزغاريد فحسب ملاحظتنا ولسماع أقوال المبحوثين انه "الكورتاج يروح لعشية بعد صلاة العصر" وهذا إن كانت العروس من نفس المنطقة، وبعد وصول الموكب لبيت العريس أو قاعة الحفلات حسب تواجد العرس فيتم استقبال العرسان بمجموعة من العادات والتقاليد التي تختلف من عائلة إلى أخرى أو من عرش لآخر، فالمتفق عليه هو استقبالهم يكون من طرف أم العريس بتقديمها لهم كأس من الحليب وحبّة تمر (ذ.ب)، أو كسر بيضة من خلال المشي فوقها (ل.ب) وغيرها من العادات. والأهم هنا قيام أهل العريس لدار العروسة الذي يعتبر بمثابة هدية لإعادة رد حسن الضيافة في يوم الشوفة. كما نذكر الهدية المقدمة من طرف العريس لزوجته ليلة الدخلة المتمثلة في عقد من الذهب فتقول المخبرة "جابلي سنسلة تاع الذهب...". أما بالنسبة للضيوف يجلبون معهم الهدايا فيقدمونها لأم العريس أو العروسة المتمثلة في النقود أو نوع من الهدايا الرمزية الأخرى كالأفرشة أو الأطقم الزجاجية... الخ.

أما بالنسبة للرجل يقوم بسهرة مع أصدقائه ومعارفه فيقدم له هدايا نقدية تسمى "الباروك" عند حنته (ف.ل) تتراوح هذه القيمة بين 1000 إلى 10000 فما أكثر، كما أن صديق له أخضر له فرقة موسيقية كهدية له أو مجموعة من الهدايا القيمة كالمكيف الهوائي وجهاز التلفاز وهذه حسب قول.. (ف.ع).

- **نهار القصعة:** وهو اليوم الموالي للعرس حيث يحضر أهل العروس ما يعرف بالشخوخة¹ الأكلة التقليدية الشهيرة في المنطقة، ومعه الفواكه والمشروبات والحلويات التقليدية، وهو غذاء كامل لأهل العريس يتبع بالرقص والفرح والزغاريد حيث تقول إحداهن " بقصعة لعروس نحمروا وجوهنا"²، ويأتي

¹هي أكلة شعبية مشهورة، تطبخ في المناسبات، وهي عبارة عن عجينة تطبخ وتقطع قطعاً صغيرة وتسقى من فوق بالمرق المحضر مع اللحم والخضر وتزين حسب الرغبة.

²قصعة لعروس هي أكلة شخوخة تأخذ لبيت العريس في صباح اليوم الموالي للعرس كوجبة غذاء لأهل العريس فرحا بسلامة ابنتهم وفرحا بها.

الفصل الثالث: الهدية ودلالاتها في المناسبات الاجتماعية

معها أهل العروس وترتدي العروس ما يعرف بـ "تصديرة لعروسة"¹، كعادة من العادات الممارسة في مثل هاته المناسبات، ويختتم اليوم بتحزيم العروس بعد ارتداءها الحاف، ويقدم لها الحاضرون البروك ويهنئونها بحياتها الجديدة، وتعرض العروس ما جلبه لها عريسها ليلة العرس من هدايا. حيث اعتاد المجتمع قديماً أن يقدمها الزوج لزوجته في صباح اليوم التالي من زواجه. وقد تتطوي على رمزية التقبل وبداية تعايش مبني على الود، وذلك لأن الزوج لا يعرف زوجته ولا يرى وجهها إلا في ليلة الزواج، إذ كانت ترتيبات الخطبة والزواج تتم بالوكالة عبر الأم والأخوات.

وبعد نهاية العرس تكون العروس قد جلبت هدايا لأهل زوجها نساء ورجالا، حيث تتمثل الهدايا في سجادات وعلطور ومناشف وأطراف أقمشة أو غيرها كعادة متداولة في المجتمع.

ومنه إن هذه المراسم ظاهرة اجتماعية معقدة تتخبط في دورة من التبادلات المتجددة والمستديمة التي تضمن وجود أحد الطرفين عند الآخر والتي تبدأ في بيت أهل العروس وتستمر في بيت أهل العريس على أن تختتم عند أهل العروس، "فلا زواج دون تبادل ولا تبادل دون حفل". تتخذ هذه التبادلات ثلاثة أشكال مختلفة وهامة وهي: تبادلات عامة (علنية)، تبادلات خاصة بين العائلتين المتصاهرتين، وتبادلات نصف خاصة أو نصف عامة، أصبح حجم هذه التبادلات وقيمتها من أهم وسائل التفاخر والارتقاء الاجتماعي. وعلى الرغم من أن الزواج ظاهرة اجتماعية بالدرجة الأولى إلا أن هذا لا يمنع أبداً من وجود الكثير من الرموز الاقتصادية المصاحبة له، والملاحظ أن كافة الجوانب المرتبطة بالزواج هي ذات صبغة اقتصادية واضحة وإن أخذت صوراً أقرب إلى التبادل والعتاء والتهادي. تظهر هذه الرموز الاقتصادية في تفضيل المجتمع لنظام التهادي باستخدام المقتنيات الذهبية، وإن اقتصر ذلك على الهدايا المقدمة من الزوج وأهله للعروس وكذلك المهر، وتكمن الوظيفة الظاهرة لهذا النمط من التهادي في التفاخر والتباهي من ناحية، ومن ناحية أخرى تعبر الهدايا المقدمة عن قيمة العروس.

¹ هي ملابس فاخرة خاصة بالمناسبات السعيدة كالأعراس تلبسها العروس يوم الصباحية، لتبرهن لأهل العريس عن عزها واختياراتها حسب الإمكانيات المادية.

الفصل الثالث: الهدية ودلالاتها في المناسبات الاجتماعية

كما يبدو أن لهذه الهدايا وظيفة كامنة، إذ تبرز اتجاه المجتمع للادخار والاستثمار للزيادة المستمرة في قيمة الذهب بمرور الزمن، أما عن الهدايا التي تقدمها العروس لأهل الزوج، فهي أشبه بالهدايا الخالصة لذلك فهي رمزية وذات قيمة اجتماعية دون القيمة الاقتصادية.¹

أما الهدايا التي يقدمها الأهل والأصدقاء والأقارب إلى العروس فهي تكون قبل وبعد الزواج عندما يقومون بزيارتها في منزلها الجديد حيث تنتوع الهدايا التي يقدمونها ويكون أغلبها من الذهب والساعات ومستلزمات المطبخ كالأطباق والتحف وغيرها. وفي أغلب الأحيان يقوم الأهل والأصدقاء بالتشارك بشراء هدية جميلة وغالية للعروسين. فيقوم كل شخص بوضع مبلغ رمزي من المال على قدر استطاعته ويجمع هذا المال لشراء الهدية التي يودون شراءها.

إلا أن الهدية تحولت خلال السنوات الأخيرة إلى عبء اجتماعي ثقيل يرهق كاهل العائلات التي يتمسك أفرادها بعادات وتقاليد مكلفة، جعلت التهادي يفقد قيمته الإنسانية ويتحول من مجاملة بسيطة تعبر عن الامتنان والتكافل إلى التزام مادي مضمّن يدفع عن إكراه، خصوصا مع كثرة المناسبات في فصل الصيف. باعتبار الهدية تدخل باب الإحراج والحسابات، هذه المغالاة والمزايدة في قيمة الهدايا والمجاملات جعلت الكثيرين يعمدون إلى تجنب حضور المناسبات الاجتماعية وتأجيل المباركة إلى ما بعد انقضاء الحفل، لتجنب الإحراج خصوصا في حال كانت وضعيتهم المادية لا تسمح بالإنفاق الكثير.

فالهدية بالنسبة للكثيرين، تحولت إلى معيار يقيم الإنسان على أساسه، كما تحولت الأعراس إلى ماراتون للتباهي والحسابات، فلم تعد قطع الزينة أو الإكسسوارات المنزلية تقي بالغرض، لأن المظاهر فرضت سقفا جديدا لا يقبل إلا بما ثقل وزنه وارتفعت قيمته على غرار الذبائح والمبالغ المالية المعتبرة وحتى حجوزات الفنادق.

مثل هذه الحسابات جعلت الجزائريين بصفة عامة ومجتمع الزيبان بصفة خاصة يخافون سماع الأخبار السعيدة، كنجاح ابنة فلان أو زفاف ابن فلان، لأن ذلك يعني فاتورة جديدة ستزيد من إرهاب جيوبهم،

¹ فريال عباس، "مراسيم الزواج بمدينة قسنطينة، مقارنة أنثروبولوجية"، مجلة إنسانيات، عدد مزدوج 29-30 جويلية، ديسمبر 2005، ص 61.

الفصل الثالث: الهدية ودلالاتها في المناسبات الاجتماعية

بعدما أنهكتهم مصارف شهر رمضان وعيد الفطر، بالإضافة إلى برمجة العطلة الصيفية والدخول الاجتماعي، خصوصا وأن قيمة الهدية باتت تحدد حسب المستوى المادي للمدعويين دون مراعاة ظروف كل شخص، ناهيك عن كون الهدية أو المجاملة المادية المتواضعة التي تتراوح بين 1000 أو 2000 دج، باتت بمثابة اهانة وتقليل من قيمة من تمنح إليه فضلا عن كونها وصمة عار تلاحق صاحبها وتعتبر عن بخله.

لا يقتصر الأمر على ذلك فحسب، بل إن البعض لا يجدون حرجا في إلزام المدعويين بتقديم هدايا معينة، خصوصا إذا كانوا أفرادا من نفس العائلة فلا مجال للتمييز بين شخص أو آخر، وما منح لفلان لا بد أن يمنح لغيره أو يزيد عنه، لأن أي اختلاف في قيمة الهدية سيعتبر تمييزا وتفضيلا سيخلق حساسيات ويعمق الحسابات بين الأقارب.

ومنه فعادة التهادي في الأعراس والمناسبات المنتشرة، كتقليد اجتماعي يحافظ على التكافل والتلاحم، وجدت لمساعدة المقبلين على الزواج، ولا سيما في ظل الغلاء وزيادة الأعباء المالية، حيث اعتادت العائلات على مساعدة بعضها البعض تطوعا، من خلال تقديم هدايا رمزية أو إعانات مادية، حسب قدرة كل شخص، حيث تمنح للعرسان أو ذويهم قبل موعد الزفاف لتقليص مصاريفه أو خلال ليلة الحناء، لكن الوضع اختلف خلال السنوات الأخيرة بعدما تحول التطوع إلى التزام وباتت قيمة الهدايا تتعدى الـ 10 آلاف دج بكثير. البعض يشترط عليك منحه مبلغا من المال ويطالبك به قبل موعد الزفاف إن أمكن، وكأنك مجبر على المجاملة والمشاركة في المناسبة مرهونة بقيمة الهدية التي يتوجب عليك تقديمها. أما في بعض العائلات فتعتمد الفتيات المقبلات على الزواج إلى تقسيم نصف قطع جهازهن على أفراد العائلة، فتطالب كل فرد بشراء قطعة معينة، انطلاقا من الصينية النحاسية، وصولا إلى آلة الغسيل، فيما يشترط أخريات على صديقاتهن اقتناء حلي أو قطع حلي أو قطع ذهبية " لويزر " لاستكمال ما تبقى من مصوغات لم يتمكن من شرائها بأنفسهن.

وهناك من يربط ظاهرة أو مضمون الزواج بمراحل لكل منها هدفها والغاية من ورائها حتى بلوغ المرحلة الأخيرة والهدف من هذه الظاهرة وهو الزواج، وعليه فهي تدرج كالاتي، المرحلة الهامشية المرتبطة

الفصل الثالث: الهدية ودلالاتها في المناسبات الاجتماعية

بالزواج تتمثل في الخطبة وهي الفترة التي تسبق عقد الزواج بصفة رسمية، وهي في الواقع المرحلة التحضيرية أو الإنشائية لتوثيق العلاقات بين أسرتي الزوج والزوجة ووضع أسس الحياة الزوجية وهي مرحلة مرنة، لأن الكثير يظنون أن وظيفة هذه المرحلة مقصورة على بلوغ الهدف الأسمى هو عقد الزواج، لذلك يخرج المتصاهرون على مألوف عاداتهم ويتظاهرون بما ليس في وسعهم ومقدرتهم. ويسيطر على مشاعر الأفراد في هذه المرحلة السلوك التقديري وتقوم العلاقات على الجدر المتبادل الذي قد يصل إلى درجة التشكك، وهذه الأمور تسيء إلى نظام الأسرة متى تكونت بصفة رسمية لا سيما عندما تتكشف الأمور على حقيقتها، ويتضح للزوجين واقع الأمر، وكثيرا ما تتفك الخطوبة ويصبح الطرفان في حل من ارتباط المبدئي دون أن يترتب على ذلك أية إجراءات شرعية.

وما يتعلق بشعائر الاندماج وهي المرحلة الثالثة، يتمثل في تفاعل الفرد مرة أخرى مع أعضاء جماعية ومجتمعه كعضو داخل التنظيم الجديد الذي يحتل دورا داخله. وفي هذه المرحلة يكون العبور أو الانتقال قد تم، ويكون الفرد قد انتقل إلى المكانة الجديدة بكل التزاماتها وحقوقها وأخذ صاحبها في القيام بمهامه بأسلوب محدد.¹

فهي تعبر عن حب الطرفين لبعضهم البعض بالرغم من انشغالات الحياة المختلفة التي قد تدفع أحد الطرفين لنسيان تاريخ ذكرى هذا اليوم، إلا انه لا بد من تجديد الشعور وتذكر الأيام المهمة التي تجمع بين الطرفين للمحافظة على صحة العلاقة بينهما، فهي طريقة رائعة للخروج عن الروتين اليومي واستعادة الذكريات الجميلة معا، وإظهار الحب والاهتمام وتقوية العلاقة بين الزوجين.

لقد كانت الأعراس تمثل فرصا حقيقية للتجانس بين الأفراد ولإعادة إنتاج نفس القيم والعلاقات، أما اليوم أصبحت مجالاً للتفاخر بامتياز، وما قد يزيد الجفاء بين أفراد العائلة عدم توجيه دعوات لحضور حفل الزفاف، التي أصبحت تقام في صلات الأفراس، لقد كانت الأعراس الجزائرية يسودها جو من المحبة والألفة رغم بساطة ما كان يقدم في هذه الأعراس، جو يخلق الشعور بروح التضامن بين العائلة والأقارب والجيران، حيث كان المنزل هو المكان الذي تقام فيه كل الاحتفالات حتى وإن كان ضيقا يوزع المدعوون

¹ بكوش المولودة قيشوش نصيرة، العادات والطقوس (عادات الزواج أنموذجا)، المحاضرة الرابعة، محاضرات مقياس أنثروبولوجية أشكال التعبير الشعبي، جامعة أبو بكر بلقايد، تلمسان، مارس 2020، صص (8-11).

الفصل الثالث: الهدية ودلالاتها في المناسبات الاجتماعية

بين غرفة أو في سطح المنزل ليبدأ التحضير للعرس قبل أيام ويتواصل عمل النسوة نهارا والسهر والفرح ليلا إلى أن يجتمع العروسان في البيت الزوجية، أما اليوم فقد صار العرس حدثا يتم سريعا خارج بيت الأهل غالبا، إذ تقام حفلة العرس في قاعة الأفراح ويتكفل بتحضير الطعام والحلويات أشخاص مختصون في ذلك.

وفي مناسبة الزواج يقدم الزوج هدية لزوجته مصاحبة بكلمة رقيقة معبرا لها عن تقديره، هذا مفتاح لحل كثير من المشاكل الأسرية مهما كان، فتترك جمالا في الحياة الزوجية، فكلمة تقدير أو عرفان من كل من الزوجين تجعل للحياة معنى آخر، كما أن الأولاد حين يقدمون للوالدين هدية مهما كانت بساطتها فلها قيمة عظيمة في نفوسهم تشعرهم بالسعادة.

حيث أن الهدية عادة للزوج أو الزوجة والأبناء تزيد من الروابط الأسرية وتترك أثرا نفسيا عميقا في النفس. فأجمل الهدايا من الزوج إلى زوجته هي التي تأتي من دون سبب أو مناسبة اجتماعية.

وهو ما يعبر عنه بأن الهدايا بين الزوجين رمز للحب والتقدير والتعبير عن الامتنان والعرفان، فالهدية تقوي الحب والانسجام وليست الهدية بقيمتها المادية ولكن مجرد تذكر الزوج زوجته بهدية فهذا شيء يسعدها ويفرحها وتكون قيمتها قيمة روحية عظيمة وهي الحب وتنمية أواصر ومشاعر الود والمحبة.

حيث أن تقديم الهدايا وتبادلها هو ما يمكن أن نربطه بفكرة تبادل المصالح والخدمات والذي يعتبر من مظاهر التواصل بين الأفراد، والمصلحة عندما يؤديها شخص أو عائلة لعائلة فإنها حتما سترد إليه في وقت آخر، وهذا ما يبرز في الأعراس عندما يقوم الأفراد بتقديم الهدية والتي تقدر في الغالب بمبلغ مالي، والذي يعرف بـ "البروك" هذا في حالة العرس أو النجاح، وأيضا من خلال مساعدة مريض وأخذه إلى الطبيب، فهي كما يقال عنها (راهي غير دين)، (يوم ليك ويوم عليك)، (واجب ولازم نديروه)، هذه بعض الأقوال التي تحمل في طياتها ومضمونها معنى اجتماعي وشخصي مصلحي. من خلال أنه كما أفعل سيفعل بي ومعى، وفي ذلك ما قيل (كيما الدير تلقى)، وقالت لي إحدى النسوة (يا بنيتي تدير الزينة تلقاها، تدير الشينة تلقاه)، وكيما يقولوا ناس بكري (راه الدنيا بالوجوه والآخرة بالفاعيل)، (يا سعدوا من دار الخير وألقاه). فتبادل الخدمات يبرز أيضا في حالة ازدياد مولود جديد بحيث تقول (هي جاتني ومدتلي)،

الفصل الثالث: الهدية ودلالاتها في المناسبات الاجتماعية

(هذا خير ولازم نردوه)، (عيب علينا). فهي عبارات تبرز أن هذا واجب وخير لا بد من إرجاعه إلى أصحابه.

ثانيا: الازدياد (الولادة)

تعتبر الولادة أو الازدياد في العائلة من الأخبار السعيدة والباعثة للفرح، حيث عندما تلد المرأة وتضع مولودها وتعود إلى منزلها أو بيت أهلها أو أهل زوجها حيث تقضي فترة ما بعد الولادة حتى تتحسن صحتها كونها "نافس" بعد الوضع، جرت العادة في المنطقة أن تقوم إحدى نساء العائلة بإعداد حلوى تقليدية تسمى "الرفيس والطمينة"، حيث تحضر الأولى بالسמיד المحمص والتمر والزبدة، والثانية تعد بالقمح والحمص والمكسرات وتحلا بالعلس والزبدة، و لترسل في شكل كرة متوسطة الحجم إلى الجيران، الأقارب القريبين في السكن في السابق، وتقدم عند مجيء الأقارب والأحباب للمباركة بالازدياد المولود، وهي هدية إخبارية ذات دلالة رمزية تحمل خبر وضع الحامل لمولودها الجديد في العائلة. كما أنها عادة متوارثة عند أفراد مجتمع البحث في هذه مناسبة.

وبعد سماع الأهل والأحباب والأقارب انتشار خبر الوضع تبدأ "النافس" أو الأم الوالدة جديد في استقبال هدايا في فترة النفاس من المقربين لها "النفاس" تكون في شكل أطباق لأكلات تقليدية تتمثل في: الكسكس بالتمر والبيض، كعبوش "بزبدة العرب" - هي زبدة يتم استخراجها من لبن البقر وقهوة بالتوابل الحارة فلفل اسود، قرفة، ورق الغار، المردود أو البركوكس بالأعشاب أو كما يعرف في المنطقة ب" عيش لحشاوش" والقهوة، بغير وشاي وتيزانة. وتساعد هذه الأطباق حسب تصريحات المبحوثين النفاس على استرداد عافيتها، وتسرع في شفاءها لأنها ذات قيمة غذائية لغناها بالسعرات الحرارية. إضافة إلى الهدية العينية التي تقدم للواضعة يضاف إليها مبلغا من المال تتراوح قيمته 200 دج إلى 1000 دج، يوضع تحت رأس المولود أو في يد الأم لأنهما المعنيان بهذه الهدايا. وهناك من يفضل جلب هدية بدلا من مبلغ مالي تكون خاصة بالمولود تشمل ملابس، غطاء أو مفرش، سرير صغير، حقيبة للوازم المولود، مجموعة منتجات نظافة وعناية للأطفال. كما يحضى المولود بهدية مميزة إذ ما حمل اسم شخص معين سمي باسمه، وهذا تبركا به أو رغبة في الاقتداء بأخلاقه وسيرته الحسنة وهذا ما صرحت به إحدى

الفصل الثالث: الهدية ودلالاتها في المناسبات الاجتماعية

المبحوثات: "السمى يعدي ولا يردي" ويمكن أن يكون من حمل المولود اسمه فردا من العائلة أو الأصدقاء والمعارف، ويستمر المولود باستقبال الهدايا من طرفه بمناسبة أو بدون مناسبة حتى يكبر. بعد مرور أسبوع إلى عشرة أيام على الوضع تقام العقيقة أو "السبوع" ويتم دعوة جميع النساء اللواتي زرنا الأم الواضحة وقدمنا لها هدايا، وذلك من أجل الاجتماع على وليمة تسمى القصة "وهي أطباق الكسكس بمرق الخضار ولحم الشاة التي ذبحت من أجل هذه المناسبة خصيصا، فهذا بمثابة رد على هداياهم التي تم استلامها قبلا، ومن جهة أخرى فالعقيقة من السنن المطلوبة والواجبة للمولود. "عندنا في السبوع نتاع النافس نذبجوا ونديروا الطعام ونعرضوا الناس ونخرجوه صدقة"...

تعتبر ولادة وازدياد مولود جديد للعائلة من بين المناسبات الاجتماعية السعيدة، والتي استدعت تحضير ملابس جديدة للمولود كهدية له فرحا به، كما تحضر بعض الحلويات التقليدية الخاصة بالمناسبة أهمها ما يعرف بـ "الزيرير" أي الطمينة وهي المصنوعة من القمح والحمص والعسل والزبدة، وأيضا "الرفيس" المصنوع من الدقيق والتمر (الغرس)، لتقدمها للنافس وللناس عندما يأتون للمباركة. وفي تلك الفترة تصبح الأم أو النافس تحظى بأكلات مميزة متمثلة فيما يعرف بـ "العيش بالحشاش"¹ أي بالأعشاب الصحية المفيدة لصحتها، والكسكس، والشخشوخة، من طرف الأقرباء. هدية المولود الجديد بسيطة وكل حسب مقدرته واستطاعته وقربه من النفساء، فقد تهدي قطعة قماش وهو مهاد للطفل أو ثوب أو صابونة أو غيرها أو مبلغ من المال.²

وعندما يأتي الناس للمباركة تعطى الهدايا لأم المولود وفي الغالب تكون مبالغ مالية حسب قدرة وإمكانية كل شخص، وهناك من يشتري ملابس للمولود أو بعض المستلزمات التي يحتاجها، وكل هذا متبوع معه عبارات التهئة والمباركة "سلامة راسك"³، "مبروك ما زاد عندكم"، "يتربى في عزك"، ربي يجعلها فرحة دائمة"، وهي كلها تمثل هدايا مادية ومعنوية لعائلة المولود.

¹ وهي أكلة شعبية مفيدة للصحة، وهي عبارة عن حبات صغيرة الحجم أكبر من حجم حبة الكسكس تطبخ عن طريق البخار ويحضر له مرق خاص يحتوي على مجموعة توابل الطبخ وتضاف لها أعشاب طبية صحية تعطيها طعم خاص ويأكل ساخن لتكتمل فائدته.

² محمد الجوهري، "عادات وتقاليد"، الثقافة الشعبية، العدد الرابع شتاء 2009، البحرين، ص123.

³ يقصد بها الحمد لله على سلامتك وسلامة صحتك، وأنت بخير وصحة جيدة.

الفصل الثالث: الهدية ودلالاتها في المناسبات الاجتماعية

جرت العادة الاجتماعية أن تكون هدايا المواليد من التقاليد النسائية، وتقدم أثناء زيارة الأم بعد تعافيتها من آلام الولادة، وغالباً ما تكون هدية تناسب نوع المولود، أو مبلغ مالي يوضع على لفافة الجنين أثناء السلام عليه، وينبغي على الزوج أن يقدم هدية لزوجته بمناسبة سلامتها بعد وضع المولود، وتسمى "سلامة الراس"، وهي تعبير عن الشكر؛ لأن الله تعالى رفع صحتها بالعافية. وقد كانت مخاطر الولادة عالية قبل انتشار الطب الحديث، حيث كانت تتم في المنازل وبطرق بدائية من قبل خبيرات بجهود ذاتية. وينبغي أن تبقى المرأة في سريرها أو بيتها أربعين يوماً تسمى عدة النفاء، حتى وإن تعافت بعد أيام قليلة، وذلك بحسب العرف الاجتماعي والفتوى الدينية التي تحدد مدة النفاء.

فهي مناسبة خاصة ليس فقط للأم والأب ولكن لكل أفراد الأسرة والأصدقاء لذلك يحتفل الكل بهذه المناسبة المبهجة بأناقة. ويسعون لإعطاء هدايا أنيقة ونافعة في الوقت ذاته، والهدايا المرتبطة بالولادة ترتبط بعدة جوانب تتمثل في تقديم الأم إلى زوارها في المنزل بعض الهدايا «والتوزيعات» تقديراً لهم على زيارتهم لها وتقديرهم لها لمجيئهم لها لتهنئتها بالمولود الجديد، حيث تنتوع الأشكال والأصناف من الحلويات التي توزعها عليهم.

حيث أن هذه الأشكال من الهدايا تقدمها الأم في أولى أيام الولادة في المستشفى أما في اليوم السابع فيقوم الوالدان بعمل «عقيقة» وهي سنة مؤكدة حث عليها الرسول (ص) و«العقيقة» «هي اسم لما يذبح عن المولود يوم سابعه، ومن الأفضل أن تذبح عن الولد شاتان متقاربتان شبيها وسنا، وعن البنت شاة. والذبح يكون يوم السابع بعد الولادة إن تيسر، وإلا ففي اليوم الرابع عشر وهكذا»، بعد الذبح تعمل الوليمة ويقوم الوالدان بدعوة الأهل والأقارب والأصدقاء على الطعام، مع مراعاة أن الأم والأب لا يأكلان من هذه الوليمة، وبعض الأشخاص لا يدعون الأقارب على الوليمة إنما يوزعونها على الفقراء والمحتاجين.

وبهذه المناسبة تحتفي العائلة والأحباب بهذا المولود، وانضمام فرد جديد إلى هذه العائلة، مما يقرب بين الجماعة ويشدد أواصرها، حيث أن للعقيقة أهمية بالغة في المجتمع، إذ يجمع المولود الجديد الأهل والأقارب والأرحام، ويصل بين قلوبهم، ويعيد ترميم العلاقات المتصدعة. وهناك فضائل عديدة تدفع الناس إلى عمل العقيقة ومن هذه الفضائل التي تعود على الأم والأب:

الفصل الثالث: الهدية ودلالاتها في المناسبات الاجتماعية

- شكر المنعم الذي له الخلق والأمر، فمن يؤمن بأن الله أكرمه وأعطاه ولو شاء لحرمه، يدرك حتمية شكر الله الواهب على ما وهب.
- إشراك الأحبة والأقرباء والأصدقاء بالفرحة.
- الوقاية من حسد من حرّموا نعمة الإنجاب. فمن شكر الله لم يُحسد، وتقديم الأطعمة يذوب المشاعر السلبية.
- التأمين على المولود، ففي الحديث: «كل غلام رهين بعقيقة تذبح عنه يوم سابعه، ويسمى فيه، ويحلق رأسه» (رواه أبو داود)، وفي هذا الإخبار ما يجعلنا نحرص على العقيقة حماية لتلك الهبة، وأملاً في خير يعود من ورائها.

ومن جهة أخرى يقدم الناس إلى الأم هدايا تعبيراً عن فرحتهم بسلامتها هي والمولود الجديد حيث أن الهدايا التي يقدمونها قد لا تكون هدايا مادية فقط. وإنما قد تكون عبارة أيضاً عن خدمات حيث يقوم أقاربها أخواتها أو أمها بتجهيز المنزل قبل قدومها من المستشفى فيقمن بتنظيفه وترتيبه وتجهيز الغرفة التي ستجلس فيها طيلة فترة النفاس ويقمن أيضاً باستقبال الضيوف الذين يأتون ليلباركوا لها بمولودها ويحسن خدمتهم وضيافتهم. وكذلك تقوم أم النفاس بصنع الأطعمة الخاصة بالنفاس وتوزيعها على أهل والجيران. ومن تلك الأطعمة الطمينة أو الزريرة (والتي تكون عبارة عن دهن الزبدة وعسل وطحين مرعي مخلوط بالعديد من المكونات المفيدة للجسم وخاصة النفاس وتكون حلوة المذاق). وغالباً ما ينتظر أهل هذه الأطعمة الخاصة بالنفاس، فهذه المأكولات مفيدة جداً للنفاس، وعندما يأكل الآخرون من طعام النفاس فإنهم يتبركون به وبالخصوص النساء اللاتي يرغبن بالحمل فإنهن يأكلن ويدعون بأن يحملن ويلدن.

وكذلك تنتوع الهدايا التي تقدم إلى الأم من أقاربها وأصدقائها الذين يأتون إلى زيارتها فهم يقدمون لها غالباً الذهب، المال، العطور والحلويات.

تقوم الأم بتجهيز مستلزمات الطفل من قبل أن تتجبه فهي تقوم بشراء السرير والألحفة والألبسة القطنية الخاصة بالطفل وتقوم بشراء الفراش الخاص بالطفل في المستشفى فتختاره بعناية فائقة وخصوصاً إذا كان

الفصل الثالث: الهدية ودلالاتها في المناسبات الاجتماعية

المولود الأول لأن كل من سيزورها في المستشفى سيرى نوعية أغراض الطفل هل هي غالية أم رخيصة هل هي جميلة وأنيقة أم عادية. فلذلك تعتني الأم كثيراً بتجهيزات الطفل من قبل أن تدخل الشهور الأخيرة من الحمل. وغالباً ما تعرف الأم ماذا ستحب لذلك تشتري المستلزمات حسب نوع جنس الطفل فإذا كانت فتاة فإن معظم مستلزماتها باللون الوردي وإذا كان ولداً فيطغى اللون الأزرق.

يعتبر قدوم الطفل الجديد إلى العائلة حدثاً مميزاً مليئاً بالحب والدعم والرعاية. سواء كان هذا الطفل الأول أم العاشر وتقوم العائلة والأقارب والأصدقاء بتقديم الهدايا إلى المولود الجديد حيث يعطي البعض المولود مبلغاً رمزياً من المال فيوفرون بذلك عليهم عملية اختيار الهدية الصعب. ذلك أن بعض الهدايا تعجب الأم وبعضها قد لا يعجبها. لذلك يكون أسهل عليهم أن يعطوها مبلغاً من المال، والبعض الآخر يقدم الهدايا المادية فتنوع هذه الهدايا ما بين مستلزمات الطفل التي تتضمن الألبسة القطنية الداخلية، والرضاعات، والألعاب المسلية للطفل، وأدوات الاستحمام التي تسعد بها الأم في أولى أيام الطفل الجديد.

كذلك لحاف صغير للأطفال الرضع، وتعتبر هذه هدية عظيمة خصوصاً إذا كان اللحاف مطرزاً ويحتوي على العديد من الرسومات المحببة للأطفال، فقد يصبح لحافه المفضل بعمر سنة كذلك مجموعة مميزة من أغطية السرير، التي يمكن الحصول عليها من متاجر مستلزمات الأطفال. ومن الهدايا المشهورة التي تتداولها السيدات هي: سرير للطفل، كرسي للسيارة، عربة للطفل، مجموعة رضاعات، مجموعة أغطية ووسائد للسرير، حوض استحمام، طاولة لتغيير حفاظة الطفل، جهاز تدريب للمشي. وغيرها من الهدايا التي تستفيد منها الأم في سنوات الطفل الأولى.

الفصل الثالث: الهدية ودلالاتها في المناسبات الاجتماعية

ثالثاً: الختان

تعريف الختان:

- لغة: الختان بكسر الخاء هو اسم لفعل الخائن، ويسمى به موضع الختن، وهو الجلدة التي تقطع والتي تغطي الحشفة. أو هو قطع القلفة من العضو الذكري أو موضع قطعها، وهناك من اللغويين من يرى أن الختن مختص بالذكر ومنه ختن الولد يختنه أي قطع غرلته.
- والختان بكسر الخاء من الختن، وهو موضع القطع من الذكر والأنثى. وجاء في لسان العرب: ختن الغلام والجارية يختنهما خنتا. والاسم الختان والختانة وهو مختون، وقيل الختن للرجال والخفض للنساء. والختانة: صناعة الخائن. والختن فعل الخائن الغلام.¹
- اصطلاحاً: ختان الذكر حسب الماوردي هو قطع الجلدة التي تغطي الحشفة ويقول امام الحرمين هو قطع القلفة وهي الجلدة التي تغطي الحشفة حتى لا يبقى من الجلد شيء متدل.²

لقد اعتنى العديد من علماء الأنثروبولوجيا بدراسة طقس الختان ومعرفة دلالاته عند مختلف الجماعات البشرية على مر العصور، فوجدوا أن هذه العادة معروفة عند المجتمعات الأولى منذ فجر التاريخ، ولكن قد اختلفت رمزية هذا الطقس ودلالاته من مجتمع لآخر.

وقد أثبتت الدراسات أن هناك من الشعوب التي تمارس الختان تعطيه أهمية كبيرة وتحمله بقيم انفعالية عالية وتحيط به قدسية خاصة، لأنها تعتبره عماد الحياة، بينما تنتظر الشعوب التي لا تمارس الختان إلى هذه العادة بكل ازدراء ولا تعطيها أهمية. وقد حاول العديد من العلماء البحث عن العوامل التاريخية والثقافية المسؤولة عن استمرار طقس الختان بين الشعوب رغم اختلاف مدلولاته عندها، ورغم الألم الذي ينتج عنه، ولكن أثبتت الدراسات أن الشعور بالألم عند بعض المجتمعات كان وسيلة لاختبار قوة تحمل الشاب، ومن بين من حاولوا دراسة الختان عند المجتمعات البشرية "ديميو" الذي يرى انه وجدت جدارية

¹ محمد علي البار، الختان، دار المنارة للنشر، جدة، مكة، السعودية، 1994، ص45.

² علاء علي حسين نصر، ختان الإناث دراسة مقارنة في الفقه الإسلامي والقانون الوضعي، منشأة المعارف، الإسكندرية، 2008، ص - ص (80-81).

الفصل الثالث: الهدية ودلالاتها في المناسبات الاجتماعية

في مصر القديمة تمثل ختان الرجال، ولكن اعتبر المصريين ليس هم من اكتشفوا الختان ولكن وصل إليهم مع غزاة من البدو أمثال قوم "الهكسوس" لان هؤلاء الرعاة كانوا يتصفون بصفات الثقافة الذكورية المتسلطة.¹

ومن الناحية الأنثروبولوجية فان طقس الختان هو طقس ارتقاء إلى درجة الفرد الراشد الصادم للآلام، وبالتالي يرمز إلى الضمان الذي يحمي الطفل من العالم النسوي الذي كان يعيش فيه قبل الختان، لان الطفل في السنوات الأولى يكون تابعا لأمه بصفقتها الأساس الأول الذي يعتمد عليه في تلبية أهم حاجياته الضرورية، ثم ينتقل بطقس إلى عالم الرشد، لذلك الأنثروبولوجيا جعلت من طقس الختان كونه الوسيلة الأولى للارتقاء من درجة اجتماعية إلى درجة اجتماعية عليا، حيث أن الدرجة الأولى دالة على الضعف والحاجة إلى أم إلى درجة ثانية دالة على الرجولة والصمود بعيدة عن الأم وحنانها، وبالتالي هي تأكيد على موت شخص وميلاد شخص آخر، أي موت الضعف وميلاد القوة لذلك فان الأنثروبولوجيا يأخذ الختان بعدا ثقافيا لأن فيه إعادة إنتاج ثقافي.

والختان هو ممارسة دينية ثقافية تدل ممارسته على الانتماء إلى الدين الإسلامي ناهيك عن فوائده الصحية لحماية الطفل من الأمراض التناسلية غير أنه يحمل بعد ثقافي والمتمثل في بناء الرجولة كما قالت (ل.ر) "يطهرو باه يولو رجالة".

غير أنه وصف المؤرخون مظاهر هذه الممارسة لختان أبناء الخلفاء من ذبح وصرف للأموال والمغالاتة في الاحتفال، ك "الاعذار الذنوبي" الذي يضرب به المغاربة المثل لأنه يشبه نمط احتفال الروم والفرس بأعيادهم. وهذا دليل على الأهمية التي يحتلها الختان والامتثال لسنة إعلانه، فيجري بطريقة احتفالية وسط أجواء محبة، ولم يكن الولد ضحية بقدر ما يكون مركز الاحتفال، يتلقى التهاني ويستقبل الهدايا وتقام على شرفه الولائم افتخارا بدخوله عالم الفحولة.²

¹ سهام عبد السلام، "ختان الذكور بين الدين والطب والثقافة والتاريخ"، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2006، ص30.

² أمال قرامي، الاختلاف في الثقافة العربية الإسلامية، دار جنديرية، دار المدار الإسلامي، بيروت، 2007، ص84.

الفصل الثالث: الهدية ودلالاتها في المناسبات الاجتماعية

وفي مجتمع الدراسة يعرف الختان بمصطلح "الطهارة" الخاصة بالذكور، وحسب رأي أحد المبحوثات (ل.ر) فإنه في القديم كانوا يخصصوا لهذه المناسبة أياما خاصة كالمولد النبوي، ليلة السابع والعشرون من رمضان، والنصفية من نفس الشهر، فيتم فيه دعوة الأهل والأقارب والجيران لتقديم وليمة عشاء خاصة بهذه المناسبة، إضافة إلى تحضير الحلويات المختلفة.

أما في الوقت الحالي ومع تغير الظروف المعيشية أصبح الأمر يتكلف، والتكلفة المادية له ارتفعت وفاقت القدرات، فأصبح هذا الطقس يمارس في يوم عادي بين أفراد العائلة الصغيرة فقط للطفل، وبعدها يأتي الأقارب للتهنئة وتقديم الهدايا، وفي الغالب تكون نقدية وتقدم مباشرة إلى الطفل دون إظهار لذلك.

قبل احتفالية الختان يقاد الطفل إلى الحلاق وهذه العادة كانت ولا تزال تقوم بها العديد من العائلات بغاية لطفل التزيين، وهنا يبدأ فصل الطفل عن العالم الأنثوي حيث أن حلق الرأس يرمز إلى أهمية الدور النهائي للطفل من عالم الطفولة إلى عالم الرشد.

طقس المرور والإدماج في العالم الذكوري يبدأ في هذا اليوم، وهذا ما يعطي صبغة لطقس الختان بأنه طقس ذكوري رجولي غايته تكوين فرد قادر على أن يصبح رجلا في المستقبل، كما أن الذهاب للحلاق هو بغرض التزيين وذلك لأنه بمثابة العريس حتى انه يلقب عند بعض العائلات بالعريس الصغير.

ويرمز مفهوم العريس إلى كون الطفل ينتقل بواسطة طقس الختان من عالم الطفولة إلى عالم الرشد الذي يكون فيه مؤهلا لان يقوم بأهم وظيفة في الحياة وهي الزواج والتناسل، وبالتالي هو طقس يمنحه مكانة جديدة يكتسب الفرد من خلالها نفس الأدوار والمسؤوليات الاجتماعية والحقوق وأولها الزواج وهو بمثابة العريس.

بعدها تأتي عملية "وضع الحناء" لما ترمز إليه من البركة، ويلبس الطفل عباءة بيضاء وبلغة قبل وضع الحنة، وتتولى النساء عملية وضع الحناء وتشعل الشموع وتتعالى الزغاريد والأغاني تعبيرا عن الفرحة.

فليلة الحناء كانت تقام في جو بهيج يحضره الأحباب والجيران والأقارب. ويأخذ الطفل صورا مع عائلته كذكرة على ذلك اليوم السعيد.

الفصل الثالث: الهدية ودلالاتها في المناسبات الاجتماعية

وفي يوم ختان الطفل يعتبر طقس الحناء ذروة الاحتفال، فبعد استحمام الطفل من طرف إحدى قريباته كالعمة أو الخالة في جو تعلوه الزغاريد والأغاني يحمل الطفل إلى فراش تم تخصيصه له، ثم تحاط به النسوة من كل جانب ويبدأ الاحتفال بالأهازيج الغنائية والرقص، حيث تتقدم إحدى النساء من أقارب الطفل الذي سيختن ثم تقوم بتخضيب يديه ورجليه بالحناء في جو من الفرح والابتهاج والأغاني والزغاريد كما يكون للعنبر وحرق البخور طقوس تضيء جوًا مميزًا له نكهته الخاصة تبركا بهذه النبتة وطلبًا للسعادة وأملًا في إطالة العمر لمشاهدة أطفالهن عرسانا بعد إحياء ختانهم.

وفي يوم التختين وفي الصباح يأخذ الأب الطفل مع بعض النسوة إلى الطبيب حتى يتم تطهيره، وبعد تطهيره تتعالى الزغاريد، وفي هذا اليوم يحضر الطعام وهو الكسكس باعتباره الأكلة الشعبية المشهورة وذلك بعد ذبح شاة لغرض الوليمة. ويحضر المدعوين للاحتفال وتقدم المأكولات والمشروبات والحلويات، ويقدم الحاضرون الهدايا للطفل وغالبًا ما تكون نقودًا وهذا تعبيرًا عن فرحتهم بالطفل.

انه في الوقت الراهن أصبح الاحتفال يقتصر على يوم واحد فقط عكس السابق حيث يستغرق أيام، ويحضر المقربون فقط من العائلة. والتغير في طابع الاحتفال عن السابق راجع إلى عدة عوامل أهمها غلاء المعيشة، والتخلي عن الطهار وتعويضه بالطبيب للخوف على صحة الطفل، وأيضا لضيق السكن واختلاف الشكل العمراني عما سبق حيث كان واسعًا وحاليًا ضيقًا لا يتسع لإقامة الحفلات الكبيرة.

يعتبر طقس الختان ممارسة طبية دينية واجتماعية وثقافية فهو شعار الانتماء للدين الإسلامي، إضافة إلى فوائده الصحية المتعلقة بطهارة الجسد وحمايته من الأمراض التناسلية خاصة، فهو يحمل أبعاد اجتماعية وثقافية كبناء الذكورة، لأن شعور الفرد بفحولته عن طريق اختبار قدرته على تحمل الألم، هو شرط انضمامه إلى عالم الرجال وتولييه السلطة.

وصف المؤرخون المظاهر الاحتفالية المصاحبة لختان أبناء الخلفاء من بذخ وصرف للأموال والمغالاة في الاحتفال، كـ "الإعذار الذنوبي" الذي يضرب به المغاربة المثل لأنه يشبه نمط احتفال الروم والفرس بأعيادهم. وهذا دليل على أهمية التي يحتلها الختان والامتثال لسنة إعلانه، فيجرب بطريقة احتفالية وسط

الفصل الثالث: الهدية ودلالاتها في المناسبات الاجتماعية

أجواء محبة، ولم يكن الولد ضحية بقدر ما يكون مركز الاحتفال، يتلقى التهاني ويستقبل الهدايا وتقام على شرفه الولائم افتخارا بدخوله عالم الفحولة.

يسمى الختان في مجتمع البحث بـ "طهارة" وتخص الأطفال الذكور الذي يبلغ عمرهم خمسة سنوات أو أقل، أي وجب تختنيهم قبل سن التمدرس الذي يحدد قانونيا بستة سنوات.

ويتم دعوة كل الأهل والأقارب والأصدقاء في الماضي القريب كان يقام حفل حناء كبير يحييه "Dj" ويتم على إثره تقديم وليمة غداء أو عشاء، مصحوبة بحلويات ومشروبات ساخنة وباردة. لكن صعوبة الظروف المعيشية وكثرة تكاليفها جعلت من هذا الطقس مناسبة عادية يقام احتفال صغير في بيت المختون بهذه المناسبة يحضره أفراد العائلة والجيران والأصدقاء من أجل التهئة وتقديم لهم حلويات ترافقها قهوة وشاي، ليختن الصبي في صباح اليوم الموالي وتقدم له أو لأمه هدايا نقدية تتراوح قيمتها ما بين 200 دج - 1000 دج أو أكثر. وتأتي في بعض الأحيان سرا لا يعلن عنها لتفادي الإحراج ومصاريف الضيافة التي تسببه زيارات المهنيين، وفي أحيان أخرى خلال مناسبات دينية معينة تبركا بها لقدسيها الدينية كليلة الخامس عشر وليلة السابع والعشرون من شهر رمضان، في مولد النبوي الشريف.

يعتبر الختان أو كما يعرف "بالطهارة" في مجتمع الزيبان من بين الممارسات والعادات الدينية والاجتماعية التي تقام للطفل وهو صغير وهو طقس وقائي يحميه من أمراض عديدة، وفي العادة يصاحب هذا الطقس جو احتفالي بهيج، حيث يتلقى الطفل التهاني والهدايا بهاته المناسبة. ويتم الاحتفال من خلال القيام بليلة الحنة قبل تختين الطفل، حيث توضع له الحنة، مع حضور الأحابب والأقارب عن طريق "العرضة" وإقامة وليمة عشاء بهاته المناسبة تتمثل في أكلة الكسكسي، في جو عرس وذبيحة وغناء وزغاريد، مع تقديم للحلويات والشاي للضيوف، وبدورهم المعارض هناك من يقدم مبالغ من المال كهدايا للطفل أو أمه بهذه المناسبة، وهناك من يقدم في اليوم الموالي بعد أن يختن الطفل وفي الغالب تكون عبارة عن هدايا نقدية، مع عبارات التهاني المتمثلة في "لعقوبة لعرسو إن شاء الله"، "ربي يحفظ ويصون".

أما الهدايا الخاصة بيوم الختان (الختان هو استئصال أو إزالة قلفة القضيب (Foreskin) جلد مقدمة القضيب، ويتم عادة ختان الطفل في أول عدة أيام أو أسابيع من ميلاده، ويقوم البعض بختان أطفالهم إتباعا للعادات الاجتماعية المتبعة والبعض الآخر يقوم بها لمعرفةهم بفوائده الصحية). يقوم الوالدان يوم

الفصل الثالث: الهدية ودلالاتها في المناسبات الاجتماعية

ختان الطفل بتوزيع الحلوى على الأهل والجيران والأصدقاء بهذه المناسبة. تقول زهرة وهي ربة منزل «في نفس اليوم الذي يتم فيه ختان الولد يقوم الأب بشراء حلوى ونقوم بتوزيعها في علب على الأهل والجيران والأصدقاء وهذا يوزع ليقوم الطفل بالسلامة من بعد ختانه حيث كل من يأكل منه يبارك إلى والديه بمناسبة ختان الطفل».

يلبسون فيها للصبي لباس اصفر من الحرير ويجعلون الراية على سطح البيت، أي إشارة على أن في هذا المنزل يوجد حفل ختان، ويلبسونه أيضا منديلا وبلغة صغيرة، ويحضرون قصعة من الرمل ليضعوا فيها الدم والجزء المقطوع في عملية الختان ثم يقومون بدفنه وهناك من يعلق ذلك الجزء على النخيل. وعرس الختان يوم واحد وتكون الوليمة في منتصف النهار، وكانت هناك أغنية خاصة بهذا اليوم وهي:

طهر يا المطهر صح الله يديك

لا تجرح وليدي لا نغضب عليك

طهر طهر يا المطهر كتابو مشهر وصحابو بين يديه

صلوا صلوا على محمد ويريح من صلى عليه.

تبدأ العائلة في تحضير ما يغطي واجبات الضيافة من مصاريف وخاصة ما يتعلق بقتل الكسكس الذي يشكل الطعام الأساسي في هذه المناسبات، ويختار الوالد الطهار المناسب ليكون في الموعد يوم الحدث السعيد، والطهار عادة يكون رجل عاديا خبيرا في فن هذه العملية الجراحية سابقا، ويقوم بالعملية دون تخدير مما يسبب آلاما للطفل الذي تسيل منه الدماء، وكان يقوم بمعالجة الجرح بأدواته التقليدية البسيطة، التي لا تخرج عن مسحوق الشب أو غيره من المسحوقات التي تستعمل فيها الرماد. أما اليوم أصبح الذهاب عند الطبيب حيث يقوم بالمهمة بكل سهولة ويسر.

الفصل الثالث: الهدية ودلالاتها في المناسبات الاجتماعية

لا يوجد للختان موعد معين، إلا أن مناسبة السابع والعشرين من رمضان موعد مناسب للقيام بعملية الختان الجماعي، وكثيرا ما يضيف صاحب الأسرة بعض الأطفال الفقراء لعرسه ليجنب أهلهم تكاليف حفلة الختان.

وعليه فالختان سنة إسلامية مؤكدة ومترسخة في عادات وتقاليد منطقة الزيبان، حيث يمثل بالنسبة للطفل وأسرته حدث هام، إذ يعد انتقالا من مرحلة الطفولة إلى مرحلة الفتوة والشباب، والذي تكثر فيه الزيارات وتقدم فيه التهاني والهدايا بهاته المناسبة المباركة فرحا بالطفل المختن كونه أصبح رجلا كاملا، والهدايا هنا غالبا عبارة عن مبالغ مالية تختلف حسب قرب وإمكانية المقدم للهدية.

رابعا: النجاح أو التخرج (التهنئة)

يعتبر النجاح في الدراسة من المناسبات الاجتماعية التي يتلقى على إثرها الأفراد التهنئة بذلك، علما أن الهدايا المقدمة في هذه المناسبة يقتصر على ثلاث شهادات حسب تصريحات المبحوثين وهي:

- شهادة التعليم الثانوي (BAC)

- شهادة التعليم المتوسط (BEM)

- شهادة التعليم الابتدائي (Cinquième)

يكون الإعلان عن نتائج النجاح في الشهادات المذكورة سالفا مع نهاية السنة الدراسية وبداية عطلة الصيف، أين يحصل حاملي شهادة التعليم الابتدائي والمتوسط على هدايا من أولياءهم أولا وغالبا ما يكون متفق عليها سابقا وتكون شرطا للنجاح، وتتحصر حسب تصريحات المبحوثين في: رحلة سياحية للبحر أو لمكان ما، دراجة هوائية، جهاز للألعاب الالكترونية يختاره الطفل. بحيث تقف طبيعة الهدايا ووظيفتها الترفيهية على فترة العطلة التي تسمح للطفل باستعمالها، بعيدا عن احتمال انشغاله عن دراسته. تبدأ عائلة الناجح باستقبال المهنيين في بيتها وتلقي عبارة التهنئة "بالبركة عليكم"، حاملين معهم أطباق من الحلويات منزلية الصنع أو تلك التي تشتري من المحلات والمخابز جاهزة، وهدايا مادية أو أخرى في شكل مبالغ مالية، إذ تختلف الهدايا وتقف قيمتها على قيمة الانجاز العلمي المحصل عليه بحيث:

- شهادة التعليم الابتدائي : تتراوح قيمة الهدية المالية ما بين 200 دج إلى 500 دج.

الفصل الثالث: الهدية ودلالاتها في المناسبات الاجتماعية

- شهادة التعليم المتوسط: بما أنها مستوى أعلى من سابقتها فيرتفع سقف المبالغ المقدمة وينحصر بين 500 دج إلى 2000 دج.

- شهادة البكالوريا : وهي امتحان نهاية مرحلة الثانوي ويقال عنه امتحان مصيري، فارتفاع قيمة الهدية من أهمية النجاح في هذه الشهادة بحيث تتراوح المبالغ المقدمة ما بين 1000 دج إلى 5000 دج، إضافة إلى هدايا أخرى تتمثل في جهاز كمبيوتر، هاتف نقال، بطانية، عطور وكلها أشياء يحتاجها المهدي إليه الناجح، إلا أنها في الغالب وفي الوقت الحالي أصبحت تخصص بمبالغ مادية كل حسب قدرته المادية وحسب طبيعة علاقته بالناجح أو أهله.

من بين المناسبات الاجتماعية أيضا نجد النجاح أو التهاني المرتبطة بالنجاحات التي يتحصل عليها الشخص في المستويات التعليمية المتمثلة في شهادة التعليم الابتدائي والمتوسط والثانوي، حيث أن الهدية تكون مختلفة حسب كل مستوى من جهة وحسب درجة القرب من جهة أخرى، وأيضا عدد الناجحين في العائلة الواحدة، حيث كلما كان العدد أكبر كانت الهدية أقل لأنها تتكرر لمرات، عكس المرة الواحدة. والهدية تكون مادية من خلال النقود أو هدايا مثل جهاز كمبيوتر أو رحلة أو دراجة وغيرها، حيث ترجع لطبيعة الشخص والاستعمال. أما الهدايا المعنوية والمتمثلة في "مبروك عليك"، "لعقوبة لنجاحات أخرى"، "بالبركة عليكم". غير أن التهاني غير مقتصرة على النجاح في الدراسة فقط، أيضا هناك من يحصل على سكن جديد له، أو شراء سيارة مثلا وغيرها من الأمور التي تتطلب هدايا اعطاء وردا لها.

يعد النجاح في الدراسة أو الحصول على شهادات عليا أو ترقية في العمل أو الحصول على وظائف من أهم أسباب التحولات في حياة الإنسان، وقد كان تمر بالاكتفاء بتبادل عبارات التهئة، ثم صارت مناسبة ذات أهمية تستحق أن تخلد بهدايا واحتفالات تكريمية للمحتفى به.

الفصل الثالث: الهدية ودلالاتها في المناسبات الاجتماعية

خامسا: الحج أو العمرة

أول هدية يمكن تقديمها في الركن الأخير من أركان الإسلام في أسرة ما هو أن يتحمل أحد الأبناء أو كلهم نفقات التسجيل والسفر لوالديهم لأداء هذه الفريضة- سواء كانت حج أو عمرة، أو يمكن أن تكون هدية من مؤسسة العمل أو يتكفل الفرد بنفسها بنفسه. فقبل أن يتجه الفرد إلى البقاع المقدسة يقوم بزيارة أقاربه ومعارفه وأصدقاءه لطلب التسامح ونسيان أي ضغينة بينهم وقبل توديعه يطلبون منه الدعاء لقضاء الحوائج.

بعد نهاية مناسك الحج وقبل العودة إلى أرض الوطن يحضر الحاج معه هدايا، فعن المادية تتمثل في ماء زمزم المبارك وبخور وحناء، حلي وطرابيش، مسابيح، سجادات صلاة... أما الهدية المعنوية التي ينتظرها الجميع هي الدعاء في المكان الطاهر الذي زاره، بالمقابل يجد في يوم العودة موكب لاستقباله في المطار والبيت يضم أفراد عائلته وجيرانه وأحبابه، يتلقى تهانيمهم بعبارة "حج مقبول وذنب مغفور إن شاء لله" وهي أول هدية معنوية يتلقاها.

في نفس يوم العودة تبدأ عائلة الحاج باستقبال الضيوف القادمين لتهنئة الحاج والاطمئنان على صحته أي "يحمدولو"، فتحمل النساء منهم أطباق من الحلويات ويحمل الرجال مجموعة من المواد الغذائية سكر، قهوة، شاي، زيت.. وكيس كسكس بوزن 25 كغ فما أكثر وشاة قد تكون حية أو مذبوحة.

في مثل هاته المناسبة تتعدد طبيعة الهدية، حيث يمكن أن تكون هدية العمرة أو الحج مهداة من طرف أحد الأبناء إلى الوالدين أو أحدهما، من خلال القيام بكل المصاريف الخاصة بذلك وهي أعظم هدية يمكن أن تقدم لهما، أيضا الهدايا التي يحضرها الحجاج من البقاع المقدسة وهي هدايا مادية متمثلة في ماء زمزم، وسجادات، وتسابيح، والبخور والحناء هذا من جهة، وأيضا الدعاء للأحباب والأقارب في البقاع المقدسة، والعبارات التي تقال للحاج أثناء الذهاب لزيارته من خلال "تحميد السلامة" و"حج مبرور وذنب مغفور إن شاء الله" وغيرها، الذي يعتبر بمثابة هدية معنوية.

الفصل الثالث: الهدية ودلالاتها في المناسبات الاجتماعية

سادسا: المرض

تعتبر زيارة المريض واجبة لأنه يكون في أمس الحاجة إليها، حيث يرى أفراد المنطقة أنه من الواجب "الطلة على المريض"، وكما تقول إحداهن "يلي جاني وتفكرني وجهو يكفي"¹، وتكون الزيارة في المستشفى أو المنزل، حيث يأخذ الزائر معه الفواكه وبعض العصائر وغيرها كهدية ومساعدة للمريض ليتعافى من مرضه ويتغذى لصحته. مع وجود عبارات مثل "الحمد لله على سلامتك"، "الفايدة في صحتك"، "جات سلامات"، "ربي يجيبك الشفاء".

يصرح أحد المبحوثين فيقول عيالة أو زيارة المريض واجب ". انطلاقا من هذا، يرى أفراد مجتمع البحث أنه من الواجب زيارة المرضى من الأهل والجيران والمعارف ولا تستدعي المعاملة بالمثل ويكون ذلك على مرحلتين، أي زيارة المريض وهو في المستشفى محملين بهدية في شكل فواكه وحليب، أو ياغورت إن كان المريض قادرا على الأكل، وفي فترة نقاها وجسمه ضعيف يحتاج إلى طاقه من خلال ما يزوده به الأكل الجيد بسعرات حرارية، أما في حالة عدم استطاعته على الأكل فيكتفي الفرد بزيارته والاطمئنان عليه دون حمل شيء.

أما المرحلة الثانية فتكون عند خروج المريض وتوجهه من المستشفى الذي كان يرقد به إلى بيته، يهرع إلى زيارته الأقارب والجيران والمعارف ليتفقده ويتمنوا له الشفاء فيقولون: "الحمد لله على سلامة الرأس"، "خليتك الراحة" و "ربي ينزل الشفا"، وفي الغالب يجلبون معهم مأكولات مفيدة لصحة المريض تتمثل في فواكه أو معلبات صحية مفيدة وغيرها، ويمنحونه مبلغا من المال تحصر قيمته ما بين 200 دج - 2000 دج وهذا إعانة على مصاريف العلاج.

ارتبط هدايا زيارة المريض بالورد والشوكولاته، وقد تحولت إلى سوق اقتصادية كبيرة، من خلال كثافة محلات الورد والشوكولاته المحيطة بالمشافي، وبالمتاجر الصغيرة بممراتها، وتوسعت هذه السوق لتشمل أشكال التغليف والماركات العالمية. وتعد غرف المرضى المليئة بالورد والشوكولاته من معايير التقدير للمريض، وهي تضيف بهجة اجتماعية قد تخفف من معاناة المرض.

¹ بمعنى أن زيارة القريب أو الحبيب حتى لو لم يحضر معه هدية فلا مانع في ذلك، حيث أن مجيئه هو هدية في حد ذاته.

الفصل الثالث: الهدية ودلالاتها في المناسبات الاجتماعية

إذ تعتبر عيادة المريض من الواجبات وموقفا من مواقف التضامن بين الأفراد، يظهر مدى التقاف أفراد العائلة حول المريض وزيارته للاطمئنان على صحته، محملين بأكياس تحمل الفواكه والعصائر وغيرها، وهذا الموقف يصبح شيء فشيء فرصة للالتقاء وتبادل الحوار والأخبار بين أفراد العائلة، وفي حالات المرض الشديد يتكاثفون من أجل معاونة الأسرة بمبالغ من النقود.

سابعاً: الوفاة (الموت)

في الواقع ليست الحياة كلها أفراح وإنما هناك قسم للأحزان، فمهما تباينت مفاهيم الموت في النهاية يبقى المعنى واحد، هو أنه نهاية كل حي في هذا الوجود. فالموت هو نهاية دورة حياة الفرد ومن أكثر المناسبات الحزينة والمأساوية التي تحتاج إلى مساعدة مادية، ومساندة معنوية خاصة لتخفيف عن الألم الوجداني والتعبير عن التضامن. تستقبل في اليوم الأول للوفاة عائلة الفقيد المعزين في المنزل لمدة ثلاثة أيام، ففي لحظة الوفاة يحضر الجيران والأقارب للمواساة المعنوية، وتقديم المساعدة في ترتيب المنزل لاستقبال المعزين وجلب ما ينقص من أواني وغيرها، مع المساعدة في طهي وتقديم الوجبات. فالحصول على مساعدة سواء مادية أو في شكل جهد عضلي هو هدية في صيغة تضامن وتكافل اجتماعي، لأن تسمية هدية في المخيال الجمعي ترتبط بالمناسبات السعيدة فقط، أما المناسبات الحزينة فيعتبرونها مساندة وواجب في مقابل ذلك، يشعر معها المتلقي بالالتزام الأخلاقي « لرد الجميل » الهدية. أنا كي مات أبي الجيران جاونا ومن بعد لأفامي اللي يسكنوا قراب لينا، عاونونا ورفدوا معانا ومنساش خيرهم. من جهة أخرى، يتكفل الجيران بتحضير وتقديم وجبة غداء أو عشاء اليوم الأول للوفاة للأشخاص الذين يأتون لتقديم التعازي، وهي تعبير عن المشاركة الحميمة لأهل الفقيد والتخفيف عنهم في مصابهم. كما تبدأ عائلة الفقيد باستلام كميات من المواد الغذائية المتمثلة في: سكر، قهوة، طماطم مصبرة، زيت وغيرها من المواد الغذائية اللازمة للطبخ، إضافة إلى الكسكس الجاف واللحم الذي يكون شاة مذبوحة أو على قيد الحياة، وهذا تضامنا ومساعدة لهم.

بعد دفن الميت وبالضبط بعد العشاء، يقدم أهل الميت العشاء ومصحوب بعده بالشاي ويسمى بـ "برود الفيسان" عشا الميت للمعزين، وصدقة على روح الفقيد، وبعدها يحضر في مجمع الرجال "الإمام "

الفصل الثالث: الهدية ودلالاتها في المناسبات الاجتماعية

باعتباره من حفظة كتاب لله يقوم بقراءة سور من القرآن الكريم ويختم بالدعاء للفقيد أو الفقيدة بالرحمة والمغفرة.

في اليوم الثاني بعد دفن الميت، يبدأ الجيران والأهل والمعارف بإعادة زيارة أهل الفقيد خلال النهار محملين بهدايا عينية تسمى في هذه المناسبة بـ "المعونة"، وتتمثل في إحضار مأكولات مطبوخة كل حسب قدرته وغالبا يختص هذا الأمر بالمقربين من الأهل هذا من جهة، أو إحضار مواد غذائية كل حسب إمكاناته المادية أو تقديم مبلغ من المال هذا من جهة أخرى.

فالمعونة لا تقدم من أجل الأكل فقط بل تعتبر تضامنا اجتماعيا، فهي نوع من المجاملة عند الزيارة وكأن حاملها يقول: "جئت لأجتمع بكم وأؤنسكم وأوفر عنكم عناء تقديم الضيافة"، وهذه الممارسة تتجلى في مواساة الأسرة معنويا والوقوف إلى جانبهم تخفيفا لهم من محنتهم، الذي يمكن أن يؤثر أكثر على نفسياتهم إن بقوا بمفردهم خلال الأيام الأولى من هذا المصاب.

فالوفاة تعتبر من المناسبات الحزينة، حيث أن الموت هو نهاية حياة الإنسان، مما يستدعي المساندة والمساعدة المادية والمعنوية لأهل المتوفى، سواء كانت من خلال تقديم الإعانة المادية من خلال جلب بعض الأغراض التي تلزم أهل المتوفى في تلك الفترة وفي الغالب تكونوا مبالغ مالية حسب القدرة، أو مواد غذائية وأطعمة سواء جاهزة التحضير أو لا هذا من جهة، والتضامن والتخفيف من الحزن والألم الذي ألمى بهم من ناحية معنوية، حيث يبجل الحزن عن الفرح في هاته المواقف "الفرح قبل الفرح"¹. فبعد الوفاة يصبح الأهالي والأحباب يقصدون بيت المتوفى للتعزية والمواساة، وتدوم لأربعة أيام، وطيلة الأيام الثلاثة الأولى يحضر وجبة الغداء والعشاء الأقارب والجيران، إلى اليوم الرابع حيث يحضر في منزل المتوفى ما يعرف بـ "العشاء" ويجتمع الأهل والأقارب والأحباب لتناول هاته الوجبة صدقة على روح المتوفى، حيث أن المساندة والتضامن الحاصل طيلة هذه الأيام هو هدية لكن لطبيعة المناسبة فيطلق عليها اسم "الواجب"، "بلا مزية مني"²، "هذا النهار يلي لازم نوقفوا فيه كامل". والناس المقربون الذين يأتون للتعزية يحضرون معهم في الغالب مواد غذائية مثل السميد والسكر والزيت والقهوة وغيرها

¹الفرح بمعنى الحزن، والمقصود هنا تنجيل الوقوف والمساندة في الحزن قبل الفرح.

² بمعنى واجبي الذي لا بد من القيام به.

الفصل الثالث: الهدية ودلالاتها في المناسبات الاجتماعية

كدعم لعائلة المتوفى وتضامنا معهم، أما الناس والأقارب والأحباب الآخرين يقدمون مبالغ مادية كمساندة ومعاونة لهم.

كما تعتبر حادثة الموت مناسبة أيضا، تقدم فيها المساعدات وليست الهدايا وذلك لحاجة أهل الميت للمساعدة، حيث تُقام طقوس تأبينية لهذه المناسبة، مثل السُبوع أو الأربعينية للميت، مما يصاحبها من تقديم العون والمساعدة.

وتبادل الهدايا، يُعبر عن شعور الإنسان بمشاركة غيره من الأفراد فرحته أو حزنه. لأنه غالبا ما تكون الهدايا في المناسبات نقدية أو عينية، حيث يختلف مقدارها تبعا للطبقة الاجتماعية، فتصبح هذه الهدايا المقدمة عبارة عن دين للمهدى له ترد في مناسبات مماثلة، كما أنه في الغالب تُرد الهدية بنفس القيمة، التي قُدمت بها. وهذا ما أكدته غالبية المبحوثات. "كي تكون مناسبات عند فاميليا نروح نحمد، بصح عند الفاميليا، لي هما تاني موالفين يجوني، خطرش لي ماتحمدلش، منحمدلهاش.

نعلم جميعاً أن الهدية رسالة رقيقة تحمل بين طياتها كثيرا من معاني المودة والألفة وتساعد على تعميق الروابط الاجتماعية بين الأهل والأصدقاء. فلا نتردد وننتهز أول مناسبة تمر بنا لتقديم الهدايا لمن نحب. فإذا أردنا أن نشعر المحيطين بنا بمدى اهتمامنا بهم فنقدم لهم هدية بسيطة لتكون أبلغ تعبير عما نكنه لهم. لكن الغريب عندما يكون هؤلاء الأشخاص غير موجودين في حياتنا ولا نستطيع الوصول إليهم كـ «الأموات» فكيف نستطيع أن نقدم لهم هذه الهدايا؟

كثيرون هم الأشخاص اللذين يتساءلون هل هناك فعلاً هدايا تقدم إلى الميت؟ وما هي هذه الهدايا؟ وما هو الغرض من وراء إهدائهم هذه الهدايا؟ وهل أهمية هذه الهدايا للأموات مثل أهميتها للموجودين على قيد الحياة؟

هناك الكثير من الهدايا التي نهدئها إلى الميت وهذه الهدايا تتمثل في الأعمال التي نقدمها إليه وكثيرة هي الأعمال التي نقوم بإهدائها إلى الميت تتمثل في:

- صوم الغير نيابة عن الميت. فقد يتوفى المرء وعليه بعض الأيام التي يجب عليه صيامها لذلك يقوم بعض من أهله وأصدقائه المقربين بالصوم عنه وإهداء ثواب صوم هذه الأيام إليه.

الفصل الثالث: الهدية ودلالاتها في المناسبات الاجتماعية

- حج الغير نيابة عن الميت. فقد يموت الشخص وهو لم يحج بعد فيقوم أحد من أهله بالحج نيابة عنه إذا كانت متوفرة فيه جميع شروط الحج. وإذا لم يستطع أحد من الأهل القيام بذلك يعطى مبلغ الحج إلى أحد الأشخاص الموثوق بهم ليقوم بالحج نيابة عنه.
- هدايا تتمثل في صدقة الغير نيابة عن الميت. حيث يقوم الأهل والأصدقاء بدفع صدقة من أول الساعات التي يتم فيها تشييع جنازة الميت فهذه الصدقة كما يقول البعض تخفف من «عصرة القبر» أي ضغطة القبر التي يحس بها الميت في أول ساعات موته.
- هدايا تتمثل في الصلوات والدعاء. فيعتقد أن الميت تصله هدايا فور وصول خبر دفنه للناس فيقول كل من يسمع خبر موته: «الله يرحمه» وكلما ترحم على الميت خف عذابه، ويقولون إن الصلاة والدعاء تؤنس الميت في قبره.
- هدايا تتمثل في زيارة القبور. يقوم البعض بزيارة الميت عند قبره في المقبرة. فيقوم بعض الناس بزيارة أهلهم وأصدقائهم يوم الخميس ويوم الاثنين من كل أسبوع. وتكون هذه الزيارة عبارة عن هدية نقدمها إلى الميت حيث يقوم البعض بزراعة بعض النباتات على قبر الميت، وأيضاً يقومون برش الماء على قبر الميت.

كل هذه الهدايا التي ذكرتها لا يعلم المُهدي ما هي علامات وجه المُهدى إليه عند تلقيه الهدية. ولا يرى ردة فعله كما يرى ردود أفعال الأشخاص اللذين يعيشون معه عندما يتهادون الهدايا فيما بينهم. مع ذلك يشعر المُهدي بالسعادة والسرور والرضى عندما يهدي أهله وأصدقاءه من الأموات. هذه الأعمال تشعره أنه ما زال مترابطاً ومتفاعلاً معهم. ويذكرهم ويحن إليهم وأنه يقدم لهم ولو القليل من الهدايا لتوطيد العلاقة بهم. كذلك يؤمن الناس أن الأموات أحياء في السماء لذلك يرون ما نقوم به ويشعرون بما نقدمه إليهم.

فمناسبات الأحزان تعد واجباً، وتعتبر هذه المناسبات صورة حية من صور التضامن الاجتماعي، وتتمثل خاصة في عيادة المريض والمشاركة في العزاء. وهنا نلمس المشاركة الجماعية بين الأفراد، لذا تعتبر المناسبات الحزينة الصورة التي يظهر فيها التضامن بصورة جلية لأنها مناسبة فجائية غير متوقعة من طرف الفرد كالمريض، خاصة الأمراض الخطيرة والوفاة.

الفصل الثالث: الهدية ودلالاتها في المناسبات الاجتماعية

حالات الموت والجنازات أيضاً نماذج للتضامن والتكاتف العائلي، فهي فرصة لفض النزاعات والخصومات بين الأهل إلا في حالات قليلة ونادرة، يتعاون فيها الأفراد بتقديم مساعدات مادية ومعنوية للأسرة التي مسها الحزن والضرر، فبمجرد أن تحدث وفاة في العائلة يسرع أفرادها لتقديم العزاء والمواساة والمساعدة على تجاوز المحنة والتخفيف عن المصاب الأليم، فتتآلف القلوب وتتراحم الأفتدة تضامناً وتكافلاً بين الناس والأهل وفاعلي الخير، وكأن كل واحد منهم يعرف دوره وما يجب فعله.

ثامناً: السفر

جرى العرف الاجتماعي أن القادم من السفر يأتي بالهدايا للأهل والأصدقاء، وأن يقام له حفلة ترحيب، ثم اتخذت مؤخراً أشكالاً أكثر خصوصية بين الأقارب أو بين الأصدقاء، وذلك لظهور وسائل اتصال وتواصل جعلت من السفر متعة ووسعت من شريحة المسافرين، بحيث لا يكاد يعده البعض سفراً يتطلب منحه الاهتمام الذي كان في السابق.

فالسفر ظاهرة اجتماعية كانت منتشرة بنطاق واسع، البعض مازال متمسكاً بها والبعض الآخر تنازل عنها، نجدها تبرز في مجتمع النساء أكثر من مجتمع الرجال، وهي عبارة عن جلب الهدايا والحلويات إلى الأقارب والأصحاب والجيران عند العودة من السفر، وخصوصاً من المسافرين الذي قام بزيارة الأماكن المقدسة حيث أن الناس تتبرك بالهدايا التي تكون من تلك الأماكن والمتمثلة في سجادة صلاة، ماء زمزم، التمر.. وغيرها.

فهديّة السفر هي الهدية التي يعطيها القادم من السفر إلى أهله وجيرانه وأصدقائه اللذين هم بالمثل يقدمون له هدايا عند قدومهم من السفر. وتختلف أنواع الهدايا باختلاف البلدان التي يسافر إليها وأيضاً باختلاف المستوى الاقتصادي للمسافر وكذلك باختلاف قرب وبعد الشخص عن المسافر. وحسب ما أجده في مجتمع البحث فإن معظم البلدان التي يسافر إليها هي المدينة المنورة ومكة للحج أو للعمرة، والأماكن المختلفة المختارة والتي يزورها البعض سنوياً في العطلة الصيفية.

الفصل الثالث: الهدية ودلالاتها في المناسبات الاجتماعية

إن هدية السفر عند البعض أصبحت ضرورية بل واجباً اجتماعياً أكثر مما هو إبراز للمحبة والاهتمام بالآخرين من الأهل والأقرباء والأحباب.

فبالرغم من أن الحياة في الوقت الحالي توفر كل ما يحتاجه الإنسان، إلا أننا لا ننكر دور الهدية في تقوية العلاقات وتوطيدها بين الأهل والأصدقاء والجيران ولا ننسى فرحة الأشخاص بالهدايا كونها من السفر حتى لو كانت بسيطة فهي تكون كبيرة في نظر متلقيها.

تاسعا: السكن (الانتقال للسكن في منزل جديد)

إن من أجمل السلوكيات التي توضح سعادتك بما يحدث إلى أصدقائك أو إخوانك أو جيرانك عند انتقالهم لمنزل جديد هو زيارتهم وتقديم هدية إلى المنزل حتى ولو كانت هدية بسيطة تعبر عن فرحتك بمنزلهم الجديد. وعند تقديم الهدية يقول مقدم الهدية بعض العبارات مثل « إن شاء الله منزل مبروك تتهنو فيه» أو « عتبة مربوحة»

وكذلك المنتقلون إلى المنزل الجديد يقومون بعمل وليمة غداء للعائلة والأقارب بالمناسبة. وبعد ذلك يقوم أهل البيت الجديد بتوزيع المأكولات والمشروبات والحلويات على المدعوين.

أما عن الانتقال لسكن جديد، فيقدم الجيران التهنئة للسكان الجديد في حينهم بإرسال وجبة عشاء أو غداء حسب أفراد عائلته تسمى " الضيفة "، وهي ممارسة رمزية تحمل دلالة الترحيب به بينهم من جهة، ومن جهة أخرى هي تقاسم لعناء التنقل وما يتبعه من تنظيف للبيت وترتيب للأثاث، الذي لا يجد معه القاطن الجديد وقت للطبخ لعدم تهيئة المطبخ وبسبب الأشغال.

بعد مرور فترة من الزمن ويستقر الجار الجديد يقوم بما يسمى ب "رد الضيفة" وهي قيام أهل بيته بتحضيره وجبة غداء أو عشاء يدعى فيها الجيران على أطباق الكسكس واللحم والمرق وهذا بمثابة شكر وتقدير لهم وفرصة للتعارف وكان هذا في الماضي القريب، إلا أن الأمر تغير في الوقت الحاضر وأصبحت هذه الوليمة ترسل كأطباق لكل جار إلى بيته بعيدا عن أي اجتماع.

الفصل الثالث: الهدية ودلالاتها في المناسبات الاجتماعية

وفي مناسبة كهذه جرت العادة في مجتمع الزيبان على تقديم الأهل والأقارب والأحباب التهاني والمباركة بالسكن الجديد وذلك بزيارة الساكن الجديد وإحضار مختلف الهدايا كل حسب قدرته، وفي غالب الأحيان تتمثل هذه الهدايا في مبالغ مالية، أو إحضار أغراض منزلية لازمة في البيت وعادة هاته الأخيرة يقوم بها المقربون بحكم يعرفون ما ينقص أو يحتاجه الساكن الجديد والتي تتمثل في أغراض للمطبخ أو أفرشة وغيرها، وفي هذا السياق قالت إحداهن أنها عندما سكنت بيتها أحضرت لها إحداهن طقم كؤوس، وأخرى صحنون وغيرها.

الا أن الأغلبية اليوم أصبحوا يهدون مبلغ من المال تختلف قيمته على حسب الإمكانية وترك المهدي له يتصرف بالمبلغ حسب مبتغاه. وتقول إحداهن " أنا يلي يقولي مبروك ويفرح معايا يكفيني مش شرط يعطيني..". حيث القصد هنا أن أضعف الأمر الهدية المعنوية ويقول التهنة والمشاركة في الفرحة وليس بشرط وجود المادة.

الفصل الثالث: الهدية ودلالاتها في المناسبات الاجتماعية

- خلاصة الفصل:

تعد المناسبات الاجتماعية سواء المفرحة أو الحزينة فرصة يتفاعل فيها أفراد العائلة اجتماعيا، وهذا النوع من التفاعل له أهمية كبيرة في اكتساب الفرد سلوكيات ومعايير واتجاهات مناسبة لأدوار اجتماعية معينة، تمكنه من مساندة جماعته والتوافق الاجتماعي معها وتكسبه الطابع الاجتماعي وتيسر له عملية الاندماج في الحياة الاجتماعية.

وعليه تعتبر الهدية من رموز التعاون والتضامن الاجتماعي، بحيث تقدر هذه الهدية وتكون إما مادية أو عينية، لهذا تعتبر الهدية انعكاسا للتضامن والتقارب الاجتماعي. وتقوى الروابط العائلية بتبادل الهدايا والتواصل والزيارات الرسمية أو غير الرسمية.

ومن خلال هذا فتبادل الهدايا بين الأفراد هو أساس التفاعل الاجتماعي واستمرارها هو شكل من أشكال التضامن الاجتماعي والقربى، الذي يسهم بدرجة كبيرة في تعزيز التواصل والترابط القربى والاجتماعي بين الأفراد مهما كان نوع هاته العلاقة. وعليه فإن الأفراد يتواصلون ويتعاونون ويتضامنون عن طريق تقديم الهدايا. وهذا ما يندرج ضمن الاحتفالية المرتبطة بدورة حياة الإنسان بكل ما تحويه من محطات سواء كانت حياتية أو اجتماعية، وعليه فهذه الاحتفاليات العائلية المرتبطة بدورة حياة الفرد هي ذلك السلوك الاحتفالي الجمعي والممارسات الحياتية المتعلقة بميلاد الفرد وزواجه ثم وفاته بعد ذلك، بما تتضمنه هذه الممارسات من عادات وتقاليد وشعائر وطقوس تؤكد على طبيعة الاحتفال وترسيخ مفهومه بين الناس والذي ينتقل بعد ذلك من جيل إلى آخر على مر الأيام والسنين، هذه الممارسات التي تعد انعكاسا جوهريا للمقومات البيئية والاقتصادية والاجتماعية للبناء الاجتماعي السائد في المجتمع.

تشمل دورة حياة الإنسان في أبعادها الثقافية والاجتماعية والدينية على عدة مناسبات يحتفي بها الفرد في وسطه الاجتماعي وعلى مدار السنة، باعتبارها جزء لا يتجزأ من حيلته الاجتماعية والاقتصادية، وتشكل محطات رئيسية في رحلة الإنسان عبر الحياة من لحظة الميلاد، الختان، الزواج ثم الوفاة وما تتضمنه كل محطة احتفالية من طقوس وممارسات وعادات اجتماعية يختلط فيها المقدس بالدنوي وتتقاطع فيها فسيفساء العادات والتقاليد الاجتماعية بالأبعاد الروحية والدينية.

الفصل الثالث: الهدية ودلالاتها في المناسبات الاجتماعية

وبالمقابل تعتبر احتفاليات دورة الحياة مثل (الزواج، الولادة، الختان، والوفاة..) من بين طقوس الانتقال والعبور وفقا لرؤية "ارنولد فان جينيب" وذلك لارتباطها بتجدد الحياة والخصوبة والنمو، والانتقال من دور اجتماعي إلى دور جديد، ومن مرحلة عمرية إلى أخرى.

وعليه لابد من التنويه وأخذ فكرة عن هذه النظرية والتي تمثل هذه الأخيرة، أي نظرية طقوس العبور إحدى النظريات الكلاسيكية الهامة في تاريخ الفكر الأنثروبولوجي، وقد تأسست النظرية من طرف الأنثروبولوجي "ارنولد فان جينيب" في عام 1909، وذلك في إطار دراسته الشهيرة التي حملت ذات العنوان، ولم تتم ترجمتها إلى اللغة الانجليزية إلا في عام 1960، ثم تطورت على يدي الأنثروبولوجي الانجليزي "فيكتور تيرنر" في ستينات وسبعينات القرن الماضي من خلال دراساته المعمقة لبعض القبائل الإفريقية.

تدور نظرية فان جينيب حول أهمية الطقوس التي تصاحب لانتقال الفرد من مرحلة أو حالة اجتماعية إلى حالة اجتماعية مغايرة ويرى فان جني بان "انتقال الفرد من وضع إلى وضع آخر لا يتم بشكل مباشر وإنما ثمة مرحلة وسطى بين المرحلتين لآبد من اجتيازها تسمى بالمرحلة الانتقالية أو الهامشية والتي تتضمن طقوسا محددة".

ويشتهر المصطلح في الحقل الأنثروبولوجي الجزائري بالمصطلح الفرنسي rites de passage، وقد كان المصطلح واحدا من الأدوات التحليلية الهامة لدى علماء الأنثروبولوجيا البريطانية على وجه الخصوص مثل: أندري ريتشارد وماكس جلكمان وادموند ليتش وماري دوجلاس وفيكتور تيرن، الذي كان أكثرهم تأثرا بفان جينيب.

يعرف فن جينيب طقوس المرور بأنها: تلك الطقوس التي تصاحب كل تغير في المكان والحالة والوضع الاجتماعي والعمر، فحياة الفرد تتشكل من مجموعة من المراحل المتعاقبة عبر بدايات ونهايات محددة، كالميلاد والبلوغ الاجتماعي والزواج والأبوة والانضمام لطبقة اجتماعية أعلى والالتحاق بتخصص مهني أرقى، وهكذا حتى الوفاة، وثمة طقوس مرتبطة بكل حدث من تلك الأحداث، يتحدد هدفها الجوهري في تمكين الفرد من المرور من وضع اجتماعي محدد لوضع آخر يحدده المجتمع.

الفصل الثالث: الهدية ودلالاتها في المناسبات الاجتماعية

ويحدد فان جنيب ثلاث مراحل أساسية لتلك الطقوس، أطلق على المرحلة الأولى مصطلح طقوس الانفصال التي تؤشر على انفصال الفرد عن الجماعة أو المكانة التي ينتمي إليها، المرحلة الثانية سماها المرحلة الهامشية أو الانتقالية والتي تفرض حالة من الغموض الاجتماعي وعدم التحديد، حيث يبدأ الفرد في ترك طقوس معينة واستبدالها بطقوس جديدة، أما المرحلة الثالثة والأخيرة هي مرحلة الاندماج للجماعة أو المكانة الجديدة، حيث يبدأ من الآن فصاعدا يمارس دوره كعضو فيها.

وتتضمن طقوس المرور بوجه عام: " دلالة رمزية على ترك الفرد لجماعته أو مكانته، حيث يعايش نوعا من الموت الرمزي (طقوس الانتقال) ثم يمر عبر مرحلة يتم عزله من خلالها، وربما يؤدي أدوارا لا تلائم عمره، أو نوعه (المرحلة الانتقالية)، وأخيرا الالتحاق بجماعة جديدة وشغل مكانة اجتماعية جديدة (مرحلة الاندماج)، وقد دلت فان جنيب بأمثلة عديدة من إفريقيا واسيا وأوروبا وأستراليا وأمريكا الشمالية".

ويقرر فان جنيب: "إن المراحل الثلاثة لا تتجلى بنفس الدرجة في كافة المجالات، فطقوس الانفصال تبدو أكثر وضوحا في مراسم الجنائز، وتبدو الطقوس الهامشية أو الانتقالية في فترة الشروع في الزواج أي الخطوبة والحمل، أما طقوس الاندماج فتبدو أكثر وضوحا في حفلات الزواج، ومع ذلك فلا ينبغي النظر لكل تلك المراحل بشكل منفصل فقد تتداخل المراحل الثلاثة في عملية واحدة". كما يرى فان جنيب "إن لطقوس العبور أهمية معتبرة إذ أنها تؤشر ثقافيا لانتقال الفرد عبر مراحل معنية، ومن ثم تساعد الفرد والجماعة معا على التوافق مع المكانة الاجتماعية الجديدة بما تتضمنه من علاقات وأفعال اجتماعية، كما أنها تقلل من الغموض والتوتر المرتبط بتغيير تلك المكانة، بالإضافة إلى أنها تمثل جسرا يربط بين الظروف الاجتماعية والظروف الفسيولوجية (كما هو الحال في عمليات الميلاد والبلوغ والزواج والحمل والموت) ويرسم خطوطا ذات مغزى خاص في دورة الحياة"، وبهذا يكون فان جنيب قد وضع حجر الأساس لنظرية طقوس المرور، ولفت الانتباه لأهمية تلك الطقوس في تحقيق العديد من الوظائف الاجتماعية للمجتمع.

وقد قام فيكتور تيرنر بتطوير النظرية، فقام بإضافة أبعاد نظرية ومنهجية جديدة، وتطوير بعض مقولاتها وقضاياها وهو ما أسهم في إثراء النظرية وزيادة خصوبتها الفكرية.

الفصل الثالث: الهدية ودلالاتها في المناسبات الاجتماعية

يعتبر العالم تيرنر واحدا من أكثر الأنثروبولوجيين تأثيرا خلال النصف الثاني من القرن العشرين، وقد لمع اسمه كعالم اثنوغرافي متميز لمجتمعات شرق ووسط إفريقيا، وأضحى منظرا بارزا في قضايا البناء الاجتماعي والطقوس والرموز والأداء.

وقد جاءت إسهامات تيرنر في تطوير هذه النظرية من خلال: "كتابه الشهيرين: غابة الرموز الذي صدر في عام 1967، وعملية الطقوس الذي صدر في عام 1969"، من خلال توسيعه وتفصيله للمرحلة الوسطى من طقوس المرور لدى فان جنيب والتي تسمى بالمرحلة الانتقالية، وهي مرحلة تتسم بأنها مرحلة بينية ويشار لها أحيانا بأنها تشبه البرزخ والموت الرمزي أو إعادة الميلاد الرمزي.

يؤكد تيرنر "إن طقوس المرور توجد في كل المجتمعات الإنسانية غير أن ابرز تجلياتها توجد في المجتمعات الصغيرة المستقرة نسبيا، التي يرتبط التغير فيها بالأبعاد العضوية والطبيعية أكثر من الاختراعات التكنولوجية، وتمثل تلك الطقوس انتقالا بين الحالات.

وقد قام تيرنر بتطبيق نظريته عن طقوس المرور على طقوس ختان الذكور لدى قبائل الندمبو في زامبيا، فهو يرى "أن طقوس ختان الذكور تمثل نموذجا مثاليا لطقوس العبور، حيث يتم عزل الأطفال في مكان محدد، وتجرى تلك الطقوس، وبعدها يولد الأطفال من جديد كرجال بعد الموت الرمزي لطفولتهم".

وهكذا يمكن إسقاط مراحل نظرية فان جنيب وفيكتور تيرنر حول الاحتفاليات العائلية في مجتمعاتنا حيث تؤشر لانتقال الفرد المحتفل به من مرحلة إلى أخرى ومن وضع إلى آخر.

الفصل الرابع

رمزية الهدية ودلالاتها في المناسبات الدينية

- تمهيد

أولاً: عيد الفطر

ثانياً: عيد الأضحى

ثالثاً: شهر رمضان

رابعاً: المولد النبوي الشريف

خامساً: عاشوراء

سادساً: أول محرم

- خلاصة

الفصل الرابع: رمزية الهدية ودلالاتها في المناسبات الدينية

- تمهيد

تعتبر المناسبات والاحتفالات والأعياد الدينية فرصة للتواصل الاجتماعي، فهي مناسبات لتجديد الروابط الاجتماعية وتعزيزها، إلى جانب أنها من أهم المحطات التي يتوقف عندها المسلمون للذكر والعبادة وتقوية إيمانهم، فإن في إحيائها يتشكل التضامن والتكافل الاجتماعي.

تعود الأفراد على الاحتفال بالمناسبات الدينية أو المواسم أو العواشير حسب اللهجة المحلية، وعلى إحيائها الذي يعرف طقوس وممارسات تداخلت وامتزجت بعادات ثقافية وشعائرية دينية توارثتها الأجيال، إلا أن الطابع الإسلامي غالب على طقوس الاحتفال لارتباطها في معظمها بأشهر التقويم الهجري، إضافة لكونها تمس شخصيات مخلدة في التاريخ الإسلامي والثقافي من حيث هي مناسبات تعبر عن الهوية الثقافية لأفراد المجتمع بعناصرها، وقد تمثلت في 7 مناسبات وهي:

للأعياد الدينية في المنطقة طابع تقليدي مميز ونكهة خاصة، فهي مناسبات تجمع شمل أفراد الأسر الذين يتفرقون في سائر الأيام فيتبادلون التحايا بالمناسبات، حيث تعد في هذه الاحتفالات مختلف الأطباق التقليدية وتدوم أياما وليالي، تحييها فرق فلكلورية محلية وفرق موسيقية ونغمات تقليدية، نذكر أمثلة عن أشهر هذه الاحتفالات الدينية:

الفصل الرابع: رمزية الهدية ودلالاتها في المناسبات الدينية

أولاً: عيد الفطر

في اللغة العيد: "هو كل يوم فيه جمع، واشتقاقه من عاد يعود، كأنهم عادوا إليه، وقيل: اشتقاقه من العادة، لأنهم اعتادوه، والجمع أعياد، قال ابن الأعرابي: سمي العيد عيداً لأنه يعود كل سنة بفرح مجدد". وقد ذكر أهل اللغة أن "أصل كلمة العيد (عاد، يعود)، بمعنى رجع، والعيد ما يعود من هم أو مرض أو شوق أو نحوه، وكل يوم يحتفل فيه بذكر كريمة أو حبيبة، وجمعه أعياد. ومن ثم فالعيد سمي بالعيد لكونه يتكرر ويعود سنوياً، وقال بعض أهل اللغة كما جاء في لسان العرب بأن العيد سمي بالعيد لأن المجتمع قد اعتاده.

أما في الاصطلاح فإن معناه لا يختلف كثيراً عن معناه في اللغة، إذ العيد: اسم لما يعود من الاجتماع العام على وجه معتاد، فهو: "يوم الفرح والسرور والتواصل، يحتفل فيه الناس بذكرى كريمة أو مناسبة عظيمة، وسمي عيداً لأنه يعاود الناس ويرجع إليهم من حين لآخر". فالأعياد ظاهرة اجتماعية ودينية عامة وقديمة قدم الإنسانية ذاتها تمارس في أجواء احتفالية، وهي تعتبر من العادات الجماعية، كما تعتبر مطلب فطري يحتاج إليه النفوس لتستريح من عناء الحياة ومشاقها، كما أنها ضرورة اجتماعية لما تؤديه من غرس للقيم وتعزيز للوحدة وتقوية للروابط الاجتماعية بين أفراد العائلة والمجتمع كما أن لبعضها أبعاداً دينية تضيء على ممارساتها أجواء روحانية.

1

مع نهاية شهر رمضان وثبوت رؤية هلال شوال يحتفل أفراد مجتمع البحث على غرار كل أفراد المجتمع الجزائري والإسلامي بعيد الفطر. في الأيام الأخيرة من رمضان يقوم رب الأسرة باقتناء ملابس العيد لأطفاله وزوجته وتعتبر أول هدية يحصلون عليها في هذه المناسبة أي العيد، ففي صباح يوم العيد وأثناء أداء صلاته وخلال التكبير والتهليل، تقوم حركة نشطة لتبادل الهدايا العينية بين الجيران أولاً ثم تنتقل في باقي النهار إلى الأقارب والمعارف.

¹ مطرف عمر وبن معمر بوخضرة، "الأعياد والمناسبات الاحتفالية في المجتمع الجزائري بين العادات الاجتماعية والمظاهر الفرجوية دراسة أنثروبولوجية"، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد 52، ديسمبر 2019، ص 383.

الفصل الرابع: رمزية الهدية ودلالاتها في المناسبات الدينية

وتتمثل هذه الهدية في طبق من الحلويات التي دأبت النساء على تحضيرها في المنزل أو شراءها جاهزة قبل أيام من العيد، التي تتجاذب بين التقليدي والمعاصر: المقروط، شراك، مسمن، بقلووة.. الخ. حيث تقول إحداهن (نهار العيد نتبادلوا حنا والجيران لقاطو، ومن بعد الفطور روحو).

يأتي بعد صيام شهر رمضان، وهو كمكافأة جميلة بعد جهد الصيام والطاعات، حيث يأتي عيد الفطر وتأتي معه فرحة تشمل جميع المسلمين في أنحاء العالم دون أي اختلاف، فالمسلم ينتظر هذا اليوم ليشارك أهله وأصدقائه الصلاة والأوقات الرائعة والسعيدة بين الجميع. فبعد انقضاء شهر رمضان المبارك يأتي العيد الذي يصحى له الجميع مبكرا لكي يستعد للصلاة، فتبدأ الأم بإعداد ما لذ وطاب من الطعام ليكون طاقة لهم في يومهم المميز هذا، وبعد ذلك يتوجهون للصلاة ويسمعون التكبيرات المميزة التي تبدأ من ليلة العيد وتستمر لكي تعطي جوا من الروحانيات والفرح بين الجميع، حيث يتشارك الجميع في التكبيرات حتى يأتي وقت الصلاة.

ومن مظاهر الاحتفال المميزة لعيد الفطر ارتداء الملابس الجديدة والتي تعبر عن مدى تميز هذه الأيام واختلافها عن باقي أيام العام، حيث يحرص الجميع على شراء الملابس له ولأبنائه ولعائلته ومن المظاهر الجميلة لهذا العيد شراء الملابس للفقراء والمحتاجين وإهدائهم إياها، فهذه أيام مباركة وجميلة يجب أن يظهر الجميع فيها بشكل ملائم.

ومن العادات الغريبة التي يتبعها بعض الأطفال في ليلة العيد هي تحضير ملابسهم الجديدة وتجريبها أكثر من مرة والتأكد من أناقتها والبعض يفضل وضعها أمامه في الغرفة حتى يوم العيد بدلا من تخزينها في الأماكن المحددة للملابس. حيث تمثل ملابس العيد فرحة إضافية لدى الأطفال تجعلهم يشعرون بمدى تميز هذه الأيام، والعيد هو الوقت الأنسب لهم ليفرحوا ويلعبوا ويصلوا مع أصدقائهم وعائلاتهم.

ومن الأشياء الجميلة في هذا اليوم هي العيديات التي تعطى في الغالب للأطفال سواء من الوالدين أو الأقارب أو الأحاباب، والتي تشكل السعادة الكبرى عندهم، وبعدها ينفقونها في شراء الألعاب والحلوى، وغيرهم من الأشياء التي تمثل مظهرا من أهم المظاهر الخاصة بعيد الفطر.

الفصل الرابع: رمزية الهدية ودلالاتها في المناسبات الدينية

وأيضاً من المظاهر المهمة والمميزة في عيد الفطر هي الزكاة، حيث يتم إرسال زكاة عيد الفطر في أواخر أيام شهر رمضان أو قبل صلاة العيد حيث تقدم إلى الفقراء والمحتاجين، حيث تعتبر واجب على كل مسلم اتجاه أخوه المسلم.

بعد صلاة العيد يبدأ تبادل التهاني بين الأفراد بقول: "صح عيدكم تعاود وتزيد". هذه التهنة التي تدخل في إطار الهدايا المعنوية التي يطلق عليها في مجتمع البحث "اتقبال"، والتي تحمل كذلك في مضمونها دعاء بموفور الصحة والعافية للمتلقي ليعيد الاحتفال به في السنة المقبلة.

في مجتمع البحث يحصل الكبار على هديتي التهنة وطبق الحلوى، أما الأطفال فيحصلون من طرف الكبار على ما يسمى ب"العيدية" وهي هدية تمثل مبلغ من المال تعود الكبار وتبدأ بالآباء أولاً على تقديمها نقداً للأطفال يوم العيد من أجل إدخال الفرح والسرور إلى قلوبهم، وتتراوح قيمتها ما بين 20 دج إلى 200 دج، وتزيد وتنقص قيمتها حسب سن الطفل.

إن اشتقاق كلمة "العيدية" في اللغة العربية يعود إلى لفظة عيد وتعني العطاء، ويرجع تاريخ هذه العادة إلى عصر المماليك أين كان السلطان المملوكي يقدم راتباً للأتباع من الجنود والأمراء ومن يعملون معه، وهذا بمناسبة العيد ويطلق عليه - أي الراتب - اسم "الجامكية" وبعد ذلك تم تحريفها إلى كلمة العيدية. وتتفاوت حسب الراتب، فمنهم من يحصل على طبق من الدنانير الذهبية وآخرون يقدم لهم طبق من الدنانير الفضية، والى جانب هذا كانت تقدم لهم أشهى وأطيب المأكولات الفاخرة. أما في العصر العثماني، أخذت العيدية عدة أشكال أخرى فكانت تقدم في شكل نقود وهدايا للأطفال، واستمر هذا التقليد إلى العصر الحديث.

إذ رجعنا إلى ثقافة المجتمع الجزائري الذي يحتوي عناصر عدة من الثقافة العثمانية التي ورثها الأجيال، وورثوها بعدهم نتيجة احتكاكهم بالأتراك الذين عاشوا على أرضنا، فإننا حتماً سنرجع أصل هذه العادة الممثلة في العيدية إلى تلك الحقبة من الزمن أين عاش العثمانيون في الجزائر.

فهدايا عيد الفطر تكون غالباً للأطفال، أو يقدم الأب لأسرته، وهي من أشكال إشاعة الفرحة في المجتمع، أما هدايا عيد الأضحى فهي عبارة عن قطع من لحم الأضحية تقدم للأقارب والجيران.

الفصل الرابع: رمزية الهدية ودلالاتها في المناسبات الدينية

وعليه تتعدد أنواع الهدايا في عيد الفطر السعيد خاصة أنه يأتي بعد شهر رمضان شهر الصوم وكذلك يأتي بعد مدة طويلة من آخر عيد ألا وهو عيد الأضحى. ومن أهم أنواع مظاهر العيد التي تعبر عن الهدايا هي العيادية وصلة الرحم وغيرها.

إن فتقديم العيادية يوم العيد حيث يقوم الكبار بإعطاء صغارهم عيادية العيد، وهي غالباً ما تكون مبلغاً من المال.. والعيادية كلمة عربية منسوبة إلى العيد بمعنى العطاء أو العطف فيأخذ الأطفال «العيادية» من الأقارب، كالجدة والجددة والأعمام والأخوال، والتي تضاف إلى «العيادية» التي يقدمها الأب والإخوة الكبار صباح أول أيام العيد. وهي هدية من الكبار إلى الصغار في صباح أول أيام العيد كذلك يقوم الأبناء المتزوجون بإعطاء أمهاتهم مبلغاً من المال في يوم العيد وأيضاً بعض أنواع أخرى من الهدايا كالملايس الجديدة والعمود والحلي. تعبر العيادية عن اهتمام الأبناء بالأباء خصوصاً إذا كانوا كباراً في السن وتعبر كذلك عن التقدير والاحترام والشكر على ما بذلوه في السنوات السابقة لأبنائهم.

وكذلك زكاة الفطر التي تعتبر هدية للمستحقين من الفقراء والمساكين تعطى لهم يوم العيد حيث إن زكاة الفطرة توجب بدخول ليلة العيد ويجوز تأخيرها إلى زوال الشمس يوم العيد إذا تم عزلها أي عزلها عن المال الآخر. ويكون مقدار زكاة الفطرة للشخص الواحد بقيمة كيلو أرز في تلك الفترة حيث إن رب البيت وفي أغلب الأحيان يكون الأب من يدفع عن كل شخص يسكن في نفس المنزل ويجمع المبلغ ويعطى إلى الفقراء في يوم العيد. والهدف من ذلك كما ذكرت سابقاً إدخال الفرح في قلوب هؤلاء الفقراء كفرحة الأطفال بالعيادية.

ولا ننسى صلة الرحم للأهل والأصدقاء والأقارب في يوم العيد حيث تصبح صلة الأرحام في العيد فرصة لجلسة مليئة بالود والحب والذكريات العائلية التي تبتهج بها القلوب ويفرح بها الصغار الذين يقرون في أذهانهم روح الترابط العائلي بالعيد، بعد أن أصبحت صلة الأرحام حلقة مفقودة في حياة مثقلة بالمشاغل والهموم والأعباء. فهذه الزيارات تفرح الأشخاص وكأنك أعطيتهم هدية بزيارتك لهم فيشعرون بالفرح والسعادة لتذكرك لهم في هذه المناسبات السعيدة.

الفصل الرابع: رمزية الهدية ودلالاتها في المناسبات الدينية

ومن أهم الهدايا يوم العيد التي تثبت روح التآلف بين الأهل والأقارب والجيران في الحي الواحد هي أطباق الغذاء التي توزع بين بعضهم البعض من غذاء العيد. ففي أغلب الأحيان يكون غذاء العيد مميزاً ويكون معداً من اللحم أو الدجاج في معظم الأحيان. وكل ربة منزل تعطي جارتها من غذاء العيد فتفرح هذه الجارة كثيراً بهذا الطبق الذي يمثل لها هدية من عند جارتها في يوم العيد. وهي تقوم في نفس الوقت بإعطاء جارتها طبقاً آخر من غذاء العيد.

في السابق كانت هدايا العيد مختلفة جداً عن الوقت الحالي، لا سيما مع التطور التكنولوجي الكبير، حيث أن كرة القدم كانت كفيلة لإسعاد الطفل خلال العيد أو شراء الأشياء والتي يستخدمها الأطفال أثناء اللعب في الشارع، ولكن في الوقت الحالي تغير الأطفال كثيراً، وأصبحت اهتماماتهم مختلفة، ومع تغير الحياة تميل إلى العالم الافتراضي أكثر من الواقعي. ولفتوا إلى تغير مفهوم هدية العيد عند العديدين في المجتمع لتتحول من هدية عينية بسيطة إلى مطالب شخصية يجب تحقيقها خلال فترة العيد.

فالعيدية هي أفضل هدية سواء للأطفال أو الزوجة وترسم الفرحة على وجوه الأطفال خلال أيام العيد، خاصة أن الطفل يجد نفسه صاحب رأي، ويستطيع شراء كل ما يريده بأمواله الخاصة. والعيدية عادة سنوية، تكون في العادة عبارة عن نقود أو هدية أو حلوى، وغيرها وتعطى للأطفال في عيد الفطر المبارك، وأيضاً في عيد الأضحى المبارك، وتعود هذه العادة العربية الإسلامية إلى قرون قديمة.

من أبرز مظاهر العيد إظهار الفرح بين أفراد الأسرة الواحدة ويكون ذلك عبر العيدية والتي يحرص أفراد المجتمع على توزيعها على الأطفال من بعد صلاة العيد، حيث أن النقود أفضل هدية مباشرة يمكنك تقديمها لأطفالك في العيد، فدائماً ما ينتظر الأطفال العيدية لشراء ما يفضلون من الحلوى والألعاب المختلفة.

يفضل الأطفال في الوقت الحالي الحصول على عيدية كبيرة على أن تقدم لهم هدية خلال العيد، في ظل التنافس بين الأطفال ومن يحصل على أكبر قدر من الأموال ليتباهى بها خلال العيد ويقوم بشراء ما يحتاجه.

الفصل الرابع: رمزية الهدية ودلالاتها في المناسبات الدينية

تعدد هدايا عيد الفطر المبارك لتتماشى مع الفرد الذي سوف تهاديه، ومدى علاقتك به، حيث تختلف هدية الأب عن الزوج عن الأطفال، لاسيما أنه يمكن أن تهدي والدك مصحفا شريفا أو سجادة صلاة إلى جانب البخور والعطور، وللزوجة الذهب والعطور، وللأطفال الألعاب التي تتماشى مع أعمارهم سواء مادية أو الكترونية، يمكن اللعب بها في المنزل.

كل ما في العيد جميل وأجمل ما فيه "هدية العيد" التي يتبادلها أفراد المجتمع فيما بينهم تأكيدا لأواصر المحبة والسلام ورمزا للتقدير والعرفان وتوضيحا لمكانة الأفراد عند بعضهم البعض.

وللهدية دور السحر في تحسين علاقات الناس بعضهم ببعض، فهي تعبر عما يكنه شخص ما لشخص آخر من تقدير واحترام وإعجاب، وبالتالي تعميق هذه الصداقة. والهدية شيء محسوس تقدم إلى من يستحقها وليس لأي شخص. ومع أن الهدية تعتبر نوعا من أنواع المجاملة إلا أنها ضرورية للتقريب بين الناس.

فليس شرطاً أن تكون الهدية ذات قيمة مالية مرتفعة ولكن الأهم أن تكون القيمة المعنوية للهدية هي الأولى، وأيضا يجب أن تختار الهدية بشكل دقيق بحيث ترى حاجة من تريد الإهداء إليه ويستطيع أن يستفيد منها ويتذكرها طويلا، بعكس هدايا المجاملة والتي عادة ما تكون أقلاما أو ساعات مع أن المهدي إليه عادة يمتلك هذه الأشياء وهو غير محتاج إليها.

وبصفة عامة فإن الهدية موجودة في تعاملات الناس مع بعضهم ولكن هدية العيد تكاد تكون غير موجودة إلا على نطاق ضيق، حيث أن هدية العيد موجهة في الغالب للأطفال الصغار.

إن الهدايا والتهاني مما يدخل البهجة والسرور إلى القلوب في يوم العيد. ويمكن أن تعرف العيدية بأنها: هدية نقدية أو عينية تقدم إلى حالة شعورية لا توصف عندما توفق في اختيارك للهدية المناسبة.¹

العيدية ليست أكثر من تعبير عن الحب والوصال بين الأهل والأقارب والجيران في يوم العيد، فلا تعتبر فيها القيمة المادية بل القيمة المعنوية منها.

¹ عصام كرم الطوخي، www.sadapotsaid.com الساعة: 10: 20، التاريخ: 2019/07/22

الفصل الرابع: رمزية الهدية ودلالاتها في المناسبات الدينية

وعليه فأفراد المجتمع يحتفلون بالعيد في أول يوم من شهر شوال الذي يلي رمضان شهر الصيام، ويمثل هذا حدثاً احتفالياً دينياً اجتماعياً يؤدي فيه السكان صلاة العيد في تجمعات في المساجد والساحات العامة، ويلبسون ثياباً بيضاء وتكون جديدة ونظيفة ويتجهون للمصلى ومعهم أطفالهم، فيبدؤون صلاتهم بالتكبير "الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلا الله" ويرددونها عدة مرات مع السجود، وعندما تنتهي الصلاة يتبادل السكان التهاني والزيارات، فيزورون الأهل والأموات والأقارب والأصدقاء، وفي هذا اليوم يكثرون التسبيح والاستغفار.

ومن خلاله يمثل العيد فرصة للتصالح بين المتخاصمين ويعتبر يوماً للصدقة فيصدق الطعام أو الأموال للفقراء وتقدم فيه الهدايا كذلك، وتسود الابتسامات على الوجوه في هذا اليوم والأطفال يخرجون إلى الأزقة والحارات في أحلى الملابس ويزورون البيوت ليجمعوا العيدية، أما الرجال يتوجهون للمقاهي ويشربون القهوة مع الأصدقاء والأحباب، أما النساء فهن أيضاً تتزين بأحلى ما عندهن من لباس ومجوهرات ويستقبلن صديقاتهن من النساء ويقدمن الهدايا لبعضهن البعض وبعد الظهر يزرن جميعاً المقبرة مع أطفالهن.

أما فيما يخص عيد الفطر الذي يعد مناسبة للتواصل الاجتماعي، تبرز فيه تهنئة العيد وتبادل أطباق الحلويات، وإكراميات تقدم للأطفال من نقود وهدايا.

ثانياً: عيد الأضحى

لعل ما يميز أجواء عيد الفطر من فرح وبهجة في مجتمع البحث هو نفسه ما نلاحظه في يوم عيد الأضحى، أو كما يطلق عليه في مجتمع البحث بـ "عيد الكبير" في مقابل "عيد الصغير" أي عيد الفطر، يحتفل به في العاشر من ذي الحجة أي بعد الوقوف بعرفة وإنهاء مناسك الحج .
وسمي عيد الكبير لاقتترانه بطقس الأضحية الذي يربط بين الخالق أي الله والمخلوق أي الإنسان، لأن الفرد يدفع أكثر للتقرب من الله بالمقارنة مع قيمة زكاة عيد الفطر.

الفصل الرابع: رمزية الهدية ودلالاتها في المناسبات الدينية

ورجوعا إلى كرونولوجيا المناسبة فقد بدأ الاحتفال بعيد الأضحى في زمن سيدنا إبراهيم عليه السلام، أين صدق الرؤية عندما رأى في المنام أن لله سبحانه وتعالى أمره بذبح ابنه إسماعيل، وفي اللحظة التي هم بذبح ابنه أبدله لله بكبش عظيم. ومنذ ذلك الحين أصبح المسلمون يمارسونها كسنة إحياء لهذه الذكرى. يتبادل أفراد مجتمع البحث التهنة في يوم العيد ويحصل الأطفال على "العيدية"، غير أن المتغير هو نوع الهدية العينية لأنه يوم نحر للأضحية وما تلزمه السنة بتوزيع جزء منها، يقدم للجيران والأهل والأصدقاء الذين لم يضحوا قطعة من لحم الأضحية لا يحدد وزنها، إضافة إلى جزء من أحشاءها والمشتراط في المستلم للهدية أن تكون العلاقة قائمة وعلى اتصال بالمهدي.

يعتبر عيد الأضحى العيد الأكبر للمسلمين جميعاً وتعتبر هدايا عيد الأضحى مثل هدايا عيد الفطر ما عدا الأضحية. وهو مرتبط ارتباطاً وثيقاً بشعيرة الحج ويقوم فيه السكان بنفس الطقوس التي يقومون بها في عيد الفطر من صلاة وتسبيح وتبادل للزيارات، مع لبس أجمل الملابس، لكن هذا العيد هو إحياء لذكرى أو اقتداء بسنة النبي إبراهيم عليه السلام الذي كاد يضحى بابنه إسماعيل استجابة لربه فتم استبداله بأضحية من غنم بعد أن علم الله بصدق نيته، لذلك يقوم سكان المنطقة بذبح أضاحي في هذا اليوم لمن استطاع وتوزيع بعض من لحم الأضحية على الفقراء والمساكين.

ومنه تعتبر الأعياد واحدة من أهم المناسبات الاحتفالية الرائعة والمثالية للتهادي بين الأهل والأصدقاء، فعادة ما يرغب المرء في بعض الأحيان بالتعبير عن مشاعره الصادقة تجاه المقربين من عائلته أو أصدقائه من خلال بعض الهدايا الرمزية التي تظهر لهم المشاعر الكامنة بداخله من محبة وتقدير، وفي الواقع لا يوجد أفضل من مناسبة الأعياد ل يتم استغلالها في توزيع بعض الهدايا القيمة التي ترسم البهجة والابتسامة على وجوه المقربين ومن حولك.

ويبرز التضامن بشكل جلي في عيد الأضحى، أو كما يعرف عند العامة بالعيد الكبير، لأن فيه يبدأ السؤال عن المحتاجين وتقديم جزء من الشاة المذبوحة أو تقديم قطع اللحم للمحتاجين.

الفصل الرابع: رمزية الهدية ودلالاتها في المناسبات الدينية

ثالثاً: شهر رمضان

رمضان شهر فضيل وأيامه مباركة، وتكثر فيه أعمال الخير والصدقات وتظهر معها أسمى صور التضامن والتكافل الاجتماعي، ويميز مجتمع البحث ممارسة رغم تراجعها في بعض الأوساط هذا حسب تصريحات المبحوثين ومختلف الملاحظات، والتي مازالت ظاهرة ومحافضة على استمرارها، ألا وهي عادة "الذواقة" وهي هدية عينية تمثل جزء من وجبة الإفطار الخاصة بالعائلة يتم تبادلها بين بعض الأقارب والجيران قبل أذان المغرب. تقول إحداهن "عدنا جيرانا دائماً في رمضان نبعثولهم وبيعثولنا لفظور"... إضافة إلى ذلك، توجد هدية من نوع آخر وهي الدعوة للإفطار على وجبة عادة ما تكون مميزة، وتتم بين الأهل والأصدقاء والأحباب والجيران خلال أيام الشهر.

جرت العادة عند أفراد مجتمع البحث في اليومين الخامس عشر من شهر رمضان ويسمى محلياً النصفية "واليوم السابع والعشرين، أن يُحَثُّ الأطفال الذين يصومون لأول مرة على صيام هذين اليومين، ابتغاء للأجر وتعوداً واستعداداً لصيام شهر رمضان عند البلوغ فتحضر ربات البيوت عشاء مميزاً ويرسل منه للجيران.

أما في أواخر شهر رمضان وبالتحديد في ليلة السابع والعشرين يعلن عن قيمة زكاة الفطر، ليتم إخراجها للمحتاجين، ولا تدخل زكاة الفطر في نطاق الممارسات الثقافية المبتدعة للفرد، بل مرجعها الدين الإسلامي وهي بذلك ممارسة دينية. ودليلها كما جاء في الحديث الصحيح حيث فرض رسول الله زكاة الفطر من رمضان": صاعاً من تمر أو صاعاً من شعير "...فهي واجبة على كل رب أسرة، حيث في مجتمع البحث يقوم الناس بإخراج زكاة الفطر نقداً من أجل تحقيق التضامن الاجتماعي.

غير أن هذه الزكاة تدعي في مجتمع البحث بـ "الفطرة" وهي هدية ملزمة شرعاً، يجب تقديمها للفقراء من أجل تصحيح أخطاء وهفوات الصيام. وتمنح عادة لأفراد تربط بينهم وبين المانح علاقة معينة قد تكون قرابة أو جيرة أو صداقة عملاً بـ 'الأقربون أولى بالمعروف'، وتكون معروفة ظروفهم المادية، فليس لشخص غريب أن يأخذها إلا إذا تولت جمعية المسجد جمعها وتوزيعها " نمد الفطرة لواحد نعرفو قليل ومعدوش"...

الفصل الرابع: رمزية الهدية ودلالاتها في المناسبات الدينية

يصف الرحالة ليدر الذي صادفت رحلته شهر رمضان (شهر نوفمبر 1909) حيث أثار انتباهه صيام شهر رمضان المعظم الذي يمتنع فيه المسلمون عن الأكل والشرب طوال النهار، فيصف نهارهم بأنه خالي من الحركة أما الليل فتعم المقاهي بالناس والضوضاء بالأماكن.

وهناك تظاهرة تقام يوم السادس والعشرين من رمضان في بعض بلدات المنطقة وأشهرها بلدة سيدي خالد، تحمل صبغة دينية واقتصادية وثقافية، لكن أولها بدأت دينية حيث ارتبطت بشعيرتين من شعائر الدين الإسلامي الصوم والحج، فكما نعلم أن بلدة سيدي خالد تقع في طريق الحجاج الغرب ونقصد بهم القادمين من المملكة المغربية والسينغال وغامبيا وغيرهم وزاويتها كانت تستقبل هؤلاء الحجاج وتهتم بهم.

تتزامن هذه الظاهرة مع ليلة القدر ليلة السابع والعشرين من رمضان التي يقال أنه أنزل فيها القرآن، فصارت الاحتفالات بهذه المناسبة تخصص لاستقبال الحجيج وتقرن مع الاحتفال بليلة القدر، لهذا يبدأ الحفل يوم السادس والعشرين من شهر رمضان وينتهي بليلة السابع والعشرين من نفس الشهر إلى غاية انطلاق الوفود نحو مكة المكرمة.

فبعد منتصف النهار يتوجه الزوار في حشد لمسجد خالد بن سنان لأداء صلاة الظهر جماعة ويدعوا الإمام للحجاج أن يسهل الله مناسكهم ويحفظهم في سفرهم، وبعد الصلاة تبدأ مراسم الاستعداد للسفر.

وعليه فمختلف هذه المظاهر المذكورة في شهر رمضان هي طقوس وشعائر مذكورة في ديننا الإسلامي الحنيف من جهة، أما من الناحية الاجتماعية تمثل هدايا معنوية لها دلالاتها في المجتمع.

الفصل الرابع: رمزية الهدية ودلالاتها في المناسبات الدينية

رابعاً: المولد النبوي الشريف

تحتفل الأمة الإسلامية بذكرى مولد النبي محمد صلى الله عليه وسلم على الرغم من اختلاف طريقة كل بلد بالاحتفال بالمولد النبوي الشريف الا انه هناك اتفاق على المعنى والهدف والفرحة بمولده الشريف. يعرفها الشيخ أبي بكر الجزائري فيقول: " الموالد جمع مولد، ومدلولها لا يختلف بين إقليم إسلامي واخر، الا أن كلمة مولد لا تستعمل في كل البلاد الإسلامية إذ اهل المغرب الأقصى يسمونها بالمواسم، وأهل المغرب الأوسط يسمونها بالزرد جمع زردة، وأهل مصر والشرق الأوسط يسمونها الموالد".

وسماها أهل المغرب بالمواسم لأنهم يفعلوها موسمياً أي في العام مرة، وسماها أهل الجزائر بالزردة باعتبار ما يقع فيها من ازرداد الأطعمة التي تطبخ على الذبائح التي تذبح للولي، أو عليه بحسب نيات المتقربين، وسماها من سماها بالحضرة أما لحضور روح الولي فيها ولو بالعناية والبركة، أو لحضور المحتفلين لها وقيامهم عليها.¹

وهكذا تتعدد التسميات والمصطلحات من منطقة إلى أخرى ولكن تتفق جميعها في المضمون تقريباً فهي تسمى الزردة أو النشرة في منطقة الشرق الجزائري مثل قسنطينة، وتسمى الوعدة أو الطعم في منطقة الغرب الجزائري مثل مستغانم ومعسكر وغليزان، وتسمى المعروف في منطقتي عين الصفراء والبيض، وتسمى الزيارة في الجنوب الجزائري مثل أدرار كما هو الحال في المغرب، أما في مصر فيطلق عليها بالموالد.

إن المطلع على ما كتبه العلماء والمؤرخون فيما يخص بدايات الاحتفال بالمولد النبوي، فيجد البعض قد أرخ له بالقرن الرابع والآخرين بالقرن السادس. ففي القرن الرابع ظهر بنو عبيد أو الذين أسسوا الدولة الفاطمية في مصر والشام بعد انفصالهم _ الفاطميون- نسبة لفاطمة بنت محمد عن الخلافة العباسية، إلا أن تسييرهم لشؤون الدولة لم يكن يرضي أهل البلاد، هذا الأخير الذي ولد الخوف والريبة لديهم من سقوط الحكم. مما استدعاهم إلى محاولة التأثير العاطفي واستمالة القلوب وذلك بإحداث احتفالات، فدعى

¹ مطرف عمر وبن معمر بوخضرة، مرجع سبق ذكره، ص384.

الفصل الرابع: رمزية الهدية ودلالاتها في المناسبات الدينية

الحاكم المعز لدين لله العبيدي بدافع سياسي إلى تثبيت الحكم، ويتوقع أن إحداثة هذا كان قريب عام 362هـ، إضافة إلى مواليد أخرى _ الاحتفال بمولد النبي لسلالة آل البيت، الاحتفال بالهجرة، رأس السنة الهجرية الثانية.

في بداية القرن السابع انتقل الاحتفال بالمولد النبوي من مصر إلى أهل إربل في العراق، عن طريف أحد الصوفيين يدعى عمر الملا الذي (توفي 750 هـ)، أين احتفل به الملك أبو سعيد كوكبري الذي (توفي سنة 620هـ)، أحسن احتفال من إنفاق للصدقات وأوجه البر والإحسان، وكان ذلك في زمن السلطان صلاح الدين الأيوبي. ثم انتشر الاحتفال به إلى سائر البلاد العربية.

عادة ما ينحصر الاحتفال بالمولد النبوي الشريف في مظاهر المفرقات وتحضير العشاء الخاص الذي تجتمع حوله العائلة مع بعض الاحتفالات في المدارس أو المساجد، غير أن في كل هذا غالباً ما يتناسى المحتفلون تذاكر سيرة الرسول عليه الصلاة والسلام واستحضار أخلاقه وصفاته الإنسانية لا سيما في العائلات التي تتساق وراء رغبات أبنائها فتحتفل به في أجواء من الرعب والخوف بسبب المفرقات التي تقتنيها لأبنائها والتي تحول الفرح إلى قرح نتيجة الحوادث الأليمة المنجرة عن ذلك.

توارثت مختلف العائلات الجزائرية عبر ربوع الوطن عادات قديمة للاحتفال بمولد الرسول عليه الصلاة والسلام، تعبر في مجملها عن حب الرسول والتعلق بهديه وسيرته، ومنها الأناشيد والمدائح الدينية التي بدأت تشق طريقها نحو الزوال مع جيل الإنترنت، لنجد العادة الأكثر تمسكاً هي الحفاظ على تشارك طبق عائلي حسب المنطقة إما كسكس أو رشة أو شخشوخة أو غيرها بالإضافة إلى الطمينة أو الرفيس التي تعد ضرورية وأساسية في السهرة.

وبرزت في المدة الأخيرة مظاهر احتفال تحرص من خلالها العائلات على منح بعد ديني عميق للمناسبة من خلال تكليف أبنائها بتحضير بحوث مصغرة عن سيرة الرسول والعبارة منها بالإضافة إلى مسابقات عائلية لغرس التربية الإسلامية في أبنائنا.

جرت العادة عند المبحوثين من سكان المنطقة وفي نهار يوم الاحتفال بالمولد النبوي الشريف المصادف لليوم الثاني عشر ربيع الأول، حيث يعبر المسلمون عن حبهم ما يميز هذه المناسبة على غرار المناسبات الدينية المذكورة آنفاً، هو شراء شموع خاصة بهذه المناسبة بعدد أفراد الأسرة ويضيفون واحدة

الفصل الرابع: رمزية الهدية ودلالاتها في المناسبات الدينية

ينسبون لها للرسول، أما ربات البيوت فتقمن بتحضير الكسكس بالمرق والدجاج، إضافة إلى توفير مجموعة من الحلويات والمكسرات والفواكه الخاصة بسهرة هذه الليلة، التي يرسل منها إلى الجيران القريبين، وإلى الأم أي الجدة، الأخت المتزوجة إن كانت قريبة في السكن، كما جاء في تصريح إحدى المبحوثات: "دايمن في الميلود نبعث طبسي طعام وشوية حلوة لختي ولما) أمي (يسكنوا قراب ليا ولبعض جيرانني) أما بالنسبة لوقت تسليم الهدايا الخاصة بهذه المناسبة فعن طبق الكسكس يكون بعد غروب الشمس لأنه أعد لوجبة العشاء، فيضطر الفرد للمبادلة بالمثل.

ولا يزال مجتمع البحث يحافظ على عادة تقديم "المهيبة" خلال المولد النبوي الشريف، وتتمثل في تقديم العريس هدايا للعروس قصد توطيد علاقات المحبة والوفاء والتواصل بينهما، رغم غلاء المعيشة وتراجع القدرة الشرائية للمواطنين. وذلك عملاً بحديث نبينا محمد صلى الله عليه وسلم "تهادوا تحابوا". فالعائلات الجزائرية لا تزال تحترم عادة تقديم "المهيبة" في مختلف المناسبات الدينية، ومنها المولد النبوي الشريف الذي احتفلت به الأمة الإسلامية، حيث يدرج الجزائريون "المهيبة" أو "حق لعروسة" أو "عشاء أو غذاء لعروسة" كما يطلق عليها أهل المنطقة باعتبارها من ضمن العادات والتقاليد العريقة التي توارثتها عن الأجداد منذ القدم.

فالعائلات الجزائرية تعطي اهتماما خاصا بالمهيبة خاصة الفتيات المخطوبات، وذلك لما له من أثر إيجابي عليهن، حيث يقدم العرسان المستقبليون مجموعة من الهدايا إلى بيت الخطيبات، ويكون مقدار هذه الهدايا حسب الإمكانيات المادية التي تتوفر لدى الخطيب. وتختلف الهدايا وتتنوع بحسب الذوق والميزانية، فقد تكون خاتما من ذهب أو سلسلة أو حذاء وبعض مستلزمات الزينة والتجميل كالعطور وأدوات المكياج. كما قد تكون في شكل هواتف نقالة.

فالمهيبة يعود تكرارها إلى أكثر من مرة في السنة، إذ يتوجب على العريس تقديمها في مناسبة عيد الفطر، عيد الأضحى، المولد النبوي الشريف وعاشوراء، وأحيانا حتى في أعياد رأس السنة وأعياد الميلاد، حيث أن العائلات الجزائرية متمسكة بهذه العادة مهما كان وضعها المادي ضعيفا، إلا أنها تقدم هدية ولو كانت رمزية فقط. والكثير من الفتيات تنتظرن بشوق كبير مختلف المناسبات للاطلاع على الهدايا من باب الفضول ومعرفة ذوق الزوج المستقبلي، كما تجبرن بعضهن خطابهن على تقديم هدايا باهضة الثمن للتفاخر على الأهل والصدقات، وهو ما يعد "نقمة" على ذوي الدخل البسيط المقبلين على الزواج، خاصة

الفصل الرابع: رمزية الهدية ودلالاتها في المناسبات الدينية

إن طالت فترة الخطوبة. فالمهيبة تثقل كاهل الشاب البسيط في ظل غلاء المعيشة، الذي يجد نفسه مجبرا على تقديم المهيبة في كل مناسبة دينية، وهو ما يعجز عنه بالنظر إلى دخله المحدود. كما أن شبانا يقدمون لخطيباتهم في مناسبة المولد النبوي الشريف حلويات شموع ومفرقات إلى جانب بعض الهدايا، على أن تحضر عائلات العرائس صينية القهوة والشاي المرفقة بالحلويات والطمينة رمز الاحتفال بالمولد النبوي الشريف، كما تحرص بعض العائلات على تقديم "عشاء المولد" لعائلة العريس إن سمحت إمكانياتهم المادية بذلك.¹

إن مظاهر الاحتفال بالمولد النبوي الشريف تتعدد من بلد لآخر، وكلها تجتمع حول هدف واحد وهو إظهار الفرحة بذكرى مولد النبي عليه الصلاة والسلام، وتعكس مشاعر المحبة له والتعلق به، ومن عادة الناس في مثل هذه المناسبات أن يتبادلوا مختلف الهدايا ويجمعوا حول مائدة واحدة لتلتقي الأجيال ببعضها ويرتبط الصغار بالكبار، كما أنها فرصة لتجاوز الخلافات وطي كل مظاهر العداوات والكراهية.

يبدأ الاحتفال بالمولد النبوي الشريف منذ حلول شهر ربيع الأول، فتبدأ مظاهر الاحتفال تتجلى في المساجد حيث تتزين مداخلها بجريد النخل الأخضر، وتقرش أجنحتها بأفخر الأفرشة لاستقبال حلقات الذكر والمديح، وبعد صلاة العشاء تنطلق في كل مساجد منطقة الزيبان الحلقات، حيث يجتمع الناس حول إمام المسجد الذي بدوره يقوم بإلقاء روائع الخطب والقصائد بمدح خير الأنام محمد صلى الله عليه وسلم.

أما ليلة الثانية عشر أي ليلة المولد النبوي، يقوم سكان المنطقة بتناول الطمينة المخصصة لهذه المناسبة على فطور الصباح مع كأس حليب أو لبن، وتروى قصة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم على أهل البيت.

وفي الليل يقام حفل ليستمر إلى ساعة متأخرة، يمضيه رواد المساجد "المداحين" مستمعين للدعاء والذكر، ويختتم الإمام الحفل بالدعاء لجميع الحضور، أما في المنازل فتقوم العائلة حسب مقورها بإعداد وليمة ولا

¹ موقع جزائرس- محرك بحث إخباري، 265084: /alfadjr/ djazair.com، الساعة: 22: 8، التاريخ:

الفصل الرابع: رمزية الهدية ودلالاتها في المناسبات الدينية

يغيب الكسكس أو الثريد من هكذا مناسبة، كما تقوم النساء بالترزين بالحناء في أيدهن وأرجلهن بالإضافة إلى الكحل والسواك تحت أنوار الشموع.

ويتم في هذه المناسبة ترديد العديد من الهتافات إلى جانب الصلاة على النبي مثل قولهم:

الليلة زاد النبي افرح يا قلبي لالة يمينة خذك أنور .

ويبخرون الغرف ويطفئون الأنوار، ويضعون في كل غرفة شمعة تضيء ويكثر من الدعاء.

ومن ترديدات البنات في المولد النبوي:

يمة يمة كحليلي بالمورد باش نشوف النبي محمد يمينة جاباتو وحليمة رباتو.¹

خامسا: عاشوراء

سمي هذا اليوم بعاشوراء لأنه يصادف اليوم العاشر من شهر محرم، أين يحتفل به المبحوثين من أهل المنطقة كمناسبة دينية سعيدة يصومونها مع مخالفة سنة النصارى واليهود، فيصومون التاسع غير أن الاعتقاد السائد عند الشيعة _ والعاشر أو العاشر والحادي عشر اقتداءا بسنة نبينا محمد أن تسعة من أهل بيت الحسين قتلوا يوم التاسع من محرم، والسيد الحسين بن علي بن أبي طالب قتل يوم العاشر منه أي يوم عاشوراء، فهي تغطي على السبب الحقيقي الذي من أجله يتم إحياء الذكرى في الإسلام وحتى قبله، ولا شك أن هذه العادة قد ترسخت منذ انتشار دعوة الفاطميين بالمغرب الأوسط تحت تأثير المذهبية.

يصاحب الاحتفال بعاشوراء في مجتمع البحث عادات تتمثل في القيام بتكحيل الأعين وقص جزء من شعر الفتيات، كما يتم إعداد وليمة عشاء مميزة يبدو أنها عادة متفق عليها عند سكان المنطقة وهي طبق الكسكس بالمرق والدجاج أو اللحم، إضافة إلى بعض الحلويات والمكسرات التي يتم توزيعها على أطفال العائلة. في هذا اليوم وبعد غروب الشمس يتم تبادل نوع من الهدايا العينية تتمثل في أطباق الكسكس بين

¹ حياة بزويو، المرأة والشعر في سيدي خالد، دار أجنحة للنشر والتوزيع، (د.ب.ن)، 2017، ص48.

الفصل الرابع: رمزية الهدية ودلالاتها في المناسبات الدينية

الجيران وحتى مع الأقارب القريبين في السكن، وهذا حسب تصريح إحدى المبحوثات: (لقراب لنا كيما طفلتي (أخت الزوج) طبسي طعام والا شخشوخة في عاشوراء نبعثو للجيران مع اللحم). هو يوم له مكانة دينية تقوم فيه النساء والرجال على السواء بتكحيل عيونهم بمادة تدعى "الكحل"¹ وهي مصنوعة بالبيت بعناية، وذلك باعتبارها سنة نبوية شريفة بالإضافة إلى قص القليل من الشعر في هذا اليوم، يقومون بإعداد وليمة من الطعام فيطبخون أكلة "الشخشوخة باللحم"، كما تقوم النساء بزيارة الأرحام ومن أشهر ما يرد في هذا اليوم:

عاشوراء عاشورتي طوليلي قطوشتي، سيدها من سيدها، سيدها عبد الرحمان يحزمها ويلزمها ويضربها بلزاموا، وهذا قصد تطويل شعورهم التي قصوها في هذا اليوم.

سادسا: أول محرم

محرم هو أول أشهر التقويم الهجري وبداية السنة الجديدة، وعلى غرار المجتمع العربي الإسلامي فإن مجتمع البحث يحتفل بهذا اليوم، حيث يتسم ويتميز هذا الاحتفال بقدسية معينة تعكس جو يمتاز بالروحانية الممتزجة بالفرحة والبهجة بمناسبة هذا اليوم، حيث تحضر النساء عشاء خاص والذي يعرف في مجتمع البحث بـ "الموسم"، ويعدن فيه مأكولات معروفة، وتتمثل في الغالب في طبق الكسكس أو الرشته أو الشخشوخة أو التلتي مع الدجاج أو اللحم، مع تحضير ما طيب من الفواكه اللذيذة. واعتادت العائلات في هذا اليوم إرسال طبق كما يعرف بـ "الذواقة" كهدية للأقارب والجيران المقربين، كما قيل "كي ندوقوا من عند بعض تحلا ويحلا اليوم المبارك هذا أكثر"، كما أنه في هذا اليوم يجتمع الأحباب والأقارب ويتقاسمون المأكولات مع بعضهم البعض بكل فرح وسرور احتفاء وفرحا بقدوم سنة دينية جديدة، والذي يمثل حسب آراء أفراد المجتمع بأنه هدية جديدة تقدم لنا كل سنة وتجدد كل ما هو بداخلنا جراء ما يحثنا عليه ديننا الحنيف، ويكثر ترديد عبارات بين الأفراد "مبروك علينا العام"، "وربي يجعله عام كله خير وبركة".

¹ الكحل: هي مادة مصنوعة من حجر اسود خاص بالكحل بحيث كان أهل المنطقة يجلبونه ويلفونه بالعجين ثم يطبخونه على النار إلى أن يصبح شديد الصلابة، بعدها يقومون بطحنه تستمر عملية الطحن سبعة أيام بحيث يصبح مسحوقا شديد الرطوبة ويأخذ اللون الأسود، يستعمل كأداة للتجميل والزينة فهو بمثابة مساحيق التجميل حاليا.

الفصل الرابع: رمزية الهدية ودلالاتها في المناسبات الدينية

- خلاصة الفصل:

فالأعياد الدينية عامة وقديمة قدم الإنسانية ذاتها تمارس في أجواء احتفالية، وهي تعتبر من العادات الجماعية، كما تعتبر مطلباً فطرياً تحتاج إليه النفوس لتستريح من عناء الحياة ومشاقها، كما أنها ضرورة اجتماعية لما تؤديه من غرس للقيم وتعزيز للوحدة وتقوية للروابط الاجتماعية بين أفراد العائلة والمجتمع كما أن لبعضها أبعاداً دينية تضيء على ممارساتها أجواء روحانية.

لا تخلو أي ديانة سواء كانت سماوية أو غير سماوية، من أعياد ومناسبات دينية يتم إحيائها في مواعيد سنوية محددة، ولعل الإسلام أكثر الديانات زخماً بهذه الأعياد والمناسبات الدينية، التي يحتفل بها المجتمع الجزائري على غرار باقي الشعوب العربية والإسلامية.

هذه الاحتفاليات التي تأخذ مكانة هامة في حاضر وذاكرة سكان كل منطقة من مناطق الجزائر وأهمها عيد الفطر المبارك الذي يلي شهر رمضان الكريم ثم عيد الأضحى المبارك. كما توجد بعض المناسبات الأخرى التي تستدعي التنكر والتفكر مثل مناسبة رأس السنة الهجرية وعاشوراء وموقعة بدر وذكرى المولد النبوي الشريف، إلى غيرها من الأعياد والمناسبات الدينية بما تتضمنه من عادات اجتماعية وممارسات مختلفة تشكل إعادة الإنتاج للدين وإبقائه حاضراً في حياة الناس عبر الأجيال من جهة وما تحققه من تقوية للروابط العائلية وتعزيز العلاقات الاجتماعية من جهة أخرى.

الفصل الخامس

رمزية الهدية ودلالاتها في المناسبات الثقافية

- تمهيد

أولاً: رأس السنة الميلادية

ثانياً: رأس السنة الفلاحية (يناير)

ثالثاً: عيد الميلاد

رابعاً: عيد الأم

خامساً: عيد المرأة

سادساً: عيد الحب

سابعاً: الضيافة والاستقبال

ثامناً: التوزيع

- خلاصة

الفصل الخامس: رمزية الهدية ودلالاتها في المناسبات الثقافية

- تمهيد

تتعدد المناسبات والأحداث الثقافية التي يعرفها الإنسان والمرتبطة بحادثة معينة، وذلك بالرجوع إلى مختلف نشاطاته وتعاملاته في المجتمع، حيث يوجد العديد من المناسبات ذات الطابع الثقافي والاحتفال فيها يكون من خلال تبادل الهدايا حسب طبيعة المناسبة الثقافية.

فتبادل الهدايا في مثل هاته المناسبات لها أثر وتأثير ايجابي على نفس متعاملها، وتختلف طبيعة التبادل للهدية باختلاف المناسبة والأطراف المعنية بالتبادل ومكان تبادلها. وعليه قمنا بذكر المناسبات الثقافية كالاتي:

الفصل الخامس: رمزية الهدية ودلالاتها في المناسبات الثقافية

أولاً: رأس السنة الميلادية

مناسبة رأس السنة الميلادية وقتها في الأول من يناير، وهو من أهم أعيادهم يحتفلون فيه ببداية السنة الجديدة بالتقويم الميلادي الشمسي، وعليه تختلف العادات والتقاليد حول كيفية تقديم الهدايا رغم اختلاف الهدية وقيمتها من شخص لآخر حسب الإمكانية المادية لكل فرد، ولكن العالم أجمع على جمالية تبادلها وضرورتها وأهميتها بما يضيفه ذلك على العيد من حياة وأمل ومحبة وعطاء.

فقد كانت احتفالات بداية السنة معروفة منذ القدم أي على مدار آلاف السنين، لكن كل كان يحتفل ببداية تقويمه الخاص، إذ كان المصريون مثلاً يحتفلون ببداية عامهم الموافق للفيضان السنوي لنهر النيل، بينما يحتفل الفينيقيون والفرس بالاعتدال الربيعي كفاتح لعامهم الجديد وغيرهم.

غير أن الأكثر شهرة أن البابليين القدماء قد احتفلوا برأس السنة منذ حوالي 4000 عام، والذي كان مرتبطاً بالدين وبما اشتهر عندهم من أساطير إذا تم اعتبار الذي يكون في أواخر مارس بداية عام جديد. وتم الاحتفال به كمهرجان ديني بدعوة من "اكتو" أين كان يتم عرض تماثيل آلهتهم في شوارع المدينة.

ثم كانت السنة الرومانية التي توافقت الاعتدال الربيعي. بعدها قام الإمبراطور يوليوس قيصر بوضع الأول من يناير كأول يوم في السنة، بعد الإصلاحات التي قام بها في التقويم الروماني الذي كان يحوي بعض الخلل. وقد سمي يناير كذلك نسبة إلى "يانوس" إله التغيير والبدايات الروماني. وقد كانوا يحتفلون به بتقديم تضحيات لـ "يانوس" أملاً في نماء ثورتهم في العام الجديد.

لكن في العصور الوسطى في أوروبا أصبحت هذه الاحتفالات تعتبر وثنية غير مسيحية. وبالتالي تم إلغاء الاحتفال برأس السنة واستبدل بأعياد دينية عندهم، كل 25 من ديسمبر الذي يعتبرونه يوم ميلاد المسيح وال 25 من مارس. وتم كذلك إعطاء الأول من يناير أهمية أو رابطاً دينياً، باعتباره عيد ختان المسيح وذلك بعد ثمانية أيام من ولادته مع أن تاريخ ولادته غير صحيح فعلياً.

وفي عام 1582 أعاد البابا غريغوري الثالث عشر الاحتفال برأس السنة في الأول من يناير، بعد إصلاحه للتقويم الذي صار معتمداً من قبل معظم الدول الكاثوليكية ومن ثم الدول البروتستانتية.

الفصل الخامس: رمزية الهدية ودلالاتها في المناسبات الثقافية

حيث تقول إحداهن " أن هدية رأس السنة هي رمزية أكثر من أي شيء آخر". وأخرى تقول " الواحد ليس مطالباً بدفع مبالغ خيالية للتعبير عن حبه لشخص ما، فهي هدية رمزية نبارك بها للعام الجديد".

ففي مجتمع البحث لوحظ أن الاحتفال بهذه المناسبة لا يعني كل المجتمع وخاصة كبار السن منهم لا يعتبرونه مناسبة تستدعي الاحتفال وكما قيل " هذا عيد لليهود.."، "إحنا ما نعتارفوش بيه كاحتفال"، هذا من جهة، ومن جهة ثانية نجد عائلات خاصة منها العائلات الجديدة الناشئة تأخذها كمناسبة يتم فيها تحضير أو شراء كعكة خاصة بالمناسبة وشراء أنواع من الحلويات والشوكولاتة الخاصة أيضاً، ويحتفلون بهذا اليوم من خلال سهرة عائلية وتبادل التهاني بدخول سنة جديدة، وعبرت إحداهن بقولها.. " القصد من المناسبة مش نتبعو في الكفار، ولكن باش نفرحو ونزهاو برك.."، وأخرى قالت: "مادم هذا التاريخ نكتبوه ونعلموه لأولادنا لازم نعترفو بيه.."، .. " مش احتفال كيما ليهود وإنما لمة وفرحة مع بعض برك.."، وهناك من قال.. " نحب نأكل حاجة حلوة هذيك الليلة باش تكون فال وأيام حلوة..".

فالأفكار والكلام تعدد حول هذه المناسبة، وحسب العديد من أفراد مجتمع البحث أنه مناسبة للبهجة أكثر منه إتباع لعادات غريبة، فالحلال بين والحرام بين، وحسب العديد الاحتفال.. ليس بمنظور "الريفينو"، وإنما مناسبة كباقي المناسبات الاحتفال فيها لم يتعد حدود المعقول. بغض النظر عن بعض التصرفات التي يقوم بها الشباب اليوم من تخصيص ذلك اليوم للون الأحمر من حيث الملابس والورود، حيث نجد العديد يقول أنه أمر مستحب القيام به خاصة بين الأزواج.

فالهدايا المقدمة في رأس السنة الميلادية تكون في غالب في شراء الشوكولاتة وتقديمها للأحباب والمقربين، كتقديم ابن لأمه علبة شوكولاتة في هذه المناسبة، أو بين الأصدقاء والصديقات كعربون محبة واهتمام.

وما تم ملاحظته في المجتمع المدروس هو زيادة الاهتمام بهذه الظاهرة أو المناسبة في الوقت الحالي والحاضر مقارنة بالسابق حيث لم يكن يأخذ الصورة الموجودة حالياً، وهذا ما يوضح اهتمام الشباب والجيل الحالي حسب ما ورد من آراء للتعبير عن المحبة بين الأفراد، فكما هو معروف بين الناس عدم القدرة على تقديم هدايا أو تبادل مشاعر بين الأفراد بدون مناسبة من باب الخجل، وعليه فهذه المناسبة

الفصل الخامس: رمزية الهدية ودلالاتها في المناسبات الثقافية

تفتح المجال لتبادل الهدايا والمتمثلة في عطر أو شكولاتة وغيرها..، بحسن نية دون إتباع للغرب وما يقومون به، والتقاؤل بسنة جديدة أحسن من سابقتها.

ثانيا: رأس السنة الفلاحية (يناير)

يناير هو كلمة مركبة من "ين" وتعني واحد و"ير" وتعني الشهر الأول، وبالأمازيغية "يناير" هي "الخف اوسقاس"، والمقصود بها كذلك أول شهر في الرزنامة الفلاحية للبربر والأمازيغ. أي أنه بداية سنة جديدة تخص الجانب الفلاحي والطبيعي بمختلف ظواهره سواء من أمطار أو ثلوج والمعينة على التقاؤل بسنة كلها رزق وخير وبركة.

إن احتفالات يناير ليست محصورة في منطقة واحدة في الجزائر، كما حاولت بعض الدراسات أن تثبت وإنما هي عامة وفي مناطق مختلفة. وعليه تشكل احتفالات رأس السنة الأمازيغية مناسبة مميزة عند الجزائريين، وهو تقويم خاص بالأمازيغ سكان بلدان المغرب، ويطلق عليه "يناير" ويبدأ الاحتفال به يوم الثاني عشر من يناير. وتعني عبارة "أسقاس أمقاس" بالأمازيغية سنة سعيدة. فحسب ما كان في السابق أن فكرة يناير تقتصر على جهة الأمازيغ لكل من القبائل والشاوية والمزاب، إلا أن هذا التصور كان محصورا في وقت ما إلى أن تم انتشاره بصورة أوسع عما سبقه من خلال توثيقه وشيوعه أكثر.

للاحتفال برأس السنة الأمازيغية نكهة خاصة لدى أمازيغ الجزائر والبلدان المغاربية الأخرى، ويتم إحيائها بطقوس خاصة وعادات ممارسة بين أفرادها تعكس تقاليد وهوية الأمازيغ وما هو متعارف عليه بين أفرادها ليتم الحفاظ عليها أكثر. وتختلف تسميات الاحتفالات برأس السنة الأمازيغية بين "يناير" و"املالين"، أو "اقورارن"، بحسب اختلاف اللهجات الأمازيغية في الجزائر.

ويرتبط هذا التاريخ في المخيال الشعبي ولدى عدد من المؤرخين بانتصار الملك الأمازيغي شيشناق على فرعون مصر وذلك أربعة قرون قبل الميلاد. وحيكث حول الحدث أساطير تختلف من منطقة إلى أخرى ترسخت في مخيلة سكان المنطقة ككل، فمنهم من يربط العيد الأمازيغي بالعجوز التي سبت شهر يناير ولم تكثر له، وفضلت إخراج قطيع غنمها لترعاها، متحديّة قوة الطبيعة، ففوجئت بعاصفة ثلجية جمدها هي وغنمها، ومن ثمة بات ذلك اليوم يوما يحتفي به في تاريخ الأمازيغ، فيما تقول الأسطورة الثانية انه

الفصل الخامس: رمزية الهدية ودلالاتها في المناسبات الثقافية

يحتفل به الأمازيغ ليبارك موسم الفلاحي لارتباطهم بأرضهم فيما جاء في أسطورة ثالثة وهي الأقرب إلى الحقيقة حسب عدد المؤرخين في بلدان المغرب وهي انتصار الزعيم الأمازيغي شيشناق على رمسيس الثاني فرعون مصر.

يرى بعض المؤرخين أن تاريخ بدء التقويم الأمازيغي يعود إلى اليوم الذي هزم فيه الملك الأمازيغي شيشناق الأول، الفرعون المصري رمسيس الثالث، وذلك في العام 950 قبل الميلاد، وذلك بعد معركة طويلة يعتقد أنها دارت في مدينة تلمسان الجزائرية، واستطاع شيشناق بعد انتصاره تأسيس نظام ملكي يحكم من ليبيا حتى مصر.

سابقا لم يتم حساب السنوات الأمازيغية حتى ستينات القرن الماضي عندما قررت "أكاديمية بربر" وهي جمعية ثقافية أمازيغية مقرها باريس، حيث كان شيشناق أحد الشخصيات البارزة في تاريخ الأمازيغ عبر تاريخ شمال إفريقيا القديم ورمزا للقوة.

تنتشر الكثير من المعتقدات والأساطير والروايات وتحكي الميثولوجية الأمازيغية أنه كان هناك عجوز عنيدة استهانت بقوة الطبيعة وخرجت لتتجول مع عنزتها بين الحقول في اليوم الأخير من شهر يناير لتتحدى برده وتلوجه. فشعر شهر يناير بالاهانة من وقاحة المرأة العجوز، فطلب من شهر فبراير أن يقرضه يوما إضافيا ليحبر المرأة العجوز على النوم في الحقل البارد والمثلج كعقوبة لها قائلا له:

أتخيلك أعمي فورار راسلي ليلة ونهار
نرمي العجوز في النار

فكان له ما أراد وبذلك تقلص شهر "فورار" فيفري إلى 28 يوما، ولما خرجت العجوز بماعزها إلى الجبال، تساقطت أمطار وتلوج وهلكت العجوز بماعزها.

ويعتقد في بعض المناطق أن من يحتفل بيناير سيبعد عن نفسه عين السوء، وعواقب الزمن، كما يعد يناير مناسبة للقيام بطقوس محلية عديدة تختلف باختلاف المناطق، فمثلا بعض الأسر في الجزائر تفضل اعداد الكسكسي أو طبق الشخشوخة المعروف في المنطقة كل بطريقته، الذي يمثل سيد الأطباق التراثية الاحتفالية في هذا اليوم والى جواره أطباق أخرى مثل القمح المطبوخ والمعروف ب "الشرشم".

الفصل الخامس: رمزية الهدية ودلالاتها في المناسبات الثقافية

وتبرز أهمية تمثلات وممارسات الاحتفال بيناير مع الأخذ بعين الاعتبار محيط الحياة الاجتماعية وتأثيره على التنشئة الاجتماعية الأولية ودور المحافظة على العادات والتقاليد المتوارثة ويعني هذا المفهوم وجود عادات مكتسبة اجتماعيا متجذرة في أعماق الوجدان الاجتماعي تعمل على توجيه خيارات الأفراد في أنواقهم ومعاملاتهم في هذه المناسبة، أي أنها تعمل على تشكيل قيم تشكل عن طريقها تمثلاتهم ولكن حسب ذهنية وخصوصيات المسارات الخاصة بكل عائلة.

1

اكتسب الاحتفال برأس السنة الأمازيغية الجديدة أهمية إضافية باعتباره وسيلة لإرساء حيوية هوية ثقافية. ويحي هذا التقليد المتعارف عليه في مختلف المناطق بتجسيد معطياته من خلال ممارسات بسيطة لها قيمتها بين أفراد المجتمع، المتجذر في الحكايات الشعبية القديمة شمال إفريقيا، التوازن الذي ينبغي على الإنسان أن يحققه مع الطبيعة.

وعليه فتاريخ هذا الاحتفال يعود إلى العصور القديمة، وهو متجذر في الحكايات والأساطير الشعبية شمال إفريقيا، ويعد إحياء للرابط بين الأمازيغ والأرض التي يعيشون عليها، فضلا عن ثروة الأرض وسخائها، لذلك يعتبر يناير احتفالا بعيد الطبيعة والحياة الزراعية والنهضة والوفرة.

ويخص الاحتفال بمناسبة يناير الأمازيغ الذين تعود جذور ثقافتهم إلى ما قبل العرب شمال إفريقيا، وأصبحت احتفالات يناير معروفة على نطاق واسع بسبب تزايد اهتمام سكان شمال إفريقيا بالثقافة الأمازيغية وأصولها. وترتكز الاحتفالات على التجمعات العائلية. ويناير يذكر بالعيش في تناغم مع الطبيعة رغم قدرتها على صنع ظروف تهدد الحياة مثل الأمطار الغزيرة والبرد والتهديد الدائم بالمجاعة ولمواجهة هذه المصاعب كانت الشعوب الأمازيغية القديمة تؤله الطبيعة، وهذا يعكس حقيقة الانسجام بين الإنسان والطبيعة بمختلف متغيراتها، وإعطائها الأهمية البالغة في وجوده واستمراره.

¹¹ محروق نوال، مقال بعنوان: "طقوس الاحتفال برأس السنة الأمازيغية"، مجلة تطوير، المجلد 08، العدد 02، السنة 2021، ص ص (275-283).

الفصل الخامس: رمزية الهدية ودلالاتها في المناسبات الثقافية

كما هو الحال في معظم مناسبات شمال إفريقيا لا يغيب الكسكس على موائد العشاء، وكذلك الحلويات والفطائر. وتشمل الأعياد بالجزائر تقديم طبق الطمينة، وهو حلو يصنع من السميد المحمص الممزوج بالزبدة والعسل.

وحسب المعتقدات الأمازيغية استهانت امرأة عجوز بقوى الطبيعة واغترت بنفسها فصارت ترجع صمودها ضد الشتاء القاسية، إلى قوتها ولم تشكر قوى السماء، فتحدثت يناير أشد فصول الشتاء برودة بالخروج مع عنزاتها الصغيرات لطهي طعامها خارج البيت، في عز برده وصعيقه فغضب يناير لهذا الأمر، فطلب من فورار أي شهر فيفري أن يقرضه ليلة ونهارا حتى يعاقب العجوز على غرورها، فكان له ذلك، فجمد العجوز وعنزاتها حيث يقال انه توجد بمنطقة جرجرة صخرة تدعى "صخرة العجوز والعنزات" حيث بالنظر إلى تلك الصخرة الضخمة يمكن أن نلاحظ عجوزا تحلب معزاتها، وبقرها بعض صغار الماعز. وإلى يومنا هذا يستحضر بعض الأمازيغ يوم العجوز ويعتبرون يومها يوم حيطة وحذر، ويفضل عدم الخروج للرعي في هذا اليوم مخافة عاصفة شديدة. فمختلف هذه الروايات الهدف والغاية من وجودها ونقلها هو أخذ العبرة من جهة، ومحاولة الربط وفهم العلاقة الموجودة بين الإنسان والطبيعة وكيف لها أن تتحكم فيه وفي تصرفاته الحياتية.

وتتحصر المظاهر المشتركة المتعلقة بالاحتفال برأس العام أو يناير في تنظيف البيت وإكرام رب البيت، واستبدال الكانون أملا بعام أكثر رخاء وعافية، حيث يرمز تبديل الكانون إلى استبدال السنة المنتهية بمصاعبها ومشاقها بسنة أخرى أكثر أملا وبركة ومحاولة لتجربتها من كل نقائصها ومساوئها التي تؤثر على الإنسان وحياته بالسلب والعطل.

وعليه يبدأ بهذا الاحتفال ليلة الثالث عشر من شهر جانفي، أما الأطفال فيطوفون بكل أبواب القرية وهم يرددون أهازيج أملا في الحصول على أطعمة وحلويات، وكانت الكلمات المشهورة التي يرددونها الأطفال:

هذي دار عمنا تعطينا وتلمنا

هذا عام بو لعوام يا ربي هني الإسلام

وهذي دار سيدنا تعطينا وتزيدنا

وهذي دار خالتنا تعطينا وتسالنا

الفصل الخامس: رمزية الهدية ودلالاتها في المناسبات الثقافية

وفي هذه الليلة هناك عائلات تقوم بتحضير وجبة أو أكلة الشرشم وقوامه حبوب القمح الذي يخلط معه كميات من أنواع الحبوب خاصة الفول والحمص، والذي يتميز بفوائده العظيمة للكبار والصغار على حد سواء، وكانت هذه من عادات سكان جبال أحمر ويلاحقونه.

فهو من المناسبات التي لم تكن الأجيال السابقة تبدي لها الاهتمام وهذا بعد إقرارها دستوريا، فيناير هي نفس التسمية لمناسبة الاحتفال برأس السنة الأمازيغية أو الفلاحية إذ يعتبر شهر يناير رمز للفلاحة والخصوبة، لأنه موسم نهاية الحرث ومنتصف موسم الأمطار والثلوج، وهو ما يجعل الأفراد يحتفلون به تيمنا وتفاؤلا بمجيء سنة خضراء، حيث تشير الطقوس إلى مدى ارتباط الإنسان الأمازيغي القديم بأرضه واندماجه في الطبيعة، فبداية العام تشكل نهاية وخاتمة للمؤونة الماضية أو ما يسمى في اللغة المحلية " العولة" وبداية التحضير للمحصول القادم. فهذا الموسم الذي يفصل بين زمنين طبيعيين، زمن البرد وزمن الاعتدال الذي يصادف بداية تجديد الطبيعة لدورتها أو ما يعرف بخروج الليالي البيض ودخول الليالي السود، إذ يعرف أنه مع دخول الليالي السود تصبح التربة صالحة للبذر، لهذا يبدأ الأفراد بتهيئة الحقول ومباشرة الأعمال الفلاحية لالتماس الأسباب التي يعتقد أنها تجلب الخير ووفرة المحاصيل.

أما الرواية الثانية ذات الأصل التاريخي، أين يرتبط الاحتفال بالانتصار الذي حققه القائد الأمازيغي "شيشناق" الذي حكمت أسرته مصر لمدة قرنين من الزمن، غير أن الروايات تختلف في أصل "شيشناق" وكيفية وصوله للحكم. فالأولى تذهب إلى أنه قائد أمازيغي جزائري الذي صد هجوما قام به الفراعنة قرب مدينة بني سنوس ولاية تلمسان، أين هزم فرعون مصر رمسيس الثالث واستولى عليها وحكمها قرابة القرنين كان ذلك عام 950 قبل الميلاد حتى 715 قبل الميلاد، والاحتفال هو تذكير بهذا النصر العظيم وبداية للتقويم الأمازيغي، وبالرجوع إلى المصادر التاريخية لا نجد أثر لهذه الرواية الا في خيال أصحابها. أما الرواية الثانية فتقودنا إلى أن شيشناق قائد مصر ينحدر من أصول أمازيغية ليبية، أي ترجع أصوله إلى أسرة مصرية من مدينة اهناسيا وهو الجد الخامس لفرعون شيشناق من إحدى واحات الصحراء الغربية المصرية واحة سيوة، ولذلك عرفت أسرته لدى المهتمين بالتاريخ المصري القديم باسم الأسرة الليبية حيث كانت القبائل الرعوية في تلك المنطقة تحمل نفس الاسم. فهاته الروايات كلها تدور حول شيء واحد وأساسي وهو الطبيعة ومدى أهميتها وتأثيرها في حياة الإنسان بكل جوانبه.

الفصل الخامس: رمزية الهدية ودلالاتها في المناسبات الثقافية

أما في مجتمع الدراسة لاحظنا أنه في السنوات الأخيرة وبالتحديد من اليوم الحادي عشر إلى اليوم الثالث عشر من شهر جانفي من كل سنة ميلادية، الذي يندرج ضمن ما يسمى "العام الجديد" عند أفراد مجتمع البحث، يحتفل بهذه المناسبة بصفة خاصة في مختلف المدارس الابتدائية والمدارس المتوسطة فتتضرر الإدارة مع إشراف المعلمين والمعلمات وجمعية أولياء التلاميذ والسلطات المحلية على إحياء هذا الحفل المبرمج له من قبل، حيث يتولى الأستاذ المكلف بالنشاط الثقافي بإعلام التلاميذ في الأقسام كما يعلق إعلان على لوح بالمؤسسة تحضيراً لهذه المناسبة، فيحضر التلاميذ أنفسهم لحفظ المسرحيات والأغاني التي سيقدمونها هذا من جهة، ومن جهة أخرى تحضر مسابقة خاصة بهذه المناسبة، لكن هذا ليس بشرط أن ينطبق على كافة المؤسسات، فهناك من يكتفي بنشاط واحد فقط، ويكلف التلاميذ بلبس ملابس تقليدية خاصة بالمناسبة، وتحضير أكالات تقليدية ... خاصة بالمناسبة لمشاركتها مع كافة الحاضرين تشجيعاً على إحياء هذه الظاهرة وترسيخها بين التلاميذ، وتزين المؤسسة بأفرشة تقليدية محيطة بالحوالي والرموز ذات الطابع الأمازيغي المبرزة في هذا اليوم عادات وتقاليد مجتمعنا كمناسبة اجتماعية وثقافية تزخر بها الجزائر. أما بالنسبة للأمازيغ خاصة الشاوية القانطين في مجتمع الدراسة فنجد العائلات يستقبلون هذا بتحضير "الشرشم" منذ صبيحة اليوم، وفي المساء تطبخ أكلة معينة وتتمثل في الشخشوخة أو الكسكس للعشاء، كما جرت العادة أن تقوم ربات البيوت في عشاء هذه المناسبة كسكس "بربوشة" الذي تم تحضيره في نفس اليوم، وذلك لاعتقاد منهن أن عملية "الفتيل" في ذلك اليوم ستجلب الخير كما صرحت المبحوثة، وبعد الانتهاء من كل هذا يتبادل الجيران الأطباق فيما بينهم مع عبارات التهاني المتمثلة في "أسقاس أمقاس يناير أمبروك". وفي السهرة توضع ما يسمى بـ "الطمينة" و"الخلوط"، أي أن الطمينة تحضر من الدقيق المتوسط المحمص والمخلوط مع التمر أي "الغرس" المرحي هذا من ناحية، والخلوط الذي هو عبارة عن مزيج من الحلويات والمكسرات من ناحية أخرى للتحلية كتجسيد للعادات وما تم التعارف عليه وتبادل عبارات التهاني والمباركة بحلول السنة الجديدة والمتمثلة في "أسقاس أمقاس" "يناير أمبروك" وكل عام وأنتم بخير وبركة. فهاته المناسبة حسب أفراد مجتمع البحث لم تكن معروفة عند السابقين من العرب أي عند الأجداد والكبار، إلا أنها مناسبة مستحدثة ومتعارف عليها من خلال الحث عليها على وسائل التواصل الاجتماعي وتشجيع عليها في المؤسسات التربوية، وإعطاء القيمة لها أكثر عما كان سابقاً حفاظاً على هذا التراث.

الفصل الخامس: رمزية الهدية ودلالاتها في المناسبات الثقافية

ثالثاً: عيد الميلاد

يحتفل الناس بالعديد من المناسبات خلال حياتهم، ومن بينها نجد حفلات أعياد الميلاد، التي أصبحت شائعة كثيراً في الوقت الحاضر خاصة بالنسبة لأعياد الأطفال إذ تعتبر هذه الحفلات سنوية ذات قيمة كبيرة في حياة أصحابها، حيث تجري فيها العديد من التحضيرات والفعاليات والأحداث، يتم فيها إعداد والكعك وتحضير المشروبات المختلفة، كما يتم فيها تبادل الهدايا.

وعليه فقد كان الاحتفال بأعياد الميلاد من المسائل المحسومة بالتحريم الديني، وبالتالي بالرفض الاجتماعي، إلا أننا نلاحظ انتشاره مؤخراً في العديد من العائلات الجزائرية بصفة عامة، وصار كثير منه يتشبه بذلك من خلال ما يتم مشاهدته في التلفاز والإنترنت ومواقع التواصل الاجتماعي، وذلك من خلال إضفاء جو من السعادة والفرح بذلك اليوم من خلال ما يركز عليه من تحضيرات تستوجب على المقربين من الأهل والأحباب وخاصة الأسرة أو العائلة الصغيرة تقديم الهدية بعد انتهاء الفعاليات.

فما يلاحظ في مجتمع البحث هو استحداث هاته الأخيرة أي الاحتفال بأعياد الميلاد باعتباره ينافي الدين الإسلامي، لكن بحكم الانفتاح المنتشر وتأثير الوسائل التكنولوجية أصبحت الفكرة تدور بين الكبير والصغير وكل يعرفها، حتى ولو كان تطبيقها يقتصر على بعض الأفراد والعائلات دون غيرها من العائلات الأخرى، والغاية من ذلك حسب ما ورد هو إعطاء قيمة للشخص المعني والاهتمام به أكثر..

وعليه يحتفل الأفراد بيوم ميلادهم من كل سنة حيث يعتبرونه من الأيام الخاصة والمميزة عن بقية الأيام الأخرى كونه يترجم يوم خروجهم لهذه الدنيا ومنحهم انطلاقة وبداية الحياة. حيث أن كل منهم كيف يحتفل بهذه المناسبة، فهناك من يحضر كعكة بهذه المناسبة أو حفلة صغيرة مع الأسرة، لكن المتفق عليه شراء كعكة أو طرطة أو صنعها في المنزل والاحتفال بها وسط الأهل بإقامة سهرة تضم أفراد العائلة هذا من جهة، ومن جهة أخرى هناك من يكتفي بأكل شيء حلو باعتباره فال خير " .. نبداها بحاجة حلوة تحلي الأيام الجاية..". أما بالنسبة للبعض من البنات يقمن بعزيمة صديقاتهم كما تقول المبحوثة (أ.ل) "تعيط لصحاباتي يفرحو معايا" حيث يحضرن المشروبات وبعض المكسرات وغيرها... وبغناء الأغنية المعروفة بيننا "عيد ميلاد سعيد" باللغتين العربية والأجنبية، فيطفأ صاحب الميلاد شمعته بعد تمني

الفصل الخامس: رمزية الهدية ودلالاتها في المناسبات الثقافية

الأمنية التي في قلبه، وما ستبقى الا تقطيع الكعكة وتوزيعها على الحضور وتكملة السهرة على هذا المنوال.

فالاحتفال بعيد الميلاد حسب ما قيل حتى بمجرد تحضير شيء حلوة - حتى لو كانت مسكوتشو - تكفي أنو تفكروني.."، وبعد هذه الممارسة بالضبط تقدم نوعان من الهدية الأولى بمثابة تهنئة بقولهم "ربي يطول في عمرك" أو "طوالت العمر"، والثانية تتمثل بتقديم الهدية الرمزية وهنا يدخل عامل السن والنوع الاجتماعي (الجندر) فإذا كان طفلا سيقدم له الألعاب وان كان متمدرسا سيحظى بالألعاب الالكترونية ك"لوح طابلات"، "بلاي ستايشن" ... وان كانت شابة أو شابا في مقتبل العمر تقدم له الهدية على شكل ملابس كان يريدها سابقا، عطر، ساعة، خاتم، اسوارة، كتاب...، فالهدية هنا تختلف حسب طبيعة العلاقة أيضا.

ولا يمكننا نسيان نقطة أساسية التي لا يمكن نكرانها وهي أنه هناك من في مجتمعنا حسب مقابلي هاته من ينكر هذه المناسبة كونها بدعة ولها علاقة بالتشبه بالغرب والمسيحيين.

لكن ما نراه نحن أنه عند القيام بهذا الاحتفال سنجتمع بين أفراد العائلة في ممارسته، وكذا الأصدقاء حتى وان كانوا بعيدين فبمجرد ارسال رسالة نصية أو صوتية على مواقع التواصل الاجتماعي مثلما يلاحظ في الوقت الحالي من خلال صفحة الفيسبوك حيث يتم التذكير بمناسبة عيد الميلاد وتقديم التهنئة من خلالها. يترك شعور بالفرحة والسرور في نفسية متلقيها، والأهم حسب آراء العديد من أفراد المجتمع ومعايشتي لها أنها لا تنتهك حرمة الدين والأساس في ذلك طريقة وكيفية تبني وتجسيد تلك الفكرة، لأن الهدف في أصله أسمى من أن يكون إتباع لغير التعاليم الدينية أو المجتمعية الأخلاقية، والهدية هنا تمثل مدى قيمة ومكانة الشخص المعني بذلك.

الفصل الخامس: رمزية الهدية ودلالاتها في المناسبات الثقافية

رابعاً: عيد الأم

إن عيد الأم هو واحد من الأعياد المعروفة والمتفق عليها، أي التي يتفق على الاحتفال بها شعوب الأرض بأكملها، وهو يوم يتم فيه تقديم الهدايا وتقديم أسمى أشكال الشكر والامتنان للأمهات على العطاء والبذل الكبير الذي تقدمه الأم للأبناء في التربية والتنشئة، وجدير بالقول أن هذا العيد مدرج بشكل رسمي في قائمة المناسبات للدولة التي يتم الاحتفال بها في كل عام ميلادي في جميع أنحاء العالم، وهو من الأعياد المعترف بها في هيئة الأمم المتحدة، أما فيما يتعلق بتاريخ عيد الأم فيختلف موعد هذا العيد بين شعب وآخر ودولة وأخرى، ففي البلاد العربية يتم الاحتفال بهذا اليوم في يوم الحادي والعشرين من شهر مارس آذار من كل عام، في حين يتم الاحتفال به في بلاد أخرى في شهر إبريل أو شهر مايو أو شهر ديسمبر وغير ذلك.

إن الاحتفال بعيد الأم يكتسي أهمية كبيرة عند الأمهات والأبناء، حيث يعتبر موعداً استثنائياً لكليهما. فالأم تكتشف من خلاله مدى محبة أبنائها لها وتقديرهم لتضحياتها من أجلهم والأبناء يعتبرون هذا العيد فرصة هامة للعرفان بجميل أمهاتهم وتأكيدهم على محبتهم والرغبة في إرضائهم وإدخال البهجة على قلوبهم.

فهناك من يرى أن تقديم الهدية في عيد الأم " تفرح بها الأم وترفع من معنوياتها". فالأم هي أعز مخلوق لدى الأبناء صغاراً وكباراً وهذا ما يدفعهم إلى ادخار مبالغ مالية حتى لو كانت بسيطة لشراء هدية تكون رمزية، لكنها تدل على الحب والاحترام.

حيث أن أهمية تذكر الأم بهدية ولو كانت رمزية تدخل البهجة والفرحة على قلب الأم، لرؤية ابتسامة الرضا على وجهها. فمن بين الهدايا المحببة في عيد الأمهات تكون من الأشياء التي تمتلكها الأم في المنزل سواء كانت من أدوات المطبخ أو الزينة مثلاً.

فالحرص على الاحتفال بهذه المناسبة يكون في الغالب بين الأبناء أو الأخوة الذين يشترون هدايا مختلفة بدورهم للوالدة حتى تحس بالفرح وقيمة الأبناء في حياة الإنسان.

الفصل الخامس: رمزية الهدية ودلالاتها في المناسبات الثقافية

وهناك من يرى بأن الأم لا تحتاج إلى يوم محدد حتى يعترف أبنائها بقيمتها في حياتهم، ويؤكدون أن الابن الذي يحب والدته ويعترف بجميلها ويقدر ما تقوم به من أجله لا ينتظر يوما بعينه ليقوم بكل ذلك وإنما يستطيع في كل لحظة وفي كل مناسبة التعبير عن حبه واحترامه لها.

ويرى آخر أن النجاح والاجتهاد في الدراسة يعتبر أحسن هدية يقدمها لوالدته. حيث أن أهم هدية بالنسبة للأم هي النجاح في الدراسة والحصول على معدل جيد يجعل الأم تتفخر بأبنائها لكونهم متميزين مما يجعلها معتزة بهم. فمناسبة عيد الأم تعتبر لدى المثير من الأمهات فرصة لقياس مدى محبة أبنائهن لهن ومدى التقدير الذي يقدمنه من أجلهم.

وعليه يرجع الفضل في وجود عيد الاحتفال بالأمهات إلى الآتي: امرأة تنحدر من أصول أمريكية تدعى أنا جارفيس، إلا أن الفكرة بدأت في الحقيقة منذ عام 1872. ففي تلك السنة اقترحت المؤلفة جوليا وورد هوي أمريكية الجنسية اعتماد هذا العيد الوطني، ولم يكن الهدف الأصلي الاحتفال بالأمهات بقدر ما كان سعيها وجود طريقة للترويح عن الناس من مخلفات الحرب الأهلية الأمريكية آنذاك، والتي كانت قد انتهت منذ سنوات قليلة.

والاحتفال الأول بعيد الأم حدث في عام 1908، وذلك عندما أقامت فتاة تدعى أنا جارفيس بتخليد ذكرى لوالدتها في الولايات المتحدة الأمريكية، فاخترت هذا اليوم، وبعد ذلك بدأت فكرة عيد الأم تنتشر في البلاد، وكانت الفكرة في مجد نجاحها عام 1914 إلا أنها كانت سرعان ما قل الاهتمام بها في عام 1920، وذلك لأنهم اتهموها بأنها فعلت ذلك من أجل التجارة وربح المال، واعتمدت المدن آنذاك عيد أنا جارفيس واصب حالان يحتفل به في العالم بأسره.

وفي هذا الصدد يقوم كل فرد من أفراد العائلة بتقديم هدية لأمه. أعلن الرئيس الأمريكي ويلسون في عام 1914 عن تحويل عيد الأم إلى عطلة وطنية رسمية في دولة أمريكا، وانتشر بعدها هذا العيد ليصل إلى معظم بلدان العالم إذ أصبح تقليدا رسميا.

فهناك معان عديدة في عيد الأم مرتبطة بأحداث مختلفة، سواء كانت تاريخية أو دينية، وتحتفل الكثير من الدول بهذا اليوم، وذلك بتخصيص تاريخ محدد لهذا اليوم بما يتناسب مع أوضاعها، ويجدر الذكر أن

الفصل الخامس: رمزية الهدية ودلالاتها في المناسبات الثقافية

معظم الأبناء يقومون في هذا العيد بزيارة أمهاتهم وإرسال الزهور والهدايا لهن تعبيراً عن مكانتها في نفوسهم.

فهو عبارة عن ذكرى سنوية تقام بأوقات مختلفة كثيرة من السنة تكريماً واحتفاءً بالأمهات، هذا الاحتفال يعمل على تقوية علاقة الأم بأبنائها ويقوي الروابط الأسرية، ويتميز هذا اليوم بالعديد من الاحتفالات العائلية. حيث لا شيء يكافئ تعب وصبر الأم وتحملها عبء الحمل والولادة والتربية، لكن قد نستطيع عن طريق تقديم الهدايا أن نعبر عن جزء مما يستحقه امتناناً لدورها العظيم في حياتنا.

فمفهوم وقيمة الهدية التي تقدم للأم سواء كان بمناسبة أو غيرها، في الماضي يرتكز على البساطة كبساطة أنفسهن ومعيشتهن، ولكن اليوم اختلفت هذه المفاهيم بجميع قواعدها، فالتباهي والتفاخر والمنافسة طغت على معنى الهدية الحقيقي.

فقد نجد البعض يخصص مبالغ باهضة لتقديم هدية معينة قد لا تكون مبنية على مطلب. بينما في المقابل نستطيع تقديم هدايا للأمهات توائم احتياجاتهن، فهناك أمهات تهوى وتعشق المطبخ والطبخ، قد نأتي لها بهدية مناسبة تعينها على الطبخ كإدوات وآلات حديثة للمطبخ، ومن المعروف أن المجوهرات هي الأقرب إليهن.

مهما اختلف المكان أو الزمان فمن المناسب تقديم هدية لهن كقطعة من الذهب أو المجوهرات، وفق الإمكانيات المتاحة دون تكلف، أو يشترك عدة أبناء في تقديم الهدية مع باقة من الورد. كذلك لا بد عند اختيار الهدية التي سوف نقدمها لأمهاتنا أن نراعي ماذا يفضلن، كذلك مراعاة أعمارهن، لأن ذلك سيفرق عند اختيار الهدية ونوعها.

فالأم لا تتطلع إلى قيمة الهدية المادية التي يقدمها لها الأبناء في عيد الأم تقديراً لعطائها، فدائماً ترى أن أي هدية تقدم لها من أبنائها هي أثنى ما تتلقاه من هدايا والأعز على قلبها.

ويعتبر عيد الأم من المناسبات المستحدثة في مجتمعنا، تحتل به بعض العائلات لتكريم أمهاتهم كون للأم مكانة خاصة عند أولادها وعلى المجتمع. فتعود فكرة عيد الأم للأنسة الأمريكية أنا جارفيس التي كانت شديدة الارتباط بوالدتها، وبعد وفاة هذه الوالدة بسنتين بدأت أنا حملة واسعة شملت رجال الأعمال،

الفصل الخامس: رمزية الهدية ودلالاتها في المناسبات الثقافية

رجال الكونغرس، لإعلان يوم عيد الأم إجازة رسمية في الولايات الأمريكية لأنها كانت أملك شعور بأن الأطفال لا يقدرّون فضل الأمهات في حياتهم، وكانت تأمل بأن تزيد هذه المناسبة من تقوية الروابط العائلية المفقودة.¹

فكما هو ملاحظ انه في السابق لم يكن هناك معرفة بهذا الموضوع، ولم يكن أغلب أفراد المجتمع يعرفون بهذا اليوم ويقدمون فيه هدايا بحكم عدم اطلاع الكثير، الا أن هذا لا ينفي قولهم بأن الأم لا تحتاج وقتا معيناً لتقديم هدية، فالأيام كلها متاحة لذلك، كما أن مفهوم الهدية حسب ما قيل في نظر الأم هو طاعتها وحسن البر بها وهذا ما نلاحظه موجود عند الغالبية، حيث أن ثقافة وعقلية مجتمع البحث تنطوي وراء فكرة الخجل بين الكثير من الأمهات والأبناء في البوح بمدى حبهم للوالدة وعكس ذلك بتقديم هدية، حيث قيل في سياق ذلك "مميّتي رغم أنني نحبها ونعزها بصح جامي جات في بالي نعطيها كادو.."، ومن جهة أخرى قيل "نتمنى يجي نهار يكون عندي ونهدي مميّتي، هديتي ليها ضركا أنني نعاونها ونسمع كلمتها..".

وعليه نجد أن الأفراد ذو المستوى التعليمي والثقافي العالي هم من يعيرون اهتمام لهذه المناسبة فلا تقتصر الهدية عندهم بالتهنئة ك "عام سعيد" أو "كل عام وأنت بخير"، بل ترتقي للوصول إلى هدايا ذات قيمة تتمثل في كعكة، عطر، فستان، ساعة، باقة مشكّلة من الورود والشوكولاتة...

¹ محمد صالح المنجد، "عيد الأم نبذة تاريخية"، تصفح يوم 2022/07/20، على الساعة: 30: 21.

الفصل الخامس: رمزية الهدية ودلالاتها في المناسبات الثقافية

خامسا: عيد المرأة

يصادف اليوم العالمي للمرأة تاريخ الثامن من شهر مارس، وهو عطلة وطنية في العديد من البلدان، ويقام تكريما لإنجازات المرأة، وتعزيزا لحقوقها، وقد اعتمد هذا اليوم من قبل الأمم المتحدة منذ عام 1975م، حيث ظهر في مطلع القرن العشرين في كل من أمريكا الشمالية وأوروبا، ومنذ ذلك الوقت أصبح يوم المرأة تاريخا عالميا خاصا بالنساء في جميع بلدان العالم.

حيث عقد أول يوم وطني للمرأة في عام 1909م من قبل أحد الأحزاب الأمريكية، وذلك في حملة من أجل منح النساء حق التصويت، ثم انتشر في جميع أنحاء الولايات المتحدة الأمريكية، وفي عام 1910م وافق المؤتمر الدولي بتشجيع من ناشطة ألمانية على جعله عطلة رسمية في الولايات المتحدة، وفي تاريخ 19 مارس من عام 1911م عقد أول يوم عالمي للمرأة في النمسا والدنمارك وألمانيا وسويسرا، وقد حضر ما يزيد عن مليون شخص مسيرات بمناسبة هذا اليوم، وفي السنوات التي تلت ذلك تم الاحتفال بيوم المرأة العالمي في العديد من البلدان الأخرى وفي تواريخ مختلفة، ثم في عام 1921م تغير تاريخه رسميا للثامن من مارس.

وعليه يعد يوم المرأة العالمي مناسبة يحتفل فيها بالتقدم نحو ضمان حق المرأة في المساواة في جميع أنحاء العالم، بالإضافة إلى تمكينها والاعتراف بإنجازاتها، ولهذا تهتم المنظمات العالمية مثل اليونسكو في تعزيز جميع المجالات التي من شأنها تحقيق المساواة بين الجنسين. والى جانب ذلك أصدر ميثاق الأمم المتحدة في عام 1945م، وهو أول اتفاق دولي يؤكد على مبدأ المساواة بين المرأة والرجل، ومنذ ذلك الوقت ساهمت الأمم المتحدة بوضع الاستراتيجيات والمعايير والأهداف المنفق عليها دوليا من أجل النهوض بوضع المرأة في جميع أنحاء العالم.

كما يساعد اليوم العالمي للمرأة في تحديد الانجازات للكثير من النساء والاحتفال بها وزيادة إبرازها في تحقيق المساواة، كما يمكن أن يساعد في زيادة الوعي والعمل على تحقيق التوازن بين المرأة وتحديات الحياة. فالمرأة مهما تبدلت أدوارها تظل أحد أهم ركائز تطور المجتمعات وتحضرها.

الفصل الخامس: رمزية الهدية ودلالاتها في المناسبات الثقافية

وهناك ألوان خاصة تدل على اليوم العالمي للمرأة تتمثل في: تعد اللون الأرجواني رمزا للنساء على المستوى العالمي، وفي نفس الوقت يرمز المزيج المكون من اللون الأرجواني والأخضر والأبيض إلى حق المرأة في المساواة، وقد أقر هذا التركيب اللوني الاتحاد الاجتماعي والسياسي للمرأة في المملكة المتحدة في عام 1908م، إذ يدل الأرجواني على العدالة والكرامة، فيما يرمز اللون الأخضر للأمل، أما اللون الأبيض فيمثل رمزا للنقاء.

تحتفل الدول العربية باليوم العالمي للمرأة وهو يعتبر يوم مهم يشبه الاحتفال بعيد الأم إلا أنه يخص العاملات بصفة خاصة. يتم الاحتفال بإقامة الحفلات الغنائية الخاصة بالمرأة أو تقديم بعض المميزات لها في العمل أو المواصلات العامة. قد تشمل الاحتفالات في بعض الدول مثل المغرب بارتداء الزي المعروف وهو الجلابيب التي تحمل شعارات مناهضة لكل ما يؤدي المرأة. وفي بعض الدول العربية يتخذ الاحتفال شكل الندوات الأدبية مثل إلقاء الشعر والتعريف بالقصص الإنسانية الخاصة بالمرأة ومواقفها المختلفة.

ويظهر عيد المرأة في المجتمع الجزائري عامة ومجتمع البحث خاصة من خلال اهتمام العديد من الأفراد بهذه المناسبة والاعتراف بدور الأم في حياته من خلال شراء هدية كل حسب إمكانياته وقدراته الشرائية ومفاجأة الأم بها ورؤية الفرحة على وجهها هذا من ناحية الأبناء أو الزوج، كما يظهر الاهتمام بها في مختلف المؤسسات حيث تقام فيها حفلات سواء على مستوى المدارس أو الجامعات أو الشركات وغيرها، حيث تكرم المرأة بهدايا تكريمية وتقدم لها شهادات على ذلك، كما ويخصص نصف يوم عطلة لكافة النساء العاملات تكريما لهن في هذا اليوم وعرفانا بدورهم في الحياة سواء في الداخل أو في الخارج.

الفصل الخامس: رمزية الهدية ودلالاتها في المناسبات الثقافية

سادسا: عيد الحب

الحب هو مفهوم إنساني يعرفه الإنسان في كل مكان، لكن الحب في تعريفه الغربي المعاصر الذي يجعله علاقة بين اثنين متساويين، ليس المفهوم الذي نجده، كما يقول الباحث الياباني في أدب اليابان السابق لتأثرها بالغرب. ففي اليابان يحدث الحب بين رجل وعشيقة وليس بين زوج وزوجة، فلذلك وصف آخر. وفي الغرب اليوم توصف العلاقة الجنسية بممارسة للحب.¹

فهذا المفهوم يحصر الحب في مجال ضيق ينظر له من زاوية غربية أكثر منه مجتمعات عربية، فالحب اليوم ليس شرطا أن يكون بين اثنين، فالمفهوم المقصود في التعريف الغربي المعاصر ليس بالضرورة أن يكون هو المقصود، وهذا ما يمكن النظر إليه من زاوية ضيقة، بل لابد أن ينطبق في مجاله الواسع المرتبط بالعديد من العلاقات الموجودة في المجتمع سواء من ناحية ضيقة أو من زاوية أبعد من ناحية التعامل والارتباط.

فمفهومه في الأساس وبروزه كفكرة هو عيد روماني جاهلي، استمر الاحتفال به حتى بعد دخول الرومان في النصرانية، وارتبط العيد بالقس المعروف باسم فالنتين الذي حكم عليه بالإعدام في 14 فبراير عام 270 ميلادي، ولا زال هذا العيد يحتفل به الكفار، ويشيعون فيه الفاحشة والمنكر.²

من خلال هذا الأخير الذي لا يمكن إسقاطه على طبيعة مجتمعاتنا والمنطلقات القائم عليها المجتمع التي تتفي أخذ المفهوم كما ظهر وتطبيقه، وإنما الاكتفاء بمعنى الكلمة وتجسيدها في تعاملاتنا وحياتنا.

فكلمة حب تحمل العديد من الدلالات الجميلة، فهي ترمز إلى المودة والصلة. حيث أن الاحتفال بعيد الحب وغيره من المناسبات يفرض نفسه في مجتمعنا، حيث ترتبط كل من هذه المناسبات بأحداث عالمية

¹ سعد البازعي، الاختلاف الثقافي وثقافة الاختلاف، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، 2008، ص63.

² هداية، عيد الحب، المكتب التعاوني للدعوة والإرشاد وتوعية الجاليات في الخير، أبراج الكورنيش.

الفصل الخامس: رمزية الهدية ودلالاتها في المناسبات الثقافية

يقال أنها تستحق الاهتمام. وهو الخاتم الذي يبصم نفسه على القلب وهو في قوته كالموت، وهو الطريقة الوحيدة التي يدرك بها الإنسان كائنًا إنسانيًا آخرًا في أعماق أغوار شخصية.¹

إذ يحتفل العالم في الرابع عشر من فيفري بعيد الحب، أو يوم القديس فلانتين، وهو مناسبة يحتفل بها الكثير من الناس بصفة عامة، وبالتحديد أو الخصوص العشاق، حيث يختص هذا اليوم بالمحبين للتعبير فيه عن حبه لبعضهم البعض عن طريق ارسال الهدايا أو إهداء باقات الورود والزهور وغيرها من المظاهر. فقد أصبح من الأعياد المشهود لها بانتشارها حول العالم في مختلف المجتمعات، إذ يتبادل فيها العشاق والمحبون الهدايا ورسائل الحب وغيرها من الرموز الجميلة التي تدل على صدق محبتهم وإخلاصهم، رغم كثرة الأقوال التي توضح أن الحب لا يعد مناسبة للاحتفال ولا يوماً للعيد بل هو حالة شعورية ترتبط بالأشخاص طوال الوقت.

هناك مجموعة من الروايات تتحدث عن نشأة عيد الحب أو الفلانتين، ولكن أشهرها وأقدمها تتحدث عن العصر الروماني وحكم الإمبراطور كلاديوس في نهاية القرن الثالث الميلادي، وذلك عندما كانت روما في حالة حرب آنذاك، حيث كان أغلبية الجنود المتزوجين يتكاسلون عن المشاركة في الحرب، فقرر الملك منع الزواج نهائياً، ولقى هذا القرار الكثير من الاعتراضات لدى الكثير من الناس ومن ضمنهم قس يدعى فالنتين، فقرر ترتيب أمور الزواج للشباب سرا، حتى علم كلاديوس بذلك، فأمر بإعدامه يوم 14 فيفري عام 270م، وأصبح هذا اليوم عيداً للحب تخليداً لجهوده وتضحيته بحياته ضد اضطهاد الإمبراطور ورفع راية الحب.

كما تروي إحدى أن القس فالنتين حين كان داخل سجنه وقع في غرام ابنة أحد الحراس، وحين علم به الملك كلاديوس أصدر حكم الإعدام ضده، وكانت هذه بداية نشأة هذا العيد الذي سمي فيما بعد باسم القس فالنتين. واصله أن راهبا سجن فعشق ابنة سجانته وكان يرسلها سرا ثم افتضح أمره فقتل، فصار رمزا للحب، أو انه عارض قرار ملك روما لما منع زواج الفتیان بالفتيات لإجبار الفتیان على القتال، فقرر

¹ فيكتور فرانكل، الإنسان يبحث عن المعنى - مقدمة في العلاج بالمعنى التسامي بالنفس، ترجمة: طلعت منصور، دار القلم، الكويت، 1982، ص148.

الفصل الخامس: رمزية الهدية ودلالاتها في المناسبات الثقافية

الملك إعدامه لعصيان الأوامر وصار اليوم موعودا سنويا للفجور والزنا والخلاعة باسم الحب والورود والقلوب الحمراء.

كما تقول إحدى القصص أن نشأة الفالنتين عندما كان القس فالنتاين أول شخص يرسل رسالة بكلمات رقيقة ورومانسية إلى زوجته وابنه، إذ كانت الرسالة مكتوبة بكلمات تتفجر بمشاعر وأحاسيس الحب.

فذكر هاته الروايات الغرض منه معرفة أصل ظهور الشيء أو الموضوع فقط، وهذا لا يعني إطلاقا كما ذكرت سابقا تجسيده بذلك المنطلق وإحيائه بتلك الخلفية التي لا تنطبق على مجتمعاتنا، وإنما التركيز على معنى الشيء وأثره على نفس الإنسان مهما كانت طبيعة علاقته.

ولعيد الحب مراحل في مختلف العصور تتمثل في:

في عام 1400م من العصور الوسطى، تم إقامة محكمة عليا للنظر في شؤون الحب والمحبين في باريس، وعرضت على المحكمة قضايا عهود الزواج والخيانة والعنف الذي يتم ارتكابه ضد المرأة، وكان القضاة يتم اختيارهم بواسطة السيدات على أساس قراءة الشعر. وفي الأربعينيات من القرن التاسع عشر، أصبح يوم القديس فالنتين عطلة قومية في البلاد، على الرغم أنه لم يكن ذلك في الماضي وتم إصدار بطاقات لعيد الحب بأعداد كبيرة من الورق المزين بزخارف الدانتيل لأول مرة عام 1847م في الولايات المتحدة الأمريكية، وتعددت بطاقات المعايدة منذ ذلك الوقت. وتتضمن رموز الاحتفال بعيد الحب في العصر الحديث رسومات على شكل قلوب وطيور الحمام، فضلا عن بطاقات المعايدة والهدايا الحمراء.

ومنذ القرن الثالث ميلادي إلى اليوم أصبح عيدا للحب يحتفل به المرتبطون عاطفيا والأزواج بكل العالم كل حسب طريقته.

تقول إحداهن قائلة: (منذ صغري وأنا احتفل بهذا العيد"، فالمسألة رمزية بالأساس ولا علاقة لها بالدلالات الدينية والثقافية التي يعيها البعض). وتقول أخرى: (عيد الحب فرصة للتعبير عن العواطف اتجاه الطرف الآخر).

الفصل الخامس: رمزية الهدية ودلالاتها في المناسبات الثقافية

في حين أكد البعض عن رفضهم لهذه العادة باعتبارها دخيلة عن مجتمعنا. وبعض الشباب ابدوا عدم اهتمامهم بهذا التقليد الغربي الذي لا يمت بصلة لديننا، وقالت أخرى " أن عيد الحب من الثقافات التي في هذا العصر".

وأخرى " إن عيد الحب مناسبة جد مهمة بالنسبة لي باعتبارها تبرز مدى اهتمام الآخر بي لان الرجل في مجتمعنا لا يعبر عن عواطفه" حيث أن طقوس الاحتفال تتمثل في جولة أو نزهة أو غداء وتبادل أطراف الحديث والهدايا.

وتقول أخرى " أن الحب بالنسبة لها يكون للزوج فقط، حيث أن الاحتفالات بين غير المتزوجين تعتبر تصرفات طائشة يمتاز بها المراهقين حيث لا يدركون ماهو الحب الحقيقي".

تقول: " إن لهدية عيد الحب قيمة كبيرة بالنسبة لي خاصة وان حبيبي مرتاح ماديا ومطالب بتقديم هدية غالية الثمن لان صديقاتي يتفاخرن بما يقدم لهن".

وهنا نذكر ببعض رموز عيد الحب الشائعة: عندما يقبل عيد الحب يأتي معه الاهتمام الملفت بالهدايا تعبيرا عن الحب وتقوية للرابطة العاطفية، والتي تتمثل في:

- القلب: كان يعتقد قديما بأن القلب هو مصدر كل العواطف ولكنه اقتزن بعدها بعاطفة الحب فقط.

- الورود الحمراء: يعتقد بأنها الورود المفضلة لدى اله الحب الروماني فينيس، هذا بالإضافة إلى أن اللون الأحمر يرمز إلى الأحاسيس والمشاعر القوية. وهي الهدية القديمة والمتجددة دوما مهما كان لونها خاصة منها الأحمر باعتبارها كفيلا ببث الحب في أوصال العلاقة من جديد.

- بطاقات المعايدة والحلوى خاصة الشوكولاتة باعتبارها تعبر عن الدفء وهي من أكثر الحلويات المستهلكة في هذا اليوم.

- الزهور والهدايا المختلفة سواء كانت عطور أو ملابس أو هدايا رمزية..الخ.

- الأغاني: حين يكون الشخص بعيدا ويتعذر إهداء المحبين أشياء مميزة، فهناك من يختار إهداء الأغاني.

الفصل الخامس: رمزية الهدية ودلالاتها في المناسبات الثقافية

- الدعوة على العشاء: من خلال اختيار مطعما مناسباً لعيد الحب.

رغم اختلاف الآراء حول عيد الحب وكيفية الاحتفال به، فما يهم هو طريقة فهم الناس للحب، حيث في الغالب يربطونه بالجنس الآخر، فمعاني الحب اشمل وأرقى من أن يحدد بيوم احتفال. فمناسبة عيد الحب تستدعي أو تمثل هدية ذات قيمة معنوية ورمزية مفعمة بالحب والتواصل.

تحتفل فئة واسعة في كل سنة بما يسمى "الفالنتاين داي" أو "عيد الحب" أو "عيد العشاق"، حول أنه احتفال يجرد الأشخاص من هوياتهم خاصة وأن هذه المناسبة في حد ذاتها هي من "ثقافة مسيحية". وحسب بعض الآراء الدينية حيث أن الحب ليس حرام شرط "عدم الخروج عن الأخلاق" حيث يدعو إلى نشر المحبة بين الناس. ويكون التعبير عن مشاعر الحب في مثل هذا اليوم إما بإهداء باقات الزهور أو الشوكولاتة أو بطاقات المعايدة وغيرها كل حسب إمكانياته. كما يرى البعض أن الحب لا يمكن أن يخصص له يوم فهو يعد تبادل للمشاعر لا وقت محدد له.

فالاحتفال بعيد الحب سببه تطور التكنولوجيا والإعلام والانفتاح على الثقافات الأخرى وشبكات التواصل الاجتماعي ما أدى إلى استبطان بعض الثقافات الأخرى كعيد الحب وغيرها من المناسبات والتي إن كانت لا علاقة لها بثقافة العالم العربي الإسلامي إلا أننا اليوم في عالم "متتاقف" والحدود انتهت امام التطور التكنولوجي وأصبح الجميع يعيش في محيط إعلامي لا حدود له، حيث أصبح المجتمع بمختلف انتماءاته يعيش مرحلة "الثقافة المفتوحة".

فالاحتفال بعيد الحب له رمزية تتمثل في الاحتفال بالعلاقات الاجتماعية التي من أنبلها الحب، مؤكداً أن الاحتفال بهذه المناسبة ليست ظاهرة منفصلة عن الواقع الذي نعيشه بل هي ظاهرة طبيعية. فالإنسان له ثقافة متطورة مع المعيشة اليومية بعيد المعاني التي نأخذها من غيرنا، كما أن الاحتفال بهذه المناسبة يوطد الروابط الاجتماعية ويطور ويحسن عيش المجتمع.

والاحتفال بعيد الحب يؤثر على العلاقات الثنائية بدرجة خاصة من خلال علاقات محدودة في فئة معينة في مرحلة الخطوبة أو الصداقة أو الزواج. فالاحتفال هذا فيه الهبة التي من شأنها تطوير العلاقة بين الأشخاص، حيث أن كل من يقدم هبة أكبر يؤكد انه متشبه بالشخص المقابل وبقيمة ذلك الشخص.

الفصل الخامس: رمزية الهدية ودلالاتها في المناسبات الثقافية

تحمل كلمة حب العديد من الدلالات الجميلة، فهي عالم من المودة والصلة والأنس ولهفة، أصبح الاحتفال بعيد الحب وغيره من المناسبات يفرض نفسه في مجتمعنا، حيث ترتبط كل من هذه المناسبات بأحداث عالمية.

فعيد الحب فرصة للتعبير عن العواطف التي تختلج صدره تجاه الطرف الثاني، في حين أكد البعض رفضهم لهذه العادة الدخيلة عن مجتمعنا. وأبدى العديد من الشباب عدم الاهتمام بهذا التقليد الغربي الذي لا يمت بصلة بديننا، والبعض الآخر يرى أن عيد الحب من الثقافات في هذا العصر.

تقول أحدهم: أن عيد الحب مناسبة جد مهمة بالنسبة لي فهي تبرز مدى اهتمام الطرف الآخر بي. وعن طقوس الاحتفال تؤكد أنها لا تتعدى فسحة، غداء وتبادل أطراف الحديث والهدايا.

فمفهوم الحب واسع جدا فهو يختلف من شخص لآخر بتفسيره، وكذلك بما يمكن أن يقدم فيه، وكذلك قد يرتبط بدرجة الحب وقوته سواء ما يقدمه من ناحية مادية أو عاطفية والتي قد يتحكم بها الوضع المالي الذي يحدد حجم الهدية المشتراة.

وعليه يحتفل العالم كل عام في 14 فبراير بعيد الحب، حيث يكون المناسبة الأشهر لكل شخص يريد التعبير للآخر عن حبه وارتباطه به، سواء كان شريك حياة أو صديقا أو حتى قريبا من الأسرة، لأن عيد الحب لا يقتصر فيه الاحتفال على الأزواج والمرتبطين فقط، بل هو تعبير عن الحب في حد ذاته، وأبرز ما يشغل تفكير الجميع في هذا اليوم هو البحث عن الهدية المناسبة التي تنال إعجاب الشخص الآخر.

فللهدية فيه أثر السحر في نفس من يتبادلها، فيها يعبر الإنسان عن وده وحبه وشكره وتقديره واحترامه للشخصية المهدي إليها. ويفضل أن يهدي الزوج زوجته في مناسبة أو من غير مناسبة وتكون مفاجئة حتى تزداد قيمتها لعدم توقعها.

وفي هذه المناسبة تكون الهدية بارزة أكثر بين الزوجين، حيث أن الهدية للزوجة لها اثر كبير في نفسها وتشعرها بأن زوجها لا ينساها وانه يقدرها ويحترمها، فإذا تبادل الأزواج الهدايا يكون لها طعم مختلف بين الزوجين وتكون غاية للتعبير عن أفضل المحبة والتقدير وتعكس قوة الحب بين الزوجين بأبسط الهدايا وتكون بهدية رمزية للتعبير عن الحب بينهما، فان الهدية المقدمة للزوجة تؤكد أنها رمز لتجديد الحب وان

الفصل الخامس: رمزية الهدية ودلالاتها في المناسبات الثقافية

الذي قدم الهدية لم يشعر بالملل من الشريك مهما طالت السنوات على الزواج، وأكد أن تأثير الهدية ليس بتمنيتها المادي بل ترتبط بتأثيرها بحسن اختيارها وإتقان تقديمها وبالرسالة التي تنقلها هذه الهدية.

فالهدية تعبير رومانسي عن الذوق والأخلاق والمشاعر النبيلة وكذلك هي رد الفعل الذي يعكس الشعور بالفرحة والامتنان والشكر على فعل الكرم والواجب الأخلاقي الإنساني الذي حصل عليه الفرد من الآخر، ولما كانت جوانب الإنسانية وأسس العلاقات الاجتماعية تشمل الكثير من التعاملات بالأخذ والعطاء ضمنا لاستمرار التواصل بين بني البشر، فإن المجاملات الطيبة هي شيء ضروري نمارسها أذا وردا في صورة الهدايا مع تبادل المشاعر الطيبة والتنهائي الحارة في مختلف المناسبات السارة والأليمة.

فنظرة المجتمع لهذا الموضوع أصبحت عادية ومطلوبة أكثر منه سابقا حيث يخلج نكره أمام الأفراد، ويجسد خفية، الا أن اليوم يلاحظ أنه يسأل عنه حيث قالت إحداهن.. "سقساتني ماما قالتلي واش جابلك راجلك كادو.." وبالتالي يتضح أن الأمر أصبح عاديا وتقديم الهدايا فيه أصبح ضروري عند الغالبية من الناس، ومنهم من تجدهم يتفاخرون بذلك وبالهدايا المقدمة لهم ومثال ذلك كلام الأخوات المتزوجات وتباهين كل ماذا كانت الهدية، وأيضا نجدها بين الصديقات تهدي كل منها هدية تتمثل في الغالب في شكولاتة كهدية رمزية تدل على الصداقة والمحبة، ومنها من توثق ذلك بشراء شكولاتة لنفسها بهذه المناسبة.. "نشرها ونهديها لنفسي، لي جاتهم كادو مش أحسن مني.."، بالإضافة إلى ملاحظة الهدايا الخاصة بهاته المناسبة تتوفر في المحلات في تلك الفترة ويروج لها لاقتنائها وإسعاد الآخر بها، ومن جانب آخر هناك هدايا يمكن القول عنها بهدايا وهمية رمزية كصور تبعث في مواقع التواصل الاجتماعي وأهمها الفيسبوك التي توثق هذه اللحظة وتهتم بها.

الفصل الخامس: رمزية الهدية ودلالاتها في المناسبات الثقافية

سابعاً: الضيافة والاستقبال

يعتبر مفهوم الضيافة في الغالب ما يرتبط بتبادل الهدايا، إذ تعد الضيافة ظاهرة اجتماعية ومؤسسة عامة تقترب بها جملة من الطقوس والنواميس تشمل الأعراف التي تلزم المضيف باستقبال الضيف وحمائته وتوفير الإقامة والمأكل له. وهي ظاهرة كونية تعود إلى المجتمعات البدائية.¹ أي أن هاته الظاهرة في المجتمعات الجزائرية عامة ومجتمع الدراسة خاصة لها قيمة التي تستوجب فيها الإحاطة بكل جوانبها حسب القدرة والإمكانات المتوفرة بطريقة لائقة ومرتبطة تتوفر على أفضل ما يوجد عند المستقبل والتي تنطوي في جانبها على جانب من التهادي المعنوي الذي يتجسد في تصرفات وأفعال بسيطة لها القيمة والأثر في مستقبلها.

فالضيافة في مجتمع البحث تعكس الكرم والجود الذي تتميز به الأفراد أو الأشخاص القائمين على الضيافة والتي تبدأ من الناحية المعنوية من خلال الكلام والترحيب بالضيوف كقول (مرحبا بكم)، (زارتنا بركة)، (نكسروا دبوس اليوم)، (يا زين من شافكم) وغيرها من الأقوال..، والتي تمثل شكل من أشكال الهدية المعنوية، أما بالنسبة للجانب المادي والذي تمثل في تقديم ما أمكن للترحيب بالضيوف من مشروبات ومأكولات والبعض يقدم هدايا بسيطة تكبيراً بمن زارهم وأتاهم.

وبالتالي فالضيافة هي تحصيل حاصل للزيارة، حيث أن هاته الأخيرة أي الزيارة هي مظهر من مظاهر العلاقات القرابية والاجتماعية التي تتجسد في تبادل الزيارات واللقاءات بين الأفراد، حيث أنها لا تمثل مجرد لقاءات فقط، وإنما غايتها هي السؤال والاطمئنان، والمحافظة على حبل الوصل بين الأقارب والأحباب حتى لا تنقطع صلة الرحم والتعارف بين أفرادها القرابية والاجتماعية التي تمثل شبكة من العلاقات بين أفرادها، والتي تسهم في تماسك الأفراد مع بعضهم البعض، كما أن الزيارات تؤدي وظيفة مهمة في تدعيم الروابط والعلاقات والمحافظة على استمرارها.

¹ عبد الكريم براهمي، الثابت والمتحول في طقوس الغذاء أثناء الضيافة - في المجتمع التونسي: مقاربة أنثروبولوجية، الثقافة الشعبية، العدد 36، السنة العاشرة، شتاء 2017، البحرين، ص-ص (60-64).

الفصل الخامس: رمزية الهدية ودلالاتها في المناسبات الثقافية

حيث أن الزيارات من أهم مؤشرات التواصل والاتصال القرابي والاجتماعي التي تعبر عن التضامن الأسري وقوة العلاقات الاجتماعية بين أفراد الوحدات القرابية والاجتماعية، ولقد شهد هذا المؤشر تطور موازاة مع التطور الذي عرفه المجتمع، حيث يرى "مالك بن نبي" أن أي مجتمع في طريق تغيير نفسه مشروط باكتمال شبكة علاقاته القرابية والاجتماعية بوصفها المهمة الأولى التي تحقق له توفير الصلات الضرورية بين عوالم الأشخاص والأفكار والأشياء.¹ أي أن المجتمع يتكون من علاقات ومعاملات بشرية واجتماعية سواء كانت قريبة وبعيدة، باعتبارها الأساس لتكملة باقي الصلات التي تحوي في جعبتها مختلف الظاهر المجتمعية والتي منها نجد الزيارة والضيافة والتي تجمع بينهما في الغالب تبادل الهدايا بصفته المعنوية ذات الدلالة الرمزية قبل منها مادية.

ففي منطقة الزيبان تمثل الزيارات عنصرا يشهد وجودا وحضورا، الا أنه شهد تناقضا وتراجعا مقارنة بالسابق، حيث أصبحت الزيارات تتم في أوقات معينة فقط في العطل الموسمية، ومدة الزيارة فيها أصبحت لا تتجاوز يوما واحد أو بضع ساعات فقط عكس ما كان في الماضي حيث تدوم الزيارة لأيام، ومن خلال هذا قالت إحداهن (قبل كنا روحو نهار بعد نهار، نهار علينا ونهار عليهم، وإذا فات يومين ما رحناش رانا ملاح)، وهذا راجع لظروف اجتماعية أخرى، حيث أن الغالبية العظمى منهم ترى أن الزيارات أصبحت شبه مغيبة بين كل من الأقارب الا في مناسبات معينة تستدعي الحضور، أما الزيارة للاطمئنان فأصبحت تشهد تراجعا كبيرا حيث قالت أخرى.. "هكا باش نبقاو عزاز خير..". بمعنى لما تكون هناك زيارة وضيافة تكون على رجب واسع أفضل، لأن كثر الزيارة والاستقبال يولد الملل والكره وهذا ما يعبر عنه المجتمع بقول "لا تكثر على الملوك حتى يملوك".

وأصبح الأفراد بالمنطقة ينظرون للزيارة ليست كرابطة حميمية بين الأفراد والأحباب، وإنما مراعاة لكلام الناس وأقوالهم بحيث قالت إحداهم (واش يقولو عليا الناس علاه راني مقطوعة من شجرة)، بمعنى الزيارة واجبة، وخاصة للأقارب، حيث هم بمثابة (لكتاف) كما قال احدهم.

¹ نورة خالد السعد، التغيير الاجتماعي في فكر مالك بن نبي، دراسة في بناء النظرية الاجتماعية، 1997، جدة، الدار السعودية للنشر والتوزيع، ص148.

الفصل الخامس: رمزية الهدية ودلالاتها في المناسبات الثقافية

فالزيارات اليوم أصبحت تتم بصورة متقطعة لفترات زمنية طويلة، وأصبحت كل عائلة تنتظر لتصرف العائلة الأخرى وذلك ما قيل (تحكلي نحلكك) بمعنى (إذا جيت وزرتني أنا نزورك وإذا أنت حاكم دارك حتى أنا ما نتحككش)، وقاطلي وحدة (يلي يروح بلا عرضة يقعد بلا فراش) وهذا يدل على أن الأقارب لم يبقوا كما كانوا في السابق، وحسب قولهم (كل واحد ولى يقرا الحيلة والنية تع بكري راحت مع ناس بكري). لكن هذا لا يمنع من وجودها ولو كانت بصورة بسيطة عن سابقتها، وعند مجيء احدهم للزيارة يفرحوا به، فعند غياب أحد الأقراب لفترة أو عند زيارة الأقارب والأحباب لبعضهم بعد مدة زمنية طويلة يستقبل بعبارات (زارتنا بركة)، (عاش من شافك)، (انكسروا دبوس اليوم)، (هذا وين تتفكرنا). فكل هذه الأقوال هي بمثابة دلالات رمزية الغاية منها العتاب وتعظيم مكانة الشخص في العائلة وبين أفرادها، بحيث يستعملها الأقارب للمحافظة على علاقاتهم القرابية وتوطيدها فيما بينهم، وهي عبارات تعكس مفهوم التهادي بجانبه المعنوي في نفسية الأفراد.

فالزيارات مازالت موجودة ومستمرة، لكن قيمة الزيارة في الماضي يختلف عما هو عليه اليوم، حيث أخذنا على كلمة واجب وحق، وانتست فكرة وقيمة الزيارة في حد ذاتها، ومن ذلك ما يقال (يا زين من زار وخفف)، وتقول إحدهن (يا بنيتي في هذا الزمان يلي جانا ما نزعكوه ويلي ماجاناش ما نعطوه، على خاطر لقراب ولاو كي البرانية، والبرانية خير في هذا الوقت). وكما قالوا ناس بكري (يلي باعك بيعو)، (ويلي فرت فيك ما تسال عليه). وهذا يعني أن الأقارب والأحباب صارت زيارتها قليلة ومتوقفة على شيء أو أمر معين. فالزيارات تقتصر على أمور كبيرة ومناسبات واجب الحضور فيها ضروري ولا بد منه، حيث أن الزيارة والاستقبال أصبح بقيمته أكثر وتأخذ فيه الكثير من الحسابات من خلال ضرورة أخذ هدية وعدم الدخول بيدين فارغين عكس ما كان في السابق حيث يتم العمل بها الا في الضرورات هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى الاستقبال والضيافة أصبح يأخذ الاهتمام الأكثر مبالغة تحت فكرة "عيب نحشم بروحي قدام ضيافي"، أي لا بد من توفير كل متطلبات الضيافة والاستقبال والتجليل والتكبير بالضيف وهي تأخذ مفهوم الهدية .

حيث تمثل أساس "اللمة" كما يقال وذلك من خلال اجتماع الأهل، وتكون عبارة عن سهرات ولقاءات، وفي المناسبات من أعياد وازدياد ونجاح ومجيء شخص قريب كان غائب.

الفصل الخامس: رمزية الهدية ودلالاتها في المناسبات الثقافية

وهذا راجع لطبيعة العلاقات اليوم شهدت تحولات وتغيرات في نوعية ونمطية التواصل بين الأفراد، ومع الانشغال الذي أصبح يطبع أغلب أفراد المجموعة القربية أو الاجتماعية أو غيرها مما صعب عليهم سهولة الذهاب إلى الأقارب والأحباب وزيارتهم، وتم تعويضها بالوسائل الاتصال الحديثة التي تسهل من عناء التواصل بين الأفراد وخاصة الأقارب واستمراره، حيث أصبح الهاتف يلعب الدور البارز في ذلك كما للإنترنت من دور أيضا، فالأفراد أصبحوا يتواصلون مع بعض بالهاتف أو الإنترنت لساعات سواء بالصوت أو بالصورة أيضا، مما سهل عملية التأقلم معها والحديث عن طريقها ففي إطار المكالمات تستعمل عبارات تعبيرية عن الشوق والحنين هذا من جهة ، ومن جهة أخرى هي عبارة عن مجرد مجاملة ومنها (عاش من سمع صوتك)، (هاذي غيبة)، وفي مقابلة مع إحدها قالت (مين دارولنا التليفون رجلي ثقلت وليت نسقسي بالتليفون وخلص).

يؤكد "عز الدين ذياب" في دراسته "أنثروبولوجيا الهاتف المحمول أو الجوال" على أن الهاتف زاد من وتيرة الاتصال بين الأفراد في المستويين الداخلي والخارجي، وعلى نحو خاص بين الأبناء والآباء والأقارب والأصدقاء، وساهم في تقوية روابط القرابة، وهياً الأسباب لصميمية التراحم والتعاطف.¹ فوسائل التواصل خففت من الزيارات وبالتالي التخفيف من الضيافة والاستقبال الذي أصبح يورق الكثير من العائلات لغلاء المعيشة وعدم قدرة الكثيرين على توفير المتطلبات اللازمة للتهادي بين الأحباب، والتي تدرج تحت مفهوم الخجل من عدم توفير أو إعطاء اللازم وتبادلته.

فرغم الأهمية التي تحظى بها وسائل الاتصال الحديثة في تسهيل التواصل بين الأفراد والأقارب إلا أن هذا زاد عن حده وأصبحت الزيارات في غالبها تقتصر على المناسبات وغم التواجد بنفس المنطقة والتقارب المجالي بينهم بسيط ف "الشيء إذا زاد عن حده انقلب إلى ضده".

فالعلاقات القربية والاجتماعية في الوقت الحالي تقوم على فكرة التمييز والتفضيل، وأصبح التواصل بين الأقارب يقوم على فكرة "وحدة بوحدة" بمعنى (إذا تجبني نجيك وإذا ما تجينيش حتى أنا ما نجيكش)، بغض النظر إذا كانت ذكر أو أنثى.

¹ عز الدين ذياب، أنثروبولوجيا الهاتف المحمول، مجلة جامعة دمشق، المجلد 3 و4، 2006، ص 207.

الفصل الخامس: رمزية الهدية ودلالاتها في المناسبات الثقافية

فطبيعة العلاقات باختلافها أصبحت محدودة، مقارنة بما كان في العائلة الكبيرة حيث كانت الزيارة فيها لا تخضع لمعايير أو حدود كما قبل (روح بجرمتي)، بمعنى أن الذهاب للزيارة ليس كضيف وإنما كواحد من أصحاب البيت، أما في الأسرة النووية وكما يقال (إذا كان خوك عسل ما تلحسوش الكل). وهذا ما يعني أن العلاقات في هذا النمط أصبحت تقوم على المصلحة في غالبها، فهي علاقات سطحية لا ترقى إلى الإحساس بالآخر القريب.

إن علاقة الأبناء ببعضهم البعض يطبعها نوع من الأخوة السطحية التي لا ترقى إلى الصداقة فلا يوجد تواصل قوي بين أبناء الأقارب، بحيث تظهر العلاقات بينهم أثناء زيارات الأقارب لبعضهم، لا يوجد تواصل بين الأبناء بنات وذكور ببعضهم البعض، بحيث يرونا بعض في التجمعات العائلية وفي المناسبات، فالأبناء في الغالب لا يميلون إلى التقرب من بعضهم كثيرا خاصة عند الذكور الذي يفضل أصدقائه من خارج قرابته، كما أن البنات يملن من هذا لكن بصورة أقل من الذكور، وفي هذا الصدد قالت لي إحدى البنات (أنا مع بنات فاميلتي عادية، نتحاكاو في أمورنا عادي بصح ما نقدرش نديرها صديقتي)، (لأنو مهما كان رح تبقى هاذيك الحساسة)، فمن طبع أبناء الأقارب الغيرة من بعض خاصة في المدة الأخيرة مقارنة بالسابق التي كانت العلاقة بينهم موطدة أكثر و متماسكة أما اليوم فأصبح اغلب الأبناء لا يتواصلون مع بعض ولا يرونا بعض، وفي هذا قال احدهم (أنا أولاد عمومي ما نعرفهمش كامل). في الماضي لم تكن هناك نوع من الحساسية بين أبناء الأقارب بحيث البنات ترى الذكور بشكل عادي وطبيعي دون وجود لحواجز وحدود أما اليوم فالبنات إذا وصلت سن معين لا يسمح لها بالجلوس مع ابن عمها الا في حضور العائلة عند بعض العائلات، فعلاقة الأبناء وتواصلهم مع بعض يقف على أساس العمر كلما كبر الأبناء انفصلوا عن بعض، وحسب آراء البعض (يقلك نعيشوا في حارة وحدة ونشوفوا بعضانا من العيد للعيد). فصلة الأبناء ببعض أصبحت شبه منعدمة، مع وجود نفور للأبناء واستبدالها بالأصدقاء.

وصار في وقتنا الأبناء شبه منفصلين عن أقاربهم وما يدل على ذلك عند التحدث مع شخص يقول (فاميليا تع بابا) وكأن الابن غير معني بالعائلة ولا يعرف أهله وأقربائه. وهذا راجع لعدم ذهابه وتواصله معه، وعند ذهاب الوالدين لزيارة الأقارب الأبناء لا يذهبنا الا في الحالات القليلة. فمعرفة أبناء الأقارب

الفصل الخامس: رمزية الهدية ودلالاتها في المناسبات الثقافية

لبعضهم البعض أصبحت تقتصر على معرفة الاسم والشكل فقط هذا في الغالب، وهناك من لا يعرفنا بعض.

فالأبناء في هذا الزمان كي يقولولهم على الأقارب يقول (خليني منهم)، فقيمة الأقارب عند الأبناء تناقصت، حيث قال احدهم (على وجه الشايب ولعجوز برك) يعني الأب والأم، حيث يطلبنا منهم زيارة الأقارب في الأعياد أو في حالة مرض أو وفاة هذا من جهة، ومن جهة أخرى أن المسؤولية تقع على عاتق الوالدين كما قال البعض اللذين يحثون الأبناء على الأقارب والتواصل معهم، حيث كانت إجابتهم (الحق في لكبار)، المقصرين في ذلك. والأبناء مع عصر التطور يفضلنا الانعزال وعدم الاختلاط كثيرا بحيث يقول (هكا راني الاز)، واخر قال (ما تكثر من النخالة ما ينقبك الدجاج)، وهذا يعني أن الأبناء فكرة التواصل والعلاقات لا تعني لهم كثير مع أمور أخرى تشغل بالهم.

ثامنا: التوية

تعتبر التوية مظهرا من مظاهر التضامن الاجتماعي في المجتمعات التقليدية، يتعاون فيها الأفراد دوريا لتقديم خدمة لفرد من أفراد الجماعة التي ينتمون إليها وبشكل مجاني، مما يؤدي إلى خلق ذلك الشعور بالانتماء إلى هذه المجموعة وترسيخ الهوية.

يسهم كل فرد حسب قدرته المالية أو الجسدية ليطم ذلك النشاط، وهو عادة مرفوق بمجموعة من الطقوس الهدف منها ترسيخ وإعادة إنتاج نسق القيم الموجود في تلك المجتمعات، مما يرسخ علاقة الانتماء إلى الجماعة التي تعبر عن هوية الأفراد، بمعنى أن هؤلاء يدركون تماثلهم ويضمنون استمرارية هذا النسق.

باعتبار التوية شكلا من أشكال التضامن الاجتماعي، فهي تشمل مجموعة من النشاطات تؤدي لفائدة شخص أو جماعة، كما أنها تعكس طبيعة تقسيم العمل في المجتمع المحلي.

رغم كل الوظائف التي أدتها التوية في القديم، الا أنها تكاد تتعدم في الوقت الراهن. استنادا إلى النظرية الدوركامية يرجع السبب الأول إلى زوال التوية إلى "توسع المحيط الاجتماعي"، كلما لم يعد المجتمع يحيط بالفرد كما ذي قبل، تاركا بذلك المكان لتغيرية الأفراد.

الفصل الخامس: رمزية الهدية ودلالاتها في المناسبات الثقافية

في المجتمع الحديث تغيرت الأهداف والأولويات، فالابتعاد عن التوزيع يعني تراجع ما يسميه دوركايم بالضمير الجمعي وظهور الفردانية. حتى وإن مازالت بعض مظاهر التوزيع موجودة في الوقت الراهن، إلا أنها محتشمة، وكل نشاط يقام في هذا الإطار لم يعد يجمع سوى بعض الأقارب وفي مناسبات خاصة واستثنائية، ولم يعد يخص سوى بعض العائلات القليلة.¹ أي أن مفهوم التوزيع اليوم أصبح يعتمد على مفهوم المصلحة الشخصية، أي تقدم لي أقدم لك، تعطيني أعطيك، تهديني مساعدة أهديك بمثلها.. وغيرها كثير.

فالتوزيع رغم تعدد النطق حسب اللهجات والمناطق إلا أن جميعها يعني التعاون، وهي عادة أمازيغية موغلة في القدم، تنتشر في شمال إفريقيا، وتقوم على العمل التطوعي، الذي يقوم به أفراد الجماعة أو المجتمع الواحد، وتعود تسميتها إلى المصطلح الأمازيغي (وز)، الذي يعني العون، ويتم تنظيم التوزيع في مناسبات بعينها مثل: الأفراح وهي ما يبرز في عادات عديدة متعلقة بالأفراح مثل غسل الصوف، فتل الكسكس الخاص بالوليمة، التعاون من أجل الطبخ يوم العرس، وكذلك يظهر فيما يسمى العون في بعض المناطق وهو إهداء مبلغ من المال للعريس في وقت وضعه الحناء، وهي عادة تنتشر في الكثير من المناطق ولها أسماء متعددة حسب اللهجات.

وأصل اللجوء لتنظيم التوزيع في المجتمع الأمازيغي مرتبط بوقت الحصاد، حيث يجتمع أهل المنطقة للعمل في حقل أحدهم حتى يتمون العمل به بالمجان، ثم يقومون بالانتقال إلى حقل آخر حتى تتم العملية لدى الجميع، وذلك للتغلب على صعوبات التعامل مع الأرض، والاعتماد على مبدأ المساعدة وتطبيق مبدأ التعاون بين الناس وهو ما يجسد مبدأ التهادي بين أفرادهم.

ولقد توسع هذا النشاط ليشمل عدة جوانب في الحياة سواء القديمة أو المعاصرة مثل الأعراس وحفلات الختان وبناء المنازل وفي الأعياد والمناسبات الدينية وغيرها.

وللتوزيع أو المعونة شكل آخر يظهر في التبرع وخاصة بالطعام، وتسمى "لوزيعة" مما يوزع، أو "السهم" أي السهم هو الجزء المخصص لأحدهم، وتظهر في الأعياد والمناسبات، حيث يتبرع الأغنياء للفقراء

¹ لمياء مرتاض، أشكال التضامن الاجتماعي - التوزيع نموذجاً، جامعة مستغانم، الجزائر، ص - ص (66 - 68).

الفصل الخامس: رمزية الهدية ودلالاتها في المناسبات الثقافية

بأسهم مما لديهم من المال أو الأكل وغيرها. وقد يتم جمع هذه الأشياء من مأكّل وملبس وتوزع عليهم في شكل حصص.

وقد عزز الإسلام هذه العادات التي أصبحت تتم المشاركة فيها لوجه الله، واحتساباً للأجر بعد أن كان يتم للتكافل مع الجماعة وتعزيز الانتماء إليها قديماً.

وتهدف التوزيع لخدمة مصلحة الآخر من أجل الجماعة، أو لخدمة الجماعة بشكل مباشر، والتوزيع بمفهومنا اليوم هي أحد أبعاد المواطنة التشاركية الحديثة، حيث يهتم الفرد فيها لمصلحة الجماعة التي يعيش فيها، وبالتالي تعد هذه الممارسات القديمة أحد العادات التي رسخت ارتباط الإنسان بجماعته ووعيه بأن التعاون سيحقق له الأمن، ويساعده في التغلب على مصاعب الحياة.¹ فالتوزيع هنا تأخذ مفهوم لك مثل ما لي، أي أن المعاملة هنا تأخذ مبدأ صفاء النية وذلك راجع لبساطة الحياة آنذاك، عكس ما يلاحظ اليوم في المجتمعات ولكن بنسبة أقل في المجتمع المدروس الذي لازال يشهد هذا التعاون والمفهوم بنسبة معينة.

وبالتركيز أكثر على ذكر مفهومها وما تنطوي عليه من مفاهيم نركز الذكر على مفهومها وكيفية تجسيدها وكيف أن بدأت في المجتمعات بصفة عامة، هذا من جهة ومن ناحية بروزها في المجتمع الزابي بصفة خاصة، وعليه فإن التوزيع هي تجمع مهني وفني، يشترك في انجازه مجموعة من الأشخاص بطريقة تطوعية لفائدة أحد عناصر المجموعة، وتتشكل التوزيع حسب نظام دورة الحياة البدوية الريفية، فنتواجد في كل المواسم الكبرى كالحرث والحصاد وإعداد الصوف وجني الزيتون... وتعرف التوزيع عادة في المجتمعات ذات الأصول القبلية حيث تتوارث جملة من العادات والتقاليد والأعراف التي تتناقل بطريقة شفوية تقليدية من جيل إلى آخر وتوثق ما يعرف بالتوزيع.

فهي ظاهرة اجتماعية تعبر عن حالة تضامنية موسمية بين أفراد المجتمع القبلي، ويمكن للتوزيع أن تكون في شكل تجمع نسائي في أعداد الصوف وفي أعداد العولة، كما تكون التوزيع في شكل تجمع عملي

¹ موقع تحواس براس، tahwas presse.dz، الساعة: 12:11، التاريخ: 19/10/2022

الفصل الخامس: رمزية الهدية ودلالاتها في المناسبات الثقافية

رجالي مثل عملية حرث الأرض، وقد يشترك كل من الرجال والنساء في الأعمال التي تكون عادة خارج التجمع السكني مثل عملية الحصاد وجني الزيتون.

وعليه تختلف تسمية التويزة من جهة إلى أخرى ومن نشاط إلى آخر ويعيد بعض الرواة أصل مصطلح التويزة إلى سكان البربر. ويرجع مصطلح التويزة إلى لفظة "ويز" البربرية والتي تعني الإعانة والمساعدة، أما حرف "ت" فهو أداة التعريف لدى البربر، اخذ العرب مصطلح "تويز" ونطقوه بالعربية فأصبح "تويزة"، والتي تعبر عن حالة من الوحدة والتضامن بين مجموعة من الناس للقيام بجملة من الأنشطة العملية في مناسبات مختلفة.

تظل التويزة التي تعني التعاون عادة اجتماعية، موروثا ثقافيا لم يتخل عنه المجتمع الجزائري. وفي الوقت الحالي تلعب الجمعيات من مختلف مناطق البلاد دورا كبيرا في الحفاظ على مبادرات التكافل الاجتماعي لتبقى عنوانا للتعاقد بين الجزائريين خاصة فيما يتعلق بانجاز أعمال خيرية أو مساعدة محتاجين أو بناء مسجد أو منزل.

الا أن مفهوم التويزة اليوم أخذ جانبا جديدا، قد تم تكييف تنظيم التويزة مع التطور المادي والتكنولوجي، حيث عرف لمسة عصرية من خلال اعتماد بعض الجمعيات على مواقع التواصل الاجتماعي من أجل إطلاق مبادراتهم الرامية إلى حشد التكافل الاجتماعي بين الناس في مناسبات معينة.

تعد التويزة من العادات التي ظلت قائمة إلى يومنا هذا وتتوارثها الأجيال بمنطقة الزيبان ولا يزال السكان يحافظون عليها، وهي تشكل في مضامينها الفعل التضامني. فالتويزة مصطلح أمازيغي وتعني كل صور التعاون والتكافل والتضامن الذي يهدف إلى انجاز عمل اجتماعي لأجل مصلحة فردية كانت أم جماعية يشارك فيه لشخص الذي يرغب المساعدة المادية أو المعنوية بكل تلقائية وبدون مقابل، وهو مجال مفتوح لكل الفئات.

كما يسمح هذا التجمع الشعبي احتفاء بالعمل الخيري بإضفاء الصورة الحقيقية لأهمية التضامن الاجتماعي وبعث عادة التويزة التي تساعد في مثل هذه اللقاءات على حل المشاكل كما تقوي ترابط

الفصل الخامس: رمزية الهدية ودلالاتها في المناسبات الثقافية

العائلات والأفراد من خلال تجسيدها في مختلف الأعمال اللازمة لتضامن ومساعدة الأفراد لبعضها البعض بكل حب وعطاء.

الا أنه لم يعد لمصطلح التوزيع نصيب من القيم الاجتماعية التي كان يتشبع بها المجتمع الجزائري، فبعد أن كانت مصدرا للألفة والتواصل الاجتماعي لاعتبارها مناسبة للتجمع والتعاون على عمل يضم مجموعة من العائلات، ليصبح وجها من وجوه الريح الجديدة، حيث غابت ملامحها ليصبح كل شيء بالمقابل المادي في زماننا. وعليه فإن التوزيع وان كانت ظاهرة تعكس عادة حميدة إلا أن الحاجة الملحة للعيش الكريم وما تتطلبه من وسائل لبلوغ الرفاهية التي تستوجب الكثير من المال، جعلت الجميع يتعاملون بكل ما هو مادي. وبذلك لم تعد الأحاسيس جماعية فأصبح كل فرد يهتم بحاله فقط ولا يهمله الآخرون.

ومن ناحية تطورها وكيف جاءت وبرزت منذ البداية وذلك من خلال أن التوزيع اتخذت في المغرب العربي عامة والمجتمع الجزائري خاصة أشكالاً عديدة متجسدة في التعاون والتضامن والتكافل الاجتماعي وقد تجلت صورتها في الأندلس من خلال الاحتفال بيوم العصور. والذي كان يقام عند جني محصول العنب، حيث كان يخرج غالبية الفلاحين من قراهم إلى الحقول، فيقومون أياها لجمع المحصول في جو يسوده الفرح والغناء والرقص، وهي مستمرة حتى اليوم في اسبانيا.

وقد أشار ابن خلدون إلى أن تطور ظاهرة التوزيع على مستوى الممارسة خاضع لدرجة التحول الاجتماعي الذي يتعرض له المجتمع، فهي تتأثر بحالة المجتمع ونوعه، وتتجسد في المناطق الريفية أكثر منها الحضرية، فقد عاش سكان الريف الجزائري في وسط عشائري أي قبلي على أرض مارسوا فيها عملهم الزراعي، على أسس تعاونية جماعية، دون أن يكون في داخل هذا النظام تحديد ظاهر لحقوق الأفراد في ملكيتها، فنظام الملكية في الريف في عهد الدولة الجزائرية قبل عام 1830، كان نظاما بسيطا يعتمد على العرف والعادة والقانون الإسلامي، الذي يشجع على قيم التعاون والتعاقد والتكافل، بعيدا عن الملكية الفردية للأرض ووسائل الإنتاج.

إن الأرض الجماعية المشاعة (العرش)، كانت تسود في المناطق التي استقر فيها البدو وشبه البدو، ومارسو فيها الزراعة والري واشتركوا في ملكيتها، وهي الملكية السائدة لدى غالبية أفراد المجتمع الريفي

الفصل الخامس: رمزية الهدية ودلالاتها في المناسبات الثقافية

الجزائري آنذاك، وتمتد على مساحات واسعة وتقوم باستغلالها مجموعات تعاونية، تقوم بزراعتها عن طريق التعاون، ولما تعرضت الجزائر للاستعمار الذي عمد إلى جلب المستوطنين وإسكانهم بالجزائر بعد أن حدد العالمين "ريكو" و"بورديه" أحسن المناطق التي يمكن الاستيطان بها، وهي تمتد شمال خط عرض 25°، وهو الخط الذي يمر بمدينة معسكر غربا إلى باتنة في عين البيضاء شرقا، وكان ذلك يعني الاستقرار في السهول الشمالية، وطرد السكان الأصليين من السهول كسهل متيجة، وهذا نتج عنه هجرات جماعية إلى الغرب الوهراني الذي كان لا يزال تحت حكم الأمير عبد القادر، ولما قضى الاستعمار الفرنسي على مقاومة الأمير عبد القادر نزح السكان إلى الصحراء فاقدن 45% من أراضيهم، وبهاته العملية المنظمة وطويلة الأمد من طرف المستعمر، تم تفتيت النمط الزراعي الجماعي الذي كان عاملا قويا في استقرار السكان، وأصبح الريفيون لا يستطيعون العودة إلى أراضيهم، إلا بصفتهم عمالا أجبر مزارع المعمرين، وباقتطاع المعمرين أقساما من الأراضي التي لا غنى عنها لحياة الجماعة أجبر الفلاحون على البحث عن أراضي أخرى أقل خصوبة، وصار الكثيرون منهم مجرد خماسين، مما سبب في تفكك الوحدة الاقتصادية للعائلة والتضامن الاجتماعي في الريف، وكان ذلك أولى بوادر ظهور الفردية في الإنتاج الزراعي.

حيث تتمثل أهمية ممارسة التوزيع يعني الحصول على فوائد سواء من ناحية الجانب المادي أو المعنوي فهي تجمع بين التعاون في مختلف المجالات وتحفظ التماسك والتآزر بين أفراد المجتمع على اختلاف أجناسهم وأعمارهم كما تزيد من حجم التضامن بين ممارسيها.

فالتعاون من أجل انجاز مختلف الأعمال أمر ضروري في بعض المجتمعات وهو الحال نفسه في بعض المناطق الجزائرية التي لا تزال لحد الآن تحافظ على هذه الميزة، فلا زال أفرادها يحافظون على مبدأ التعاون ويعملون على تجسيده في مختلف ميادين الحياة الاجتماعية نظرا لصعوبة الظروف، فالتعاون غير الرسمي بين السكان في شتى جوانب الحياة الاجتماعية أحد الخصائص التقليدية للمجتمعات غير الحضرية، ولقد عرف "جيلان" هاته الممارسات بأنها "سلوك متكرر يكتسب اجتماعيا، ويمارس اجتماعيا، ويتوارث اجتماعيا"، فميزة الاجتماع تستدعي وجودها في كلا الحالات لانجاز مختلف الممارسات المطلوبة.

الفصل الخامس: رمزية الهدية ودلالاتها في المناسبات الثقافية

وعليه نصل إلى استنتاج بأن الخير لا يكون ولا يتجسد إلا في إطار جماعات وهذا ما تعمل التوزيعة على المحافظة عليه من خلال إشراك مختلف الفئات في ممارسة هذه الظاهرة، فالإرث الثقافي الإسلامي والعربي والحكم المأثورة والقصص الشعبية غنية بمعاني الترابط والتعاون والتضامن ونجد من أشهرها:

- المرء قليل بنفسه كثير بإخوانه: وهي دليل على أن الإنسان فهو لن يستطيع التخلي عن الجماعة، ولن يستغني عنها أبداً، فالإنسان اجتماعي بطبعه، ويحتاج إلى الناس مثلما يحتاجون إليه.
- اليوم عليا وغدا عليك: مفاده أن أعباء الحياة يجب أن يتقاسمها الناس، وقد يقابله في اللهجة العامية مفهوم "الواجب"، يعني سأقف معك اليوم وسيبقى ديناً عليك حين احتاجك.
- في الشركة بركة: وهنا لنا معنى إيماني واضح، يد الله مع الجماعة ويقابله المثل المعروف "يد وحدة ما تصفق"، يعني أننا لما نتعاضد ونتعاون ونصفي النوايا ربي يرزقنا من حيث لا يحتسب، وقد ينطبق المثل الأول حتى في تداعي الجماعة على قصعة الطعام، فالبركة تنزل لما يشترك الطعام جماعة، وتكون القناعة تلك الروح الأخوية، وينزع الشخص الأكل من أمامه ليقدمه لأخيه.
- عاونه بيد يعاونك بزوح: وهذا فيه تشجيع على البذل والعطاء، فأنت لما تساعد أحداً اليوم فسيكون كريماً معك يوماً آخر، ويرد جميلك ضعفاً وهو نفسه معنى المثل التالي "غني للجماعة، والجماعة تغني لوحد".
- المعاونة في النصارى ولا لقعاد خسارة: وهو المثل الذي يحث على العمل وينبذ التكاسل والتخاذل، فالإنسان السوي لا يأبى المساعدة وتقديم يد العون، ولو اقتضى الأمر مساعدته البعيد الذي لا يعرفه.¹ فالمساعدة هنا تأخذ مبدأ " لك مثل ما لي " أي أنها أمر لا بد من توفره ووجوده ليبقى مفهوم المجتمع حاضراً حتى بنسب أقل عن سابقتها.

¹ دارة أحمد وشماخي موسى إسماعيل، دور التوزيعة كممارسة سوسيو ثقافية اقتصادية في تحقيق الاستقرار المجتمعي رؤية انثروبولوجية منطقة قورارة أنموذجاً، مجلة حقائق للدراسات النفسية والاجتماعية، العدد التاسع، ص- ص (262-268).

الفصل الخامس: رمزية الهدية ودلالاتها في المناسبات الثقافية

فالتوزيع من العادات المنتشرة بشكل كبير في الجزائر، والتي هي فعل تضامني تكافلي يقوم به الجزائريون لمساعدة بعضهم البعض، أو لخدمة المجتمع الجزائري الذي يسكنونه بدون مقابل. فالتوزيع نجدها في الأفراح والأتراح، كما نجدها في حملات التبرع لصالح الحالات الإنسانية.

وعليه تميزت بها منطقة الزيبان بعاداتها وتقاليدها العربية العريقة التي اتسمت بالتكافل، وهي موروث ثقافي عرفت كظاهرة في كامل القطر الجزائري خاصة الريفي منه، والهدف منها هو انجاز عمل جماعي لمصلحة فرد أو جماعة ما تطوعا مثل: عملية الحصاد، جني الزيتون، بناء مسجد، غسل الصوف وصناعة النسيج، إنشاء الأسواق وغيرها من الأعمال، فتجدهم جميعا على أهمية الاستعداد لإنجاز هذا العمل.¹

فالتوزيع إلى جانب كونها مظهر من مظاهر التضامن الاجتماعي فهي أشبه ما تكون بالنوادي أو صالونات أدبية عفوية تخفف من صعوبة العمل، خصوصا في النشاطات الشاقة كتجهيز النسيج، ومن الترددات اللطيفة لتحسيس النساجات وخلق جو من الفكاهة:

أشطاري يا علجية	أو باه نذبلك جدية
أو متخافيش يا جدية	غير نحرص في علجية
وأشطاري يا النساجة	أو باه نذبلك دجاجة.

وعليه تعتبر التوزيع مصطلح شعبي يترجم تشارك وتعاون عدد من الأفراد لسد العجز الذي قد يصيب الفرد أو الجماعة، فهي تدل على معاني التماسك والتكامل والتضامن الاجتماعي، فجملة هذه المعاني تتجسد خصوصا في البناء الاجتماعي التقليدي الذي يتميز بطابع الأسرة الممتدة، لكن في الفترة الأخيرة شهدت هذه البنية الاجتماعية تفككا بفعل الظروف وتطور الحياة في جميع المجالات فاتجه مجتمع الزيبان نحو الأسرة النووية وأصبح الفرد يعتمد على نفسه أكثر من ارتباطه بالجماعة وعدم خضوعه لسلطة الكبار. فنجد رغم كل هذه التغيرات أن ممارسة التوزيع مازالت تحتل مكانة في تمثلات الأفراد وهذا ما نجده من

¹ يعقوب عبد العالي، أوماش عراقية وأصالة، دار علي بن زيد للطباعة والنشر، بسكرة، الجزائر، 2012، ص 19.

الفصل الخامس: رمزية الهدية ودلالاتها في المناسبات الثقافية

خلال العمل الجماعي للشباب في تنظيف مسجد الحي كل أسبوع، وفي نفس السياق محاولة توفير الأكل لعابري السبيل أثناء شهر رمضان.

ففي مقابلتنا مع الشيخ لمين امام المسجد يروي لنا أنه تعاون سكان الحارة على جمع المال لإعادة ترميم المسجد، فتختلف المساعدة من فرد لآخر، فهناك من اشترى أكياس الاسمنت، وعائلة مجاورة ساهمت في توفير الماء كون المنطقة لا يصلها الماء... حتى أن النسوة ساهموا في تحضير الغداء للعمال. فقبل انهاء مقابلتنا معه أشار أن ممارسة التوزيع لا يمكن لمجتمعنا التخلي عنها مادام مؤمن بالله، فإذا رجعنا للقران الكريم لوجدنا أن ذو القرنين الذي كان يتمتع بالقوة، استعان به قومه لبناء سد يحول بين يأجوج ومأجوج "قالوا يا ذا القرنين أن يأجوج ومأجوج مفسدين في الأرض فهل نجعل لك على أن تجعل بيننا وبينهم سدا" سورة الكهف الآية 94. فهذا إن دل فهو يدل على التعاون ففي هذا السياق يعاونوا على جلب الحديد "قال ما مكنتي فيه ربي خير فأعينوني بقوة أجعل بينكم وبينهم ردما" سورة الكهف الآية 95.

وكمثال على ذلك ففي المنطقة إذا أراد أحد أن "يسقف داروا" بمعنى يبني السطح أو السقف، كما يقال في المنطقة "يصب الدالة"، يجتمع النسوة ويحضرن الطعام وفي الغالب يكون "شخشوخة" أو "تشيشة فريك" وهي وجبة تستحق التجمع، ويجتمع الرجال أيضا وبعد انهاء عملهم يقدم لهم الغداء، وهنا تكون الغاية من المساعدة. مازالت هذه العادة موجودة إلى اليوم لكن بصورة محتشمة. وأصبحت "الدالة" تدفع فيها مبالغ مالية ليس كما كانت في السابق.

وكمفهوم آخر ضمنها كما هو معروف في المنطقة ب "الزردة"، والتي هي ظاهرة ترمز للاجتماع والتجمع فهي تمثل عن وليمة تقام في بيت أحدهم وتكون لغرض معين تؤدي لأجله، وفي هذا قالت لي "الحاجة مباركة" (ربي كي منعلي بني درتها صدقة). فالزردة في السابق يجتمع الأفراد ويطبخ طبق يسمى "بالعيش"، وهو عبارة عن كريات صغيرة "تقتل" باستعمال الدقيق والماء وتطبخ علة البخار كما يقال "تتقور" وبعدها توضع في المرق، وعندما يجهز الأكل يسكب في "القصة" وهو طبق من العود ويجتمع حوله الأفراد، الرجال بمفردهم والنساء بمفردهم والأطفال لوحدهم أيضا، وقبل سكب يرش مقدار قليل منه في زاوية البيت أو في الحوش يقولك (نذوقوا صلاح الدار)، ويقال (عيش لصلاح الدار).

الفصل الخامس: رمزية الهدية ودلالاتها في المناسبات الثقافية

وأيضاً ما يعرف بـ "الوعدة"، والتي هي من واعدت بشيء إذا صار لي شيء معين ومثال ذلك قول احد النسوة (إذا برئت من مرضي نديرلكم قصعة بريوشة)، فهي تمثل نوع من التجمع، حيث يجتمع الأقارب في بيت المعني بالأمر وتطبخ الوجبة وتقدم في إطار تشاركي قرابي وتمثل نوع من الهبة والهدية المقدمة بطيب خاطر وحسن نية .

فالمهم في هذه الممارسة أن يتم بإعلان المتوز له عن نوع المساعدة التي يحتاجها بذكر نوعها كجني الزيتون أو إقامة العرس... ودون أن ننسى ماهي الأدوات والعتاد الذي ينقصه، ثم يحدد الوقت المناسب لانجاز هذا العمل، فيأتي المتطوعين للمكان وتقسّم عليهم الأدوار، فما تبقى الا انجاز العمل حتى الانتهاء منه. وما أعجبنا في هذه الممارسة هو خلق جو من الفرحه هذا للتخفيف من التعب فيرددون أغاني وأهازيج وكذا الصلاة على النبي.

فما نلاحظه في هذه الهبات التطوعية أن المساعدة لا تقتصر على النوع النسوي والرجالي فقط بل حتى الأطفال يتسارعون فيها وهذا قصد البركة. فالمساعدة ليس لها عمر أو سن معين تقاس عليه، وإنما ترتبط وتقاس بنوع الممارسة وحجمها وطريقة القيام بها والمكان المخصص لها.

ويحمل مصطلح المساعدة أو التكافل الاجتماعي، نفس معنى مصطلح التضامن الاجتماعي، وكلاهما من مظاهر التماسك الاجتماعي والرعاية الاجتماعية، مؤداه إحساس بالواجبات التي يجب أداؤها للآخرين، حيث يكون مصحوبا بالاعتقاد، بمعنى أن أي تقصير، في هذا الأداء يُلحق الضرر بالجميع.¹ وهذا يعتبر تعاوناً اجتماعياً، بين الأفراد، سواء كانوا أصدقاء أو أقارب. حيث يُعتبر هذا التعاون عملية اجتماعية، يرجع الفضل في ترويض الأفراد عليها إلى الأسرة أولاً، ثم إلى البيئة الخارجية، لأن وحدة المصالح، ووحدة الأهداف، تؤدي بالأفراد إلى التعاون لتحقيق المصلحة المشتركة، والخير العام. كما يهدف إلى غرض مشترك يسمى ذلك تعاوناً أو تضامناً، أي أن التضامن، هو العمل المشترك، لتحقيق غرض ذاتي، فهو يختلف من حيث النطاق، فقد يكون مقصوراً على أفراد جماعة، أو مصنع أو بيئة محلية، وقد يتسع نطاقه، فيشمل إقليماً أو عدة دول أو أقاليم.²

¹محمد أبو زهرة، محاضرات في المجتمع الإسلامي، معهد الدراسات الإسلامية، مصر، القاهرة، ب س، ص6.

²زيدان محمود مصطفي، السلوك الاجتماعي للفرد، دون دار للنشر، ودون طبعة، ص94

الفصل الخامس: رمزية الهدية ودلالاتها في المناسبات الثقافية

كما يرى الباحثون أن التعاون أو التضامن في المجتمع بصفة عامة، ليس فقط للحصول على الأكل ولكنه ضروري أيضا للحصول على الاحترام، الصداقة، القرابة، الرفقة والألفة، الحب فلأجل الحياة نحتاج للصداقة، كما نحتاج للغذاء.¹ فالعناصر المعنوية في حياة الإنسان تمثل الأثر الكبير والركيزة البارزة أكثر منها عناصر وجوانب مادية

ويؤكد بعض الباحثين، مثل جانز وأوسكار لويس استمرار فعالية الجماعات القرابية، في المجتمع الحضري، هذا أثناء دراسته لمدينة مكسيكو أين توصلنا إلى أن الحياة التقليدية، ظلت على ما هي عليه، والروابط العائلية الممتدة، زادت كثافتها وقوتها رغم كل التأثيرات الاقتصادية والصناعية وكذلك التكنولوجيا، التي عرفت المدينة.² فالأساس في تجسيد مثل هذه الممارسات والفعاليات هو الإنسان والعلاقة بين الأفراد لا بمكان التواجد، الذي يفرض فيه هذا الأخير الإنسان بصمته من ناحية طريقة التعايش مع ظروفه الحياتية وممارساته اليومية.

فالمساعدة تأخذ أكثر من جانب، ومن أهم المحطات أو المظاهر التي تتجسد فيها هاته الظاهرة نجد في حالة المرض أو العجز لأحد الأفراد، وهذا ما اتضح لنا من خلال المحادثات والملاحظات المسجلة عن مجتمع الدراسة والمقابلات التي أجريناها، لأن الأفراد في هذا المجتمع يطلبون المساعدات من الأقارب والأحباب المقربون، وخاصة منهم القريبين، كالأباء والأخوة، والأصدقاء، الذين يساعدون خاصة من الناحية المالية، نظرا لحاجتهم للأموال في المجتمع، حيث تقول إحدهن: (أنا احتاجت دراهم، باش نسلك السكنة، وما عييت نجري وندبر، ملقيت حتى واحد لي يوقف معايا لكان بابا، لي فرج عليا، وسلفنا دراهم، ملقيت لا صحبة ولا جارة، وحتى فاميلتي قصدتهم ومكاش لي عاوني، لكان غي بشوي ومالقيتش). كما ترى أخرى أيضا فتقول: (أنا كي نحتاج دراهم، أول حاجة نروح لوالدي، هما لي يشفقو علي، ويحنو علي، وعمرهم ولا يردوني دايمًا يعاونوني). يعني هذا أن أول شخص يتبادر للذهن، في حالة الحاجة المادية، هما الوالدان بالدرجة الأولى، لأن كل شخص، يساعد والداه ويشفقان عليه، أكثر من أي شخص آخر، وفي ذلك تقول الأخت: (أنا كل ما نحتاج دراهم، يهزني بابا مرضت ودرت باراسيون، طلبولي مبلغ

¹David.W.JOHNSON, *les relation humaine dans le monde de travail*, édition de renouveau pédagogie, saint lorans, Québec,1988, p67.

²عبد العالي السيد، علم الاجتماع الحضري، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1997، ص136.

الفصل الخامس: رمزية الهدية ودلالاتها في المناسبات الثقافية

ملايين كبير شويا طلبنا المساعدة من لافامي يسلفونا، وهوما لباس بيهم كاينلهم، وسلفونا عشر ملايين، والباقي كان عندي زدتو، يا أختي فاميليا تصيبها وقت تضيق الحالة، الخير كاين الحمد لله).

فمن خلال هذه المقابلات يبدو واضحا أن في حالة طلب المساعدة، يتم اللجوء مباشرة للأهل وخاصة للوالدان، لأنهما الأكثر قدرة على المساعدة أكثر من أي شخص آخر، كما وجدنا أن الرجل أو المرأة في الكثير من الأحيان، يتلقى المساعدة من والديه أو المقربون أو الأحاباب.

و هذا ما أكدته إحداهن بقولها (حنا كل ما نحتاجو دراهم، لأنو الشهرية قليلة متكملش الشهر نتسلفو، حبابنا وفاميلتنا رافدينا، وعائلة راجلي عبدالهم، بلي منلحقوش وتقريبا ديما يوقفوا معانا، ويرسلولنا حتى شوي خضرا وماكلة للصغار ربي يحفظهم).

وفي إطار المزح تم سؤال إحداهن عن المساعدة التي تكون بشكل خاص بين الحماة (لعجوز) والكنة، حيث تبسمت وقالت المثل الشعبي المعروف (يلا تقاهمت العجوز والكنة، إبليس يدخل الجنة).

إذن يعتبر تقديم المساعدات في حالة المرض، من أكثر أشكال المساعدة انتشارا بين الأقارب. وطبيعة المساعدة في هاته الحالة رغم أنها لغرض الأخذ باليد والمساعدة، إلا أن التعامل بها يمثل في جانبه الثاني بمثابة هدية مقدمة بغض النظر إن كانت سلفة أو دين، أو كعربون محبة وود بين الأفراد مهما كانت صلتهم، يكفي في كل هذا الجانب الإنساني البارز فيها.

كما تعتبر العناية بالأطفال، نمطا آخر للمساعدة، التي يشارك فيها الأقارب، كلما دعت الحاجة إليها. لأننا وجدنا أن النساء العاملات يستعن بالوالدات، في العناية بأبنائهن، بدل الأشخاص الغرياء، أو دار الحضانة، هذا ما أكدته، الكثير من المبحوثات، حسب قولهن (أمي مساعدتني بزاف، تحكملي بنتي كي نروح نخدم). وتقول أخرى (أمي مساعدتني، تحكملي ولدي ملي كان صغير، نخاف من الحضانة، هي تعرفه وتحافظ عليه أحسن مني أنا). نلاحظ هنا أن الأمهات، يساعدن أبنائهن من خلال العناية بأحفادهم، فالأمهات لا يفرضن مبالغ مالية مقابل مساعدة أبنائهم، بل العكس يساعدون دون مقابل.

وعليه ففي مجتمعنا المدروس، لاحظنا مظاهر المساعدة، تظهر في المناسبات المحزنة كالموت والمرض يتعاون الأفراد لمساعدة أسرة الميت في كل الأمور المتعلقة بالعزاء، حيث تتقدم النساء للطهي وتحضير الكسكس للزوار، كما تُقدم مساعدات مادية، من طرف الأقارب الجد قريبين للميت، ومنهم من

الفصل الخامس: رمزية الهدية ودلالاتها في المناسبات الثقافية

يحضر لوازم ولائم العزاء. إضافة إلى ذلك البقاء مع أهل الميت، في البيت لعدة أيام حتى ينتهي المأتم وينقص الحضور.

ففي مثل هذه المناسبات التي تتصف بالحزن جراء أمر أو حادثة معينة حاصلة، يحتاج فيها الأفراد إلى المواساة والتضامن مع أقاربهم، لذلك يبدو واضحا، أن كل المبحوثين يؤكدون على أن الوقوف مع الأقارب في المناسبات المحزنة والمؤلمة، يعتبر واجبا من الواجبات الاجتماعية، الذي يفرضه رباط القرابة والرباط الإنساني عامة، فالحضور فيها واجب ولازم عكس باقي المناسبات المفرحة، التي قد تتطلب الدعوة والاستدعاء للمشاركة في الاحتفالات. تقول أحد المبحوثات (لازم كي تكون كاش حالة موت ولا مرض، الواحد يدير الواجب بلا مزية، ويروح يزور ويعاون، لخاطر هاذي فاميليا أولى من أي حاجة أخرى). وفي هذا الإطار تقول إحدى المبحوثات بقولها: "في الغبينة نروح للفاميليا ونوقف معاهم، كما عام لي فات، مات راجل أختي، مرضت موراه، وصرا فيها العجب، وقفت معاهها، وليت نروح تقرب كل يوم، ونطيب لولاد أختي، ونقريهم هذا واجب، يليق نوقف معاهها، مغاديش يجو براوي يعاونوها، هذي هي الدنيا، وأنا كي مات راجلي وقفت هي تاني معيا."

إن الأقباط يتعاونون مع بعضهم البعض، بكثرة في المناسبات المحزنة أكثر من المفرحة، وذلك لأن المناسبات المفرحة أصبحت تقام في قاعات الأعراس، وتقوم على المظاهر، إلا أن هذا لا يعني أن أفراد المجتمع المحلي المدروس، لا يتعاونون في المناسبات، فهم وحسب ما صرحوا به، يتعاونون ويتضامنون عن طريق الهدايا، التي يقدمونها لبعضهم البعض سواء مادية أو عينية، فالهدية هنا تعتبر رمز من رموز التعاون والتضامن الاجتماعي.

كما تعتبر المناسبات المحزنة هي الأكثر تضامنا لأنها غير متوقعة، تأتي صُدفة وفجأة كالمرض خاصة الأمراض الخطيرة، والوفاة، هنا يتعاون الأفراد بكثرة من مساعدات وصدقات، لذي القربى. مثلما جاء على لسان أحد المبحوثات "أنا وحدا من الناس، راجلي مرض ولمولي خوتي باش دار العملية، وحتى ولد خوه وعاونه شوي، لخطرش مكانش خاوتو ماتو".

وتصرح أخرى بقولها: "في الحقيقة، نقست المعونا بين الفاميليا، مشي كيما بكري، دورك يعاونوك، بصح نتي وزهرك، كل خطرا وكيفاش، المهم المعونة كايينة كايينة." يعني هذا أن التضامن مازال موجود، ولكن ليس بالحجم الذي عُرف عليه، في الأزمنة الماضية، عندما كان إذا مرض شخص من العائلة،

الفصل الخامس: رمزية الهدية ودلالاتها في المناسبات الثقافية

يتأزر معه، كل الأقارب، فحاليا كثيرا ما يكتفي الأقارب، بزيارة مريضهم فقط لا أكثر، وفي حالة الوفاة، يحضرون الجنازة والأيام الأولى من العزاء، ثم تنقطع العلاقة أو الصلة. حسب ما صرحت به المبحوثة " ملي مات راجلي، راني في 9 سنين مازارونيش خاوتو، ولا زارو أولاد خوهم، كي مات وقفوا في الجنازة وعاونوني، ومن بعد كل واحد راح في حاله، نقطعت الصلة." ولهذا تعتبر المناسبات المحزنة، مرحلة تضامنية في البداية، وقد تنتهي بنهاية الشخص المتوفي، فتقطع الصلة من الأقارب، لإعتبار الشخص المتوفي، هو الصلة الرابطة بين الأقارب.

كما أن حادثة الوفاة، قد تكون سببا في حل النزاعات والتسامح والتأزر، بين المتخاصمين في الكثير من الأحيان، وفي ذلك قالت إحدى المبحوثات "حنا في الموت تع بويا، تصالحنا معا عمي مكانش يجي عندنا، مكاش يتقاهم مع بويا بزاف، بصح من بعد الموت، ولا عمي خطرا علا خطرا يزورنا هو ومرته." وهنا نلاحظ أن العامل الديني، يعود ليفرض نفسه، في المجتمع المدروس على أن التضامن والتعاون مع الأقارب، فرض وواجب، خاصة في المناسبات المحزنة، من الواجب المساعدة والتضامن، حسب ما فرضه ذلك الدين الإسلامي الحنيف، بتقديم ذي القربى وهم الأقارب في المرتبة الأولى، في حالة الصدقات والإنفاق قبل الجيران والمساكين والفقراء وغيرهم، لقوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَإِذْنَ السَّبِيلِ وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾¹

يعني هذا أن التضامن الأسري، لا يزال حاضرا بقوة في المجتمع، ولكن هذا لا ينفى، أنه تطور على المستوى الكمي والكيفي، أي أن تبادل المساعدات والتضامن الأسري، أصبحت تميزه ظاهرة القرض، خاصة ما تعلق بالمال، فالأسرة الجزائرية، ما تزال متمسكة بقيمة الجماعية، لكنها بدلت طريقة استجابتها لها، حسب الظروف الاجتماعية الجديدة التي طرأت على المجتمع.

إن التضامن والتساند شكل من أشكال التواصل، وتظهر المساندة في الأعراس والأحزان، بحيث يسعى الأقارب لأن يكون يدا واحدة حتى لو كانت بينهم مشاكل. والتضامن ليس شرط أن يكون مادي فيمكن أن يكون معنوي ورمزي (فقيمة الشيء في معناه)، فالتضامن يتم من خلال البروز في الأعراس والمآتم أو الأحزان في حالة جنازة أو في حالة مرض وكأن الفرد بحاجة لمساعدة مادية لتلقي علاج معنوي كما

¹القرآن الكريم، سورة البقرة، الآية 215.

الفصل الخامس: رمزية الهدية ودلالاتها في المناسبات الثقافية

يكون التضامن من خلال زيارة مريض والوقوف بجانبه في وضعه أو في وضع طبيعي وعادي كما قالت أحدهم (كلمة حلوة تكفيني)، (الواحد كي يجي بوجهو يكفي)، ويقول أحدهم (الرجل والا لمراتبان في نهار كيما هذا شتى كان فرح والا قرح).

فالتساند رمز من رموز الترابط والتقارب بين الأفراد، حيث يقوي العلاقات ويزيد من تلاحمها من إحساس الفرد بأخيه ومد يد العون إليه في كل الظروف. وهذا ما نلاحظه في بعض العائلات أنهم كانوا متخاصمين وفي حالة حدثت وفاة نسوا الماضي (يلي فات مات) ويوقفوا مع بعض، أما في حالة كان فرح يقول (أنا كن ما يفخرنيش ما نروحش ليه)، ففكرة التضامن والتساند هنا يكون حسب طبيعة الوضع والظرف الاجتماعي الموضوع فيه.

الا أن هذه النقطة أصبحت تشهد تراجعاً وأصبحت الأقارب لا تسأل عن بعضها البعض الا في وقت الضرورة، وفي حالة حدوث طارئ، فكل شخص أصبح مهتم بنفسه، وحتى البعض يقول (وأنا مين جاني)، (ياروح ونحمر وجهي يا مكان علاه روح). وهناك من يرى أن قيمة الأمور في بساطتها وكما تقول واحدة (أنا تجيني بوجهك خيرلي من الدنيا الكل)، (أنا كي تجييلي وتبقى تشوفي بيها ما ديرهاش خير).

ففكرة التضامن والتساند أصبحت اليوم مظهراً وشكلاً أكثر منها مضموناً، وأصبحت الشكليات سابقة في كل الأمور، الا أن هذا لا يعني غيابها بل هي حاضرة ولكن ليس بالصورة الماضية.

وعليه فالمساعدة هي مظهر من مظاهر التواصل القرابي الذي يتجسد في مظاهر التضامن والدعم والمساندة والمعاونة بين الأقارب، بحيث يكون تقديم المساعدة سواء كانت مادية أو معنوية، فالأولى تكون من خلال تقديم المساعدة بالمال مثلاً لتسديد دين، أو لشخص بحاجة لإجراء عملية، أو في حالة بناء مثلاً كما هو فيما يعرف بـ "الدالة"، أو لغرض آخر يتطلب مبالغ مالية. كما تكون المساعدة بتخفيف ألم، السؤال والاطمئنان والزيارة المتواصلة، فالمساعدة يمكن أن تكون بكلمة أو الوقوف بجانب أحد الأقارب مثلاً في مرض مما يتطلب مساعدته من الناحية المادية إذا كان بحاجة ومساعدته معنوياً (الناس لبعضهاها).

الفصل الخامس: رمزية الهدية ودلالاتها في المناسبات الثقافية

وفي هذا يقول مصطفى بوتفوشة: "إن أهم شيء لازال باقيا هو نظام الالتزام بالمساعدة اتجاه مختلف مستويات الدوائر القرابية، ونظام الالتزام هذا لا يركز على مبدأ العطاء ورد العطاء، بل مبدأ ضرورة استمرارية الضمير العائلي وضرورة احترام نظام القيم الأساسية القائمة بينهم". أي أن الاستمرار يتطلب الالتزام بمبدأ المساعدة والتضامن والمعاونة الذي نصل به في الأخير إلى مبدأ أخذ وإعطاء الهبات بين أفراد المجتمع من خلال ممارساته المتعددة والمختلفة.

الفصل الخامس: رمزية الهدية ودلالاتها في المناسبات الثقافية

- خلاصة الفصل:

إن الاهتمام بالاحتفال بهذه المناسبات يعتبر في مجتمعنا من القيم الثابتة للحياة الاجتماعية، وهو واجب متعارف عليه في التقاليد والعادات والقيم وأعراف المجتمع، فالاحتفالية فرصة للالتقاء والتقارب والتماسك الاجتماعي، وهو فرصة لإثبات الذات الجماعية وإثبات الهوية الثقافية، فالذي يهملنا ليس الاحتفال في حد ذاته من تحضيرات مادية ومعنوية، بل المهم هو دوره في إحداث التقاربات الاجتماعية وكيف تساهم الأسر في جلب الهدايا ومساهمتها المادية والمعنوية. حيث تعد هذه المناسبات عاملاً لتقوية الروابط الاجتماعية وشد الأواصر بين الأفراد، ومجالاً للارتقاء والتواصل.

تَتَأْتِي الدَّرَاسَةُ

نتائج الدراسة

وَنَخُصُّ في الأخير ومما تقدم وتم طرحه حول الموضوع المدروس والذي يدور حول ظاهرة من أهم الظواهر الاجتماعية والمتمثلة في "الهدية بين الدلالات الرمزية والتمثلات الاجتماعية"، ومن خلال ذلك توصلنا إلى أنّ الهدية تلعب الدور الفعال والمهم في الحياة بكل جوانبها بصفة عامة والحياة الاجتماعية بصفة خاصة بالنسبة للمجتمعات أو بالأحرى لكثير من الشعوب على أغلبها. وهي بذلك تحصيل حاصل لما كان سائدا في المجتمعات البدائية قديما والمجتمعات الحديثة حاضرا، باعتبارها تمثل نظام طغي انتشاره بين الأفراد والمجتمعات كل على حسب طريقته ونظرتة للموضوع. وهذا الانتشار يساهم في التأثير على التفاعل الموجود بين الأفراد والمجتمعات، حيث يؤثر بطريقة غير مباشرة في التفاعل الاجتماعي القائم بين مختلف الأفراد والشعوب، وهاته الظاهرة أي الهدية وتبادلها في إطار المجتمع تساهم بصورة كبيرة وفعالة في تحقيق التعاون والتضامن والمحافظة على التماسك بين مختلف أفراد المجتمع من خلال تجسيده في مختلف المناسبات والمحطات المهمة في حياة الإنسان والتي تخص بصورة خاصة الجوانب الاجتماعية والثقافية وكذا الدينية. ومن خلال الدراسة الميدانية التي تم القيام بها في منطقة الزيبان لتجسيد هاته الظاهرة واستخلاص الدلالات والرموز التي تشير إليها طريقة التعايش مع هذا الموضوع في إطار المجتمع المعني، والذي من خلاله استنتجنا مايلي:

- أكثر المناسبات التي يتم فيها تبادل الهدايا في المجتمع هي المناسبات الاجتماعية والمناسبات الثقافية والمناسبات الدينية.
- تتمثل المناسبات الاجتماعية في كل من مناسبة الزواج، الازدياد أو الولادة، الختان (الطهارة)، النجاح أو التخرج أي التهئة، الحج أو العمرة، المرض، السفر، الوفاة، الانتقال إلى سكن جديد.
- تتمثل المناسبات الثقافية في كل من مناسبة رأس السنة الميلادية، رأس السنة الأمازيغية أي يناير، عيد الميلاد، عيد الأم، عيد المرأة، عيد الحب، الضيافة والاستقبال، وظاهرة التوزيع.
- تتمثل المناسبات الدينية في كل من مناسبة عيد الفطر، عيد الأضحى المبارك، شهر رمضان الكريم، المولد النبوي الشريف، يوم عاشوراء، أول محرم.

نتائج الدراسة

- تتنوع طريقة وشكل ونوع الهدية حسب المناسبة في مجتمع الدراسة وهذا راجع إلى التنوع الثقافي والاجتماعي لأفراد المجتمع بين الماضي والحاضر.
- يعتبر الاختلاف والتباين الموجود في مجتمع البحث من ناحية طبيعة الهدية والمقدمة وهذا يعود للاختلاف الثقافي أو الاجتماعي أو بالأحرى الاقتصادي المميز لكل فرد أو فئة اجتماعية عن غيرها.
- تقديم الهدايا في مجتمع الدراسة يرتبط بوجود أو حصول حدث أو مناسبة معينة، أي وجود سبب لتقديم الهدايا كاحتفالات الزواج أو النجاح أو أعياد الميلاد مثلا وغيرها كثير من المناسبات الأخرى، وعليه فالهدية تتنوع بتنوع المناسبة.
- لظاهرة التهادي وتقديم الهدية والعلاقات الاجتماعية علاقة تكمن في معرفة طبيعة هاته العلاقات ومدى قوتها بين الأفراد والجماعات، حيث أن ممارسة الهدية وتبادلها يساهم في توطيد العلاقات وزيادة التقارب بين الأفراد.
- تساهم الهدية في المحافظة على المجتمع وفي تمتين وتوطيد العلاقات الاجتماعية بين أفراد المجتمع، وأيضا في الحفاظ على تماسك البناء الاجتماعي.
- يساهم تبادل الهدايا في المجتمع في زيادة التقارب بين الأفراد سواء بين الأفراد أصحاب القرابة القريبة جدا مثل الأسرة، أو بين أصحاب القرابة البعيدة نوعا ما مثل باقي الأقارب والمعارف والأحباب.
- تبادل الهدايا يزيد ويبرز في العلاقات القريبة وبين الأفراد الأكثر قرابة ويقل بين الأفراد الأقل قرابة.
- تتنوع الهدايا وطبيعة تبادلها وتجسيدها حيث هناك هدايا مادية ملموسة وهي الأمر الشائع أكثر والتي تبرز في مناسبات الزواج والميلاد مثلا، أما الهدايا المعنوية فنلاحظها في الوفاة مثلا.
- بدأ البحث الأنثروبولوجي حول اقتصاديات الهدايا أو ثقافة التهادي مع دراسة مالفينوفسكي في وصفه لحلقة الكولا في جزر التروبريانند هذا من جهة، ودراسة مارسيل موس حول نظام البوتلاتش من جهة أخرى.

نتائج الدراسة

- أن عملية التبادل للهدايا في المجتمع لا تخلو من عمليات غايتها بالدرجة الأولى هي اقتصادية موجهة لأفراد المجتمع في مختلف ممارساتهم وتعاملاتهم.
- تعتبر ثقافة تبادل الهدايا وسيلة مهمة في التبادل في إطار المجتمع، حيث تتحكم في ذلك العادات والتقاليد والأعراف الاجتماعية المتعارف عليها حول الإهداء.
- تقوم فكرة تقديم الهدايا وتبادلها في مختلف المناسبات الموجودة في إطار المجتمع وبين أفرادها على مبدأ المعاملة بالمثل، وهذا ما سبق وأن أثبتته لنا كل من مالفينوفسكي ومارسيل موس في المجتمعات القديمة.
- ترجم العالم الغربي مارشال سالينز فكرة الهدية بقوله: " إذا كان الأصدقاء يتبادلون الهدايا، فإن الهدايا هي التي تصنع الأصدقاء "، أي أن قيمة ومكانة الإنسان في الوقت الحالي أصبحت تقاس بالهدايا، وأن هذه الأخيرة هي من يكون العلاقات ويزيد منها ومن توسعها.
- الهدية تساهم في زيادة العلاقات الاجتماعية والقربانية بشكل خاص وتزيد من الترابط الاجتماعي بين أفرادها، كما تساعد على استمرار العلاقات فيما بينهم.
- شجع الإسلام على تبادل الهدايا بهدف الحفاظ على العلاقات الاجتماعية والإنسانية المختلفة بين أفراد المجتمع وتوطيدها والحفاظ على التماسك الاجتماعي، والذي يبرز بشكل واضح بين أفراد المجتمع اقتداءهم بسنة الرسول صلى الله عليه وسلم في عملية التهادي والحرص على قبول الهدية وتقديمها.
- من أهم ما يميز الهدية هو خاصية الأخذ والعطاء، باعتبارها إلزام يوجب القبول والرد.
- تنوعت الهدايا وكثرت وذلك لكثرة المناسبات والاحتفالات والتي تلزم على تقديم الهدايا والاهتمام بها أكثر من السابق.
- تطور فكرة الهدية ونوعيتها في مجتمع الدراسة مع التطور التكنولوجي الحاصل في المجتمع، وخاصة بعد الانفتاح على ثقافات وعادات المجتمعات الأخرى.
- تمثل الهدية المقدمة مؤشرا على المكانة الاجتماعية للفرد في مجتمعه وفي نظر مقدم الهدية، كما تعتبر مؤشرا للتراتب الاجتماعي للأفراد، وكل حسب غاياته ومصالحته.

نتائج الدراسة

- رغم التطور الحاصل في المجتمع من كافة جوانبه الا أن الهدية وممارستها تحظى بمكانة مميزة بين أفرادهِ.
 - في الوقت الحالي أصبح ثمن وقيمة الهدية المادية يرتبط بمنزلة الشخص المهدي إليه، حيث كلما زادت معزته ارتفع ثمن الهدية عند الغالبية من الناس، أما من جهة أخرى هناك من يرى أن الثمن لا علاقة له بقوة أو ضعف العلاقة بين أطراف عملية التهادي وإنما الفعل الصادر هو الأساس.
 - يلعب تبادل الهدايا في الاقتصاد التقليدي دورا كبيرا ويغلب على هذا النمط من الممارسات الطابع القرابي الروحي والرمزي.
- 1 -
- أن عملية التهادي في مجتمع البحث أصبحت اليوم غير مقترنة بالأفراد الذين نراهم أي المجتمع المنظور أمامنا فقط ونتعامل معهم بصورة مباشرة، وإنما تجاوزت ذلك إلى الأفراد البعيدين أي الأشخاص الغير منظورة، بحكم التطور الحاصل وتسهيل التواصل بين الأفراد، وكما قيل عنه بأن العالم أصبح قرية صغيرة.
 - طقوس التفاعل هي مقدار من المناسبات لتأكيد النظام الأخلاقي والاجتماعي ففي اللقاء يسعى كل فاعل إلى تقديم صورة قيمة عن نفسه، هي الوجه (المظهر) أو القيمة الاجتماعية الايجابية التي يدعيها الشخص عمليا من خلال توجه الفعل الذي يفترض الآخرون انه تبناه في سياق لقاء خاص.²
 - الهدية تبرز مدى أهمية الأفراد عند بعضهم البعض، وذلك من خلال تجسيد ظاهرة الهدية في حدث معين سواء كان مفرحا أو محزنا.

¹رقية سهيل خليل، محاضرة بعنوان: الأنثروبولوجيا الاقتصادية، المادة: أسس الأنثروبولوجيا، تسلسل المحاضرة: الثامنة، ص1

² علي شيخ وكويحل فاروق، مقال حول "سوسيولوجيا الحياة اليومية- الواقع المعاش للأفراد في الوسط الاجتماعي"، مجلة الشامل للعلوم التربوية والاجتماعية، جامعة الشهيد حمة لخضر- الوادي، المجلد 01، العدد01، جوان 2018، ص124.

نتائج الدراسة

- تتحول المبادلات الرمزية إلى مجرد علاقات تواصل.¹
- يعد تبادل الهدايا من الظواهر الاجتماعية التي عرفتھا المجتمعات الإنسانية منذ القديم، حيث أن قبول الهدية أو رفضها لا يرتبط بقيمتها المادية، وهي تقوم على إشاعة المودة والمحبة بين الناس، وتعزيز التواصل الاجتماعي والوجداني بينهم.
- الكثير من الأفراد في المجتمع يمارسون ظاهرة التهادي بينهم في مختلف المناسبات المتعارف عليها، كعادة ولا يعرفون معناها ومغزاها وهي في الحقيقة لها قيمة معنوية وتقوم بدور اجتماعي ولها قواعد وقوانين أهمها أنها لا ترد أبدا ولا تهدى مرة أخرى.
- إن الهدايا المعنوية تقوي العلاقات الاجتماعية وتزيد الترابط الاجتماعي بين أفراد المجتمع، لكن في واقعنا اليوم لا يعير الناس للهدايا المعنوية أهمية مقارنة بفرحتهم بالهدايا المادية لأنها تقاس بقيمتها المادية.
- تعتبر الهدية انعكاسا للتضامن الاجتماعي، وتقوية الرباط الاجتماعي القرابي في مختلف المناسبات، وذلك بالمشاركة في الاحتفالات.
- تعتبر الأولوية في تبادل الهدايا بين الأقارب، لأن القريب أولى عن الغريب في المجاملة، والرابطة القربية تقوى بتبادل الهدايا والتواصل والزيارات، حيث أن عدم حضور الغريب في المناسبات وتقديمه للهدايا، رغم دعوته لا يُعتبر أمرا إلزاميا بينما عدم حضور القريب يعتبر أمرا ضروريا، سواء كان مناسبة فرح أو حزن.
- بما أن الهدية تعتبر عاملا وعنصرا مهما في المحافظة على العلاقات الاجتماعية وتوطيدها، يمكن أن تكون أيضا سببا وعاملا للقطيعة بين الأفراد كونها تأخذ معناها ورمزيتها في خاصية التبادل التي تلازمها في كثير من الأحيان وفي غالبية المناسبات.
- أصبحت الهدية اليوم في مجتمع البحث تحظى بالطابع التفاخري وهذا من خلال ظهورها للعلن والتشهير بها من جهة، وبروزها بشكل واضح مع التطور الحاصل ونشرها على نطاق واسع خاصة وسائل التواصل الاجتماعي التي ساهمت في انتشار ممارسة التباهي في المجتمع، حيث

¹ بيير بورديو، الرمز والسلطة، ترجمة: عبد السلام بن عبد العالي، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط3، 2007، ص58.

نتائج الدراسة

كانت في وقت معين مقتصرة على الأطفال وقت فرحتهم يوم العيد وفي مناسبات الطفولة الا أن الأمر اليوم اتسع ووصل إلى الكبار والبالغين أيضا.

ثَلَاثَةٌ عَالِمَةٌ

خاتمة عامة

في إطار ما يتميز به العصر اليوم من تغيرات يمكن القول عليها بأنها وصلت إلى تغيرات جذرية مست الحياة الاجتماعية بدرجة أولى وخاصة، بالإضافة إلى باقي الجوانب الحياتية التي تمثل لها ويعيشها الإنسان، والتي غيرت أغلب ما تطرأه يد الإنسان. ومنه فالتحولات الاجتماعية الحاصلة في الوقت الحاضر أدت إلى تغيير طريقة التعامل فيما يخص موضوع الهدايا الذي يتجسد من خلال العديد من المناسبات والاحتفالات التي يمر بها ويعيشها الإنسان، وهاته الأخيرة أي المناسبات أصبحت تشهد تغيير ملحوظا، فمن ناحية عدد الأفراد المهتمين بهاته الظاهرة في إطار مناسبة معينة أصبح محدودا، وأكثر انحسارا من حيث عدد الأفراد الممارسين لهاته الظاهرة، حيث في السابق كان الكل يشارك في هاته المناسبة والذي يبرز مدى فعالية ظاهرة تبادل وإعطاء الهدايا فيه تحت نطاق الأسرة الموسعة لا الضيقة أو الصغيرة. ومن الأمثلة على ذلك ما نلاحظه في السهرات الخاصة بشهر رمضان التي فقدت الميزة الخاصة بها وهي التجمع، وكان يندثر هذا الفعل بسبب ظروف مختلفة وعديدة.

فتبادل الهدايا في مختلف العلاقات الاجتماعية تحولت طبيعته من البساطة والعفوية والاعتماد على مبدأ صفاء العواطف والجانب الروحي إلى علاقات تعتمد في الأساس على العامل المادي المرتبط بطبيعة العمل والأجر والذي أدى بها إلى الخضوع لمبدأ العقلانية والحسبانية وطغيان المصلحة المادية. فظاهرة تبادل الهدايا أصبحت ينظر إليها من منطلق المصلحة والمتطلبات الشخصية للتعامل بها.

وحسب المتداول بين الناس في المجتمع أن الهدية وتبادلها ليس مقدرًا بقيمتها المادية وإنما بقيمتها المعنوية ومدى أثرها في نفوس الناس، إلا أن هذا التغير يبقى مبدأ نظري لا غير، وهي ما كان معمول به في السابق، أما اليوم وفي العصر الحالي أصبحت الفكرة تأخذ مبدأ العكسية، بمعنى أن الهدية اليوم تقاس بمقدارها المادي لا المعنوي من ناحية، ومن جهة أخرى له علاقة بمدى القرب والعلاقة بين المتعاملين بها وبمبدأ التبادل.

وعليه فالهدية أصبحت تمثل ضرورة وقيمة اجتماعية تم توارثها من الآباء والأجداد والتي تتمثل في مختلف الأعياد والمناسبات، فهي بمثابة أسلوب إنساني رغم اختلاف نوعها وطريقة تقديمها. حيث نشهد

خاتمة عامة

في الوقت الحالي ورغم اختلاف الأهداف وراء تقديم الهدايا عما كانت في السابق ورغم التنوع في الهدايا بين الغالية والرخيصة في الثمن، حيث ترتبط في الأصل بالإمكانات المادية للشخص المقدم للهدية، إلا أننا نلاحظ أن المناسبات الخاصة بتقديم الهدايا ازدادت وهذا ما أصبح يدفع البعض إلى تخصيص مبلغ خاص بها بسبب كثرتها واختلاف نوعها عما كانت عليه في السابق وهذا راجع للمبالغة في إعطاء الهدايا وزيادة قيمتها في المناسبات الكثيرة والمتنوعة مثل الأعراس وأعياد الميلاد والنجاح في الدراسة أو العمل وعيد الأم والحب ورأس السنة سواء كانت الميلادية أو الأمازيغية وغيرها من المناسبات الكثيرة، التي زادت وزاد معها اهتمام ومسؤولية الإنسان حول ما يقدم فيها ويمثل اهتمامه، والتي تنعكس أكثر من الناحية المادية في الوقت الحالي أكثر من الناحية المعنوية.

فمختلف هاته الأعياد والمناسبات تحمل قيم سواء كانت اجتماعية أو دينية أو ثقافية أو اقتصادية إلى غير ذلك. والتي تتجسد هاته الأخيرة في إطار طقوس وممارسات توارثتها الأجيال من السابق مع زيادة وإضافة تعكس الأبعاد الإنسانية والحضارية بما يحويه الإنسان من طرق تفكير. وتبرز القيم الاجتماعية والإنسانية من خلال ما تسهم فيه من تفاعل بين الأفراد من خلال مظاهر الدعم وتقديم المساعدات المنطوي حسب القالب المخصص له في مناسبة أو احتفال معين مهما كان نوعه والذي يمثل هدية، كما أن البعد الاجتماعي في هذا المجال يمثل ظاهرة بارزة في الاحتفال بالأعياد والمواسم، والذي يتجسد من خلال الأعراف والتقاليد التي توارثتها الإنسان والمجسدة في مظاهر التواصل بين مختلف الأفراد والعائلات والأحباب وما يربطهم من انتماء وتكوين مجتمعي، حيث تشهد أو تبرز من خلال مظاهر تبادل الزيارات واللقاءات وتبادل التهاني والتبريكات سواء كما كانت في السابق وجها لوجه وفي مختلف المجالس واللقاءات المباشرة والاحتكاك المباشر هذا من جهة، ومن جهة أخرى والذي أصبح دارج في الوقت والعصر الحالي وهو مواقع التواصل الاجتماعي التي سهلت على البعض هاته العملية إلا أن القيمة والأثر ليس نفسه.

فالغاية من هاته المناسبات وتبادل الهدايا فيها ليس غرضه أن نحقق فحسب، وإنما هو ما يعكس المعاني الإنسانية والاجتماعية والروحية التي تعكس محبة وتعاون أفراد المجتمع من خلال التواصل والتعاون الذي

خاتمة عامة

يخدم المجتمع ويسهم في الحفاظ على علاقاته الا أن هذا الأمر تغير قليلا عما كان عليه بحكم سيطرة الأمور الحياتية على العلاقات الممارسة بين الأفراد.

فالتمثلات الاجتماعية لتبادل الهدايا بين الأفراد بما تتضمنه من علاقات تبادل ضمنية تتعكس من خلال الروابط والتعاملات العائلية بين الأفراد، والتي تم شرحها من خلال منطوق الهبة أو الهدية الخاضع لثلاثة أزمنة وهي: الإعطاء، الأخذ والرد. حيث أن أول هاته الأزمنة وهو الإعطاء والذي يعبر على الوجوب باعتباره واجب وضروري، والإعطاء يقابله الأخذ حيث لا يمكن أن نرفض ما يقدم لنا ويعطى، ولكن لا بد من ضرورة الرد، والرد في هاته الحالة يكون بمثلها أو بأحسن منها، وهذا ما يشكل مسؤولية على عاتق من استلمها حيث يحتم عليه إرجاع الهدية بطريقة تتوافق مع الهدية التي قدمت وأعطيت له في البداية، وهنا يمكن اعتبارها بمثابة "منافسة"، وهاته الأخيرة في السابق كانت لا تعكس وتجسد بقيمتها المادية عكس ما نلاحظه اليوم، حيث أن فكرة أن الهدية ليست مادية وهي معنوية تعتبر كلام فقط، ولكن تجسيده يتم بطريقة عكسية أرهقت كاهل الكثيرين والذي دفع بتغيير تعاملاتهم في هذا الإطار حيث كانت تمثل فرصة للتعبير عن مكانة وشرف من يقدمها داخل المجتمع وهو كما يقول عنه "بيار بورديو" بمفهوم "الرأسمال الرمزي"، والذي لاحظنا تجسيده من خلال عبارات الأفراد والمتمثلة في "عاونني نعاونه"، وأيضا "مدلي يد نمدلو عشرة"، وأيضا عبارة "وقت اللازم كان واقف معايا ضرك نوقف معا". وكل هذا يعكس مدى المسؤولية الموجودة اتجاه الأفراد مع بعضهم البعض.

وعليه فمناسبات تقديم الهدايا أصبحت متعددة ومختلفة، حيث أن لكل مناسبة هدايا تعبر عنها حسب طبيعة المناسبة والتمثل الاجتماعي لهاته المناسبات من دينية إلى دنيوية حياتية وكل منها مرتبط بدورة الحياة للإنسان، وعليه فهناك هدايا تحمل في طياتها معاني المودة والمحبة وتساعد على تعميق الروابط الاجتماعية مثل الهدايا التي تهدي بين الأزواج، أو بين الأبناء والأم، أو التي تكون بين الأصدقاء، حيث أن هذا النوع من الهدايا لا يقتصر على المناسبات الكبيرة والمعروفة مثل الزواج أو النجاح أو الازدياد إلى غير ذلك فقط، حتى لا تنحصر ضمن مفهوم "الواجب"، حيث يكفي فيها هدايا بسيطة ورمزية توطد العلاقات أكثر.

خاتمة عامة

وبحكم اختلاف قيمة الهدية والهدف من وراءها في الوقت الحالي أصبح ينظر إليها من جهة أخرى باعتبارها نوعاً من المباهاة والافتخار، حيث أصبحت الهدية تمثل واجب ملزم تأديته وليس رغبة وحباً في إهداء الهدايا وتبادلها، وهذا ما أصبحنا نلاحظه من خلال تقديم الهدايا على حسب المستوى المادي للمهدى إليه لا على حسب المقدرة المادية لمن يقدمها حتى لو اضطروا إلى "السلفة" كما ذكر العديد من الأفراد في المجتمع ذلك لثقل تقديمها على كاهل البعض منهم.

كما أن الهدايا في الوقت الحاضر أصبحت قائمة على المصلحة وذلك بغرض تسهيل المصالح الشخصية وهذا ما نلاحظه بشكل كبير في العمل أو الدراسة، حيث أصبحت الهدايا هنا أقرب إلى مفهوم "الرشوة"، وذلك من خلال إعطاء هدية ليقوم آخر بالعمل المراد له. كما لاحظنا من خلال آراء العديد من الأفراد نفورهم من استلام بعض الهدايا خاصة إذا كانت أطعمة أو ألبسة من بعض الأفراد الذين يقدمون لهم الهدايا بغرض الأذية أو الضرر تحت مفهوم "السحر"، والتي في الغالب تؤدي من استخدامها، وهذا ما دفع إلى فقدان الهدية لأثرها وقيمتها في يد من يستلمها خوفاً على نفسه وحياته، فالهدية هنا أصبحت تمثل ضرراً أكثر منها نفعاً.

قائمة المراجع

قائمة المراجع

▪ مراجع باللغة العربية

1. إبراهيم مذكور، معجم العلوم الاجتماعية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1957.
2. أحمد توفيق المدني، كتاب الجزائر، الطبعة الثانية، دار المعارف، البليدة، الجزائر، 1963.
3. أحمد عازف العساف ومحمود الوادي، منهجية البحث في العلوم الاجتماعية والإدارية (المفاهيم والأدوات)، دار صفاء للنشر والتوزيع، الأردن (عمان)، 2011.
4. أحمد عياد، مدخل لمنهجية البحث الاجتماعي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2006.
5. الإمام محي الدين أبي زكرياء يحي بن شرف النووي، رياض الصالحين، منشورات دار مكتبة الحياة، لبنان (بيروت).
6. السيد حافظ الأسود، الأنثروبولوجيا والفلكلور ومناهج التحليل الرمزي، المأثورات الشعبية، العددان 54/53 يناير وأبريل، 1991.
7. السيد حافظ الأسود، الأنثروبولوجيا الرمزية: دراسة نقدية مقارنة للاتجاهات الحديثة في فهم الثقافة وتأويلها، منشأة المعارف، الإسكندرية، 2001.
8. السيد رشاد غنيم، النظرية المعاصرة في علم الاجتماع، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، 2008.
9. أمال قرامي، الاختلاف في الثقافة العربية الإسلامية: دراسة جندرية، دار المدار الإسلامي، بيروت، 2007.
10. العربي اسماعيل، الصحراء الكبرى وشواطئها، الجزائر، 1983.
11. المنجد في اللغة والإعلام، دار الشروق، لبنان (بيروت)، 1991.
12. الطويل أحمد بن عبد الله، الهدية بين الحلال والحرام.
13. أنتوني غيدنز، علم الاجتماع، ترجمة: فايز الصياغ، مركز دراسات الوحدة العربية للتوزيع، لبنان (بيروت)، 2005.

قائمة المراجع

14. برنار توسان، ماهي السيميولوجيا، ترجمة: محمد نظيف، إفريقيا الشرق، الطبعة الثانية، 2002.
15. برو محمد، الموجه في منهجية العلوم الاجتماعية، الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر (تيزي وزو)، 2014.
16. بكوش المولودة وقيشوش نصيرة، العادات والطقوس (عادات الزواج أنموذجا)، المحاضرة الرابعة، محاضرات مقياس انثروبولوجية أشكال التعبير الشعبي، جامعة أبو بكر بلقايد، تلمسان، مارس 2020.
17. بيار بونت وميشال ايزار وآخرون، معجم الإثنولوجيا والأنثروبولوجيا، ترجمة وإشراف: مصباح الصمد، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع المجد، لبنان (بيروت)، الطبعة الثانية، 2011.
18. بيار بورديو، محاولات باتجاه سوسيولوجيا انعكاسية، ترجمة: أحمد حسان، دار ميرت للنشر والمعلومات، القاهرة، 2002.
19. بيار بورديو، أسئلة علم الاجتماع: حول الثقافة والسلطة والعنف الرمزي، ترجمة: إبراهيم فتحي، دار العالم الثالث، القاهرة، 1995.
20. بيار بورديو، الرمز والسلطة، ترجمة: عبد السلام بن عبد العالي، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الثالثة، 2007.
21. جعفر نجم نصر، الأنثروبولوجيا التاريخية: الأسس والمجالات في ضوء مدرسة الحوليات الفرنسية، دار أوما للطباعة والنشر، العراق، 2013.
22. جميل حمداوي، مبادئ علم الاجتماع الاقتصادي، شبكة الألوكة، 2015.
23. جيامبيترو جوتو، إجراء البحث الاثنوغرافي، ترجمة: محمد رشدي، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2014.
24. جيلبير دوران، الأنثروبولوجيا رموزها وأساطيرها أنساقها، ترجمة: مصباح الصمد، الطبعة الثالثة، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، 2006.

قائمة المراجع

25. حسين فهميم، قصة الأنثروبولوجيا- فصول في تاريخ علم الإنسان، عالم المعرفة، الكويت، فبراير 1986.
26. حياة بزويو، المرأة والشعر في سيدي خالد، دار أجنحة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2017.
27. خليل أحمد خليل، المفاهيم الأساسية في علم الاجتماع، دار الحداثة، لبنان (بيروت)، 1984.
28. دليل السنوي للإحصائيات لولاية بسكرة، مديرية التخطيط والتهيئة العمرانية، ولاية بسكرة، جوان 2000.
29. راجي مصطفى عليان وعثمان محمد غنيم، مناهج وأساليب البحث العلمي النظرية والتطبيق، دار صفاء للنشر والتوزيع، الأردن (عمان)، 2000.
30. ربيع كردي، البنائية الجديدة في علم الاجتماع والأنثروبولوجيا، مصر العربية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2011.
31. رشيد زرواتي، تدريبات على منهجية البحث العلمي في العلوم الاجتماعية، ديوان المطبوعات الجامعية المطبعة الجهوية، الطبعة الثالثة، الجزائر (قسنطينة)، 2008.
32. زيدان محمود مصطفى، السلوك الاجتماعي للفرد، دون دار نشر، ب.س.
33. سعد البازعي، الاختلاف الثقافي وثقافة الاختلاف، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، 2008.
34. سامية محمد جابر، الفكر الاجتماعي، دار العلوم العربية، لبنان (بيروت)، 1989.
35. سمير خليل، دليل مصطلحات الدراسات الثقافية والنقد الثقافي، دار الكتب العلمية، مراجعة وتعليق: سمير الشيخ، لبنان (بيروت)، 2016.
36. سوتيريوس سارانتاكوس، البحث الاجتماعي، ترجمة: شحدة فارح، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، مراجعة: ثائر ديب، لبنان (بيروت)، يناير 2017.
37. سهام عبد السلام، ختان الذكور بين الدين والطب والثقافة والتاريخ، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2006.

قائمة المراجع

38. شافا فرانكفورت وآخرون، طرائق البحث في العلوم الاجتماعية، ترجمة: ليلى الطويل، بترا للنشر والتوزيع، سوريا (دمشق)، 2004.
39. شحاتة صيام، النظرية الاجتماعية من المرحلة الكلاسيكية إلى ما بعد الحداثة، مصر العربية للنشر والتوزيع، مصر، 2009.
40. شفيق محمد، البحث العلمي، المكتب الجامعي الحديث، الطبعة الثانية، مصر (القاهرة)، ب. س.
41. عبد الرحيم بن إبراهيم بن عبد الرحمن السيد هاشم، الهدايا للموظفين أحكامها وكيفية التصرف فيها، دار ابن الجوزي، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.
42. عبد الله عبد الرحمن يتيم، المدرسة الأنثروبولوجية الفرنسية، عادات وتقاليد الثقافة الشعبية، العدد السادس، البحرين، صيف 2009.
43. عبد الله عبد الغني، طرق البحث الأنثروبولوجي، المكتب الجامعي الحديث، مصر (الإسكندرية)، 2004.
44. عبد السلام الترماني، الزواج عند العرب في الجاهلية والإسلام، عالم المعرفة، الكويت، 1984.
45. عبد الله ركيبي، الجزائر في عيون الرحالة الانجليز، الجزء الأول، دار الحكمة، الجزائر، 1999.
46. عبد الغني عماد، سوسيولوجيا الثقافة: المفاهيم والإشكاليات من الحداثة إلى العولمة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2006.
47. عبد الحليم صيد، أبحاث في تاريخ الزيبان بسكرة، وادي سوف، الجزائر، مطبعة وادي سوف، 2000.
48. عباس زهرة، نظام التبادل عند بعض القبائل البدائية - قراءة في الإرث الأنثروبولوجي.
49. عبد العالي السيد، علم الاجتماع الحضري، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، 1997.

قائمة المراجع

50. علاء الدين حسين نصر، ختان الإناث دراسة مقارنة في الفقه الإسلامي والقانون الوضعي، منشأة المعارف، الإسكندرية، 2008.
51. علي أحمد مذكور، التربية وثقافة التكنولوجيا، دار الفكر العربي، القاهرة، 2003.
52. علي عبد الرازق جليبي وآخرون، مناهج البحث الاجتماعي، دار المعرفة، مصر (قناة السويس)، 2007.
53. علي المكاوي، الأنثروبولوجيا وقضايا الإنسان المعاصر، الدار الدولية للاستثمارات الثقافية، القاهرة، 2008.
54. علياء شكري وآخرون، دراسات في علم الاجتماع الاقتصادي والتنمية الاجتماعية، دار المعرفة الجامعية، مصر (الإسكندرية)، 1991.
55. عدلي أبو طاحون، في التغير الاجتماعي، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، 1997.
56. عدنان محمود العساف ونادر محمد القضاة، الهدايا الترويجية في المصارف الإسلامية (دراسة فقهية قانونية تطبيقية)، المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية، العدد 4، 1440هـ - 2018م.
57. عدنان عبود موسى الحراشنة، شعر الهدايا في العصر العباسي، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، 2006.
58. عماد محمد رضا وآخرون، الهدايا الترويجية التجارية وتخريجها الفقهي وضوابطها الشرعية، دراسات علوم الشريعة والقانون، المجلد 40، ملحق 1، 2013.
59. عيسى الشماس، مدخل إلى علم الإنسان (الأنثروبولوجيا)، دراسة من منشورات اتحاد الكتاب العربي، سوريا (دمشق)، 2004.
60. عيسى عثمان إبراهيم، مقدمة في علم الاجتماع، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2004.

قائمة المراجع

61. فاكرا الغرابية وآخرون، الإساءة ضد الأطفال في مجتمع الإمارات - دراسة ميدانية على عينة من الأطفال المواطنين والمقيمين، مؤسسة دبي لرعاية النساء والأطفال، دبي الإمارات العربية المتحدة، 2015.
62. فاتن محمد شريف، الثقافة والفلكلور، دار الوفاء للطباعة والنشر، الإسكندرية، مصر، 2008.
63. فتحة محمد إبراهيم ومصطفى حمدي نشواني، مدخل إلى مناهج البحث في علم الإنسان، دار المريخ للنشر، المملكة العربية السعودية (الرياض)، 1988.
64. فراس عباس فاضل البياتي، علم الاجتماع - دراسة تحليلية للنشأة والتطور، دار غيداء للنشر والتوزيع، الأردن (عمان)، 2012.
65. فرحاتي العربي بلقاسم، البحث الجامعي بين التحرير والتصميم والتقنيات، دار أسامة للنشر والتوزيع، الأردن (عمان)، 2012.
66. فريد الزاهي، الصورة والآخر رهانات الجسد واللغة والاختلاف، دار الحوار، سوريا، 2013.
67. فليب كابان-جان فرانسيسكو دورتيه، علم الاجتماع من النظريات الكبرى إلى الشؤون اليومية: أعلام وتواريخ وتيارات، ترجمة: إياس حسن، دار الفرقد للطباعة والنشر والتوزيع، سوريا، 2010.
68. فهمي جدعان، حصاد القرن: المنجزات العلمية والإنسانية في القرن 20، مؤسسة عبد الحميد شومان، العلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد 3، الأردن (عمان)، 2007.
69. فوزي مصمودي، بسكرة بعيون عربية، الرحالة الجغرافيون والمؤرخون، والكتاب والشعراء العرب، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2011.
70. فيليب سيرنج، الرموز في الفن - الأديان - الحياة، ترجمة: عبد الهادي عباس، دار دمشق، سوريا (دمشق)، 1992.
71. فيكتور فرانكل، الإنسان يبحث عن المعنى - مقدمة في العلاج بالمعنى التسامي بالنفس، ترجمة: طلعت منصور، دار القلم، الكويت، 1982.

قائمة المراجع

72. قيس النوري، مدارس الأنثروبولوجيا، دار الحكمة للطباعة والنشر، بغداد، 1991.
73. كتاب تحفة الخليل في نبذة من تاريخ بسكرة النخيل، الجمعية الخلدونية للأبحاث والدراسات التاريخية بالتعاون مع ولاية بسكرة.
74. كلود ليفي شتراوس، مقالات في الاناسة، ترجمة: حسن قبيسي، دار التنوير، 2008.
75. مارسيل موس، علم الاجتماع والأنثروبولوجيا بحث في الهدايا الملزمة، ترجمة محمد طلعت عيسى، مكتبة القاهرة الحديثة، 1971.
76. مارسيل موس، بحث في الهبة: شكل التبادل وعلته في المجتمعات القديمة، ترجمة: المولدي الأحمر، المنظمة العربية للترجمة، مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان (بيروت)، يناير 2011.
77. محمد الجوهرى وعبد الحي الخريجي، طرق البحث الاجتماعي، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، 1990.
78. محمد بن عياد، في المناهج التأويلية، تقديم: محمد الهادي الطرابلسي، جامعة صفاقس، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، وحدة البحث في المناهج التأويلية، مطبعة التفسير الفني بصفاقس، تونس، ديسمبر 2013.
79. محمد أبو زهرة، محاضرات في المجتمع الإسلامي، معهد الدراسات الإسلامية، القاهرة، مصر، ب.س.
80. محمد حبيدة وآخرون، الأنثروبولوجيا من البنوية إلى التأويلية، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، 2014.
81. محمد عبيدات وآخرون، منهجية البحث العلمي-القواعد والمراحل والتطبيقات، الأردن، 1999.
82. محمد شفيق، البحث العلمي (الخطوات المنهجية لإعداد البحوث الاجتماعية)، المكتب الجامعي الحديث، مصر (الإسكندرية)، 1998.
83. محمد سليم، منهجية البحث العلمي (دليل طلاب العلوم الاجتماعية والإنسانية)، دار الغرب للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، الجزائر (وهران)، 2004.

قائمة المراجع

84. محمد على بدوي، مناهج وطرق البحث الاجتماعي، دار المعرفة الجامعية، الأزهرية، بيروت، 2000.
85. محمد علي البار، إختان، دار المنارة للنشر، جدة، مكة السعودية، 1994.
86. محمود أبو زيد، أعلام الفكر الاجتماعي والأنثروبولوجي الغربي المعاصر، الجزء الثاني، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2007.
87. معن خليل عمر، مناهج البحث في علم الاجتماع، الفصل الثالث، ب.ت.
88. معن خليل عمر، علم اجتماع الأسرة، دار الشروق، عمان، 1994.
89. منسي محمود عبد الحليم، مناهج البحث العلمي في المجالات التربوية والنفسية، دار المعرفة الجامعية، مصر (الإسكندرية)، 2000.
90. مير لوسي، مقدمة في الأنثروبولوجيا الاجتماعية، ترجمة: شاكِر سليم، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد.
91. ميرفت العشماوي وعثمان العشماوي، دورة الحياة دراسة العادات والتقاليد، دار المعرفة الجامعية، 2011.
92. مجموعة من الباحثين، الأسرة والطفولة، دراسات اجتماعية وأنثروبولوجية، دار المعرفة الجامعية، مصر (الإسكندرية)، ب.س.
93. طاهر حسو الزبياري، النظرية السوسيولوجية المعاصرة، دار البيروني للنشر والتوزيع، 2017.
94. نابوكيكا سوغا، الواقعة الاجتماعية الكلية- البناء والترابط الجزئي وإعادة التركيب، ترجمة: عبد السلام الفقير، مراجعة: حسن أحجيج، المغرب.
95. وفاء بنت عبد العزيز السويلم، الإهداء للشفعاء والموظفين وقبوله منهم "دراسة فقهية مقارنة"، قسم الفقه، كلية الشريعة، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.
96. هادي محمد، الصدقة والأصدقاء، الجزء الثالث.
97. هبة علي هادي وآخرون، الأبعاد الاجتماعية للهدية، قسم علم الاجتماع، كلية الآداب، جامعة القادسية، 2018.

قائمة المراجع

98. يحي مصطفى، عثمان محمد غنيم، مناهج وأساليب البحث (النظرية والتطبيقية)، دار صفاء للنشر والتوزيع، الأردن (عمان)، 2000.
99. يحي عبد بدر، أصول علم الإنسان (الأنثروبولوجيا)، الجزء الأول، دار الوفاء للطباعة والنشر، مصر (الإسكندرية)، 2007.
100. يعقوب عبد العالي، أوماش عراقية وأصالة، دار علي بن زيد للطباعة والنشر، بسكرة، الجزائر، 2012.
101. يوسف بن موسى، أنثروبولوجيا الهدية وأنساق التبادل - عرض كتاب الهبة لمارسيل موس، تراث الأنثروبولوجيا الفرنسية في تقدير الممارسة الفكرية لمارسيل موس، تقديم وتنسيق: يونس الوكيل، مؤمنون بلا حدود، قسم الفلسفة والعلوم الإنسانية، 01 فبراير 2012.
102. يونس الوكيل، تراث الأنثروبولوجيا الفرنسية في تقدير الممارسة الفكرية لمارسيل موس، مؤمنون بلا حدود، الملفات البحثية، قسم الفلسفة والعلوم الإنسانية، 01 فبراير 2016.

- المصادر:

1. أبو زيد أحمد، البناء الاجتماعي، المكتب الجامعي الحديث، الجزء الثاني، 1967.
2. القرآن الكريم، سورة المائدة، الآية 2.
3. القرآن الكريم، سورة مريم، الآية 17.
4. القرآن الكريم، سورة البقرة، الآية 215.

- المقالات والمجلات:

1. أحمد موسى بدوي، ما بين الفعل والبناء الاجتماعي: بحث في نظرية الممارسة لدى بيار بورديو، إضافات لبنان، العدد الثامن، خريف 2009.
2. أبراج الكورنيش، "عيد الحب"، هداية المكتب التعاوني للدعوة والإرشاد وتوعية الجاليات في الخير.
3. إبراهيم المياسي، احتلال بسكرة 1844، بسكرة عبر التاريخ، المجلة الخلدونية، العدد الثاني، دار الهدى، عين مليلة، بسكرة، 2003.

قائمة المراجع

4. اسطنبولي محي الدين، مقال حول "أحكام الرجوع في الهبة في الفقه الإسلامي"، مجلة آفاق العلوم، جامعة الجلفة، العدد السادس، 2017.
5. أميرة وحيد خطاب، المضامين الاجتماعية للهدية - دراسة ميدانية في مدينة الموصل، مجلة آداب الوافدين، العدد 50، 1429هـ - 2008م.
6. إدريس مقبوب، نظام الأعراس في المغرب - نموذج قبائل بني وارين الأمازيغية، عادات وتقاليد، الثقافة الشعبية، العدد التاسع، ربيع 2010.
7. الجمعية الخلدونية للدراسات التاريخية، الملتقى الوطني الأول بسكرة عبر التاريخ، عدد خاص، العدد الثاني، 2003.
8. بشرى عناد مبارك، التمثيلات الاجتماعية وعلاقتها بالتوجه نحو السيادة الاجتماعية لدى المنتمين للأحزاب السياسية، مجلة الفتح، العدد 51، كلية التربية الأساسية، جامعة ديالي، أيلول لسنة 2012.
9. بدرية الشامسي، عادات الزواج وتقاليد في الماضي، الثقافة الشعبية، العدد 43، 2018.
10. تواتية بودالية، الهدايا الدبلوماسية وأغراضها بين المغرب الأوسط والعالم الإسلامي، مجلة عصور، المجلد 17، العدد الأول، سبتمبر 2018.
11. خديجة المولاني، "الهدية: الإطار المرجعي والممارسة قرية الدية بالبحرين أنموذجاً"، أرشيف الثقافة الشعبية للدراسات والبحوث والنشر، مملكة البحرين، العدد الثامن، شتاء 2010.
12. دوارة أحمد وشماخي موسى اسماعيل، دور التوزيع كممارسة سوسيو ثقافية اقتصادية في تحقيق الاستقرار المجتمعي رؤية أنثروبولوجية منطقة قورارة أنموذجاً، مجلة حقائق للدراسات النفسية والاجتماعية، العدد التاسع.
13. رقية سهيل خليل، الأنثروبولوجيا الاقتصادية، محاضرة رقم 8، المادة أسس الأنثروبولوجيا.
14. سليم كرام، بين الأمس واليوم، بسكرة عبر التاريخ، المجلة الخلدونية، العدد الثامن، بسكرة، 2010.

قائمة المراجع

15. سليمة بودخانة، بسكرة في عيون الفرنسيين معلما في الكتابات ومدار للرحلات، (محاضرات الملتقى الوطني الثالث عشر بسكرة عبر التاريخ)، بسكرة بعيون الرحالة الغربيين، دار الثقافة أحمد رضا حوحو، أيام 22/23/24 ديسمبر 2015، الجمعية الخلدونية، بسكرة، 2018.
16. صالح بن قربة وفتيحة شلوق، العمارة الدينية الأثرية بمنطقة الزاب ومتطلبات توظيفها في تنمية السياحة الدينية، مجلة العلوم الإنسانية، جامعة محمد خيضر بسكرة، العدد 35/34، مارس 2014.
17. عباس الزهرة، "تبادل الهدايا وتعزيز الرابطة الاجتماعية-المناسبات الدينية أنموذجا"، مجلة الفكر المتوسطي، جامعة تلمسان، العدد الثاني عشر، جانفي 2017.
18. عباس الزهرة ومحمد حمداوي، تبادل الهدايا وتعزيز الرابطة الاجتماعية- الهدية في المناسبات الدينية أنموذجا، مجلة العلوم الاجتماعية، العدد 26، سبتمبر 2017.
19. عباس الزهرة، الهدية بين الرابطة الاجتماعية والمنفعة الاقتصادية، مخبر الخلدونية الجديدة والمؤسسات العمرانية والسلطة، جامعة عبد الحميد بن باديس، مستغانم، الجزائر.
20. عبد الله عبد الرحمن يتيم، المدرسة الأنثروبولوجية الفرنسية: مارسيل موسى نموذجا، مجلة الثقافة الشعبية، البحرين، العدد السادس، 2011.
21. عبد الكريم براهيم، الثابت والمتحول في طقوس الغذاء أثناء الضيافة في المجتمع التونسي: مقارنة أنثروبولوجية، الثقافة الشعبية، العدد 36، السنة العاشرة، البحرين، شتاء 2017.
22. عبد القادر صيد، بلدة ليشانة محضن العلم والمقاومة، الملتقى الوطني الثاني عشر (بسكرة عبر التاريخ) من حواضر ومدن وبلدان منطقة الزيبان، دار الثقافة احمد رضا حوحو بسكرة، أيام 23/24/25/26 ديسمبر 2014، الجمعية الخلدونية، 2017.
23. عزيز اسماعيل محمد ومحمد عبد النافع، "اقتصاد المجاملة وثقافة الإنفاق في المناسبات"، مجلة الدنانير، كلية الإدارة والاقتصاد، الجامعة العراقية، العدد الحادي عشر، 2017.

قائمة المراجع

24. علي الشيخ وكويحل فاروق، سوسيولوجيا الحياة اليومية- الواقع المعاش للأفراد في الوسط الاجتماعي، مجلة الشامل للعلوم التربوية والاجتماعية، جامعة الشهيد حمة لخضر الوادي، المجلد 01، جوان 2018.
25. فريال عباس، مراسيم الزواج بمدينة قسنطينة، مقارنة أنثروبولوجية، مجلة إنسانيات، عدد مزدوج 29-30 جويلية- ديسمبر 2005.
26. محي الدين صيف الدين، تبادل الهدايا بين علماء الغرب الإسلامي وبقية عناصر مجتمعاتهم خلال العصر الوسيط، مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ، جامعة مصطفى اسطنبولي معسكر، مجلد 17، العدد 01، جويلية 2021.
27. محمد الجوهري، "عادات وتقاليد"، الثقافة الشعبية، العدد الرابع، شتاء 2009.
28. محمد الصافي، شدرات من عادات وتقاليد المجتمع الصحراوي بجنوب المغرب، الثقافة الشعبية، العدد 41، 2018.
29. محمد العربي حرز الله، حاضرة منطقة أولاد جلال، الملتقى الوطني الثاني عشر بسكرة عبر التاريخ، من حواضر ومدن وبلدات منطقة الزيبان، دار الثقافة احمد رضا حوحو بسكرة، أيام 23/24/25/26 ديسمبر 2014، الجمعية الخلدونية، 2017.
30. محمد قويدري، بلدات طولقة وبرج بن عزوز وفرفار وإيشانة حواضر العلم والدين وحواضر الجهاد والاستشهاد، (الملتقى الوطني الثاني عشر بسكرة عبر التاريخ) من حواضر ومدن وبلدات منطقة الزيبان، دار الثقافة احمد رضا حوحو بسكرة، أيام 23/24/25/26 ديسمبر 2014، الجمعية الخلدونية، 2017.
31. محروق نوال، "طقوس الاحتفال برأس السنة الأمازيغية"، مجلة تطوير، المجلد 08، العدد 02، 2021.
32. مليكة جابر، "التمثلات الاجتماعية للطلبة الجامعيين (ما بعد التدرج) لفرص العمل بعد التخرج"، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، العدد 18، 2015.
33. مجلة الفرات، يومية سياسية تصدر عن مؤسسة الوحدة للصحافة والطباعة والنشر، سوريا (دير الزور)، بتاريخ: 2007/05/28.

قائمة المراجع

34. مطرف عمرو بن معمر بوخضرة، "الأعياد والمناسبات الاحتفالية في المجتمع الجزائري بين العادات الاجتماعية والمظاهر الفرجوية- دراسة أنثروبولوجية"، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد 52، ديسمبر 2019.
35. منصف المحواشي، الطقوس وجبروت الرموز: قراءة في الوظائف والدلالات ضمن مجتمع متحول، مجلة إنسانيات، العدد 49، جويلية- سبتمبر 2010.
36. لمياء مرتاض، أشكال التضامن الاجتماعي- التوزيع نموذجاً، جامعة مستغانم، الجزائر.
37. نعيمة رحمانى ونصيرة بكوش، "دراسة سوسيو أنثروبولوجية لعادات وطقوس الزواج بتلمسان"، الثقافة الشعبية، عادات وتقاليد، العدد 36، البحرين، شتاء 2017.
38. نورية سولامية، الروابط العائلية ومناسبات التلاقي، مجلة المداد، جامعة معسكر، الجزائر، 2021.

- المواقع الإلكترونية:

1. أمين نجيب، البعد الاجتماعي للهدايا، مجلة القافلة، ارامكو السعودية، الموقع: qafila.com، بتاريخ: 2022/08/30، على الساعة: 00:00.
2. المدرسة الأنثروبولوجية الفرنسية: مارسيل موس نموذجاً، الثقافة الشعبية، العدد السادس، صيف 2009.
3. بلحريزي سعاد، المؤسسة التربوية من منظور النظرية التبادلية السلوكية، جامعة تلمسان، مقياس سوسولوجيا المؤسسة التربوية، أولى ماستر في علم اجتماع التربية، <https://e.learn.univ-tlemcen.dz>.
4. تاريخ الهدايا، Bearingbeat. Store، بتاريخ: 2022/08/21، الساعة: 07:23.
5. جزايرس- محرك بحث إخباري، الموقع: 265084/djazairess.com/alfadjr/، بتاريخ: 2022/10/04، على الساعة: 22:08.

قائمة المراجع

6. عبد الرحمن بن عبد الله الشقير، الهدية: أهم أشكال التفاعل الاجتماعي، مجلة حكمة، الموقع: <Fill://c:/users/dell/desktop>، بتاريخ: 2022/08/30، على الساعة: 10:30.
7. عصام كرم الطوخي: الموقع: Sada.potsaid.com، بتاريخ: 2019/07/22، على الساعة: 10:20.
8. ديما محمود، نظرية التبادل الاجتماعي، موقع الرسائل: Almirsal.com، <File://c:/users/Pro/Desk>، بتاريخ: 2022/02/08، على الساعة: 48:09.
9. محمد صالح المنجد، "عيد الأم نبذة تاريخية"، تصفح يوم: 2022/07/20، على الساعة: 21:30.
10. موقع تحواس براس، tahwas.bresse.dz، بتاريخ: 2022/10/19، على الساعة: 12:11.
11. ويكيبيديا الموسوعة الحرة، <https://Ar.wikipedia.org/>

- الموسوعات والمعاجم:

1. ابن منظور، لسان العرب، دار المعرفة، لبنان (بيروت)، 1988.
2. ابن سعيد المغربي، معجم البلدان، الطبعة الثانية، المجلد 1، دار صادر، بيروت، لبنان، 1995.
3. أبو الفضل جمال الدين ابن منظور، لسان العرب، المجلد الثالث، دار صادر، بيروت، لبنان، 1995.
4. الفيروز الابدادي، القاموس المحيط، دار صادر، الطبعة الخامسة، بيروت، لبنان، 1996.
5. اوزوالد ديكر و جان ماري سشايفر، القانون الموسوعي الجديد لعلوم اللسان، ترجمة: منذر عياشي، المركز الثقافي العربي، 1972.
6. ايكة هولتكرانس، قاموس مصطلحات الإثنولوجيا والفلكلور، ترجمة: محمد الجوهري وحسن الشامي، الهيئة العامة لقصور الثقافة، 1972.

قائمة المراجع

7. بيار بونت، ميشال ايزار، معجم الإثنولوجيا والأنثروبولوجيا، ترجمة، مصباح عبد الصمد، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع المجد، لبنان (بيروت)، 2006.
8. جميل صليبا، المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، 1982.
9. جوردن مارشال، موسوعة علم الاجتماع، المجلد الأول، ترجمة: محمد الجوهري وآخرون، الطبعة الثانية، 2007.
10. جيل فيريول، معجم مصطلحات علم الاجتماع، ترجمة وتقديم: أنسام محمد الأسعد، دار ومكتبة الهلال، لبنان (بيروت)، 2011.
11. حسان محمد الحسن، معجم علم الاجتماع، لبنان (بيروت)، الطبعة الثانية، 1986.
12. فريديريك معتوق، الموسوعة الميسرة في العلوم الاجتماعية، مكتبة لبنان ناشرون، لبنان (بيروت)، 2012.
13. شارلوت سيمور سميث، موسوعة علم الإنسان، المفاهيم والمصطلحات الأنثروبولوجية، ترجمة مجموعة من أساتذة علم الاجتماع بإشراف محمد الجوهري، المركز القومي للترجمة، الطبعة الثانية، 2009.
14. شاكراً مصطفى سليم، قاموس الأنثروبولوجيا انكليزي-عربي، مكتبة لبنان ناشرون، لبنان (بيروت)، 2012.
15. شوفاليه سبيغان، شوفيري كريستيان، معجم بورديو، ترجمة: الزهرة إبراهيم، النايا للدراسات والنشر والتوزيع، سوريا، 2013.
16. عدنان أبو مصلح، معجم علم الاجتماع، دار أسامة للنشر والتوزيع ودار المشرق الثقافي، الأردن (عمان)، 2006.
17. علي كبريت، موسوعة التراث الشعبي لمنطقتي تيارت وتيسمسيلت، دار الحكمة، الجزائر، 2007.
18. معن خليل عمر، معجم علم الاجتماع المعاصر، دار الشروق للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، 2006.

قائمة المراجع

19. مديرية المجاهدين لولاية بسكرة، قاموس الشهيد من شهداء ولاية بسكرة (1954/1962)، شركة الزيبان للفنون المطبعية، بسكرة، الجزائر، 2005.
20. ياقوت الحموي، معجم البلدان، مجلد 3، دار صادر، بيروت، لبنان.

- الرسائل والأطروحات الجامعية:

1. أمينة كرابية، "طبيعة الرابطة الاجتماعية في المجتمع الحضري"، رسالة لنيل دكتوراه علوم في علم الاجتماع، جامعة وهران 2 محمد بن احمد، السنة الجامعية: 2017/2016.
2. بلاح مديحة، مذكرة بعنوان "إيديولوجية الرشوة والسلوك الرشوي والارتشائي في المجتمع الجزائري"، دراسة ميدانية لعينة من المختصين في مكافحة الرشوة، جامعة الجزائر، قسم علم الاجتماع، السنة الجامعية: 2009/2008 .
3. بوخلفي قويدر جهينة، تطور النظام الواحي وعلاقته بالقصور في الصحراء المنخفضة "الزيان"، أطروحة دكتوراه مقدمة، جامعة منتوري قسنطينة، السنة الجامعية: 2018/2017.
4. بوغديري كمال، الطرق الصوفية في الجزائر- الطريقة التيجانية نموذجا- دراسة أنثروبولوجية بمنطقة بسكرة، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه علوم في علم الاجتماع، جامعة الدكتور محمد لمين دباغين سطيف 2، السنة الجامعية: 2015/2014.
5. تمرسيت فتيحة، الأسرة الجزائرية والتغير الاجتماعي، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في علم الاجتماع، تخصص علم الاجتماع الحضري، قسم العلوم الاجتماعية، جامعة محمد خيضر بسكرة، السنة الجامعية: 2016/2015.
6. حمداني مالية، ميراث المرأة القبائلية بين التحدي للأعراف والحاجة المادية، رسالة تخرج لنيل شهادة الماجستير، تخصص علم الاجتماع الريفي، جامعة الجزائر، السنة الجامعية: 2010-2009 .
7. سوهار عبد القادر، المخيل الجماعي والتمثلات الفكرية، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في الفلسفة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم الفلسفة، جامعة جيلالي لباسي، سيدي بلعباس، السنة الجامعية: 2016/2015.

قائمة المراجع

8. عباس الزهرة، الهدية في المجتمع الجزائري - طبيعتها ودلالاتها الرمزية دراسة ميدانية بمنطقة تيارت، أطروحة دكتوراه في علم الاجتماع تخصص البنيات الأسرية والروابط الاجتماعية، جامعة عبد الحميد بن باديس، مستغانم، السنة الجامعية: 2018-2019.
9. قرطي فائزة، "الزوجان والعلاقات الأسرية"، مذكرة لنيل شهادة ماجستير في علم اجتماع العائلة، جامعة وهران 2، السنة الجامعية: 2015/2016.
10. دهلاس جينيفر، المراهق والهاتف النقال- التمثل والاستخدامات، دراسة على عينة من المراهقين في ولاية الجزائر العاصمة، جامعة الجزائر 3، الجزائر، 2009/2010.

■ مراجع باللغة الأجنبية

- Alain caille, **Mauss Les Entretiens**, Common Godfrain, par Violaine Hacher, juin 2013.
- Denis Jadelat, **représentation sociale**, phénomène conopt, théorie, puf 2ème ex, paris, 1984.
- David.w.Johnson, **les relations humaines dans le monde de travail**, édition de renouveau pédagogie, saint lorans, quélec, 1988.
- Feraud (charles). **Les béni dgellebs**, sultans de Touggourt, notes historiques sur la province de Constantine, revue africaine, n°28 ,1884.
- François Laplantine, **la description ethnographique**, ouvrage publié sous la direction de François Single-Nathan université, paris, 1996.
- Marcel Mauss, **Essai sur le Don**, 3ème édition, puf, quadrigé, 1989.
- Marcel Mauss, **Manuel d'ethnographie**, un document produit en version numérique par Jean-Marie Tremblay. Professeur de sociologie au cégep de Chicoutimi conviel : jmt-sociologue@Videatron.ca,1926.

قائمة المراجع

- Mare cote, **Guide d'Algérie paysage et patrimoine**, édition Media-media- plus Constantine, 2006.
- Maurice Godelier, **L'énigme du don**, Paris, Fayard, 1996.
- Moscovici serge, **psychologie sociale et puf**, paris, 1992.
- Norbert sillany, **Dictionnaire usuel de psychologie**, paris, 1980.
- Jacques.T.Godbout, **Le Don**, Le Dette et l'identité, Les classiques des sciences sociales dirigée et fondée par Jean Marie Tremblay, 2 édition électronique, 2000.
- Jean Copains, **L'enquête ethnographique de terrain**, ouvrage publié sous la direction de François sigly. Nathan université, 1998.
- Jean Claude Abris, **pratiques sociales et représentation**, puf 2ème ed paris, 1997.
- Jodlait Donis, **Les présentations sociale**, P.U.F, paris, 1989.
- **Société de géographie et d'archéologie de la province de Oran**, Bulletin de la société du géographie, Oran, n°20, 1884. Et bulletin trimestriel de géographie, avril/ juin 1885 .
- Pantaléo, **les colliers soulava et bracelets mwali du circuit kula monnaies et lien social**, publiée en juillet 2002 :[http // :www.passerelleco .info/article.phpid-article,p153](http://www.passerelleco.info/article.php?id=article,p153).
- **Présentation de la région d'étude**, chapitre1, page 45. <https://thesis.univ-Biskra-dz/552/1/di.Versite-Spécifiques-de-laphidofaune>.
- René Kaes, **Image de culture chez les ouvriers français**, Indiction paris, 1968.

الملاحق

الملاحق

أولاً: مورفولوجيا منطقة الزيبان

ثانياً: صور لمنطقة الزيبان

ثالثاً: صور لبعض الهدايا المتبادلة في حلقة الكولا

رابعاً: صور لبعض الهدايا المتبادلة في المناسبات

خامساً: دليل المقابلة

سادساً: معلومات حول الإخباريين

سابعاً: التعابير والأمثال المستعملة من قبل المبحوثين

ملحق 01:

مورفولوجيا منطقة الزيبان

➤ ملحق 01: مورفولوجيا منطقة الزيبان

1. التسمية تحديد المصطلح
2. الإطار الجغرافي والبشري لمنطقة الزيبان
3. خصائص منطقة الزيبان
4. تاريخ منطقة الزيبان
5. بسكرة في عيون الرحالة العرب والأوروبيين
6. من أعلام وعظماء منطقة الزيبان
7. الموارد السياحية لمنطقة الزيبان

1. التسمية وتحديد المصطلح

▪ الزاب لغة:

لقد تناولت من المصادر والمراجع التاريخية مصطلح الزاب، ولكنها اختلفت في تحديد تعريف له.

إن مصطلح الزاب يرتبط بالمناطق المحصورة بين الأنهار والأودية وما تشكله من أراضي خصبة تكون صالحة للزراعة والاستقرار كذلك.

¹ أي يقصد به ما هو صالح للمعيشة واستقرار الإنسان والقيام بكل ما هو مطلوب لمعيشته وحياته.

فياقوت الحموي يعرفه في معجم البلدان كالاتي: " فقد قال ابن الأعرابي: " زاب الشيء إذا جرى"، وقال سلمة: "زاب يزوب إذا انسل هرباً"، والذي يعتمد عليه أن زاب ملك من ملوك الفرس، وهو زاب بن توركمان بن منو، شهر ابن أريج بن أفريدون، حفر عدة أنهر بالعراق فسمي باسمه، وربما قيل لكل واحد زابي، والتسمية زابياً"². وعليه فالزاب مرتبط بكل ما فيه حياة ونبض، إذ تتوفر فيه المياه ومطالب الإنسان لبداية حياة والاستقرار عند مجال ومكان معين.

وإذا جمعت قيل لها الزوابي وهي الزاب الأعلى وهذا هو المسمى بالزاب لشدة جريانه، وكان هذا الزاب بينه الموصل واربل، وأما الزاب الأسفل فهو قرب مدينة واسط، وكذلك في كتاب لسان العرب لابن منظور يعتبر الزابان نهران بناحية الفرات، ويسمى ما حولها من الأنهار بالزوابي وقد تكون قد حذفت الباء فقالوا الزاب.³ حيث إذا رجعنا إلى أصل بداية الإنسان نجدها تكمن عند تواجد المياه والأنهار حيث أين يكمن الماء تكمن الحياة، وهذا أساس كلمة زاب المرتبط بنهر الماء الجاري الصالح لبداية واستقرار حياة الإنسان بجانبه.

ويعتبر الفيروز الأبادي في قاموس المحيط الزاب هو: "زاب زوبا أي انسل هرباً والماء جرى، والزاب بالأندلس هو كورة، منها نهر بالموصل، ونهر بالأربل ونهر بين ما وراء واسط، وكل منها كورة وهما زابان أو الأصل الزيبان، والعامية تقول الزابان هو ما يجمع جوانب الأنهار، وزاب "ملك للفرس حفرها

¹سليم كرام، بين الأمس واليوم، بسكرة عبر التاريخ، المجلة الخلدونية، ع8، بسكرة، 2010، ص 249.

² ياقوت الحموي، معجم البلدان، مج3، بيروت، لبنان، دار صادر، ص 123.

³ أبو الفضل جمال الدين ابن منظور، لسان العرب، مج3، بيروت، لبنان، دار الصادر، 1995، ص 319.

جميعاً".¹ أما عبد الحميد حبة² في أبحاث تاريخ زيبان بسكرة، فعرفه قائلاً: قال السلفي في معجم البلدان سمعت الأصم الميروقي يقول: الزاب الكبير من بسكرة وتورز قسنطينة وطولقة وقفصة ونفزاوة³ وبادس، ثم قال: والزاب أيضا كورة صغيرة يقال لها ريغ فمن كان منها يقال: ريغي⁴، والزاب أيضا كورة عظيمة ونهر جرار بأرض المغرب على البر الأعظم عليه بلاد واسعة وقرى كثيرة بين تلمسان وسجلماسة⁵ والنهر متسلط عليها.⁶ وعليه فموقع منطقة الزاب مربوطة بالمياه والأنهار وهذا دليل على الموقع المناسب والاستراتيجي الذي تتمتع به المنطقة وتزخر فيه الحياة في ذلك المكان خاصة من الناحية الزراعية والفلاحية التي تخلق ثراء للمنطقة وسكانها من هذا الجانب.

وفي الموسوعة العربية الميسرة الزاب نوعان من نهر دجلة يتصلان من الضفة اليسرى، فالزاب الأعلى أو الأكبر له شأن كبير في التاريخ الحربي بين العرب والبيزنطيين، والزاب الأسفل أو الأصغر.

وحسب دائرة المعارف الإسلامية أيضا الزاب إقليم في بلاد الجزائر لقد أطلق اسم الزاب، والجمع زيبان على المنطقة التي حول بسكرة وطولها 125 ميلا، تقريبا من الغرب إلى الشرق وما بين 30 و40 ميلا من الشمال إلى الجنوب، وهو سهل منبسط يتلاشى شيئا فشيئا في الجنوب حتى يندرج في الصحراء، يأخذ الزاب اسمه من مدينة زابي الرومانية القديمة التي كانت تقع في منطقة الحضنة، والمعروف أن الرومان لم يحتلوا هذه المنطقة ولكنهم اكتفوا بإنشاء معازل حولها في ناحية بسكرة وعند المنفذ الجنوبي لأودية الأوراس، وقد كان اسم الزاب في القديم يستعمل بتوسع بحيث يشمل سهول الحضنة الواقعة عند السفوح الجنوبية للأطلس وهي مقرة وطبنة.⁷

وعليه فكلمة الزاب أو الزيبان مربوطة بالأنهار والوديان، حيث يكمن الجري والسيلان كما ذكر على موقعها بالضبط فيما سبق ذكره، حيث استقر الإنسان فيها ومارس الزراعة والفلاحة.

¹ الفيروز الأبادي، القاموس المحيط، ط5، بيروت، لبنان، دار صادر، 1996، ص 122.

² عبد الحميد حبة: عالم موسوعي متعدد المواهب ولد ونشأ بسبيدي عقبة، وتوفي بالمغرب، له رسائل ومحاضرات متنوعة منها التذكرة الأنفة الذكر، وعلماء منطقة الزيبان.

³ نفزاوة: قبيلة من قبائل تونس.

⁴ ريغ: كلمة بربرية معناها السبخة.

⁵ سجلماسة: هي مدينة من أواخر الثاني من المغرب الأقصى بالصحراء، وهي قاعدة ولاية مشهورة في درعة، ولها نهر يأتي من الجنوب الشرقي، ولها 8 أبواب ومن أيها خرجت ترى النهر والنخيل.

⁶ عبد الحليم صيد، أبحاث في تاريخ زيبان بسكرة، وادي سوف، الجزائر، مطبعة وادي سوف، 2000، ص25.

⁷ عبد الحليم صيد، مرجع سابق، ص6.

■ الزاب اصطلاحا:

إن أصل كلمة الزاب هو اسم مأخوذ من المدينة الرومانية "زابي"، التي كانت تقع في منطقة الحضنة، واسم الزاب يستعمل في القديم بتوسع بحيث يشمل سهول الحضنة¹ ومدنها الواقعة على السفوح الجنوبية للأطلس، وهي مقرة² وطبنة³، ولكنه يطلق الآن على امتداد غير فسيح عند سفوح الجبال الفاصلة بين جبال الحضنة والصحراء، وقاعدة الزاب هي بسكرة والزاب عبارة عن ثلاثة مناطق متميزة متصلة وهي:

1. الزاب الظهر اوي: وهي المنطقة التي تقع فيها طولقة، ليشانة، بوشقرون، فوغالة، وكلها تعتمد على النخيل وتنتج أجود أنواع التمور وتروي أراضيها من آبار ارتوازية.
2. الزاب الغربي: ومن أهم قرراها ليوة، الصحيرة، مخادمة، بنطبوس وأوماش وهي أيضا تعتمد على زراعة النخيل وتسقى بمياه الآبار الارتوازية.
3. الزاب الشرقي: يقع بين تلال الأوراس وشط ملغيغ⁴، وأهم قرراه: سيدي عقبة، حيث يوجد مسجد فاتح المغرب العظيم وقبره، والدروع وسيدي خليل، وهذه المنطقة تروى عن الأنهار التي تنحدر من جبال الأوراس.⁵

إن فنطقة الزاب لاتساع وشساعة مساحتها وموقعها المرتكز على الأنهار والأودية في المعيشة استدعى التقسيم إلى ثلاثة مناطق لكل منها مميزاتا من ناحية موقعها واشتراكها في زراعة النخيل واعتمادها كثرة نباتية حياتية.

أما الزاب اليوم فهو يطلق على قطعة في سفوح الجبال الفاصلة بين سهول الحضنة والصحراء، وعاصمة الزاب الإدارية والتجارية في يومنا هذا هي مدينة بسكرة.⁶ وعليه تعتبر هاته الأخيرة أي بسكرة مركز

¹الحضنة: إقليم بالجزائر من أهم مدنه المسيلة.

²مقرة: مدينة من مدن الحضنة في ولاية المسيلة.

³طبنة: هي منطقة بركة حاليا.

⁴شط ملغيغ: هو شط من شطوط إقليم وادي سوف يقع شمالها.

⁵ مديرية المجاهدين لولاية بسكرة، قاموس الشهيد من شهداء ولاية بسكرة (1954 - 1962)، بسكرة، الجزائر، شركة

الزيان للفنون المطبعية، 2005، ص 13 .

⁶ فوزي مصمودي، بسكرة بعيون عربية، الرحالة الجغرافيون والمؤرخون، والكتاب والشعراء العرب، عين مليلة، الجزائر،

دار الهدى، 2011، ص 148.

منطقة الزيبان المختص أكثر بالأمر الإدارية والتجارية الجامعة بين المناطق المكونة لمنطقة الزيبان المسؤولة عن نشاطاتها.

أما العلامة ابن خلدون فيذكر أن بسكرة هي قاعدة وطن الزاب بهذا العهد من قصر الدوسن بالغرب، إلى قصور تنومة¹. وبإدس بالشرق، والزاب وطن كبير يشمل قرى متجاورة يعرف كل منها بالزاب، وألها زاب الدوسن، ثم زاب طولقة ثم زاب امليلة، وزاب بسكرة وزاب تهودة وزاب بادس، وبسكرة أم هذه القرى، فمنطقة الزيبان تمتد عبر شريط عرضه حوالي مائة كلم من واحة القنطرة شمالا إلى واحو الشقة جنوبا، وعبر شريط آخر بحوالي مائتي كلم من واحة خنقة سيدي ناجي في الشرق إلى واحة سيدي خالد في الغرب.

ومن خلال كل هذا فتركيز ابن خلدون هنا يمكن إسقاطه على فكرة الكل والجزء، حيث الكل يمثل منطقة الزاب أي كما يلقبها بالزاب الكبير والتي تتمثل في بسكرة وهي الأساس والقاعدة التي ينطلق منها باقي الأجزاء أو الفروع، وهي المدن والبلديات المجاورة كما ذكرها سابقا ابن خلدون في التعريف.

الزاب كمصطلح يستعمل في المشرق العربي للدلالة على زاب الموصل بالعراق وهو عبارة عن وديان ينبعان من جبال الأكراد أحدهما الزاب الأصغر بين الموصل واربل والثاني الزاب الأكبر بين اربل وكركوك وكلاهما من روافد دجلة، وفي المغرب العربي يستعمل للدلالة على المنطقة التي كانت تمثل نوميديا أو بمعنى أوسع موريتانيا السطيفية كإقليم في إفريقيا في العهد الروماني حيث كانت مركزا للفرقة الرومانية الثالثة، المكلفة بالإشراف على سلامة محصول القمح الوفير ومراكز زراعة الزيتون، وهذه الحصون حولها العرب إلى مدن مثل الزاب الاسم الذي أصبح يطلق على كل إقليم سطيف وتيمقاد وسوق أهراس وباغاي ومسيلة وبسكرة وبإدس.. الخ، وكل هذه المنطقة أصبحت تعرف بالزاب بعد الفتح الإسلامي وبحدود واسعة تشمل إقليم القبائل وإقليم ورسنيس إلى جنوبه ثم منطقة جبال الأوراس والشطوط مثل شط الحضنة وشط ملغيغ، أما حدود الإقليم الغربية فهي مجرى نهر الشلف.

وتسمية الزاب مشتقة من مدينة زابي وهي حصن روماني في منطقة الحضنة التي تعرف حاليا بالمسيلة، وإقليم الزاب ذكر من قبل الكثير من الجغرافيين والرحالة أشهرهم الجغرافي أحمد بن أبي يعقوب الذي يقول: إن الإقليم الثالث من ولاية إفريقيا هو الزاب إضافة إلى طرابلس وإفريقيا، فالزاب عنده بلاد واسعة

¹تنومة: هي مكان لم يعد موجود حاليا، قرب منطقة الفيض التابعة لبسكرة حاليا.

تتضمن مدنا وأقاليم شتى قاعدتها طبنة. وهذا ما يتميز به المصطلح من شساعة مساحته التي تضم العديد من المناطق والمدن المنطوية تحت تسمية الزاب أو الزيبان، وهذا الأخير ترجع تسميته إلى كثرة الوديان والأنهار المحيطة به.

2. الإطار الجغرافي والبشري لمنطقة الزيبان

▪ الإطار الجغرافي:

1. الموقع الإداري والفلكي:

يقع الزاب على خط عرض ما بين 34° و 30° إلى 35° شمالا وخطي طول 2° إلى 3° شرقا، يحدد شمالا التلال الجنوبية لجبل أحمر خدو (جبل زرزور) وجبال الأوراس وسلسلة تلال بوغزال التي تفصله عن سهل لوطاية ثم جبال الزاب وقممها الأساسية مثل جبل موديان، شعيمة، والدخان، وفي الغرب تستمر السلسلة الجبلية بقممها المرتفعة وتبدأ من جبل الدخان إلى غاية وادي جدي خاصة إقليم الزيبان عن إدارة عمالة الجزائر العاصمة وباقي المناطق في الدائرة، في الجنوب خط وهمي إداري يقسم المنطقة الواسعة المحصورة بين وادي الجدي ووادي التل.

هذا الخط يرتكز من جهة على وادي جدي ومن جهة أخرى على شط ملغيغ، الذي في جوانبه الشمالية الغربية، وأخيرا في الشرق الحدود مقطوعة مجزأة في سهل كبير يمتد بين جبل أحمر خدو والشط، وهو يشتمل على مساحات واسعة من الأراضي الزراعية، ويقسم طبيعيا إلى ثلاثة مناطق:

- المنطقة الأولى: توجد في الشرق وهي على شكل مسرح مفتوح يحدها من الشمال والجنوب سلسلتين جبليتين متوازيتين في الغرب بينهما منطقة بها أراضي مستوية خصبة.
- المنطقة الثانية: تقع في الجنوب تحتلها واحات الزيبان، وهي منطقة واسعة تنتهي عندها سفوح جبال الزاب، محمية شمالا من الرياح الباردة بمرتفعات تساعد على إيجاد ظروف حرارية قريبة من مثيلاتها في وادي ريغ، تحتوي على طبقة هامة من المياه الجوفية وهي خصبة صالحة لزراعة النخيل.

- المنطقة الثالثة: جد قاحلة وهي بمثابة السواحل الجنوبية للمغرب تتكون من سهول حجرية وأخرى رملية تعرف نقصا كبيرا في المياه، عندما تتأخر أمطار الفصول الباردة لا يوجد مصدر لسقي الأراضي.¹

تعتبر المنطقة الثانية الأفضل بين المناطق الثلاثة لتوفر الظروف الطبيعية المناسبة والمساعدة على العيش والاستثمار فيها خاصة من ناحية الزراعة مثل زراعة النخيل.

الزيبان هو اسم عربي أطلق على المناطق المجاورة لبسكرة بعد الفتح الإسلامي تمييزا لها عن زاب العراق وزاب الموصل... وسميت بزاب بسكرة ثم قسمت إلى عدد من الزيبان (الزاب الشرقي والزاب الغربي والزاب القبلي والزاب الظهراوي).

وعليه فتسمية الزيبان هي جمع لكلمة زاب، والتي تضم العديد من القرى والمدن المنطوية تحت اسم الزيبان.

وذكرت الزيبان وعاصمتها بسكرة عند البكري والإدريسي وابن خلدون والورتلاني والعايشي وياقوت الحموي وليون الإفريقي. وقد تعود التسمية إلى Zaba أو Zabos من العهد الروماني بالمنطقة.²

حيث تمثل مدينة بسكرة القاعدة والأساس الذي تنطلق منه منطقة الزيبان المشكلة من عدة مناطق ومدن، كل منها تحمل اسم زاب معين، حسب ما لاحظته ودونه الرحالة والعلماء عبر كتاباتهم حول المنطقة وأصلها.

تمثل الزيبان حسب الجغرافيين الفرنسيين الجزء الشمالي من الصحراء الشرقية، حيث يحدها شمالا الأوراس وجنوبا واد ريغ، وشرقا واد العرب، أما غربا فقبائل أولاد نايل (شرق بسكرة وجنوب شرقها: فلياش، ودروع، وشتمة، وسيدي خالد، وسريانة، وتهوده، وقورتا، وسيدي عقبة. وغربها: بوشقرون،

¹صالح بن قرية وفتيحة شلوق، العمارة الدينية الأثرية بمنطقة الزاب ومتطلبات توظيفها في تنمية السياحة الدينية، مجلة العلوم الإنسانية، جامعة محمد خيضر بسكرة، العدد 35/34، مارس 2014، ص-ص (433-435).

² الجمعية الخلدونية للدراسات التاريخية، الملتقى الوطني الأول بسكرة عبر التاريخ، عدد خاص، عدد2، 2003.

وليشانة، وزعاطشة، وطولقة، والعامري، وفوغالة. وشمالها: منعة، وغسيرة، وتاجموت، ومشونش، وخنقة سيدي ناجي.¹

بالإضافة إلى بعض المناطق الموجودة ضمن نطاق منطقة الزيبان التي لم يتم ذكرها هنا مثل: الدوسن، أولاد جلال، لوطاية، بنيان.. وغيرها.

عرفت منطقة الزيبان الحكم التركي منذ القرن السادس عشر، بينما وصلها الفرنسيون بعد سيطرتهم على الأوراس (باتنة)، وحافظوا على مشيخة العرب حيث عينوا فرحات بن سعيد ثم ابن قانة ضد مقاومة الأمير عبد القادر في المنطقة.

وباستيلاء الفرنسيين نهائيا على بسكرة في 04 مارس 1844 تم تنظيمها إلى قيادات، وستعرف المنطقة بعد ذلك قدوم بومعزة وثورة الزعاطشة وثورة الصادق بلحاج... الخ.²

تعد منطقة الزيبان حلقة الوصل بين التل والصحراء، لذلك تعرف بوابة الصحراء، وتعتبر جبال الأوراس بقممها التي ترتفع في جنوب قسنطينة أكثر المناطق الجزائرية ارتفاعا، وورائها تبدأ الصحراء الجزائرية الشرقية التي يمكن الوصول إليها انطلاقا من باتنة حتى تصل إلى القنطرة، التي تعتبر حلقة الوصل المادية بين التل وجوه المعتدل، ورمال الصحراء التي لا نهاية لها، وفي مضيق القنطرة نهر صغير يجري في معظم فصول السنة، وعند الخروج من هذا المضيق الذي يسميه الأهالي فم الصحراء، وهي الطريق المؤدية إلى منطقة بسكرة، حيث قسمت واحة بسكرة إلى ستة أحياء هي باب القبّة، رأس القرية، باب الضرب، باب الغلة، قداشة، المسيد، ولكل حي كبير جماعة.

أما من الناحية الإدارية فيحد منطقة بسكرة من الشمال الشرقي باتنة ومن الشرق ولاية خنشلة ومن الشمال الغربي ولاية المسيلة ومن الجنوب ولاية الوادي، وتقع بسكرة في شرق البلاد وتحديدا بجنوب جبال الأوراس، وتمثل جزءا من المنطقة الجنوبية كما رسمها المخطط الوطني للتهيئة الإقليمية، وتقدر مساحتها

¹ Société de géographie et d'archéologie de la province de Oran. Bulletin de la société du géographie. Oran, n°20, 1884, pp90,20. Et buelltin trimestriel de géographie, avril/juin 1885.

² Feraud(Charles). **Les beni djellebs, sultans de tougourt**, notes historiques sur la province de constantine. Revue Africaine. n°28.1884,p2

الإجمالية ب 2167120 كلم²، ويبلغ عدد سكانها 603.799 نسمة، فيما يعادل كثافة سكانية قدرها 28 ساكن في الكيلومتر المربع الواحد، وتقع بسكرة فلكيا بين 5° و 6° شرقا، و 34° و 35° شمالا.¹

يعتبر الموقع الإداري لمنطقة الزاب كمفردة ومنطقة الزيبان بمختلف مدنها ومناطق ذات موقع جيد ومقبول وهذا ما ساعد كثيرا في غنى المنطقة وثراءها الطبيعي من جهة، وشساعة مساحتها المناسبة لاستغلالها من ناحية أخرى.

فمنطقة الزيبان التي تتميز بإطارها الجغرافي الممتاز والهام هي حلقة وصل بين التل والصحراء على خط طول 5 درجات شرق خط غرينتش ودائرة عرض 34.5 درجة شمالا، كما تتمتع المنطقة بشتاء معتدل حيث لا يقل معدل الحرارة في شهر جانفي عن 11 درجة أثناء النهار، غير أن صيفها شديد الحرارة حيث تزيد أثناء النهار في كثير من الأحيان عن 35 درجة، وبالنسبة للمناخ فهو جاف خال من الرطوبة خاصة في فصل الصيف، يقول عنها أحمد توفيق المدني: "وتدعى ملكة الحبوب، وهي أشهر الواحات الجزائرية على الإطلاق، لها في الشتاء طقس معتدل يجعلها محط الرحال المتسوحين، حيث أن معدل حرارتها في أيام الشتاء تبلغ 15 درجة وأقصى ما تبلغه الحرارة في تلك الأيام هو 16 درجة وإقله 6 درجات، أما المطر فلا ينزل بها الا بمعدل 175 ملليمتر في السنة واحة بسكرة تمتد نحو 5 كيلومترات يمين الوادي وتشمل 1400 هكتار... وبسكرة كانت قرية بربرية عتيقة".²

كل المؤشرات الخاصة بمنطقة الزيبان سواءا من الناحية الجغرافية والطبيعية والمناخية التي تتميز بها المنطقة تبرهن مدى مناسبة المنطقة للعيش والاستقرار والعمل فيها، وهذا ما جعلها تلقب بملكة الجنوب لثرائها من النواحي المذكورة، وللموقع الاستراتيجي الذي تحظى به منطقة الزيبان.

2. أصل تسمية بسكرة:

يعود أصل التسمية إلى الاسم الروماني القديم للمدينة وهو فيسيرا، وبعض الباحثين يرون ضرورة ربط التسمية باسم منبع الماء المعدني القديم للمدينة "دبيسنام"، وهناك من يرى أن التسمية عربية وقع فيها دمج لاسم قريتين قديمتين للمنطقة هما بسه وكرة، وهناك من يرى بأنها قريبة من السكر نظرا لجودة وحلاوة تمورها، ومهما يكن من خلاف في أصل التسمية، فإن الشيء المؤكد هو عراقه هذه المدينة وقدم

¹ مديرية المجاهدين، مرجع سابق، ص 12.

² أحمد توفيق المدني، كتاب الجزائر، ط2، دار المعارف، البلدة، الجزائر، 1963، ص- ص (185-186).

جذورها في التاريخ. وحول تسمية هذه المدينة حاول الجغرافي والمؤرخ "شارل تيسو" أن يجد تقارب بين تسمية فسيرا وبيسينام الذي يبعد عن المدينة العربية الإسلامية بحوالي 6 كلم، وعن منبع حمام الصالحين وهو ما يعرف بمدينة بسكرة حاليا، وقد وجدت بالقرب منه بقايا أثرية تتمثل في حجارة منحوتة وبعض الكسر الفخارية، أما موقع المدينة فإنه يقع على الضفة اليسرى لوادي بسكرة جنوب شرق المدينة حاليا، أما الباحث "جوزيل" يبدي تحفظا فيما إذا كانت فيسيرا أو بسكرة قد أخذت تسميتها من بيسينام، وهو الاسم الذي عرف به منبع حمام الصالحين.

إذن ففيما يخص التسمية والذي يبدي عليها الباحث ستيفان غزال بعض التحفظ حول أخذ تسمية "فيسيرا" من "بيسنام"، ورأيه ربما يكون اسم بسكرة قد أخذ من اسم فيسيرا التي كانت تمثل أسقفية كاثوليكية تابعة للكنيسة المسيحية في نوميديا، أما عن أصل تسميتها فكانت وما تزال مشكلا مطراحا تتخلله ثلاثة آراء مختلفة:

- الرأي الأول: مفاده أنها تعني المحطة التجارية.
- الرأي الثاني: فينسبها إلى كلمة "ادبيسران" التي تعني المنبع المعدني نسبة إلى حمام الصالحين.
- الرأي الثالث: فقد أخذت من كلمة سكرة نسبة إلى حلاوة وغزارة تمورها.

3. المعالم الجغرافية لمنطقة الزيبان:

لمنطقة بسكرة أهمية تاريخية وحضارية إذ تزخر كغيرها من مناطق الجزائر بمعالم تاريخية شاهدة إلى اليوم عن تعاقب حضارات العصر الحجري القديم والحديث من رؤوس السهام الصحراوية، وكان لبسكرة أهمية عسكرية في العصر الروماني إذ قام فيها خط لميس ذا القلاع العسكرية لمراقبة البدو والجيوتول، وأي تحركات معادية للرومان على طول الخط بين الشمال والجنوب الصحراوي.¹ إذ تحظى المنطقة بمميزات كثيرة ترجع لموقعها الجيد الذي أدى إلى تعاقب مختلف الحضارات عليها.

تعتبر بسكرة عتبة الصحراء والممر الطبيعي بين الشمال والجنوب، حيث تتحدر من جهتها الغربية عبر جبال الأوراس ويأخذ في التدرج حتى يكاد يختفي ثم يظهر، ويأخذ في الارتفاع في الجهة الشرقية حيث تعد القنطرة حلقة وصل بين التل والصحراء. وتقع على القاعدة الصحراوية المنخفضة، على يمينها

¹ إبراهيم المياصي، احتلال بسكرة 1844، بسكرة عبر التاريخ، المجلة الخلدونية، ع2، بسكرة، دار الهدى، عين مليلة، بسكرة، 2003، ص 36.

الهضبة الزريبية على علو 400م، وعلى يسارها الهضبة الجلالية على علو 200م، تخضع لمؤشرات الشمال والجنوب باعتبارها بوابة الصحراء، تقع أسفل الأطلس الصحراوي في الجهة الشرقية للصحراء .

وقد شهدت المنطقة تغيرات مناخية عبر العصور الجيولوجية ضمن الصحراء الكبرى، فالدراسات تؤكد أن الصحراء عامرة بالمياه والخضرة والحيوانات، وعموما فالمناخ السائد يمتاز بالقارية والجفاف، لذلك يعتبر أهل الصحراء أن النخلة رأسها في النار وقدمها في الماء .

فمياه الأودية الصحراوية تغوص في الرمال لتظهر على شكل عيون طبيعية أو آبار ارتوازية قامت عليها أهم الواحات، ومن تلك الأودية واد جدي، ونظام الجريان بالزيبان يرتبط بما تجود به الجبال المحيطة خاصة الأوراس، رغم أن المناخ بالمنطقة يتميز بالانتقالية كما هو الحال بالقنطرة، أما المدى الحراري ببسكرة فحوالي 06 درجة، والتساقط لا يتعدى 200 ملم، مما يؤثر على الحياة النباتية المتأقلمة، بالمقابل تزدهر واحات النخيل.

وبسكرة ملكة الجنوب وأشهر الواحات الجزائرية ومن واحاتها سيدي عقبة وليشانة وطولقة والعامري والدوسن وأولاد جلال وسيدي خالد وأوماش وأورلال، وتعتمد على ما تجود به الجبال المجاورة ضمن سلسلة الأطلس الصحراوي وحتى جبال الزاب، منها واد جدي الذي ينطلق من الأغواط ويشق الزيبان بسيدي خالد وأولاد جلال لينتهي في شط ملغيغ، وأخرى من جبال الأوراس واحمر خدو كواد عبدي وواد الحي والقنطرة وواد العرب، أما من الجنوب فأهمها واد ريغ.

إن نظام جريان الوديان القائم على الفيضانات ساهم في تسميد التربة خاصة بالزاب الشرقي، رغم أنها تنتهي في معظمها عند شط ملغيغ، فواد جدي يأخذ مجراه من جبال عمور عبر الجلفة والأغواط والزاب الغربي لينتهي عند نفس المصب.

بما أن ولاية بسكرة هي نقطة تقاطع بين الشمال والجنوب، وأثرى تنوعها التضاريس الموجودة فيها، فشمالها جبال وغابات عند السفوح الجنوبية لسلسلة جبال الأوراس، وجنوبا منخفضات من رمال وشطوط وأهمها شط ملغيغ، وسهولها تتميز بتربة خصبة وغنية أهمها سهول لوطاية على حدودها الشرقية الغربية، أما حدودها الغربية فهي هضاب سهبية رعوية تشمل أقاليم دائرتي سيدي خالد وأولاد جلال.

إن هذا التنوع التضاريسي وشساعة المساحة نتج عنه اختلاف في المناخ بين المناطق ومن ثمة تنوع في الغطاء النباتي والحيواني، وارتفاعها 128 متر على سطح البحر، وتقع على الجهة اليمنى لوادي بسكرة،

وتسقى رسميا بمحطة آلية ومعدنية، وجوها معتدل في الشتاء وهو أقل لطافة وأكثر اضطرابا منه بعاصمة الجزائر، وقل رطوبة، ومقاييس الحرارة متوسط في فصل الشتاء، بحيث يسود هذا الإقليم المناخ الصحراوي الذي يمتد شمالا من الأطلس الصحراوي حتى الهضاب الصحراوية، وهو مناخ يتميز ب: الجفاف ودرجة الحرارة المرتفعة صيفا، وبالبرودة القاسية شتاءا.

وتصل درجة الحرارة في فصل الصيف إلى 45.7° وترتفع إلى 52° ، بينما في فصل الشتاء تصل إلى أقل من 20° ، وما يزيد عن ذلك، بحيث يتعرض هذا الإقليم في فصل الصيف إلى هبوب الرياح الساخنة والجافة وتسمى بالشهيلي، تأتي حاملة معها زوابع رملية وغبار، وفي فصل الشتاء يتعرض الإقليم إلى رياح جافة باردة تجارية تغزو شمال وشرق الصحراء في كل موسم ابتداء من شهر أكتوبر إلى غاية شهر ماي.¹ أما بالنسبة لتساقط الأمطار فهو يعد نادرا على مدار السنة، وأقصى كمية تسقط في شهر سبتمبر أي أمطار الخريف متسببة في انجراف التربة.²

■ الإطار البشري:

لقد سكنت الزاب أمم عديدة تعاقبت عليه، من بين هاته القبائل زناتة وسدراته ومغراوة، وبمجيء الفاتحين المسلمين بقيادة عقبة بن نافع الفهري وأبو مهاجر الدينار وغيرهم من الفاتحين، بالإضافة إلى أن العرب سكنوا في هذا الإقليم إلى غاية حلول القرنين الحادي عشر والثاني عشر ميلاديين والتي انتهت باستقرار شعوب وهي الاثنج³، بعدما طردوا منها سكانها السابقين، على أن الموحدون سوف يدفعون بهذه القبائل التي لا تعرف لا للدين ولا للنظام معنى في اتجاه الجنوب، حينما فتحوا منطقة الزاب في القرن الثالث عشر ميلادي، ولكن بطنا من بني سليم الداوودة استقروا في الزاب الغربي، وتخلوا عن حياة الرحل، كما استقر بطن آخر وهم الكرفة في الزاب الشرقي.

¹ مديرية المجاهدين، مرجع سابق، ص14

² الدليل السنوي للإحصائيات لولاية بسكرة، جوان 2000، ولاية بسكرة، مديرية التخطيط والتنمية العمرانية، ص2.

³ الاثنج: هم قبائل هلالية، ومن بين سكانها دريد وكرفة وعياض والعمور..الخ.

إضافة إلى ذلك فإن سكان هاته المنطقة يتكونون من قسمين هامين هما:

- الحضر: وهم أناس صناعيون يقضون وقتهم في التجارة والفلاحة وهو في حاجة ماسة إلى النظام والأمن.

- الرحل: وهم العرب الحقيقيون ويختصون بالتشويش والنهب، لكن ضرورة رحلتهم الشتوية إلى التل لشراء الحبوب تحتم عليهم الطاعة وملازمة الهدوء، بحيث يعرف على أبناء الزاب الشجاعة والجود والكرم والأخلاق العالية، إضافة إلى هذا كله فإن قاعدة الزاب الحفصي مقرة من أرض الحضنة فكانت بسكرة تابعة لها ومشيختها لبني رمان، منذ سقوط الدولة الحمادية وكام بنو مزني بقرية حياس (فلياش).

3. خصائص منطقة الزيبان:

- الموقع الجغرافي للمنطقة حيث تعتبر من أهم الواحات الكبرى في الجزائر، تمتد على مساحة تصل إلى 5 كلم²، تحوي مناطق فلاحية تقدر تقريبا ب 23000 هكتار، بها ثروة غابية أكثر من 4500000 نخلة والعديد من الأشجار المثمرة، ويقدر تعداد السكان المشتغلين ب 167083 منهم 122081 في الفلاحة و54181 في قطاعات أخرى. وهي بذلك من أكبر الولايات الجنوبية.
- إنتاجها الوفير للتمور ذات الجودة العالية وبجميع أنواعها، منها دقلة نور¹ المشهورة عالميا.
- المنابع المعدنية الحارة الواقعة في أنحاء مختلفة من تراب الولاية، والمعروفة وطنيا، منها المستغلة: حمام الصالحين، حمام سيدي الحاج، حمام الشقة...، ومنها الغير مستغلة.
- المركز الديني المشهور إسلاميا والمهتم بتعاليم القرآن الكريم والشريعة الإسلامية المقام ببلدية سيدي عقبة، هذه البلدية المسماة على الصحابي الجليل عقبة ابن نافع والموجود ضريحه بهذه الأخيرة.
- الطرق الوطنية المختلفة المرتبطة والمحيطة بالولاية، خط السكك الحديدية الرابط بين الشمال والجنوب، المطار الدولي والجامعة.

¹دقلة نور: هي أجود أنواع التمور وأكثرها رواجاً في السوق الداخلية والخارجية، واصل اسمها دجلة، لأن أول غرسة منها أخذت من نهر دجلة ثم تحول اللفظ بها من دجلة إلى دقلة، ثم أضيفت كلمة نور لجمال منظرها فصارت تسمى بدقلة نور.

- الأماكن السياحية " برج الترك، الآثار الرومانية، المنقوشات الحجرية، جامع سيدي عقبة، سد فم الغرزة، مدخل القنطرة، شرفات غوفي، جنان لاندو.
- التجهيزات السياحية المتمثلة في نزل الزيبان، سوق للمنتجات التقليدية، دار الثقافة، الصناعات الحرفية، الكنثان الرملية.¹

وعليه فمنطقة الزيبان تزخر بالعديد من المميزات التي تجعلها تحظى بالمكانة سواء من الناحية الجغرافية أو الطبيعية أو المناخية وغيرها، المساعدة كثيرا في تصدرها للقب ملكة الجنوب لموقعها الاستراتيجي المناسب الذي يفتح أمامها الآفاق للاستثمار.

4. تاريخ منطقة الزيبان:

يعود تاريخ منطقة الزيبان إلى عهود قديمة جدا، حيث يذكرها ابن خلدون في المقدمة بقوله: وحده (أي الزاب) متكون من عدة قرى يطلق عليها كلها اسم الزاب: "أولها زاب الدوسن ثم زاب طولقة ثم زاب امليلة وزاب بسكرة وزاب تهودة وزاب بادس، وبسكرة أم هذه القرى كلها".

أما عن بسكرة في النصوص التاريخية الإسلامية فقد تطرق المؤرخون والرحالة العرب في كتاباتهم حول المدينة بسكرة حيث يقول اسماعيل العربي: "إنها ذكرت لأول مرة في المصنفات العربية في القرن التاسع الميلادي عند الحديث عن إخماد ثورة قام بها اهل الزيبان في وجه الأمير الأغلبي أبي عبد الله، وقد قضى على هذه الثورة قائد خفاجة".² إذن فتسمية الزيبان أو الزاب تعود إلى أزمنة بعيدة، حيث ذكرت فيما دونه الرحالة والمؤرخون عبر أزمنة سابقة، وهذا ما يدل على تاريخها العريق.

أما الورتلاني فيذكر الزاب في حدوده الضيقة بقوله: " ثم كذلك إلى الزاب وهي قرية فيها جمعة وعين عظيمة عند رأس البلد وفيها تضع العرب أبقالها وهم قد طغوا عليها لاسيما أولاد دراج...فهذه القرية طيبة وأهلها فيهم الصلاح، ويذكر ما جاء به صاحب الاستبصار في أخبار الأمصار: والزاب كورة فيها مدن كثيرة وقاعدتها بسكرة".

¹ كتاب تحفة الخليل في نبذة من تاريخ بسكرة النخيل، الجمعية الخلدونية للأبحاث والدراسات التاريخية بالتعاون مع ولاية بسكرة

² العربي اسماعيل، الصحراء الكبرى وشواطئها، الجزائر، 1983، ص148.

وتشمل منطقة الزيبان اليوم ثلاثة أقسام متصلة متقاربة: هي الزاب الظهر اوي أو الشمالي بين تلال الزاب ووادي جدي من قراه: طولقة، البرج، ليشانة، بوشقرون، فرفار، فوغالة، العامري، ثم الزاب القبلي أو الجنوبي يفصله عن الشمالي شريط من الأرض الرملية وسبخات ويضم قرى: امليلي، ليوة، الصحيرة، مخادمة، بنطيوس، أورلال، أوماش، الدوسن، أولاد جلال، سيدي خالد، والقسم الثالث هو الزاب الشرقي بين سفح تلال الأوراس وشط ملغيغ من قراه: سيدي عقبة أو تهودة، شتمة، الدروع، سيدي خليل، زريبة حامد، زريبة الواد، بادس، خنقة سيدي ناجي.

تتميز بسكرة بموقعها الجغرافي الممتاز، فهي تعد حلقة وصل بين التل والصحراء، وأكثر تحديدا بين الجنوب الشرقي الصحراوي والشمال الشرقي التلي للقطر الجزائري. تمتد بمحاذاة الحدود الجزائرية التونسية شرقا وجبال الأوراس في الشمال التي تعتبر حاجزا طبيعيا يفصلها عن التل، أما القسم الجنوبي فتغطيه الكثبان الرملية المتقطعة بشط ملغيغ ووحدات وادي سوف ووادي ريغ. وبذلك تأخذ مكانا استراتيجيا في السفوح الأوراسية الجنوبية، وذلك على خط طول 5° درجات شرق خط غرينتش، ودائرة عرض $34,5^{\circ}$ درجة شمالا.

فكما ذكرنا أنفا أن موقعها الجغرافي يعتبر موقعا استراتيجيا هاما، فهو يعد حلقة وصل بين الجنوب الشرقي الصحراوي والشمال الشرقي التلي للقطر الجزائري، وقد عرفت هذه المنطق تاريخا مليئا بالأحداث عبر الفترات الزمنية المتعاقبة، ففيما يتعلق بالحقبة الرومانية فيمكن القول أن بسكرة لم تبرز كمدينة ذات أهمية اقتصادية وسياسية في العهد الروماني كونها بوابة الصحراء والتل، بل اتخذت كحصن عسكري ضمن حصون خط لميس، وأطلق عليها اسم فيسيرا والتي تعني المحطة، وقد تضمن خط الليمس أبراج حراسة وطرقا رئيسية وإقامة مستعمرات للجنود المسرحين ومراكز تجارية، يقول الباحث ستيفان غزال أن الحي القديم الرئيسي كان يقع في الناحية الشمالية لوادي بسكرة، إضافة إلى وجود بقايا الحمامات والحجارة المصقولة التي استعملت فيما بعد في المباني الإسلامية.

تطرق المؤرخون والرحالة العرب في كتاباتهم حول مدينة بسكرة، حيث يقول إسماعيل العربي أنها ذكرت لأول مرة في المصنفات العربية في القرن التاسع الميلادي عند الحديث عن إخماد ثورة قام بها أهل

الزيبان في وجه الأمير الأغلب أبي عبد الله وقد قضي على هذه الثورة.¹ وعليه فمنطقة الزيبان تحظى بالأهمية البالغة والبارزة من الناحية الجغرافية والطبيعية والتاريخية التي تعكس قيمتها البارزة من خلال موقعها الاستراتيجي الذي أدى إلى بيانها وبروزها.

وقد تم ذكرها بشكل دقيق من طرف عبد الله البكري (ت 487هـ)، واصفا إياها قائلاً: "بسكرة كورة فيها مدن كثيرة وقاعدتها بسكرة، وهي مدينة كثيرة النخيل والزيتون وأصناف الثمار، وهي مدينة مسورة عليها خندق، وبها جامع ومساجد كثيرة وحمامات، وحواليها بساتين كثيرة، وهي في غابة كبيرة مقدار ستة أميال فيها أجناس التمور... الخ"، ثم يذكر البكري قائلاً: "بسكرة علم كثير وأهلها على مذهب المدينة ولها من الأبواب "باب المقبرة" و"باب الحمام" و"باب الضرب".

سكنها قبائل البربر منهم: قبائل "سدراة" و"بنو مغراوة"، و"بنو مزني". وداخل مدينة بسكرة آبار كثيرة عذبة، وبها جبل يستخرج منه الملح الصخر الجليل ومنه كان عبيد الله الشيعي وبنوه يستعملون في أطعمتهم وتعرف ببسكرة النخيل... ومن مدنها: جمونة، طولقة، قرية، امليلي، وبنطيوس.

يصفها البكري حيث يقول: "...وهي مدينة كبيرة وحواليها حصون كثيرة وقرى عامرة وهي قاعدتها، ولها غابة كثيرة النخل والزيتون وجميع الثمار، وتعرف بسكرة النخل لكثرتة بها".

ومن الجغرافيين العرب الذين وصفوا وحددوا بسكرة جغرافياً، ياقوت الحموي يقول: "بسكرة بكسر الكاف، بلدة من المغرب من نواحي الزاب بينها وبين قلعة بني حماد مرحلتان، فيها نخل وشجر قصب جيداً بينها وبين طبنة مرحلة كذا". وصفها الحازمي قائلاً: "بسكرة بفتح أوله وكافه. وهي مدينة مسورة ذات أسواق وحمامات وأهلها علماء وعلى مذهب أهل المدينة، وتعرف ببسكرة النخيل. قال أحمد بن محمد المروزي: "ثم أتى بسكرة النخيل قد اغتدى في زيه الجميل". أما ابن سعيد المغربي (ت 685هـ) فيذكر بسكرة حيث يقول: "بسكرة هي قاعدة الزاب"، وهي بلاد نخل وزرع ومنها تجلب أصناف التمر إلى حاضرتي تونس وبجاية". أما الإدريسي فيذكر بسكرة في القرن الثاني عشر ميلادي بأنها كانت حصناً منيعاً، وبها سوق وعمارة وفيها أيضاً من التمور كل غريبة وطريفة. أما الحميري فيذكر بسكرة بأنها "من بلاد الزاب بأرض المغرب، وهي قاعدة تلك البلاد، وهي كبيرة كثيرة النخل والزيتون وأصناف الثمار وعليها بساتين كثيرة.

¹أبوغديري كمال، "الطرق الصوفية في الجزائر الطريقة التيجانية نموذجاً-دراسة أنثروبولوجية بمنطقة بسكرة"، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه علوم في علم الاجتماع، جامعة الدكتور محمد لمين دباغين، سطيف2، السنة الجامعية 2014/2015، ص 266.

وبسكرة دار فقه وعلم كثير وفيها العلماء وأهلها على مذهب أهل المدينة ". إضافة إلى السيوطي فيذكرها في كتابه "لب اللباب في تحرير الأنساب": "والبسكري بكسر الباء المنقوطة بواحدة وسكون السين المهملة وفي آخرها الراء هذه النسبة إلى بسكرة وهي بلدة من بلاد المغرب".¹

إلا أن الحسن الوزان في كتابه "وصف إفريقيا" فيعطينا وصفا دقيقا للمدينة وضواحيها وقرأها وكذا الحالة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والبيئية حيث يقول "مدينة عريقة أعيد بناؤها لما دخلت الجيوش الإسلامية إلى إفريقيا، وهي الآن عامرة كما ينبغي وسورها من الأجر النبيء، أما السكان فمؤدبون، لكنهم فقراء لأن أراضيهم لا تنتج شيئا غير التمور. وقد تعاقب على حكم هذه المدينة رؤساء كثيرون، فكانت مدة خاضعة لملك تونس حتى وفاة الملك عثمان، فثارت حينئذ بإيعاز من إمامها الذي نصب نفسه أميرا عليها، ولم يستطع ملك تونس استرجاعها".

تعرضت المنطقة لهجوم المرينيين، ذاقت فيه المنطقة ويلات الخراب والدمار. ومن الرحالة العرب "الورتلاني" الذي عاش في القرن 18م، الذي تحدث عن مدينة بسكرة بأنها "قاهرة عظيمة البنيان، غير أن المدينة القديمة قد خربت بسبب الفتنة التي وقعت بين سكانها وحكامها، حيث انقسموا على أنفسهم وادخلوا الأتراك إليها، فشتتوا أهلها، وفر أغلبهم إلى خارج المدينة، وقد بني فيها الأتراك برجين عسكريين: أحدهما داخل المدينة، والآخر خارجها على منبع المياه التي ترد إلى المدينة. كما ذكرها العياشي في رحلته للحج في طريق عودته- المدينة من خلال المصادر التاريخية كانت كثيرة أسباب العيش، ثم تغير حالها إلى الأسوأ، ويبدو أن الحامية العثمانية لم تكن دائما على وفاق مع الأهالي. وقد لعبت دورا هاما بسبب مكانتها السياسية والاقتصادية والاجتماعية في تاريخ الجزائر القديم والحديث باعتبارها منطقة عبور بين التل شمال الجزائر والصحراء جنوب الجزائر".²

ومن خلال ماسبق ذكره في وصف العديد من الجغرافيين والرحالة الأجانب وخاصة العرب أمثال الورتلاني وإسماعيل العربي وعبد الله البكري لمنطقة الزيبان وإبراز كل الصفات والعناصر التي تحتويها بكل تفاصيلها، والتي نلاحظ ضمن هذا الوصف مدى الإعجاب بها وبما تكمن عليه من ميزات استثنائية ساعدتها كثيرا انبهار ودهشة الزائرين لها لموقعها الممتاز.

¹بوغديري كمال، المرجع السابق، ص267.

²بوغديري كمال، المرجع سبق ذكره، ص 268.

5. بسكرة في عيون الرحالة العرب والأوروبيين:

لقد مر بمدينة بسكرة وبقراها العديد من الرحالة، الذين تحملوا مشاق السفر وعنائها، وقدموا إليها من مختلف المناطق والقارات، سواء المغاربة والعرب أو الأوروبيين والأمريكان فاتحون، علماء، أدباء، شعراء، مؤرخون، سياسيون، جواسيس، سفاحون، منصورون، غزاة...، وفدوا إلى الزيبان ليسبروا أغوارها ويكتشفوا معالمها التاريخية والحضارية ويطلعوا على آثارها التي ما تزال شامخة، ويستمتعوا بمناظرها السياحية الخلابة التي قلما يوجد مثلها في بقعة أخرى على وجه الأرض.

ومن أشهر المؤرخين والجغرافيين والرحالة الذين زاروا بسكرة ودونوا مشاهداتهم وملاحظاتهم:

- **الرحالة أبو عبيد البكري (1040-1094):** الذي زارها، ومن أهم ما كتب عنها: " وبسكرة كورة فيها مدن كثيرة، وقاعدتها ببسكرة وهي مدينة كبيرة، كثيرة النخيل والزيتون، وأصناف الثمار، وهي مدينة مسورة عليها خندق، وبها جامع ومساجد كثيرة وحمامات وحواليها بساتين كثيرة.. فيها أجناس التمور.. وأهلها على مذهب أهل المدينة.."¹
- **الرحالة أبو سليم عبد الله العياشي (1626م-1679م):** فقد وصل المنطقة في حدود عام 1663م، وعن بسكرة يقول: " هذه المدينة من أعظم المدن واجمعها لمنافع كثيرة مع توافر أسباب العمران فيها، قد جمعت بين التل والصحراء، ذات نخيل كثير وزرع كثيف وزيتون ناعم وكتان جيد وماء جار في نواحيها وأرجاء متعددة تطحن بالماء ومزارع الحناء إلى غير ذلك من الفواكه والخضر والبقول وكثرة اللحم والسمن في أسواقها، وبالجملة ما رأيت في البلاد التي سلكتها شرقا وغربا أحسن منها ولا أحصن ولا اجمع لأسباب المعاش..".
- **عبد الرحمان بن خلدون (732هـ-808هـ):** هو مؤسس علم الاجتماع، فقد لجأ إلى بسكرة بعدما ضاقت عليه الأرض بما رحبت، فأوته عائلة بني مزني خلال القرن الثامن الهجري، ولبث عندهم مدة ليست باليسيرة، اختلف المؤرخون في تحديدها. وفي ذلك يقول: "قدخل إلينا محمد بن مزني ذاهبا إلى الزاب فرافقته إلى بسكرة، ودخلت إلى أخيه هنالك ونزل هو ببعض قرى الزاب تحت جراية أخيه إلى أن انصرم الشتاء"، ومن أهم ما

¹ المصدر السابق، ص (4-7).

قاله عنها كذلك: "... قاعدتها بسكرة، من كبار الأمصار بالمغرب، وتشمل على النخل والأنهار والمدن والقرى والمزارع".

- **الحسن الوزان (ت قبل 1550م):** الرحالة الأندلسي المعروف بليون الإفريقي، الذي دون مشاهداته في كتابه الشهير "وصف إفريقيا"¹.
- **ايزابال ابرهاردت (1877-1904م):** الصحفية الأدبية الروسية التي كانت تترين بلباس الفرسان العرب وتجوب الصحاري.
- **ماسكوري:** الرحالة الجغرافي الذي نشر أبحاثه حول بسكرة بالمجلة الإفريقية² الفرنسية في العدد الصادر بتاريخ 1879.
- **هنري سايمون:** المزارع والرحالة الأمريكي الذي وفد إلى بسكرة عام 1913 واخذ فسائل النخيل من نوع "دقلة نور" إلى صحراء كاليفورنيا بالولايات المتحدة الأمريكية وقام بغرسها هناك.
- **كارل ماركس:** وهو المفكر الذي قصد بسكرة في حدود عام 1882 بعدما نصحه الأطباء الانجليز بأن شفاؤه بحمامات بسكرة.
- **روبارت هيتشنس:** الروائي الذي كانت زيارته عام 1890 وقد ألف حول حديقته "جنان لاندو" روايته الشهيرة "جنة الله" وقد طبعت أكثر من عشرين مرة بالفرنسية والانجليزية.³
- **اندرية جيد (1869م-1951م):** صاحب جائزة نوبل في الأدب لعام 1947م، الذي ظل متشبثا ببسكرة، بل إن آخر كلمة تقوه بها هي "بسكرة... الصحراء".
- **هاينريش فون مالتسان:** الرحالة الألماني الذي وفد إليها عام 1863 ونشر رحلته في كتابه "ثلاث سنوات في شمال غربي إفريقيا".

¹وصف إفريقيا: كتاب للرحالة الحسن الوزان المغربي الأندلسي، طبع باللغة الفرنسية بتاريخ 1956، وقام بترجمته إلى اللغة العربية الأستاذ عبد الرحمان حميدة بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض - المملكة العربية السعودية عام 1979.

²المجلة الإفريقية: من المراجع المهمة في تاريخ الجزائر خلال النصف الثاني من القرن 19م والنصف الأول من القرن 20م، أسسها الفرنسي سيروكا الذي كان ضابطا ببسكرة وشارك في حصار الزعاطشة عام 1849، وقد أعاد ديوان المطبوعات الجامعية بالجزائر طباعتها.

³ المصدر السابق، ص7.

▪ الرحالتان ماركايو دامريك وجورج هيرتز: وفدا إلى بسكرة عام 1954م ونشرا ما شاهداه في كتيب مزدان بلوحات فنية تصور جوانب عدة من حياة سكان المنطقة¹.

6. النشاط الفلاحي في منطقة الزيبان:

✓ الزراعة:

يختص إقليم منطقة الزيبان عن العديد من الأقاليم المجاورة بكونه إقليما فلاحيا، يركز نشاطه على زراعة النخيل، حيث تلعب البيئة دورا هاما في تحديد نوعية الزراعة، وبيئة منطقة الزيبان تستوجب زراعة النخيل المعروف بمقاومته للجفاف والملوحة، وطول جذره الذي يساعده على البحث عن المياه، وبذلك يعتبر إنتاج التمور القاعدة الاقتصادية المحلية لسكان الواحات. كانت الزراعة في المنطقة زراعة معاشية للاقتتات لاغير، ومن الطبيعي وبحكم البيئة الصحراوية للمنطقة أن تسود زراعة النخيل على أوسع نطاق، فقد أشار الرحالة نبال اوديلون Niel Odilon في كتابه جغرافيا الجزائر إلى عدد النخيل في كل من واحة بسكرة والقنطرة بقوله "إن واحة بسكرة تمثل غابة بمئة وأربعون نخلة... وواحة القنطرة تظم مائة وخمسون ألف نخلة وأعدادا كثيرة من أشجار المشمش، أما احمد توفيق المدني فيصف واحة بسكرة ويقدر عدد نخيلها بقوله: "إن عدد نخيل واحة بسكرة يقدر بمائة وخمسون ألف نخلة وعدة آلاف من الأشجار المثمرة" وتكلم عن ميعاد إثمار النخيل بقوله: "والنخيل يثمر في السنة السادسة أو السابعة من عمره إلا أن العرجون لا يستقيم حجمه وثمره إلا حتى بلغت النخلة سن العشرين، أما إنتاج النخلة فهو يتراوح بين أربعين وستين كيلو في السنة"، ويذكر في كتابه الجزائر أن واحة أولاد جلال بها خمسة وعشرون ألف نخلة.²

ويشير الرحالة ليدر S.H.Leeder أن نخيل منطقة الزيبان عامة وواحة بسكرة خاصة ينتج تمرا من أجود الأنواع في العالم، حيث سنة 1909 زار المدينة وأحصى لنا عدد النخيل وثنها بقوله:

¹قامت بلدية بسكرة في العهد الاستعماري بطبع ونشر الرسالة في 15 نوفمبر 1954 في بداية الثورة، ثم قام الأستاذان عبد الحليم صيد ولزهر بن عيسى بترجمتها ونشرها بجريدة العقيدة الجزائرية في حلفتين بالعدد 95-24 جوان 1992 والعدد 96 الأربعاء 1 جويلية 1992، ثم أعيد نشرها في كتاب أبحاث في تاريخ زيبان بسكرة، جمع وإعداد عبد الحليم صيد- مطبعة وادي سوف.

² فوزي مصمودي، بسكرة بعيون عربية "الرحالة والجغرافيون والمؤرخون والكتاب والشعراء العرب، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة، الجزائر، (د.س.ن)، ص164.

"كانت النخلة آنذاك تساوي ثلاثين فرنكا،... أن عدد النخيل في واحة بسكرة هو ثلاثون ألف نخلة".

أما المحاصيل الغذائية فهي قليلة لا تزيد عن حاجة السكان المحليين، حيث يقوم الفلاحون بزراعة الحبوب من قمح وشعير والخضروات تحت النخيل أو بينها فهي تعطي الفرصة للتوفير يتمثل في الاستغلال التام للتربة والمياه المتوفرة من خلال الظل الذي يخلفه النخيل. إلى جانب أشجار النخيل فإن اغلب هذه الغابات هي أشجار مثمرة مثل أشجار التين والمشمش وهو المنتج الذي يحتفظ به الملاك، أما الإنتاج الفلاحي الخاص بالخضر فإنه يكتسي أهمية خاصة في منطقة الدوسن.

وقد أشار الرحالة سعيد أبو بكر التونسي أثناء زيارته لمنطقة الزيبان على الحياة الفلاحية عن كونها تكاد تنحصر في التمر بجميع أنواع بالإضافة إلى الحمضيات بقوله "... يكثر عندهم وجود نوع من الليم يطلقون عليه اسم (التشينة) وهو اقرب ما يقرب في طعمه إلى نوع الليم التونسي يسمى في الساحل (لسان العصفور)، كما وصف مدينة سيدي عقبة بأن أراضيها مشهورة بخصوبتها وأنها جيدة إلا انه بالغ في ذلك حيث يقول "... قد سمعت من بعض من اجتمعت بهم فيها أن (البطيخة) الواحدة تصل عندهم إلى تسعين كيلوغرام لاعتمادهم على الزراعة المعاشية بالرغم من انه انشأ مؤسسة صغيرة للنسيج من اجل استغلال القطن.

وبموجب المرسوم المؤرخ في 16 أكتوبر 1859 الذي يهدف إلى تشجيع زراعة القطن بالقطر الجزائري عن طريق اشتراك العنصر الأهلي أي استخدام اليد العاملة الأهلية لصالح الأوروبيين، تم بناء العديد من المزارع والمستثمرات الخاصة بالمستوطنين، هي طموحات السلطة الاستعمارية في إحداث انقلاب شامل وتغيير كلي في الفلاحة التقليدية نحو تحويل زراعة الحناء والتبغ بمنطقة الزيبان إلى زراعة صناعية، وقد كانت تمارس في مناطق الزاب الشرقي خاصة في واحة زريبة الواد والفيض.

✓ الري:

كانت واحة بسكرة تسقى بشكل أساسي من واد بسكرة الذي يفيض في السنة مدة يومين إلى ثمانية أيام، بالإضافة إلى المنابع التي تتواجد بجوار أعلى الوادي، وهذا ما جعل الفلاحين يعتمدون على جلب الماء إلى غاية الواحة لسقي المحاصيل، أما واحات الزاب الشرقي كانت تسقى من الأودية القادمة من جبال الأوراس، مثل واحة سيدي عقبة وزريبة الوادي وخنقة سيدي

ناجي، ثم هناك وادي الجدي الذي يأخذ منابعه بالقرب من مدينة افلو بجبال عمور مارا بمدينة والأغواط، الذي يسميه أهلها "واد مزي" ليسقي واحة أولاد جلال ثم ينتهي عند شط ملغيغ.

كان الفلاح في منطقة الزيبان يستعمل آلة المشكودة وهي إناء من النحاس تشبه إلى حد كبير خوذة الجندي بها أنبوب يخترقها من الوسط طوله خمسة عشرة سنتيمتر وداخل جوانب هذا الوعاء تدريجات لحساب المدة، يوضع داخلها إناء كبير مملوء الماء فإذا غرقت الآلة داخل الإناء تحسب ساعة كاملة، ثم يعقد الفلاح عقدة في سعة خضراء حتى يتمكن من حساب عدد الساعات المخصصة للسقي، وعادة تستخدم في أوقات الليل وأوقات الغيوم، أما إذا كان الوقت نهارا والشمس مشرقة فانه يستخدم ضله باختلاف الأوقات.

وقد كانت واحة أوماش تقوم بتقسيم حصص من المياه حسب كل عرش من أعراش الواحة لري أراضيهم الفلاحية، وتسمى الحصة بالنوبة وتقدر بأربعة وعشرون ساعة، وكانت لدى النوبة اسم حسب كل عرش.¹

كان الفلاح في منطقة الزيبان يعتمد في زراعته على أنظمة السقي التقليدية لتسهيل وصول المياه إلى محاصيله ومزروعاته، فقد كان يستخدم آلة الخطارة² والماجن³، بالإضافة إلى السواقي⁴ والميزاب⁵.

¹ بوخلفي قويدر جهينة، تطور النظام الواحي وعلاقته بالقصور في الصحراء المنخفضة" الزيبان"، أطروحة دكتوراه، جامعة منتوري، قسنطينة، 2017، ص38.

² الخطارة: هي آلة ثلاثية الأطراف تقام حول البئر، تتكون من ركيزتين من جذع النخلة، ولها عمود متحرك ممدود بين الركيزتين، وترتبط في مؤخرته حجرة ثقيلة تساعد على رفع الطرف الثاني الذي يعلق به الدلو المصنوع من سعف النخيل، ويشد بحبل مصنوع من ليف النخيل.

³ الماجن: هو حوض من الجبس يكون ملاصقا للبئر وبه فتحات تتصل بالسواقي.

⁴ السواقي: هي مجاري مائية تتصل بالماجن والميزاب، وتعد من الجبس فتكون طبقة فوق التربة تمنع تسرب الماء وتساعد على الوصول لسقي النباتات.

⁵ الميزاب: هو حوض تكون جوانبه مرتفعة بعض السنتمراتر وبدخله تزرع مختلف أنواع الخضر، ويكون غالبا مستطيل الشكل.

✓ تربية المواشي:

وهي المكمل الطبيعي للزراعة فهي تحتاج للماء كباقي أنظمة الإنتاج الزراعي، وتربية المواشي كالأغنام والجمال والماعز وأيضا الأحمرة التي تلعب دورا كبيرا في السقي والحرث. وتعد تربية المواشي من أبرز الموارد المالية لسكان واحة أولاد جلال حيث تشتهر بسلالة تعرف بسلالة أولاد جلال، رغم أن هذا الصنف موجود في كل المناطق المحيطة بالواحة، وتسمى باللغة الفرنسية Le Mouton des Ouled-Djalal¹، تتمتع هذه الفصيلة بسمعة كبيرة ومكانة عالية عند سكان المناطق الشمالية للجزائر، حيث كان سكان المنطقة يقومون بالمهاجرة في الصيف مع قطعانهم إلى السهول المرتفعة بقسنطينة، لكن إنتاج الأغنام قد تناقص مقارنة بما كان قبل أواخر القرن التاسع عشر حيث يظهر انه تناقص إلى أن يكاد يصل إلى النصف². ومن الأعراس التي اشتهرت بتربية المواشي هم: عرش البوازيد والخذران والعمور، كما اشتهرت منطقة الزيبان بتربية الخيول العربية الأصيلة والتي تعتبر من أجود الأنواع في العالم إذ لم تكن أفضلها على الإطلاق³.

7. النشاط الحرفي لمنطقة الزيبان:

تزرع منطقة الزيبان بتعدد الحرف التقليدية حيث أبدع سكان المنطقة في التعامل مع مخرجات الطبيعة وصنع منها مختلف المنتجات الحرفية التي تميزت بالإبداع والتنوع رغم محدودية الإمكانيات التي كانت متوفرة للحرفيين، وبهذا كان النشاط الحرفي لدى أهل المنطقة بسيط جدا يقترن عادة بالأعمال اليومية للمجتمع، فينجز الحرفي مصنوعات في غاية البساطة لكنها في غاية الأهمية لتسيير حياته، إذ كان يستغل كل الوسائل المتوفرة لديه ليحولها إلى أشياء ذات قيمة وأهمية، وكانت هذه المصنوعات توحى من خلال أشكالها ورموزها وألوانها إلى عراقة المنطقة وحضارتها، وتنوع هذه الصناعات مرتبط ارتباطا وثيقا بمتطلبات الفرد الزيباني نذكرها فيما يلي:

¹ محمد العربي حرز الله، حاضرة منطقة أولاد جلال، الملتقى الوطني الثاني عشر بسكرة عبر التاريخ، من حواضر ومدن وبلدات منطقة الزيبان، دار الثقافة أحمد رضا حوحو بسكرة، أيام 23-24-25-26 ديسمبر 2014، الجمعية الخلدونية، 2017، ص-ص 115-116.

² Mare Cote. **guide d'Algérie Paysage et patrimoine**. Edition Media –media – plus Constantine.2006.p332.

³ عبد الله ركيبي، الجزائر في عيون الرحالة الانجليز، ج1، د.ط، دار الحكمة، الجزائر، 1999، ص54.

1. صناعة النسيج:

من بين الصناعات النسيجية المعروفة في المنطقة صناعة الأفرشة والأغطية والألبسة التي كانت تصنع محليا، ويعتمد في انجازها على مواد أولية متوفرة بالمنطقة وبواسطة أدوات تقليدية من صنع محلي هي الأخرى، ومن المنتوجات النسيجية تلك التي تصنع من الصوف مثل البرانيس والزرابي والأغطية ذات الشهرة الوطنية، حيث كانت تباع البرانيس الفاخرة في أسواق الجزائر وقسنطينة، وظلت هذه الصناعة مزدهرة بحيث أصبح كل بيت في المنطقة يملك منسوجا عائليا وهذا النوع من الصناعة تختص به النساء في الغالب، فهذا ما نجده واردا في كتابات الرحالة الأجانب وعلى رأسهم سامسون الذي يذكر انه رأى النساء في منطقة القنطرة يصنعن الحايك والبرنوس.

ففي القرن العشرين ميلادي اشتهرت مدينة طولقة بهذا النوع من النشاط الحرفي فساد فيها نسيج الصوف والشعر والوبر والحريز، وكانت نساؤها تنتج كثيرا من الأنسجة منها الخيام الكبيرة والخيام العادية، بالإضافة إلى الأفرشة والأغطية والزرابي الصوفية المتنوعة والجيدة والألبسة الرجالية البرانيس والقشاشب والقنادير والأثواب ذات الجودة العالية منها التي صنعت من الصوف الأبيض وهي لباس العامة من الناس ما البرنو المصنوع من وبر لجمال فهو للخاصة، والملابس النسائية منها الجيب المطرزة الجميلة وجيد الصنع وهي مصنوعة من الصوف والحريز، كما كانت بها مصانع لصبغة هذا الصوف وجعلها ذو ألوان متنوعة.¹

وهناك أيضا صناعة السجاد والزرابي فهي من الصناعات الصوفية الشهيرة التي تنتشر كثيرا في أنحاء المنطقة مثلا منطقة ليشانة يشتهر أهلها بصناعة السجاد ذات الحجم الكبير والجميل، وهناك أنماط كثيرة من الزرابي التي تعرفها الزيبان تختلف من حيث السمك والحجم والشكل فنجد الزربية النموشية والزربية النايلية والرعية والشاوية وغيرها وزيادة عن الزرابي الفاخرة والمتنوعة تتسج من الصوف أغطية مختلفة الأشكال والحجم تعرف بأسماء الحنبل أو الحولي أو الغطاء

¹ محمد قويدري، بلدات طولقة وبرج بن عزوز وفرفار وليشانة حواضر العلم والدين وحواضر الجهاد والاستشهاد، (الملقى الوطني الثاني عشر بسكرة عبر التاريخ) من حواضر ومدن وبلدات منطقة الزيبان، دار الثقافة احمد رضا حوجو بسكرة، أيام 23-24-25-26 ديسمبر 2014، الجمعية الخلدونية، 2017، ص188.

حسب المناطق، وكان هناك معمل خاص بالزرايبي للأخوات البيض يستخدم بنات من مدينة بسكرة لنسج الزرايبي عندهن ويتواجد هذا المصنع قرب باب الضرب مقابل مقبرة العزيلات.¹

2. الصناعة الخزفية والفخارية:

هي عبارة عن حرف يدوية متقنة تحمل رسوما وتصاميم توحى بخصوصية المنطقة، وتعد من الحرف التقليدية التي لازمت الإنسان منذ القدم، بحيث كانت الأدوات الفخارية تلبى هي أيضا الحاجيات اليومية لسكان المنطقة مثل طهي الطعام وحفظ المياه، وتوارث الأجيال هذه الحرفة حتى أصبحت تحتل مكانة ممتازة حاليا، فقد أصبحت موردا اقتصاديا للكثير من العائلات، بل وكانت حتى في تلك الفترة تعتبر موردا يقات به أهل المنطقة لقمة عيشهم وتعتبر مشونش والقنطرة أشهر مناطق الزيبان تخصصا بهذا النوع من الحرف وتتمثل هذه الصناعة أساسا في الأواني المنزلية والتحف الفنية، وهي مصنوعة غالبا من مادة الطين "الصلصال" فيتم تشكيلها حسب الحاجة وبعدها تأتي المرحلة الثانية فتجفف على نار تكون حرارتها جد عالية إلى أن تأخذ شكلها وتتماسك، بعدها يتم تلوينها وزخرفتها بمختلف الأشكال والألوان وهكذا تصبح جاهزة للاستعمال.

3. صناعة الجلود:

تعتمد حرفة صناعة الجلود على الذوق الرفيع في الإعداد والتحضير نظرا لمرورها بعدة مراحل قبل الصناعة (التنظيف، الغسيل، الغليان، الدباغة والصبغة)، ومن أهم المنتجات الجلدية التي كانت تصنع بالمنطقة هي: النعال، الحقائب وغيرها، فنجد أن واحة طولقة كانت منتشرة فيها هذه الصناعة كثيرا، فقد احتوت معامل لصنع الأحذية الجلدية (البلغة، الريحية والشبرلة)، كما يوجد فيها معامل لدبغ الجلود.

¹ عبد القادر صيد، بلدة ليشانة محضن العلم والمقاومة، الملتقى الوطني الثاني عشر (بسكرة عبر التاريخ) من حواضر ومدن وبلدات منطقة الزيبان، دار الثقافة احمد رضا حوجو بسكرة، أيام 23-24-25-26 ديسمبر 2014، الجمعية الخلدونية، 2017، ص205.

4. حرفة الحدادة:

كانت حرفة الحدادة متواجدة بالمنطقة بحيث كان الحداد يصنع سكك المحاريت والمناجل والسيوف والسكاكين (كان يشتهر بهذه الصناعة الطوارق الذين يأتون إليها)، أيضا السلاسل والأقفال والمفاتيح وأجمة الخيل، زيادة عن الأواني المنزلية، وقد انتشرت هذه الحرفة بكل من طولقة وسيدي خالد، ومن الحدادين الذين اشتهروا ببلدة سيدي خالد نذكر: المبروك بن موسى لهويمل، البركة بن عمر الهاني وأخاه محمد بالإضافة إلى لخضر بن رايح غربية.

5. صناعات أخرى:

لا يمكن حصر الصناعات المحلية والحرف اليدوية كلها بمنطقة الزيبان فهي تتجزأ يوميا بواسطة أيادي ماهرة فتغطي جميع احتياجات البيوت والأسر ونذكر منها:
نسيج مادة الحلفاء التي تصنع منها الأفرشة (الحسير) والقفاف والأواني. وهناك أيضا سعف النخيل لتصنيع القفاف والأفرشة والزناويل وحتى المراوح والمضلات التي توضع على الرؤوس للوقاية من حرارة الشمس، كذلك كان جريد النخيل يصنع منه ألواح السدة وقضباننا لآلة المنسج وأقواس للعبة التلومة وكان يستخدم الجريد أيضا كوقود لإيقاد النار، أما جذوع النخيل فقد كانوا يصنعونها كأعمدة للبناء أو كسقف للمنزل، أو خشب لصنع الأبواب أو الوقود لإشعال النار والتدفئة في فصل الشتاء، أيضا "الكرناف" كانت له أهمية فتصنع منه محكات النسيج. كما أن هناك صناعات تتم بشعر الماعز كالحبال.

هذا إضافة إلى صناعة المعادن الثمينة كالذهب والفضة وأشتهر بهذه الصناعة اليهود. صناعة الحلبي التقليدي فهي صناعة تحمل أجمل الأشكال والأنواع وتصنع من المعادن الثمينة كالفضة والذهب وقد اشتهرت منطقة مشونش بهذه الصناعة، هذا إضافة إلى منطقة طولقة فانه يوجد بها صانعي المجوهرات الفضية والذهبية منهم مجموعة من أهل بن علي وخليفة اليهودي.
كما اشتهرت المنطقة بصناعة الآلات الموسيقية العربية المتعددة مثل آلة الناي.

وفي الحديث عن الحرف والصناعات التقليدية فقد كانت توجد إحياء خاصة بهذه الصناعات مثل حي العطارين بمدينة بسكرة، وقد اختص السكان الأصليون بهذه الصناعات بينما الأوربيين لم يهتموا بهذه الحرف بقدر ما اهتموا بتجارة المواد الاستهلاكية، البقالة، الخمر والمشروبات.¹

8. من أعلام وعظماء بسكرة:

من المتفق عليه لدى الدارسين والباحثين، أن الجزائر أنجبت ومازالت تنجب العديد من العلماء والعظماء والأبطال في شتى الميادين والاختصاصات ومن هؤلاء:

- لعل أقدمهم العلامة **عبد الرحمان بن زرزور** الذي توفي عام 291هـ، وهو من الشعراء والفقهاء.
- العلامة **أحمد بن نصر الداودي** (ت 402هـ-1011م) الذي يعد حسب جمهور المؤرخين أول من شرح صحيح البخاري في كتابه "النصيحة"، وموطأ الإمام مالك في كتابه "النامي"، ومن آثاره كتاب: الأموال، الواعي في الفقه، الإيضاح.
- كما اشتهر في القرن الخامس الهجري الأستاذ **يوسف بن علي بن جبارة أبو القاسم الهذلي البسكري** الذي برع في مجال القراءة والتكلم والنحو، زار بغداد وأصبهان، وعينه نظام الملك مقرئاً في مدرسته بنيسابور، توفي عام 465هـ-1073 م.
- الشيخ العالم **أبو الفضل البسكري** من علماء القرن الخامس الهجري.
- أما في القرن السادس الهجري فقد اشتهر الفقيه **الحسين بن يحيى البسكري**، قاض من فقهاء المالكية، سكن المغرب الأقصى أيام عبد الحق المريني، الذي ولاه القضاء هناك، توفي عام 607هـ.
- الشيخ **عبد الله بن عمر بن موسى البسكري**، أبو محمد من علماء المالكية، شاعر وأديب، رحل إلى المشرق واستقر بالمدينة المنورة توفي عام 1364م.
- الشيخ **محمد بن عمر بن عنقة** الذي اشتهر بالحديث والفقه المالكي، رحل إلى بلاد الشام ومصر والحجاز طلباً للحديث، توفي حوالي 804هـ.²

¹ سليمة بودخانة، بسكرة في عيون الفرنسيين معلما في الكتابات ومدار للرحلات، (محاضرات الملتقى الوطني الثالث عشر بسكرة عبر التاريخ)، بسكرة بعيون الرحالة الغربيين، دار الثقافة أحمد رضا حوجو، أيام 22-23-24 ديسمبر 2015، الجمعية الخلدونية، بسكرة، 2018، ص-ص 121-122.

² المصدر السابق، ص6.

■ أما فيما يخص النساء فقد اشتهرت منهن المحدثة أم الحياء البسكرية، صفة بنت محمد بن محمد بن عمر، من فضليات النساء رحلت إلى المدينة مع أبيها، وحدثت هناك، عاشت في القرن التاسع الهجري، ترجم لها السخاوي في كتابه " الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ".

■ أما العلامة ناصر بن أحمد بن يوسف بن منصور البسكري المعروف بابن مزني، فقد عرف بالفقه والتاريخ، كما اتصل بالعلماء كابن خلدون، ولزم ابن حجر العسقلاني، توفي سنة 1420م.¹

9. الموارد السياحية:

نجدها في منعرجات مشونش نحو غوفي، منعرجات ومضيق القنطرة، طريق جمورة إلى البرانيس، مضيق خنفة سيدي ناجي، مضايق وقرية جمينة، مضايق سيدي مصمودي، فج بني سويك، غابات وجبال عين زعطوط بالإضافة إلى واحات النخيل التي يتواجد أغلبها في منطقة الزاب الغربي، حيث تمتلك بسكرة حوالي 4213332 نخلة، منها 2585251 نخلة دقلة نور التي تعتبر من أجود أنواع التمور عالميا.

1. المعالم التاريخية:

كما تتطوي بسكرة على العديد من الآثار والمعالم التاريخية التي امتدت من عصور ما قبل التاريخ مروراً بالحضارات الرومانية والإسلامية وصولاً إلى الحقبة الاستعمارية، ومن أهم هذه المعالم نذكر:

- الآثار الرومانية: توجد هذه الآثار في بادس²، زريبة الوادي، أورلال، امليلي، تهودة³ بسيدي عقبة، طولقة القديمة، ليوة، الحوش، بسكرة، القنطرة، جمورة، الفيض، لوطاية، برانيس، أولاد جلال وليشانة.
- الآثار والمخطوطات: تتمثل في رسوم على الصخور موجود بأولاد جلال، آثار جمينة تاجمونت بمزيرعة، آثار تركية بالحوش وبسكرة، أقدم نقشية عربية غير منقوطة بسيدي عقبة وباب المسجد المهدي.

¹ المصدر السابق، ص6.

² بادس: هي بلدة في الجزائر التي تقوم إلى الجنوب من جبال الأوراس، وهي منطقة من مناطق ولاية بسكرة حالياً.

³ تهودة: هي بلدة تابعة لدائرة سيدي عقبة وتبعد حوالي 23 كلم عن بسكرة.

- آثار الثورات الشعبية ضد الاستعمار الفرنسي: آثار ثورة الزعاطشة بليشانة، ثورة العامري بلغروس، محتشد برج بن عزوز، آثار معركة سريانة.

2. المعالم الثقافية ذات الطابع الديني:

مسجد وضريح عقبة بن نافع، مسجد وضريح سيدي خالد، مسجد سيد مبارك بخنقة سيدي ناجي، ضريح سيدي زرزور ببسكرة، الزاوية العثمانية طولقة، زوايا أولاد جلال.

جدول رقم (1): المواقع الأثرية والتاريخية والطبيعية المصنفة في ولاية بسكرة

البلدية	اسم المعلم	تاريخه	تاريخ التصنيف	رقم الجريدة الرسمية
بسكرة	بقايا حمامات	عهود قديمة	1900	رقم 7 في 1968/01/23
	أطلال جميلة	عهود قديمة	1952/07/18	رقم 7 في 1968/01/23
امليلي	آثار جميلة	عهود رومانية	1952/07/18	رقم 7 في 1968/01/23
سيدي عقبة	باب مسجد عقبة بن نافع	القرون الوسطى	1900	رقم 7 في 1968/01/23
	سد فم الغرزة	العهد الروماني	1996	رقم 52 في 1996/09/11
	مدينة تهودة الأثرية	العهد الروماني	1996	رقم 52 في 1996/09
مشونش	أخاديد مشونش	أثر طبيعي	1928/01/30	رقم 7 في 1968/01/23
مزيرعة	أخاديد سيدي مصمودي	أثر طبيعي	1928/01/30	رقم 7 في

1968/01/23				
رقم 7 في 1968/01/23	1928/01/30	أثر طبيعي	قرية أكباش	
رقم 7 في 1968/01/23	1928/01/30	أثر طبيعي	أخاديد خنقة سيدي ناجي	خنقة سيدي ناجي
رقم 7 في 1968/01/23	1928/01/30	أثر طبيعي	القرية	
رقم 7 في 1968/01/23	1933/09/26	عهود قديمة	نصب السبع مقاطع	
رقم 7 في 1968/01/23	1900	عهود قديمة	الجسر الروماني	القنطرة
رقم 7 في 1968/01/23	1923/01/23	أثر طبيعي	أخاديد القنطرة	
رقم 7 في 1968/01/23	1900	عصور قديمة	تشكيلات حجرية	
رقم 7 في 1968/01/23	1937/09/26	عصور قديمة	مخطوطات	لوطاية
رقم 7 في 1968/01/23	1900	عصور قديمة	آثار لمدرج مسرح	
رقم 87 في 1999/12/15	1999	عصور وسطى	مسجد سيدي عقبة	سيدي خالد

المصدر: مديرية الثقافة لولاية بسكرة

الجدول رقم (2): المعالم الدينية لولاية بسكرة

البلدية	المعلم	طبيعة المعلم
سيدي عقبة	ضريح عقبة بن نافع	أثري
سيدي خالد	ضريح خالد بن سنان	أثري وسياحي
خنقة سيدي ناجي	مسجد سيدي لمبارك	أثري وسياحي
طولقة	الزاوية العثمانية	ديني
مخادمة	سيدي عبد الرحمان الخذري	ديني
أولاد جلال	الزاوية المختارية	ديني
طولقة	المسجد العتيق	أثري
زريبة الوادي	مسجد سيدي عامر سيدي مسعود	أثري
بوشقرون	مسجد سيدي عيسى	أثري
برج بن عزوز	المسجد العتيق	أثري

المصدر: مديرية الشؤون الدينية والأوقاف بولاية بسكرة

الجدول رقم (3): فنادق ولاية بسكرة

طاقة الاستيعاب	الغرف	الصنف	المؤسسات الفندقية
182	91	نجوم 3	فندق الزيبان
356	133	نجوم 3	فندق حمام الصالحين
51	20	نجوم 2	فندق نسيب
40	20	نجمة	فندق عابدي
48	24	نجمة	فندق سلامي
57	28	غير مصنف	فندق روايال
74	30	غير مصنف	نزل الحاج الشاوي
60	30	غير مصنف	فندق نياي أحمد
65	24	غير مصنف	فندق دار المعلم
47	20	غير مصنف	فندق المنصور
77	32	غير مصنف	فندق الراحة
117	56	غير مصنف	فندق الراحة لعمال البريد والمواصلات
34	15	غير مصنف	نزل فيكتوريا
36	20	غير مصنف	فندق الواحة
1250	543	14 فندق	المجموع

المصدر: مديرية السياحة لولاية بسكرة

- كما تشتهر ولاية بسكرة بصناعات تقليدية أهمها صناعة الخزف، الفخار والحلي، بالإضافة إلى صناعات أخرى كالألبيسة الصوفية، صناعة الجلود والحدادة، ويقام لهذه الصناعات عدة معارض تقليدية يشارك فيها حرفيون. وتوجد عبر الولاية أربع وحدات تمثل نواة الصناعة التقليدية هي: مركز صناعة الزرابي والطرز ببسكرة، وحدة الغزل والنسيج بسيدي خالد، وحدة الخزف والفخار التقليدي بمشونش، ووحدة الخزف والفخار بالقنطرة.

10. الإمكانيات السياحية المادية للولاية:

- الهياكل السياحية: يوجد بالولاية 14 فندق فقط، منها 5 فنادق مصنفة، أما باقي الفنادق فهي غير مصنفة، بالإضافة إلى هياكل شبه فندقية هما بيتان للشباب إحداهما في بسكرة والآخر في القنطرة.
- وكالات السفر والسياحة: ينشط على مستوى الولاية 18 وكالة سياحية.
- النشاط الحموي: تتوفر الولاية على قدرات هائلة للعلاج بالمياه المعدنية المعتمدة من طرف أغلب الأوساط الطبية، وقد تركز النشاط الحموي في عدد من المركبات التي تعتبر مراكز طبية هامة، من بينها المركب المعدني لحمام الصالحين الذي يعالج أمراض الجلد والروماتيزم والدورة الدموية، بالإضافة إلى مركبات أخرى كالمركب المعدني البركة بالحاجب، حمام الشفاء بالثقة، حمام الروضة بعين الحامية، بالإضافة إلى عدد من المنابع غير المستغلة.
- المطاعم: تمتلك بسكرة العديد من المطاعم منها المصنفة كمطعم فندق الزيبان ومطعم فندق حمام الصالحين، وأخرى غير مصنفة تتميز بطريقة إعدادها للأطباق الشعبية المتنوعة كالشخشوخة والدوبارة.
- النقل: تمتلك الولاية شبكة طرقات ذات طبيعة خاصة تمتد على طول 2389.74 كلم، موزعة كما يلي:

_ الطرق الوطنية: 550.10 كلم

_ الطرق الولائية: 482.70 كلم

_ الطرق البلدية: 1356.94 كلم¹

¹حايف سي حايف شيراز، المرجع السابق، ص - ص (80-81).

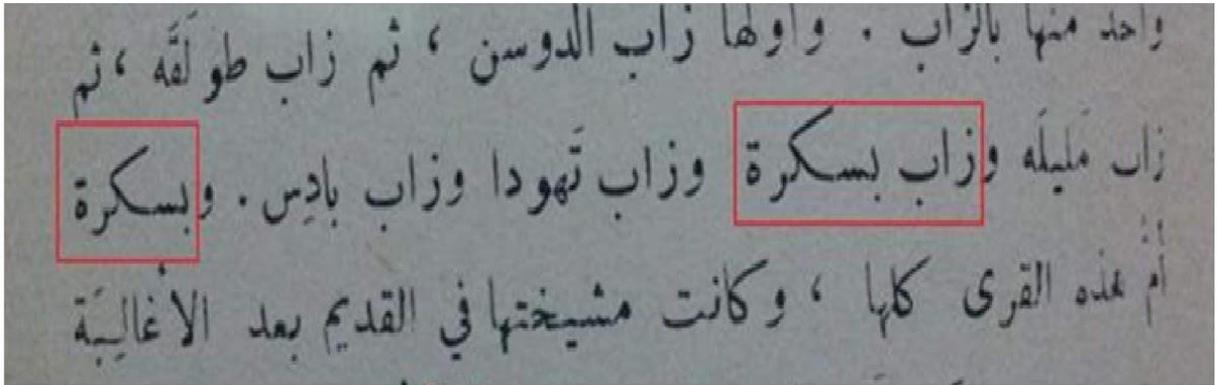
ملحق 02:

طور منطقة الزيبان

➤ ملحق 02: صور لمنطقة الزيبان



الصورة رقم 01: تمثل منطقة الزيبان قديما



وثيقة 00

كتاب العبر ج 06 ص 913 طبعة بيروت

الصورة رقم 02: تمثل الهوية الحقيقية لأهل منطقة الزيبان



الصورة رقم 03: توضح مدينة بسكرة الزيبان



الصورة رقم 04: توضح واحات منطقة الزيبان



الصورة رقم 05: توضح حدائق الزيبان المائية بسيدي عقبة



الصورة رقم 06: مدخل عروس الزيبان



الصورة رقم 07: توضح شخصية ملحمة حيزية



الصورة رقم 08: منطقة القنطرة



الصورة رقم 09: خيرات وتمور الزيبان



الصورة رقم 10: الصالون الوطني للصناعات التقليدية "ربيع الزيبان"

ملحق 03:

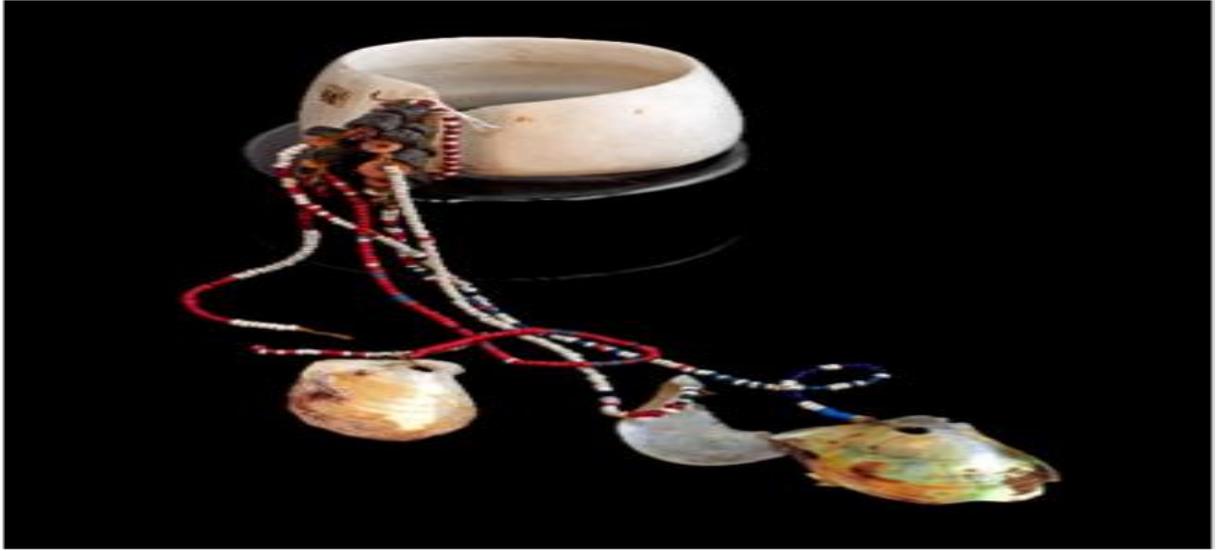
صور لبعض الهدايا المتبادلة في حلقة الكولا





الصورة رقم 03: تمثل مجموعة عقود السولافا المتبادلة في حلقة الكولا





الصورة رقم 04: تمثل مجموعة لأساور المولي

ملحق 04:

طور لبعض الهدايا المتبادلة في المناسبات

ملحق 04: صور لبعض الهدايا المتبادلة في المناسبات

















... **Zaho Anthropos** العالمي للمرأة . 
13 ساعة - 

يااغاللية يا أم القدر العالي
يا باهية يا أهم ليا من حالي
يا مية صافية بصفاك سقيتيني من صغري وصيتيني التربية
راس مالي
يا لي في قلبي باقية ومكانتك حاجة ما تزحزحالي
ياوردة زاهية كسوفها دنيا تزحزحالي
يا شمعتي الضاوية بيها طريق تضواالي
يا امرأة رجولية مهما وحولت نقووول ليك أنا دنيتي
نعطيهالك وفداء قلبك العالي

أمي



اكتب تعليقًا...



13:37

Balhi Aicha  ساعتان •

بعيد المرأة يذوب القلب
ويزداد الشوق والأشواق
جاءتنا هدية من الرب
وحياتنا زادت بها رواق

1 تعليق

8 من الأشخاص الآخرين

تعليق

أعجبتني



13:45

صور من منشور الدكتور رضوان بلخي..

Dr-RADOUANE Belkhiri  ساعة واحدة •

#عيد_المرأة
إلى من تعبت وسهرت لأجل أن أعيش وأترعرع في أحضانها،
حبيبتي الغالية ومناي وقررة العين، #أمي بلسم الروح، كل
أيامك عيد ياغالي، أدامك الله تاجا على رؤوسنا وحفظك من
كل مكروه وسوء يارب العالمين.




اكتب تعليقًا...

Larbi Tebessi University - Tebessa
جامعة العربي التبسي - تبسة

تحية عطرة لكل نساء العالم عامة، و النساء الجزائريات خاصة، و إلى نساء الأسرة الجامعية بجامعة العربي التبسي - تبسة على وجه الخصوص أستاذة، موظفة إدارية أو تقنية، عاملة و طالبة.

عيدكن سعيد مع تمنياتنا لكن بالصحة و العافية و ونتمنى لكن السعادة الوافرة وكل عام وأنتن بألف خير



أعجبي مشاركة تعليق

اكتب تعليقًا... GIF





الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة العربي التبسي، تبسة،
مديرية الجامعة



رسالة تهنئة بمناسبة اليوم العالمي للمرأة

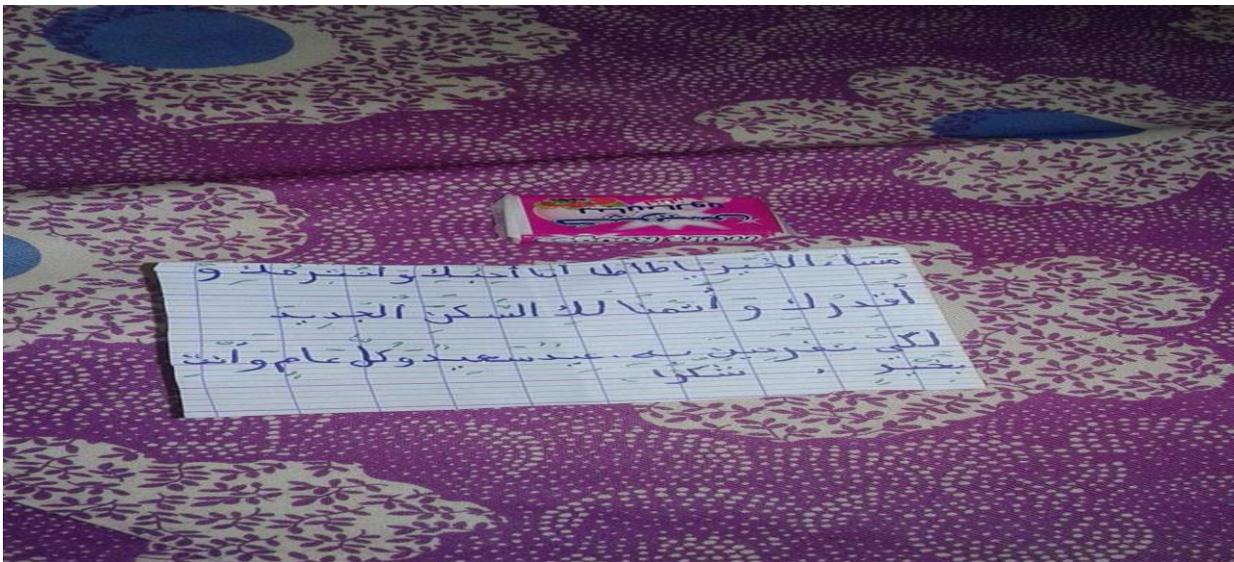
أصالة عن نفسي ونيابة عن كل مكونات الأسرة الجامعية، يسرني أن أتقدم بهذه التهنئة إلى كافة النساء عامات، وإلى كل أستاذات وموظفات جامعة العربي التبسي، تبسة خصوصا. بمناسبة اليوم العالمي للمرأة المصادف ليوم الثامن مارس من كل سنة، راجيا من العلي القدير أن يمن عليهن بموفور الصحة والعافية، وأن يكمل عطاءهن بمزيد من المكاسب والنجاحات، وكلنا أمل أن تصلن في ذلك إلى ما يليق بمقامهن من سؤدد ومراتب عليا.

فتحية تقدير واحترام لكل من جميعا ستروفت بكل مودة وحبور
Happy Women's Day
كل عام وأنتم بخير

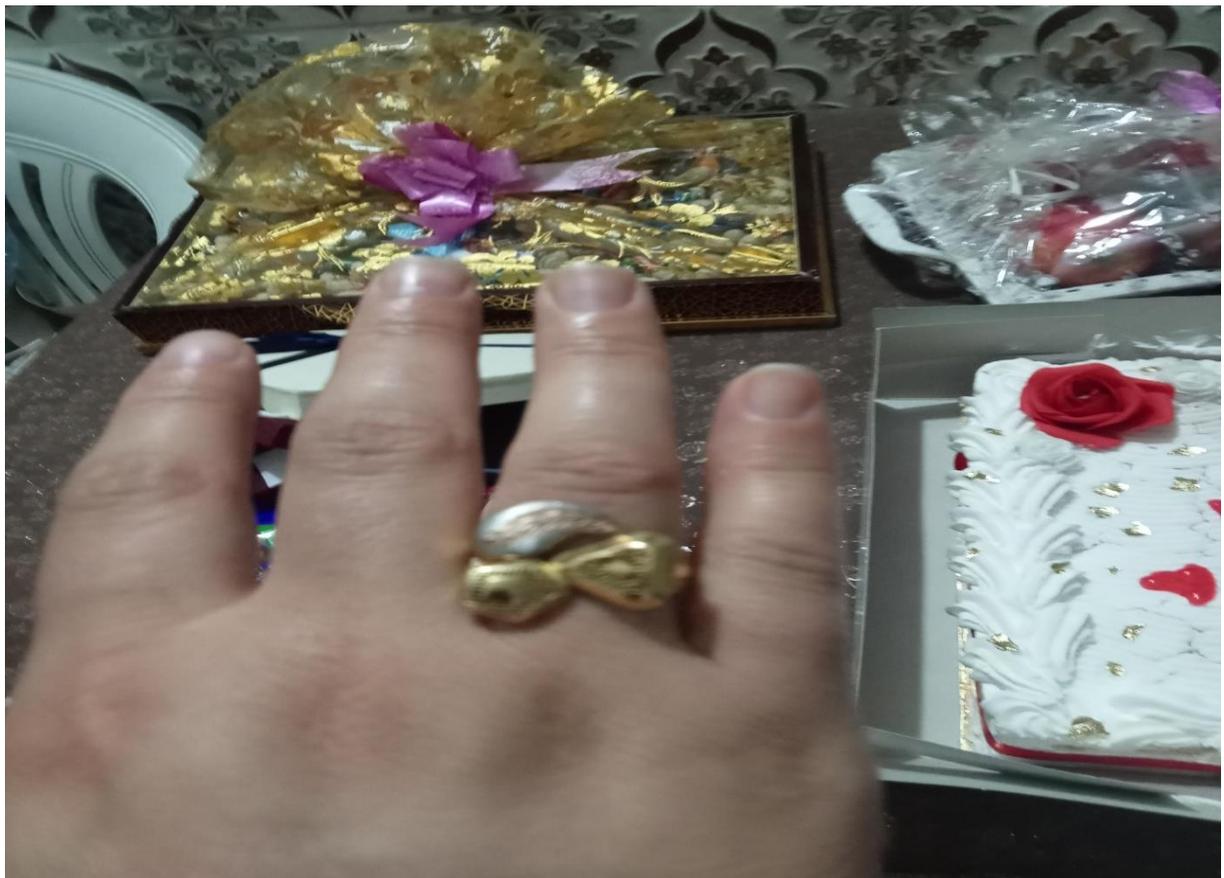
مدير الجامعة
عمار بودلاعة

أغلى هدية للمرأة في عيدها























Carrefour fans

٢ ي ٠

فريق كارفور جاهز لإرسال 10000 طرد هدايا في هذا الشهر المبارك إلى أي شخص يكتب "جاهز" قبل 30 مايو في الساعة 21:00.



٦٩ تعليقا • مشاركة واحدة

٤٣

مشاركة

تعليق

أعجبنى





REDMI NOTE 8 PRO
64MP QUAD CAMERA



ملحق 05:
دليل المقابلة

➤ ملحق 05: دليل المقابلة

❖ البيانات الشخصية:

1. العمر:
2. الحالة الاجتماعية: متزوج () مطلق () أرمل () أعزب () خابط ()
3. الجنس: ذكر () أنثى ()
4. منطقة السكن:
5. مستوى التعليم: أمي () ابتدائي () متوسط () ثانوي () جامعي ()

❖ البيانات العامة:

1. ماهية الهدية:

1. ماذا تمثل لك الهدية؟
2. هل الهدية ظاهرة ايجابية أم سلبية؟
3. لماذا نتهادي؟
4. ماهي أشكال الهدية؟
5. هل هناك تغير في طبيعة ونوع الهدية بين الماضي والحاضر؟
6. حسب وجهة نظرك ماذا يترتب عند الامتناع عند تقديم الهدية؟
7. ماهي القواعد التي تحكم عملية التهادي في المجتمع؟
8. ماهي العادات والتقاليد المرتبطة بعملية التهادي؟
9. ماهي العبارات التي تقال أثناء إعطاء وقبول الهدية؟

II. رمزية الهدية ودلالاتها في المناسبات الاجتماعية:

1. ماهي أهم المناسبات الاجتماعية التي تأخذ فيها الهدية؟
2. وكيف يتم ذلك؟
3. هل الهدية مقبولة اجتماعيا؟
4. ماهي الهدايا التي تقدمها في مختلف المناسبات الاجتماعية مثل الأعراس والازدياد وغيرها؟
5. هل الهدية تقرب الأواصر الاجتماعية؟
6. ماهو وقت تقديم الهدية في مختلف المناسبات الاجتماعية؟
7. كيف تقوم باختيار الهدية في مختلف المناسبات الاجتماعية؟
8. وأي المناسبات منها تفضل من ناحية تقديم أو قبول الهدية؟
9. ماهي الدلالة الرمزية المرتبطة بالتهادي في مثل هاته المناسبات الاجتماعية؟

III. رمزية الهدية ودلالاتها في المناسبات الدينية:

1. ماهي أهم المناسبات الدينية التي تقدم فيها الهدايا؟
2. وكيف يتجسد ذلك؟
3. هل تبادل الهدايا من ناحية المناسبات الدينية مقبول بين أفراد مجتمع البحث؟
4. ماهي الدلالة الرمزية الموجودة وراء تبادل الهدايا في مثل هاته المناسبات الدينية؟
5. كيف تقوم باختيار الهدية في مختلف المناسبات الدينية؟
6. كيف يؤثر تبادل الهدايا في المناسبات الدينية؟

IV. رمزية الهدية ودلالاتها في المناسبات الثقافية:

1. ماهي أهم المناسبات الثقافية التي تأخذ فيها الهدية؟

2. كيف يتم ذلك؟

3. هل تبادل الهدايا مقبول من الناحية الثقافية؟

4. أي المناسبات منها تفضل من ناحية تقديم أو قبول الهدية؟

5. ماهي الدلالة الرمزية المرتبطة بالتهادي في مثل هاته المناسبات الثقافية؟

6. كيف تقوم باختيار الهدية في مختلف المناسبات الثقافية؟

7. ماهو تأثير تبادل الهدايا في المناسبات الثقافية على المجتمع؟

ملحق 06:

معلومات حول الأخطار البيئية

➤ ملحق 06: معلومات حول الإخباريين

الاسم واللقب	الجنس	العمر	الحالة الاجتماعية	المستوى التعليمي	منطقة السكن
ع. ش	أنثى	37	متزوجة	جامعي	سيدي خالد
س. خ	أنثى	30	عازبة	جامعي	أورلال
م. س	أنثى	34	عازبة	جامعي	خنقة سيدي ناجي
ح. ع	أنثى	28	عازبة	جامعي	ليوة
ن. د	أنثى	38	متزوجة	ثانوي	أولاد جلال
ح. ل	نكر	45	متزوج	متوسط	البسباس
ف. ر	أنثى	70	أرملة	أمية (دون مستوى)	ليشانة
م. ب	أنثى	31	متزوجة	ابتدائي	زريبة الوادي
ف. ف	نكر	43	مطلق	متوسط	مزيرعة
ح. ز	أنثى	34	عازبة	جامعي	بوشقرون
م. ج	نكر	33	متزوج	ثانوي	طولقة
ع. ج	أنثى	35	متزوجة	جامعي	أوماش
ف. ف	أنثى	33	عازبة	جامعي	سيدي عقبة
ح. م	أنثى	60	أرملة	دون مستوى	مشونش
ح. ش	أنثى	39	متزوجة	جامعي	بنيان
س. ج	أنثى	37	متزوجة	جامعي	جمورة
س. ز	أنثى	35	عازبة	جامعي	القنطرة
ف. ج	أنثى	40	متزوجة	متوسط	البيض

ملحق 07:

التعليق والأمثال المستعملة من قبل المحققين

➤ ملحق 07: التعابير والأمثال المستعملة من قبل المبحوثين.

الرقم	التعابير والأمثال والأقوال المستعملة
01	وجهك خير من الدراهم
02	عاش من شافك
03	ما نطيشش بروحي
04	يلي تفكرني ما أنساني
05	عييب ما نمدش
06	نكسروا دبوس وإلا رزامة اليوم
07	يلي غاب عذرو معاه
08	واش يقولوا عليا الناس
09	مول التاج ويحتاج
10	واش من ريح جابك
11	كلشي مبروك، يتربي في عزكم
12	البراقة في القليل
13	الكاتبة تلحق
14	عاند ومتحسدش
15	جات وجابت الخير معاها
16	على قد صباطك كسل رجلك
17	الزمان أيقري والليام توري واللي مشى بخاطرو الله لا يولي واللي خدعك

أنساه ولا تخم فيه خلي المولى يتكلف بيه.	
يا داير الخير باقي ويا داير الشر لآقي والدنيا خلاصها فيها والباقي عند المولى يواسيها يا سعدك يا فاعل الخير.	18
زمان كان الباب لوح والقلب مشروح والخير مفتوح واليوم الباب حديد والقلب صديد والأخ على خوه بعيد.	19
البحر مالح والناس مصالح وكلامي ما يفهمو غير المجرب والفالح.	20
اشري الجار قبل الدار.	21
الدنيا طويلة والأيام تكفي واللي عمل معاك الشر يرجعلو وافي.	22
ما تبكيش على اللي يكرهوك، ابكي على إني حسبتهم حباب وغدروك، وفي وقت الشدة باعوك نكروا العشرة وخانوك.	23
الدنيا ضحكة موش قلب حزين والغلطة لحظة والندم سنين، والدنيا آخرتها كفن وكلنا رايعين.	24
ضيف العام يستاهل ذبيحة، وضيف الشهر يستاهل مأكلة مليحة، وضيف كل يوم يستاهل طريحة.	25
ما تعرف العدو من الصديق غير وقت الشدة والضيق.	26
اللي كرهني ولا أنساني ما عراني ما كساني بالعكس هناني.	27
الأصحاب قد شعر الراس، وقت الصبح تضرب على شعرك تلقى روحك فرطاس.	28
اكنس بيتك ورشه ما تعرفش شكون يخشه.	29
ما يفوح بخور بلا جمر، وما ينبت زرع بلا مطر، وما دوم محبة بلا قدر.	30
الناس لملاح راحو، واللي بقاو جياحو، واللي ايجيك يجيك على صلاحو.	31
الخطاب رطاب.	32

الحجرة من عند لحبيب تفاحة.	33
الكاتبة على الجبين ما ينحوها اليدين.	34
العريس يعرس والناس تتهرس.	35
مكانش حاجة دوم.	36
مقطوعين من شجرة.	37
كل واحد وظروفو	38
الباب مفتوح يلي جا مرحبا بيه وكثر خيرو ويلي ما جاش ربي يسهل عليه.	39
هذي الدنيا مرة كاين مرة لا.	40
حاجة لازمة.	41
يلي ماجانيش مرة مش معناها ما يجينيش طول.	42
كما تدين تدان.	43
اليوم عندي وغدوة عندك.	44
مولا التاج ويحتاج.	45
الدنيا دوارة.	46
ادهن السير يسير.	47
يد وحدة ما تصفقس.	48
يوم الشتا فيه يومين ويوم الخير فيه ساعة.	49
لي عايش في الشر يكبر عليه.	50
زواج ليلة تدبيره عام.	51
اللحم كي ينتن يهزوه ماليه.	52
معرفة الرجال كنوز.	53
دير كيما جارك ولا حول باب دارك.	54

تجيني بوجهك يكفي.	55
نرودوهملك في الأفراح إن شاء الله.	56
يوم ليك ويوم عليك.	57
يلي جاني حتى ومجابهش كأنو عطاني.	58
خيرك سابق.	59
ما تكون حاكمتو غير كاش حاجة لأنو مش بعادتو.	60
هذا وين تفكرتتا.	61
ربي يعيشهولك.	62
يتربي في عز والديه.	63
مانقدرش ندخل بيديا فارغين.	64
مديت لفلان في عرسو.	65

المخلص:

إن دراسة " الهدية بين الدلالات الرمزية والتمثلات الاجتماعية " بمنطقة الزيبان، تهدف هذه الدراسة لمعرفة طبيعة التمثلات والمناسبات الاجتماعية والثقافية والدينية التي تتجسد فيها ظاهرة تبادل الهدايا وكيفية تمثل الجانب الرمزي لهاته الظاهرة، من خلال الربط بين التمثل أو الحادثة أو المناسبة الحاصلة، ومعرفة نوعية الهدية وطبيعة التبادل الحاصل فيها لفهم والوصول إلى ما ترمز إليه، وكيف يتجسد ذلك في ظل التغيير الحاصل في المجتمع، وذلك في منطقة الزيبان، معتمدين في ذلك على ما تم طرحه من جانب نظري لتدعيم الدراسة الميدانية المنجزة من خلاله، ومن خلال الدراسة الميدانية لهذا الموضوع، والتي كانت من خلال الانطلاق من ملاحظات معينة مستعينا في ذلك بمناهج وأدوات لجمع المعلومات والبيانات التي تخدم الموضوع. حيث تم الاعتماد على كل من المنهج الوصفي التحليلي والمنهج المقارن تماشيا مع طبيعة الموضوع. والاعتماد على كل من الملاحظة بالمعايشة والمقابلة كوني ابنة المنطقة وساكنة بها، إضافة إلى الاعتماد على الإخباريين لتجاوز وتذليل الصعوبات والعراقيل التي يمكن أن توجد في الميدان لظروف عديدة، حيث يقتصر موضوعها على دراسة أغلبية المناطق الموجودة في منطقة الزيبان وكيفية تجسيد موضوع تبادل الهدايا فيها بطريقة اختيارية منظمة وغير عشوائية من ناحية عدد المبحوثين في كل منطقة.

ومن خلال ما توصلنا إليه من نتائج مرتبطة بالدراسة الميدانية للموضوع المتعلق ب" الهدية بين الدلالات الرمزية والتمثلات الاجتماعية "، تتوصل الباحثة في الأخير إلى أن ظاهرة الهدية تلعب الدور الفعال في الحياة بصفة عامة والمجتمع بصفة خاصة، حيث تؤثر بطريقة غير مباشرة في التفاعل الاجتماعي القائم بين أفرادها، وتساهم بصورة كبيرة في تحقيق التعاون والتضامن والمحافظة على التماسك الموجود في مختلف المناسبات والجوانب الاجتماعية والثقافية والدينية في حياة الإنسان، رغم التغيير الحاصل عليها بفعل التطور والتغير الذي مهما كان تأثيره، يبقى للهدية أثرها الفعال على الإنسان.

الكلمات المفتاحية: الهدية- الدلالات الرمزية- التمثلات الاجتماعية- تبادل الهدايا.

Le Résumé :

L'étude du « don entre connotations symboliques et représentations sociales », dans la région des Ziban. Cette étude vise à connaître la nature des représentations et des occasions sociales, culturelles et religieuses dans lesquelles s'incarne le phénomène d'échange de dons et comment représenter l'aspect symbolique de ce phénomène, En liant la représentation, l'incident ou l'occasion qui s'est produit, Et connaître la qualité du don et la nature de l'échange obtenu en lui pour comprendre et atteindre ce qu'il symbolise, Et comment cela se concrétise-t-il à la lumière du changement qui s'opère dans la société, dans la région de Zayban. S'appuyant sur ce qui a été proposé d'un point de vue théorique pour étayer l'étude de terrain réalisée à travers l'étude de terrain de ce sujet, c'était en partant de certaines observations, en utilisant des méthodes et des outils pour collecter des informations et des données qui servent le sujet. Ou tant l'approche descriptive analytique que l'approche comparative ont été invoquées en fonction de la nature du sujet, et ou l'on s'est appuyé à la fois sur l'observation par la coexistence et l'entretien puisque je suis la fille de la région et une résidente de celle-ci, en plus de s'appuyer sur les journalistes à surmonter et à surmonter les difficultés et les obstacles qui peuvent exister sur le terrain en raison de nombreuses circonstances, Ou son sujet se limite à étudier la majorité des Zones situées dans la région d'AL-Ziban et comment incarner le sujet de l'échange de cadeaux de manière facultative, organisée et non aléatoire en fonction du nombre de répondants dans chaque région.

Et à travers les résultats auxquels nous sommes parvenus liés à l'étude de terrain du thème lié an « don entre indications symboliques et représentations sociales », le chercheur conclut finalement que le phénomène du don joue un rôle effectif dans la vie en général et la société en particulier, car elle affecte indirectement l'interaction sociale existante entre ses membres et contribue de manière significative à la réalisation de la coopération, de la solidarité et à la préservation de la cohésion qui existe dans divers événements et aspects sociaux, culturels et religieux de la vie humaine, malgré les changements survenus en raison d'un développement et de changements qui quel que soit son impact, reste pour que le don ait un impact effectif sur la personne.

Les mots-clés : Le cadeau- Sémantique Symbolique- Représentations Sociales- échange de cadeaux .

Abstract :

The study of « the gift between symbolic connotations and sociale representations » in AL-Ziban region, this study aims to know the nature of the representations and the social, cultural and religions occasions in which the phenomenon of gift exchange is embodied and how to represent the symbolic aspect of this phenomenon, by linking the representation, the incident or the occasion that takes place, and knowing the type of gift and the nature of the exchange taking place in it to understand and access what it symbolizes, and how this is embodied in light of the change taking place in society, in the Zaban region, Relying on what was proposed from a theoretical side to support the field study carried out through it, and through the field study of this topic, which was by starting from certain observations, using methods and tools to collect information and data that serve the topic. Where both the analytical descriptive approach and the comparative approach were relied upon in line with the nature of the subject. And relying on both observation by coexistence and interview, being the daughter of the region and inhabiting it, in addition to relying on the informants to overcome and overcome the difficulties and obstacles that can exist in the field for many circumstances, as its subject is limited to studying the majority of the areas in the Zayban region and how to embody the subject of exchanging gifts in it in an optional way organized and non-random in terms of the number of respondents in each region.

And through the results we have reached related to the field study of the topic related to « the gift between symbolic remantions and social representations », the researcher finally concludes that the gift phenomenon plays an effective role in life in general and society in particular, as it indirectly affects the existing social interaction between its members, and contribute significantly to achieving cooperation and solidarity and preserving the cohesion that exists in the various occasions and social, cultural and religions aspects of human like, despite the change that has occurred due to development and change that whatever its impact, the gift remains its effective impact on the person.

Keywords : The Gift- Symbolic Semantics- Social Representations- Gift Exchange.

